

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

قسم التاريخ والجغرافيا

المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة

الجزائر

دورُ علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية

في بلاد المغرب الإسلامي

خلال القرنين الثامن والتاسع المجرين (14 و 15 م)

رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي

إشراف : الأستاذ الدكتور

خالد كبير لال

إعداد الطالب :

نبيل شريفي

السنة الجامعية :

2009 – 2010 م / 1430 – 1431 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى من خفضتُ لهُما جناح الذلِّ من الرحمة ، وقلت ربي ارحمهُما كما ربياني صغيراً

.... والديَ الكريمين

إلى من كانت لي سكناً وعاوناً في دراستي

... زوجتي

إلى أفراد أسرتي ... وأهلي وأقاربي صغيرهم وكبيرهم

إلى كلِّ من علّمني حرفاً ... معلّمي وأساتذتي الأكارم

إلى كلِّ من سلك طريقاً يتغي فيه علما ...

إلى كلِّ هؤلاء ... أهدي ثمرة جهدي وعملي المتواضع هذا

شكر وعرفان

نحمد الله – سبحانه وتعالى – على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل ، وعملا بقوله
صلى الله عليه وسلم : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " ، فإنني أتوجه بجزيل الشكر
إلى كل من مدّ لي يد العون – على الصعيد المعرفي والمعنوي – في إنجاز بحثي
وأخصّ بالذكر :

* أستاذي المشرف الدكتور خالد كبير لال الذي تفضّل برحابة صدره وكرمه
بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، كما لم يبخل عليّ بتوجيهاته القيّمة والرشيدة .

* الأستاذان : كعوان فارس و طاهر منزل ، اللذان أخذتا بيدي طوال فترة
البحث و أمّداني بالعديد من المصادر الهامّة في الدراسة .

* كما لا أنسى أن أشكر :

* عمّال المكتبة الوطنية الجزائرية ، خاصّة قسم المخطوطات ، وجناح طالب
الإبراهيمي ، والرصيد المغاربي .

* عمّال مكتبة جامعة علوم الشريعة – الأمير عبد القادر – بقسنطينة

* مكتبة الكتاب القديم بسطيف و صاحبها الأخ الهاشمي

* عمّال مكتبة المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة

* كما أتقدّم بالشكر إلى إخوتي : ابن مرزوق عبد الوهاب ، عبّاسي عبد
الكريم ، فارج مروان ، بلوصيف سمير ، وعيسوي يوسف ، وابن عمّي اليمين
وذلك لمساعدتهم لي

* والشكر لكلّ من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو

من بعيد ..

المسألة الثالثة

الفصل الأول

الأوضاع العامّة في بلاد المغرب الإسلامي

خلال القرنين (08 و 09 هـ / 14 و 15 م)

أولاً : الأوضاع السياسية في بلاد المغرب الإسلامي :

- 01 – الأوضاع السياسية في المغرب الأدنى خلال القرنين (08 و 09 هـ/14 و 15 م) :
- 02 – الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (08 و 09 هـ/14 و 15 م) :
- 03 – الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال القرنين (08 و 09 هـ/14 و 15 م) :

ثانياً : الأوضاع الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي :

- 01 – مكونات المجتمع في بلاد المغرب الإسلامي :
- 02 – مميّزات الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي :
- أ – الأوقاف في بلاد المغرب الإسلامي :
- ب – مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي :
- 03 – الأوبئة والمجاعات في بلاد المغرب الإسلامي :

ثالثاً : الأوضاع العلمية في بلاد المغرب الإسلامي :

- 01 – الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي :
- 02 – مميّزات الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي :
- 03 – المؤسّسات العلمية والتعليمية في بلاد المغرب الإسلامي :

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، أمّا بعد :

أنجبت مدينة تلمسان خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) ثلثة من العلماء ، الذين كانوا زينة لها وتاجا لبلاد المغرب الإسلامي كلها ، وتبعاً لذلك أصبح هؤلاء العلماء في طليعة علماء المغرب الإسلامي ، وكان لهم دور على مختلف الأصعدة السياسية والعلمية والاجتماعية .

أولاً : التعريف بالموضوع وأسباب اختياره :

بالرغم من المكانة التي تبوأها علماء تلمسان ، فإنّ الأدوار التي أدّوها في مختلف الجوانب لم تحظ بالدراسة الكافية ، باستثناء بعض الدراسات التي أفردت بحثها في جانب واحد من هذه الأدوار ، كما أمكن تتبّع هذه الأخيرة في سياق حديث تلك الدراسات عن علاقاتهم المختلفة ، أو أثناء التعرّض بالدراسة للجانب السياسي والإداري للدولة الزيانية ، أو الحياة الفكرية في حاضرة دولتهم تلمسان .

ومن هذا المنطلق يأخذ البحث في أدوار علماء تلمسان السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) مشروعيته ؛ وذلك لما يضيفه ويكشفه من أعمال قدّمها علماء تلمسان في موطنهم ، وعلى مستوى بلاد المغرب الإسلامي . وجاء اختيار البحث عن تلك الأدوار في هذين القرنين مُرتبطاً بالوضع السياسي الذي ميّز بلاد المغرب خلالهما ؛ فقد عرف فيهما الحفصيون والزيانيون والمرينيون تقعد الملك لهم ، رغم بعض الفترات التي فقد فيها الزيانيون سلطتهم لصالح جيرانهم خاصةً الواقعيين إلى الغرب منهم ، أو المرينيين الذين آلت دولتهم للسقوط في أواخر القرن التاسع الهجري (15م) .

وجاءت الدراسة للبحث والإجابة عن عدد من الإشكاليات التي تتمحورُ حول الأدوار التي أدّاها علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي ، فبالنسبة لعلماء تلمسان ، ماهي العوامل التي ساهمت في تنشئتهم وتكوينهم ؟ وفيما يتعلق

بالأوضاع السياسية ، ما مدى علاقة علماء تلمسان بالحياة السياسية ؟ وما هو تأثيرهم في المشهد السياسي وتأثرهم به ؟ وما هي مكانتهم وطريقة معاملتهم من طرف رجال السياسة ؟ وماهي أهداف سعي وتنافس سلاطين تلك الفترة لتقريب العلماء منهم ؟ وما موقف علماء تلمسان من ذلك ؟

وبما أن هؤلاء العلماء هم أفراد من المجتمع التلمساني والمغربي عامة ، فما هي طبيعة تلك العلاقة التي جمعتهم مع مجتمعهم ؟ وما هي الأعمال والخدمات التي أدوها لأفرادهم ؟ ومنزلتهم ومكانتهم في أعينهم ؟

وعلى اعتبار أن هؤلاء علماء قبل كل شيء ، فما هو دورهم العلمي ؟ وما هو الجديد الذي جاءوا به ؟ وهل كانت ميزتهم الاجتهاد ؟ أم انطلقت عليهم آفة ذلك العصر المتميزة بالتقليد ؟ وما هي علاقتهم بالعلماء المعاصرين لهم ؟ و مواقفهم تجاه القضايا التي ميّزت عصرهم ؟

ثانياً - صعوبات الدراسة :

واجهتنا أثناء إعداد هذه الدراسة عدّة صعوبات وعقبات كان لها تأثيرٌ واضح على مسارها ، سواء ما تعلق بطبيعة الموضوع ، والحصول على مصادر البحث فيه ، أو ما تعلق بعلماء تلمسان وصعوبة الإلمام بتراجم عدد منهم وأسمائهم وفترات حياتهم .

وشكلت طبيعة الموضوع وعنوانه صعوبة كبيرة ، حثمت البحث أولاً على علماء تلمسان في كتب التراجم واستعراض ما توفر منها ، ثمّ الانتقال إلى عرض الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب خلال قرنين والبحث فيها ، ومن ثمّ تتبّع أدوار العلماء واستنباطها من المصادر والكتب التاريخية والفقهية التي لم تفرد ذلك بالتحديد ؛ ممّا استوجب وقتاً وجهوداً كبيرة في إدراك ذلك .

وكان لقلة المصادر التاريخية المختصة في تاريخ مدينة تلمسان وأعلامها ، خاصة كتب الفهارس والأثبات والتراجم والطبقات ، قد شكل صعوبة أخرى أمام الدراسة ؛ وجاء كتاب المجموع لابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1379م) والذي خصّصه لعرض تاريخ أسرته

وحيّدًا - ممّا وصلنا - في هذا المجال من طرف علماء تلمسان ، يضاف إلى ذلك عدم التمكن من الحصول على مصادر أخرى .

واصطدمت عملية إحصاء علماء تلمسان الذين عاشوا خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) بصعوبة تمثلت في نسبة هؤلاء العلماء إلى مدينة تلمسان من عدمها ، خاصّة أنّ بعض العلماء الذين نشأوا في تلمسان استمرت المصادر التاريخية تتسبهم إلى مدنهم الأصلية والتي وُلدوا فيها كأسرة المقرّي ؛ ممّا جعلنا نعتمدُ في دراستنا على اعتبار أنّ من وُلد في تلمسان أو هاجر إليها واستقرّ بها فهو تلمسانيّ ، وهو رأي الفقيه المالكي علي بن حزم (ت 491هـ/ 1097م) الذي قال : " أنّ جميع المؤرّخين من أئمتنا السالفين متفقون على أنّ ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته الذي استقرّ به ولم يخرج عنه رحيلًا إلى أنّ مات ... فمن هاجر إلينا من سائر البلاد فنحن أحقّ به وهو منّا ، ومن هاجر منّا إلى غيرنا فلا حظّ لنا فيه والمكان الذي اختاره أسعد به " .

ووقفتُ أمامنا صعوبة أخرى أثناء إحصاء التلمسانيين الذين اتصّفوا بصفة " العلماء " ، والذين اكتفت المصادر التاريخية وكتب التراجم بذكر العلوم التي برع فيها الكثير منهم دون وصفهم بالعلماء ؛ ممّا جعلنا نعتمدُ الإمام بعدد من العلوم كمعيار لإلحاق المترجم له بمجموع العلماء .

واختلفت المصادر التاريخية وكتب التراجم في أسماء بعض علماء تلمسان ، كما هو الشأن مع أبي عبد الله محمد بن يحيى بن النّجار (ت 749هـ/ 1349م) الذي ذكره المؤرّخ يحيى ابن خلدون (ت 780هـ/ 1378م) باسم " ابن الفخار " ، إضافة إلى التشابه الكبير في أسماء علماء آخرين ، كأسرة العقبانيين التي برز منها عدد كبير من العلماء ؛ ممّا جعل التفريق بينهم يشكل صعوبة في بعض الأحيان .

وكان التعرف على فترة حياة العلماء وتاريخ وفاة بعضهم قد شكل صعوبة أخرى أمام الدراسة ، فقد أحجمت بعض المصادر التاريخية عن التصريح بها ؛ كما هو الشأن مع الفقيه أبي عبد الله بن هدية (كان حيا مابين سنتي 718-737هـ/ 1319-1334م) الذي لم يذكر

المؤرخ يحيى بن خلدون (ت780هـ / 1378م) تاريخ وفاته ؛ مما جعلنا نلجأ في تحديد فترة حياته بالتقريب إلى توليه القضاء للسلطانين الزيانيين أبي حمو موسى الأول (707—718هـ / 1307—1318م) وابنه أبي تاشفين الأول (718—737هـ / 1318—1337م) .

وأضاف اختلاف بعض المصادر التاريخية حول تاريخ وفاة عدد من العلماء صعوبة أخرى في تحديد ذلك ، كالاختلاف حول وفاة الفقيه أبي عبد الله محمد الشريف التلمساني (ت847هـ / 1443م) ، فكان اللجوء إلى الجمع بين الروايات وتتبع حياة هؤلاء العلماء هو السبيل للتأكد من التاريخ الأصح .

ثالثاً - منهج الموضوع وأقسامه :

تمثل المنهج الذي اتبعناه في دراستنا في منهج الجمع والوصف والتحليل والإحصاء بدرجات مختلفة ، فعمدنا في المرحلة الأولى إلى استقراء المادة التاريخية من المصادر التي أرّخت لفترة الدراسة ، واستخلاص ما له علاقة بها ، ثم تبويبها وفقاً لخطة الموضوع ، كما لجأنا إلى المنهج الوصفي والإحصائي والتحليلي أثناء عرض أدوار علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية ، ورأينا أنه الكفيل بإبرازها والحكم عليها .

واشتملت الدراسة على أربعة فصول ، تتناول الفصل الأول الأوضاع العامة في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م) باعتبارها وسيلة للتعرف على الوسط الذي ندرس فيه أدوار علماء تلمسان .

وتطرقنا في الفصل الثاني من الدراسة إلى دور علماء تلمسان في الحياة السياسية ببلاد المغرب الإسلامي ، والذي صدرناه بعلاقتهم بالسياسيين وميزتها ، ثم الخدمات التي قدّموها للسلطة السياسية في بلاد المغرب ومظاهرها ، وأنهينا الفصل بعرض دور علماء تلمسان في العلاقات السياسية والعسكرية التي ربطت بين دول المغرب ، ودورهم في العلاقات الداخلية في هذه الدول .

أمّا الفصل الثالث فقد أفردناه للبحث عن دور علماء تلمسان في الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب ، وتضمن حياة العلماء الاجتماعية وعلاقتهم الأسرية وبأفراد مجتمعهم ، كما تمّ فيه

عرض مختلف الخدمات التي قدّمها علماء تلمسان للمجتمع ، وموقفهم من القضايا التي شغلت أفراده خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م) .

وقد عالجتنا في الفصل الرابع دور علماء تلمسان في الحياة العلمية ببلاد المغرب ، وفي بدايته قمنا بإحصاء علماء تلمسان وتصنيفهم حسب العلوم التي برعوا فيها ، ثم تطرقنا إلى مختلف الأنشطة العلمية التي قام بها العلماء من تدريس ، وتأليف ، ومناقشات علمية ، ممّا ألقى لنا الأدوار التي قام بها علماء تلمسان في الجانب العلمي .

وختمنا الدراسة بخاتمة ضمّناها أهم النتائج التي خرج بها البحث ، إضافة إلى عدد من الملاحق التي تضمّنت بعض النصوص والجداول التوضيحية .

رابعاً : مصادر ومراجع الدراسة :

اعتمدتُ في بحثي هذا على عدد من المصادر التاريخية والدراسات الحديثة العربية والأجنبية ، ويمكن تصنيف المصادر التي اعتمدنا عليها إلى :

1 - كتبه التاريخ :

غلب على الكتب التاريخية التي أرّخت لفترة الدراسة التاريخ للدولة أو السلطان ، ومن المصادر التاريخية التي استفادت الدراسة منها :

– **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** : لأبي زكرياء يحيى بن خلدون (ت780هـ/1378م) ، ويتكوّن من جزئين اثنين : اختصّ الجزء الأوّل منه بأخبار بني عبد الواد ومواطنهم ، وتأسيس دولتهم ، وعرض أعمال سلاطينهم بدءاً بمؤسس الدولة يغمراسن بن زيان وانتهاء بالسلطانين أبي سعيد وأبي ثابت . فيما كان الجزء الثاني مخصّصاً لتاريخ الدولة الزيانية في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني ، ووصل في أحداثه إلى سنة 777هـ/1375م .

ويُعتبر هذا الكتاب مصدراً مهمّاً في هذه الفترة ؛ لأنّ مؤلفه كان كاتباً للإنشاء لدى السلطان أبي حمو موسى الثاني ، ممّا جعله شاهد عيان على معظم الأحداث التي أرّخ لها ، وقد اعتمدت عليه الدراسة كثيراً خاصّةً وأنّه تضمّن مادة هامّة عن علماء تلمسان الذين كانت لهم علاقة بالبلاط الزياني ، إلا أنّ ما يؤخذ عليه هو الاقتضاب الشديد في ذكر هؤلاء العلماء

وإغفاله لتاريخ وفاة الكثير منهم ، إضافة إلى ميله وتحيّزه لبني زيان على حساب منافسيهم الحفصيين والمرينيين .

– **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي**

السلطان الأكبر : للمؤرّخ أبي زيد عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1405م) ، والذي يعتبر مصدرا مهماً استعملت الدراسة الجزئين الأوّل والسابع منه ، ورغم أنّه لم يأت فيه ذكر لعلماء تلمسان وأدوارهم ، فإنّ ما احتواه الجزء الأوّل من خطط ونظم الدولة ، إضافة إلى أفراد ابن خلدون الجزء السابع منه لتاريخ الدول التي حكمت بلاد المغرب خلال فترة الدراسة والعلاقات بينها ، جعله مصدرا مهماً للدراسة .

– **الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية** : للقاضي أبي عبد الله محمد بن الشّمّاع

(كان حيا سنة 861هـ/1456م) ، وقد أفاد الدراسة في التعرّف على الأوضاع السياسية في المغرب الأدنى وعلاقات الحفصيين بالمرينيين والزيانيين ، ويستمدّ هذا الكتاب أهمّيته كون صاحبه كان معاصرا للأحداث بسبب احتكاكه بالسلطين الحفصيين .

– **نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان** : لأبي عبد الله محمد

ابن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1493م) ، والذي ألفه إرضاء للسلطان الزياني محمد المتوكل (866–873هـ/1461–1468م) ، وانتهى من تأليفه سنة 868هـ/1464م ورغم أنّ صاحب الكتاب من علماء تلمسان فإنه لم يهتم فيه بذكر هؤلاء العلماء ، واقتصر فيه على أخبار بني زيان .

2 – كتبه التراجم :

اعتمدت الدراسة على عدد من كتب التراجم ، التي نقلت لنا جوانب حياة علماء تلمسان ومختلف أدوارهم في بلاد المغرب الإسلامي ، ومن هذه الكتب :

– **الإحاطة في أخبار غرناطة** : للوزير لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م) ، الذي

ترجم فيه لأعلام غرناطة ، وضمّته تراجم لعدد من علماء تلمسان ؛ ممّا جعله يفيد الدراسة بها وبيعض الأدوار التي قاموا بها خاصّة السياسية منها .

– **المجموع** : لأبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت781هـ/1389م) ، الذي عرّف فيه بأسرته بدءاً بترجمة جدّه لأبيه وجدّه لأمه أبي إسحاق التنسي ، ووالده أبي العباس أحمد (ت741هـ/1340م) ، وختمه بترجمته . وقد أعتبر هذا المخطوط مصدراً هاماً للدراسة ؛ باعتبار أنّ صاحبه أحدُ أعلام وعلماء تلمسان الذين جاءت الدراسة للبحث عن أدوارهم .

– **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** : لأبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت781هـ/1389م) ، والذي ألفه سنة 772هـ/1370م ، ورغم أنّ صاحبه خصّصه لبيان مآثر السلطان أبي الحسن المريني (732-752هـ/1331-1351م) وإثبات شرفه وشرف أسرته ، فإنه أفاد الدراسة بما احتواه من عرض للأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي ، كما احتوى على بعض الأدوار التي أداها عدد من علماء تلمسان الذين ربطتهم علاقة بالسلطان المترجم له .

– **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً** : لأبي زيد عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1405م) ، وقد ضمّته صاحبه تراجم عدد من علماء تلمسان الذين أخذ عنهم ، وعرض فيه الكثير من الأحداث السياسية ، وتتجلى أهميته في أنّه انفرد بذكر بعض المواقف من حياة علماء تلمسان دون غيره من كتب التراجم .

– **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين** : لابن سعد التلمساني (ت901هـ/1496م) ، وهو في تعريف أربع شخصيات من متصوفة المغرب الأوسط ، وهم محمد بن عمر الهواري (ت843هـ/1439م) ، والحسن أبركان (ت857هـ/1453م) ، وإبراهيم التازي (ت866هـ/1462م) ، وأحمد بن الحسن الغماري (ت874هـ/1470م) . وقد أفادنا في التعريف بهؤلاء الأعلام ، إضافة إلى نقله لنا الكثير من الحقائق حول الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب خلال هذه الفترة .

– **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان** : لابن مريم التلمساني (ت1014هـ/1605م) ، ويُعتبر من المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها في دراستنا ، وقد ترجم فيه صاحبه حوالي مائة

واثنتين عالما ووليا ممّن دخل مدينة تلمسان أو استوطنها أو أنّ أصله منها ، وذكر ابن مريم في مقدّمته سبب تأليفه فقال : "... فقد طالعت ما أشرت به عليّ من ذلك التأليف الأبرك المتضمّن جمع أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء منهم والأموات ، وجمع من كان بها وحوزها وعمالتها ، فأسعتكم فيما طلبتم..." ، إلا أنّ ما يؤخذ عليه عدم تفريقه بين العلماء والأولياء ، واسترساله في ذكر كراماتهم ممّا أدّى إلى طغيانها على محطات أخرى في حياة المترجم له .

– **جذوة الإقتباس فيمن حلّ من الأعلام مدينة فاس** : لأبي العباس أحمد بن القاضي المكناسي (ت1025هـ/1616م) ، والذي عرّف فيه بمدينة فاس وعلمائها ، وجاءت استفادة الدراسة من هذا الكتاب في القسم الذي خصّصه مؤلفه للغرباء الوافدين على مدينة فاس .

– **حرّة العجال في أسماء الرجال** : لابن القاضي (ت1025هـ/1616م) ، والذي رغم أنّ تراجمه جاءت مختصرة فإنّنا اعتمدنا عليه في كثير من الأحيان ، خاصّة في التراجم التي انفرد بها دون جذوة الإقتباس .

– **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** : لأحمد بابا التبتكي (ت1036هـ/1627م) ، والذي يُعدّ موسوعة كبيرة ترجم فيها لستمائة وثلاثين شخصية من الأعيان والمشاهير والفقهاء وحقّاق الحديث ؛ ممّا جعله سجلا أساسيا للأعلام الأندلسيين والتونسيين والمغاربة والجزائريين والطرابلسيين .

– **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج** : قام فيه أحمد بابا التبتكي (ت1036هـ/1627م) بتلخيص كتابه نيل الإبتهاج ، لذلك جاءت تراجم هذا الكتاب مشابهة للأوّل ، كما لاحظنا تشابها بين تراجمه والتراجم التي وردت في البستان ، ممّا يوحي بأخذ أحدهما عن الآخر أو أنّهما نقلًا من نفس المصادر .

3 – الفهارس والبرامج :

اعتمدت الدراسة على عدد من الفهارس التي ذكر فيها علماء تلمسان ، وهي :

– **برنامج المجاري** : لأبي عبد الله محمّد المجاري الأندلسي (ت862هـ/1458م) ، الذي أخذ

بمدينة تلمسان عن خمسة من أعلامها ذكرهم في برنامجه ، وقد غادر تلمسان سنة 798هـ / 1299م ، وأفاد الدراسة في إعطائه نظرة للحياة العلمية في مدينة تلمسان .

– **فهرست الرحالة** : لأبي عبد الله الأنصاري نسبا ، التلمساني مولدا ، التونسي نشأة(ت 894هـ/1489م) ، وانتهى من تأليفه سنة 886هـ/1481م ، وزود هذا الكتاب الدراسة بتصويره للأوضاع العلمية في مدينتي تلمسان وتونس ، وذكره لجوانب من الأنشطة العلمية لعلماء تلمسان ، لكن ذكره لهم كان باقتضاب شديد مقارنة مع شيوخه الآخرين الذين أخذ عنهم.

– **ثبته البلوي** : لأبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي(ت938هـ/1532م) ، والذي ضمّنه صاحبه الشيوخ الذين أخذ عنهم بمدينة تلمسان أثناء إقامته بها بين سنتي 894هـ / 1489م و894هـ/1489م ، وكان هذا الثبوت مفيدا جدًا للدراسة بنقله لنا طرق التدريس والمواد المدرّسة من طرف علماء تلمسان والتي انفرد بها في كثير من الأحيان .

4 – كُتبه الجغرافيين والرحالة :

تتشترك هذه الكتب في تصوير الأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية والعمرانية في بلاد المغرب ، ومن الكتب التي استعانت بها الدراسة نذكر :

– **رحلة القلصادي** : لأبي الحسن علي الأندلسي(ت891هـ/1486م) ، والتي بدأها من الأندلس ودخل بلاد المغرب الأوسط سنة 840هـ/1437م ، ورغم أنّ ذكره لعلماء تلمسان الذين تتلمذ عنهم جاء مقتضبا ، فإنّه أمّدنا بالكتب التي درسها في مدينة تلمسان ، وصورّ لنا بذلك جانباً من الحياة العلمية بها .

– **رحلة عبد الباسط بن خليل** : التي قام بها الرحالة المشرقي عبد الباسط بن خليل(ت920هـ / 1514م) إلى بلاد المغرب الإسلامي ، ودخل المغرب الأوسط ومدينة تلمسان سنة 866هـ/1462م ، وصف أثناءها المدن التي دخلها ، وترجم لمن أخذ عنهم من العلماء ، والذين كان منهم عددٌ من علماء تلمسان ، لكن ذكره لهم كان باقتضاب شديد .

– **وصف إفريقيا** : للحسن الوزان المدعو ليون الإفريقي(توفي بعد سنة 957هـ/1550م) ، وتُعتبر رحلته هذه جزءاً من كتابه " الجغرافيا العامّة " الذي ألفه سنة 933هـ/1526م ، وقد

أفادنا هذا الكتاب خاصّة فيما يتعلّق بالجوانب الاجتماعية والعلمية والعمرانية ببلاد المغرب الإسلامي .

كما استعنتُ أيضا بعدد آخر من المصادر الجغرافية ، وذلك لتحديد الجغرافي لمنطقة بلاد المغرب والتعريف ببعض المدن المغربية ؛ ومن تلك المصادر : " معجم البلدان " لياقوت الحموي (ت626هـ/1229م) .

5 – كتبه الفقه والنوازل :

فرضت طبيعة الموضوع التعامل مع كتب الفقه والنوازل الفقهية خاصّة التي لها علاقة مباشرة بعلماء تلمسان ، أو التي تعكس لنا جانبا من جوانب الحياة الاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ومن هذه المؤلفات :

– **مدخل الشرح الشريف** : للفقير المالكي أبي عبد الله محمد بن الحاج العبدري الفاسي (ت737هـ/1336م) ، وهو عبارة عن كتاب فقهّي مُكوّن من جزئين ، وقد أفاد الدراسة من خلال عرضه للأوضاع الاجتماعية والعادات والسلوكيات التي كان يقوم بها أفراد المجتمع المغربي .

– **نوازل** : وهي عبارة عن مخطوط ، جاء بعنوان " **نوازل أبو عبد الله علي بن أحمد بن مرزوق** " ، لكن بقراءتنا لتلك النوازل تبين أنها للفقير ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م) وقد استفادت منه الدراسة لنقله العديد من النوازل الفقهية التي عُرِضت على علماء تلمسان وأجابوا عنها .

– **الدُرر المكنونة في نوازل مازونة** : لأبي زكرياء يحي بن موسى المغيلي (ت883هـ/1478م) ، والذي نقل لنا أيضا عددا من فتاوى فقهاء تلمسان ، ودورهم في الحياة الاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي .

– **المعيار المغربي والجامع المغربي عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب** : لأبي العباس أحمد بن يحي الوئشريسي التلمساني (ت914هـ/1509م) ، وكان هذا الكتاب مهمّا للدراسة بفضل ثرائه بالفتاوى التي أجاب عنها علماء تلمسان ، إضافة لاحتوائه وبالتفصيل على المناقشات العلمية التي كان علماء تلمسان طرفا فيها ، كما صورّ لنا الأوضاع الاجتماعية

والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي بدقة ، إلا أن ما يُؤخذ عليه هو عدم التفصيل في أسماء بعض المُفتين خاصّة المنتمين إلى أسر برز فيها العديد من العلماء ؛ كأسرة المرزوقة والعقبانيين ، ممّا يستدعي إماما مُسبقا بالفتوى وبصاحبها حتى تنسب الفتوى إلى صاحبها .
أمّا بالنسبة للدراسات المعاصرة التي ساعدتنا في بحثنا ، فقد كانت متنوّعة تماشيا مع طبيعة الموضوع التي فرضت التعامل مع الدراسات والمراجع التي بحثت في الميدان السياسي والاجتماعي والعلمي في بلاد المغرب الإسلامي .

واعتمدنا على كتاب "الإستقفا لأخبار دول المغرب الأقصى" لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري(ت1315هـ/1897م) - خاصّة جزئيه الثالث والرابع - في تتبّع الأوضاع السياسية بالمغرب الأقصى وبلاد المغرب الإسلامي ؛ باعتبار أنّ المؤرّخ علي بن أبي زرع الفاسي(كان حيّا سنة726هـ/1326م) توقف في كتابه " روض القرطاس " عند سنة 726هـ/1326م ، وفي " الذخيرة السنّية " عند سنة 679هـ/1280م . كما لم يخل هذا الكتاب من بعض الإشارات المقتضبة عن أدوار علماء تلمسان في بلاد المغرب لاسيما السياسية منها .

إضافة إلى دراسة أحمد عزاوي " الغرب الإسلامي خلال القرنين 07 و08هـ(دراسة وتحليل لرسائله) " ، و دراسة بوزياني الدراجي " نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيرية " خاصّة فيما تعلق بالنظم والخطط السياسية ، أمّا دراسة عاشور بوشامة "علاقات الدولة العنصرية مع دول المغرب والأندلس(626-981هـ / 1228-1573م) " ، فقد ساعدتنا على فهم عدّة جوانب من العلاقات السياسية بين دول المغرب الإسلامي في فترة الدراسة ، كما أفادتنا أبحاث الأستاذ عطاء الله دهينة (ATallah Dhina) خاصّة التي بعنوان " إمارة بني عبد الواد في محمد أبي حمو موسى الأوّل وأبي تاشفين الأوّل " ، ودراسة هنري تيراس(Henri Terrasse) بعنوان " تاريخ المغرب " .

كما أفادتنا دراسة عبد العزيز فيلالي " تلمسان في العهد الزياني - دراسة عمروانية

اجتماعية ثقافية " ، و محمد القبلي " مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط "

و دراسة صابرة خطيف التي بعنوان " فتحاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791هـ/1235—

1388هـ) " في فهم فترة الدراسة خاصة ما تعلق بالجانب الاجتماعي والعلمي ، إضافة لكتابات

ألفرد بل (Alfred Bel) ، وعدد من المقالات باللغتين العربية والفرنسية .

وختاماً نرجو أننا قد وُقِّعنا في بحثنا هذا في إضافة لبنة إلى الصرح التاريخي لمدينة

تلمسان وأعلامها وإضاءة جانب من جوانبه ، والتي سبقنا إليها عديد الباحثين الذين كانت

دراساتهم دليلاً ونبراساً ، ذللت لنا بها كثيراً من صعوبات البحث . كما لا يفوتني أن أكرّر

شكري لأستاذي المشرف عن حُسن توجيهه وإرشاده وصبره ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن

يجزيه خير الجزاء ، إنّه وليّ ذلك والقادرُ عليه .

الأوضاع العامّة في بلاد المغرب الإسلامي خلال

القرنين 08 و 09 هـ / 14 و 15 م

عرفت بلاد المغرب⁽¹⁾ خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) أوضاعاً سياسية واجتماعية واقتصادية ، نتعرّض لها قصد التعرف على الدول التي حكمت بلاد المغرب في هذه الفترة وطبيعة العلاقة بينها ، ثمّ التعرف على مكونات المجتمع المغربي و سلوكاته المميّزة له ، كما نعد إلى استعراض مميّزات الحياة العلمية .

أولاً : الأوضاع السياسية في بلاد المغرب الإسلامي :

شهدت الحياة السياسية في بلاد المغرب خلال القرن السابع الهجري (13م) تغييراً واضحاً في أوضاعها ، وذلك أنّ الدولة الموحدية⁽²⁾ التي جمعت بلاد المغرب تحت رايتها ، أضحت تنافسها قبائل كانت تقدّم الولاء لها ، ثمّ ما لبثت أن صارت دولا مستقلة ظهرت على أنقاض الدولة التي انهارت⁽³⁾ ؛ فاستغلّ بنو حفص⁽⁴⁾ المصامدة – ولاة إفريقية في عصر الموحّدين –

(1) - قام الجغرافيون والمؤرّخون المسلمون بتحديد بلاد المغرب وحدودها ، ورغم اختلافهم في إضافة أو إنقاص بعض الأجزاء منها ، فقد اعتبر بعضهم بلاد الأندلس تابعة للمغرب كالمؤرّخ ابن الشّامع التونسي (كان حيا سنة 861هـ/1456م) ، وقصره آخرون كالمؤرّخ ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م) على المغرب الحالي وأخرج منه الأندلس ، ومن الجمع بين أقوال الجغرافيين يمكن تحديد بلاد المغرب بأنها المنطقة الممتدة من مصر شرقا إلى البحر المحيط (بحر الظلمات) غربا ، ومن بلاد السودان جنوبا إلى بحر الروم شمالا . انظر :
- ابن حوقل (أبو القاسم) : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992 م ، ص ص 83 - 64 .
- الإصطخري (إبراهيم بن إسحاق) : المسالك والممالك ، تحقيق : محمّد جابر عبد العالي الحيني ، مراجعة : شفيق غربال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الجمهورية العربية المتحدة ، 1381 هـ ، 1961 م ، ص 83 .
- الإدريسي (الشريف) : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1863 م ، ص 01 .

- الحموي (ياقوت) : معجم البلدان ، تصحيح وترتيب : محمّد أمين الخانجي ، ط1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1323هـ ، 1906 ، ج 08 ، ص 161 .
- المراكشي (ابن عذاري) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : ج . س . كولان ، ليفي بروفنسال ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ج 01 ، ص 05 .
- ابن الشّامع (أبو عبد الله محمّد) : الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق وتقديم : الطاهر بن محمّد المعموري ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1984 ، ص 13 .
- الصفاقسي (محمود بن سعيد مقيدش) : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، مخطوط بالكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 268496 ، و 05 .
- انظر أيضا : الخريطة ص 17 .

(2) - هي الدولة التي أسسها عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي ، الذي بوبع سنة 524هـ/1129 م ، وفي سنة 541هـ/1146م دخل مراكش ، وصار جميع المغرب تابعاً له ، ودامت هذه الدولة إلى غاية سنة 668هـ/1269م تاريخ سقوطها ، وقد تولى الحكم أثناءها ثلاثة عشر خليفة .

انظر : - ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ص 217 - 363

(3) - مرّت الدولة الموحدية بفترة الإحتضار بوفاة عبد الله الناصر سنة 610هـ/1213م ، إلى غاية سنة 668هـ/1269م بنهاية خلافة الواثق بالله .

انظر : - عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1426 هـ ، 2005 م ، ص 226

(4) - بنو حفص : فرع من الموحّدين ، وينتسبون إلى الشيخ أبي حفص يحيى بن عمر الهنتاتي ، شيخ قبيلة هنتاتة إحدى بطون مصمودة ؛ التي قامت على أكتافها دولة الموحّدين ، وكان هذا الشيخ الحفصي من كبار القائمين بدعوة المهدي بن تومرت ، وصلة الحفصيين بالبلاد التونسية ترجع إلى أيام ابنه محمّد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي صهر الخليفة المنصور الموحّدي ، والذي ولاه بعد ذلك الخليفة الناصر بن منصور على البلاد التونسية سنة 603 هـ / 1206 م . انظر : - أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، مصر ، (د . ت) ، ص 120

الفرصة وأعلنوا استقلالهم عنها سنة 634هـ⁽¹⁾ /1237م ، فبينما اقتسمت قبيلتنا بني مرين⁽²⁾ وبني عبد الواد⁽³⁾ الزناتيتين بقية بلاد المغرب فيما بينهم⁽⁴⁾ ، اختصّ بنو مرين بالمغرب الأقصى⁽⁵⁾ ، ثمّ استقل بنو عبد الواد بالمغرب الأوسط⁽⁶⁾ .

01 – الأوضاع السياسية في المغرب الأدنى⁽⁷⁾ خلال القرنين 08 و 09 هـ (14 و 15 م) :

شهد المغرب الأدنى خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15 م) في ظل حكم الدولة الحفصية – التي اتخذت من مدينة تونس⁽⁸⁾ عاصمة لها – أوضاعا سياسية تميّزت بالاستقرار ، والازدهار ، وبالاضطراب والضعف في فترات أخرى⁽⁹⁾ ، وقد تولى الحكم أثناء

- (1) - وذلك بذكر أبي زكرياء الحفصي اسمه في الخطبة ، ومبايعته ثانية . انظر : - الزركشي (أبو عبد الله محمد) : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق وتعليق : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، (د . ت) ، ص ص 23 - 27 .
- (2) - من القبائل الزناتية ، فهم من شعوب بني واسين ، التي ذكر ابن خلدون نسبها في زناته ، شأن بني عمومتهم بني عبد الواد ، كانوا يعيشون في مجالات القفر والصحراء ، ولما رأى بنو مرين من اختلال بلاد المغرب انتهزوا فيها الفرصة ودخلوا في ثناياه . وانتهى بدخول أبي يحيى بن عبد الحق قصبه فاس سنة 646 هـ ، وإخراج أبي العباس عامل الموحدين عليها ، وإعلان بني مرين إنشاء إمارتهم بفاس تحت ستار الدعوة الحفصية .
- انظر : - ابن خلدون (عبد الرحمان) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تقديم : عبادة كحيل ، ط 1 ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2007 م ، ج 07 ، ص ص 166 - 174 .
- وانظر أيضا : ابن أبي زرع (علي الفاسي) : الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية ، دار منصور للطباعة والنشر ، الرباط ، 1972م ، ص 13 وما بعدها
- (3) - يجتمعون مع بني مرين في النسب في " شجيج بن واسين " ، وهم فخذان : أحدهما بنو عبد الواد ؛ وبهذا الاسم عُرف الجميع تغلبا ، وأصله عابد الوادي رهبانية عُرف بها جدهم شجيج بن واسين . والفخذ الثاني هم بنو القاسم ، ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم بن إدريس .
- انظر : - نفسه : ج 07 ، ص 72 . وانظر أيضا : - ابن خلدون (يحيى) : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة فونطانة ، الجزائر ، 1338هـ/1910م ، ج 01 ، ص ص 94 - 103 .
- (4) - عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، (د . ت) ، ص 281 .
- (5) - يطلق على الجزء الذي يلي المغرب الأوسط حتى المحيط ، وقد يطلق اسم السوس على الجزء الغربي المطل على المحيط من بلاد المغرب ، وينقسم إلى السوس الأقصى والسوس الأدنى ، وقسمه الجغرافي الحسن بن محمد الوزان (كان حيا سنة 964هـ/1557م) إلى مملكتي فاس ومراكش .
- انظر : - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تصحيح وترتيب : محمد أمين الخانجي ، ط 1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1323هـ/1906م ، ج 01 ، ص 369 .
- ج 08 ، ص 07 . - ابن أبي زرع (علي الفاسي) : الأنبيس المطرب بروض القرقاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، مراجعة : عبد الوهاب بن منصور ، ط 2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب الأقصى ، 1420هـ/1999م ، ج 01 ، ص ص 49 - 63 .
- ابن خرداذبة (أبو القاسم) : المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1889 ، ص 89 . - الإدريسي : المصدر السابق ، ص 79 .
- الوزان (الحسن بن محمد) : وصف إفريقيا ، تعريب : محمد حجي ، محمد الأخضر ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ج 01 ، ص ص 193 - 370 . ص 30 ، 31 . ص ص 95 - 189 .
- ابن الخطيب (لسان الدين) : ثفاضة الجراب في غلالة الإغتراب ، نشر وتعليق : أحمد مختار العبادي ، مراجعة : عبد العزيز الأهواني ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، (د . ت) ، ص ص 69 - 82 .
- (6) - ذكر المؤرخ أبو الفدا إسماعيل (ت732هـ/1332م) أنّ المغرب الأوسط هو من شرقي وهران الواقعة من تلمسان مسيرة يوم ، إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق . انظر : - أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل) : تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1830 م ، ص 122 .
- الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 31 . ج 02 ، ص 08 . - الإدريسي : المصدر السابق ، ص 91 .
- مارمول كريخال : إفريقيا ، تز : محمد حجي ، محمد زنيبر ، وآخرون ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1984 م ، ج 01 ، ص 291 .
- وحول حدود الدول الثلاث التي أسستها هذه القبائل ، انظر : الخريطة ص 25 .
- (7) - يسمّى أيضا إفريقية ، تمتد من مصر أو برقة شرقا ، أما غربا فقد ذكر الحسن الوزان أن بجاية تدخل في هذا القسم ، إلا أنّ الحدود الشرقية كانت محل تجاذب بين الحفصيين والزيانيين نتيجة الصراع السياسي ، ويضم أربعة أقاليم هي : بجاية و قسنطينة ، تونس ، طرابلس ، وإقليم الزاب .
- انظر : - حسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 07 ، 64 ، 101 ، 107 . - مارمول كريخال : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 25 .
- أبو الفدا : المصدر السابق ، ص 122 . - ابن القاضي (أحمد بن محمد) : جذوة الإقتباس فيمن حلّ من الأعلام بمدينة فاس ، مطبعة حجرية ، فاس ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 274 ، ص 22 ، 23 .
- (8) - مدينة تونس : اسمها الأصلي مدينة ترشيش ، بنى فيها عبد الله بن الحباب الجامع ودار الصناعة سنة 114هـ/932-933م . انظر : - الصفاقسي : المصدر السابق ، و 35 ، و 36 . - حسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص ص 70-78 . - انظر أيضا : الخريطة ص 17 .
- (9) - محمد الهادي العامري : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1974 ، ص 08 .

ذلك خمسة عشر خليفة⁽¹⁾ ، بدءا بالسلطان أبي عبد الله محمد بن أبي عبيدة الذي حكم في مطلع القرن الثامن الهجري (14م) ، ودامت خلافته أربع عشرة سنة (694-709هـ/1295-1309م) ، واستقرت أيام حكمه على السلم والعافية⁽²⁾ .

وعرفت الدولة الحفصية في الفترة اللاحقة اضطرابات وعدم استقرار ، كان من سماتها بقاء السلاطين فترات قصيرة في الحكم ؛ كما حدث مع السلطان أبي بكر بن يحيى⁽³⁾ الذي دامت فترة حكمه ستة عشر يوما فقط انتهت بقتله سنة 709هـ/1309⁽⁴⁾ ، وقد ركن السلاطين الحفصيون خلال هذه الفترة إلى الراحة واللهو⁽⁵⁾ ؛ مما أدى إلى خضوع مدينة تونس لسيطرة بني مرين من سنة 748هـ/1347م إلى سنة 750هـ/1350م⁽⁶⁾ .

واعتبر الأمير أبو العباس أحمد بن المنتصر⁽⁷⁾ (772-796هـ/1370-1394م) من أعظم السلاطين الحفصيين ؛ فقد رفع أنواع الفساد في دولته ، وشيّد رسوم بني حفص بعد اندراسها ، وقبض على الوزير أبي محمد بن تافراجين⁽⁸⁾ واعتقله⁽⁹⁾ . كما قام ابنه أبو فارس عبد العزيز⁽¹⁰⁾ (796-837هـ/1394-1433م) من بعده بالأمر أتمّ القيام ، وقمع أهل الفساد .

(1) - انظر: - الملحق رقم 01 ، ص 242 من الدراسة .

(2) - انظر: - ابن القنفذ (أبو العباس أحمد) : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق : محمد الشاذلي النيفر ، عبد المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968م ، ص ص 152-154 . أيضا: - الزركشي : المصدر السابق ، ص ص 54-59 . ابن الشماع (أبو عبد الله محمد) : الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق : الطاهر بن محمد العموري ، مطبعة الشركة التونسية ، تونس ، 1984م ، ص 83 .

(3) - تولى الحكم بعد وفاة السلطان أبي عبيدة سنة 709هـ/1309م . انظر: - ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق وتعليق : محمد الشمام ، ط 3 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1387هـ/1967م ، ص 141 .

(4) - محمد الهادي العامري : المرجع السابق ، ص ص 88 ، 89 .

(5) - من هؤلاء السلاطين : أبي البقاء خالد الأول (709-711هـ/1309-1311م) ، وأبي الفضل العباس (750-751هـ/1350-1350م) .

انظر: - ابن القنفذ : المصدر السابق ، 158 . وأيضا: - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ص 149 ، 150 .

(6) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي : موسوعة تاريخ المغرب العربي ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، 1414هـ ، 1994م ، ج 05 ، ص 60 .

وحول سيطرة بني مرين على تونس ، انظر: - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ص 145 - 148 .

وأيضا: - عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 07 ، ص ص 267 - 269 .

(7) - بويج في 12 ربيع الآخر سنة 772هـ (03 نوفمبر 1370م) ، وتوفي في 03 شعبان سنة 796هـ (11 جوان 1394م) ، وكانت مدة ولايته بتونس 24 سنة و 03 أشهر و 21 يوما . انظر: - ابن الشماع : المصدر السابق ، ص ص 177 - 188 .

(8) - يرجع أصل هذه الشخصية لعائلة موحدية بربرية ، وهي من أعرق البيوتات ، ويعدّ أبو محمد بن تافراجين (أو تافراكين) من كبار الموحدين ، تولى الحجابة في الدولة الحفصية ، وعلا نجمه بتونس في عهد السلطان أبي إسحاق إبراهيم الثاني (751-770هـ/1350-1369م) ، حتى أنّ لسان الدين بن الخطيب كان يكتبه مباشرة على لسان مخدمه ابن الأحمر . انظر: - محمد الهادي العامري : المرجع السابق ، ص 112 .

(9) - انظر: - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ص 151 - 153 . انظر أيضا:

- ابن القنفذ : المصدر السابق ، ص ص 177 - 188 . - الزركشي : المصدر السابق ، ص ص 106 - 114 .

(10) - بويج يوم الخميس 04 شعبان 796 هـ / 04 جوان 1394 م ، وتوفي ليلة عيد الأضحى عام 837 هـ / 17 جويلية 1434 م ، وكانت مدة ولايته بتونس 41 عام و 04 أشهر و 07 أيام . انظر: - ابن الشماع : المصدر السابق ، ص ص 112 - 119 .

وأقام العدل ، وجاءته الوفود من المشرق والمغرب⁽¹⁾ ، فازدهرت البلاد في عهده وبلغت شأواً بعيداً ، فاعتبر " عضد الدولة وواسطة أمرائها " ⁽²⁾ . وكان من أهمّ الأمراء الذين جاؤوا من بعده الأمير أبو عمرو عثمان بن أبي فارس عبد العزيز⁽³⁾ (839-893هـ/1435-1488م) ، الذي كان من " أجلّ ملوك بني حفص ... وهو ختام الدولة الحفصية ونظام المحاسن الفاخرة في البلاد الإفريقية ... " ⁽⁴⁾ .

02 - الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين 08 و 09 هـ (14 و 15 م) :

استقرّ الوضع السياسي في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) تحت حكم الدولة الزيانية⁽⁵⁾ ، التي اتخذت من مدينة تلمسان⁽⁶⁾ عاصمة لها⁽⁷⁾ ، وتداول على حكمها - الوراثة⁽⁸⁾ - واحدٌ وعشرون سلطاناً⁽⁹⁾ ، بداية بالسلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن (681-703هـ/1282-1303م) ، الذي عطلّ منابرّه عن ذكر الخليفة الحفصي وأخرج قومه عن دعوته سنة 700هـ/⁽¹⁰⁾ 1300م .

- (1) - الوزير السراج (محمد بن محمد الأندلسي) : الحل السندسية في الأخبار التونسية ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1984 ، ص ص 185 - 193 . وحول فترة حكم السلطان أبي فارس ، انظر :
- ابن القنفذ : المصدر السابق ، ص ص 189 ، 196 . - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ص 153 - 155 .
- الزركشي : المصدر السابق ، ص ص 114 - 131 .
- (2) - أحمد بن عامر : الدولة الحفصية ، دار الكتب الشرقية ، مطبعة الإتحاد العام للشغل ، تونس ، 1974 ، ص 54 .
- (3) - بويق الأمير أبو عمرو عثمان بعد وفاة أخيه الأمير عبد الله ، صبيحة الجمعة 22 صفر سنة 839 هـ/1435م ، وتوفي في آخر رمضان سنة 893هـ/1488م . انظر : - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ص 156 - 159 . - الوزير السراج : المصدر السابق ، ص 201 .
- (4) - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 159 .
- (5) - تنسب إلى أبي يحيى يغمراسن بن زيان ، الذي بويق بعد وفاة أخيه أبي عزّة زيدان في 24 ذي القعدة سنة 633هـ (05 أوت 1236م) ، وتوفي يوم الإثنين 29 ذي القعدة 681هـ (06 مارس 1283م) ، و كان دخول بني عبد الواد إلى تلمسان سنة 627هـ/1230م بقيادة جابر بن يوسف (ت 629هـ/1232م) - الذي كان أول من نازع بني عبد المؤمن في ملكهم - خطوة نحو تأسيس دولتهم .
- انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ص 104 - 107 . ص ص 109 - 117 .
- (6) - ذكر البكري (ت 487هـ/1094م) أنها قاعدة المغرب الأوسط ، وهي دار مملكة زناتة ، تبعد عن فاس بتسع مراحل ، لها ميناءان هما ميناء المرسي الكبير ، وميناء وهران ، أطلق عليها ميسرة المطغري سنة 122هـ/739م اسم تاقراوت ، وهي كلمة أمازيغية معناها معسكر ، والمرابطون هم الذين أنشأوا مدينة تلمسان الحديثة أثناء حصارهم لمدينة تلمسان القديمة " أغادير " ، كما أطلق عليها اسم " المنصورة " من طرف المرينيين .
- انظر : - الصفاقسي : المخطوط السابق ، و 18 ، 19 . - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 78 . - الإدريسي : المصدر السابق ، ص ص 83-85 . - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 09 ، ص ص 43 - 45 . - مارمول كربخال : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 291 .
- (7) - جعل يغمراسن بن زيان قاعدة حكمه ومقرّ إدارته بمدينة تلمسان . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ص 104 - 107 .
- وأيضاً : - عطاء الله دهينة ، رشيد بورويبة ، وآخرون : الجزائر في التاريخ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ج 03 ، ص 361 . - أحمد عزاوي : الغرب الإسلامي خلال القرنين 07 و 08 هـ (دراسة وتحليل لرسائله) ، مطبعة الرباط نيت ، المغرب الأقصى ، 1427 هـ ، 2006م ، ج 03 ، ص 66 .
- (8) - قام يغمراسن على غرار الأمراء والملوك المعاصرين له من نقل النظام الشوري (القبلي) إلى نظام الوراثة .
- انظر : أحمد عزاوي : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 66 .
- (9) - انظر : الملحق رقم 01 ، ص 243 من الدراسة .
- (10) - عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 07 ، ص 98 . انظر أيضاً : - أحمد عزاوي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 66 .

وخضعت مدينة تلمسان إلى حصار فرضه عليها السلطان المريني يوسف بن يعقوب المريني⁽¹⁾ (685-706هـ/1286-1307م) من سنة 698هـ/1298م إلى سنة 706هـ/1307م⁽²⁾ ، استطاع بعدها السلطان أبو زيان محمد بن عثمان⁽³⁾ (703-707هـ/1303-1307م) و أخوه أبو حمو موسى الأول⁽⁴⁾ (707-718هـ/1307-1318م) من استعادة نفوذ وقوة دولتهما⁽⁵⁾ ؛ مما دفع المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) إلى اعتبار السلطان الأخير " أول ملوك زناتة ، رتب مراسم الملك وهدب قواعده " ⁽⁶⁾ .

ولم تسلم الدولة الزيانية من الخلافات والصراعات الداخلية ، والتي تجلت في إقدام أبي تاشفين عبد الرحمان الأول⁽⁷⁾ (692-737هـ/1293-1336م) على قتل والده السلطان أبي حمو والانتصاب على سدة الحكم⁽⁸⁾ ، وقد كان منصرفا للذات مما أدى إلى ضرب الحصار من جديد على مدينة تلمسان من طرف بني مرين وسقوطها في أيديهم سنة 737هـ/1337م⁽⁹⁾ . واستطاع الزيانيون إعادة سيطرتهم على تلمسان سنة 749هـ/⁽¹⁰⁾1349م ، لكن

(1) - ولد في ربيع الأول سنة 638 هـ / 1241م ، وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ، وكان غائبا بالأندلس ، وأعيدت بيعته في صفر سنة 685هـ/1286م ، لقب بالناصر . انظر : ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص 492 ، 493 .

(2) - حاول يوسف بن يعقوب المريني (695 - 706 هـ / 1286 - 1307 م) إحتلال تلمسان خمس مرّات ، ولم تنجح محاولاته إلا في المرّة الخامسة سنة 698 هـ / 1298م ، وضيق بتلمسان تضيقا لم يُر مثله ، وبنى مدينة سماها " تلمسان الجديدة " المشهورة بـ " المنصورة " ، ودام الحصار 08 سنوات إلى سنة 706هـ/1307م . انظر : - التنسي (محمد بن عبد الله) : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق وتعليق : محمود بوعبيد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1405هـ ، 1985 م ، ص ص 129 - 131 .

(3) - هو ابن السلطان أبي سعيد ، ولد سنة 659هـ / 1261م ، بويع في 02 ذي القعدة 703هـ/1303م ، توفي يوم الأحد 21 شوال 707هـ/1307م ، ودام حكمه 04 سنوات . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ص 122 - 126 . وأيضا : - التنسي : المصدر السابق ، ص 131 .

(4) - هو موسى الأول بن عثمان أبي سعيد بن يغمراسن ، ولد سنة 665 هـ / 1267 م ، خلف أخاه بعد وفاته سنة 707 هـ ، اهتم بإصلاح مدينة تلمسان وتحسينها ، وأخضع كثيرا من القبائل المجاورة له في الشمال والجنوب ، قتل سنة 718 هـ / 1318 م ، ودامت مدة حكمه نحو عشر سنوات . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ص 126 - 132 .

(5) M.Labbé _ L.Berges : Complément de l'histoire des Beni _ Zeyan Roi de Tlemcen ,Ernest Laroux , Laibraire-Editeur , Paris ,1887, p. 43 .

(6) - عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 07 ، ص 98 .

(7) - هو أبو تاشفين عبد الرحمان ، ابن السلطان أبي حمو ، ولد سنة 692هـ/1293م ، بويع يوم الخميس 23 جمادى الأولى سنة 718هـ/1318م ، قتله السلطان أبو الحسن المريني في رمضان سنة 737هـ/1337م ، فكانت مدة حكمه من 718هـ / 1318م إلى 737 هـ / 1337م .

انظر : - ابن الأحمر (إسماعيل بن يوسف) : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تقديم وتحقيق وتعليق : هاني سلامة ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 1421هـ ، 2001م ، ص ص 72 ، 73 . وانظر أيضا : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ص 132 - 141 .

(8) - بوزياني الدراجي : نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د . ت) ، ص 33 .

(9) - حاصر أبو الحسن المريني تلمسان إلى آخر رمضان سنة 737هـ ، واقتحمها يوم السابع والعشرين منه ، فقتل أبو تاشفين وأولاده أبو سعيد ، وأبو سرحان ، وفرّ وزيره موسى بن علي جريحا . وقام أبو الحسن ببناء مدينة " المنصورة " ثانية .

انظر : - عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 07 ، ص 111 . - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ص 140 - 142 . وأيضا : - شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب : البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1398هـ ، 1978 م ، ص 205

(10) - حدث هذا بعد أن أعلن أبو عنان المريني - الوالي على تلمسان - نفسه سلطانا ، وتحرك نحو فاس لمواجهة منصور بن أخيه الذي نصب نفسه سلطانا بها ، وكان أبو الحسن قد تعرّض إلى هزيمة قرب القيروان في محرم سنة 749 هـ / أبريل 1348 م .

انظر : عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 07 ، ص 115 . وأيضا : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ص 143 - 148 .

الحروب الداخلية والهجمات الخارجية التي تعرّضت لها الدولة الزيانية في هذه الفترة (1) ؛ جعلتها تسقط مرّة أخرى تحت سيطرة المرينيين من سنة 753هـ/1352م إلى 760هـ/1359م (2) .

وأعاد السلطان أبو حمو موسى الثاني (3) (760-791هـ/1369-1390م) تجديد دولة أجداده ، فبعد تمكنه من طرد المرينيين سنة 760هـ/1369م ومحاربة المناوئين (4) ، التفت إلى البناء والتشييد (5) ؛ ممّا جعل الدولة الزيانية (6) تبلغ في عهده قوّة ونشاطا لم تعرفه من قبل (7) ، إلا أنّ نهايته كانت سنة 791هـ/1390م على يدّ ابنه أبي تاشفين (8) ، الذي تحالف مع بني مرين ، فأدّى ذلك إلى التبعية للمرينيين (9) ، ومن بعدهم الحفصيين الذين فرضوا على الأمراء الزيانيين تقديم الولاء لهم (10) .

وانصرف أمراء بني زيان في هذه الفترة إلى الخلافات والصراعات والخصومات والحروب فيما بينهم (11) ، فأضحى السلطان يحكم لعدّة أيّام أو أشهر ثمّ يسقط (12) ، ولئن استطاع السلطان أبو مالك عبد الواحد (814-827هـ/1412-1424م) إعادة الهيبة للدولة

(1) - عبد العزيز فيلاي : تلمسان في العصر الزياني ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2002 م ، ج 01 ، ص 49 .

(2) - Bargés : op . cit , p . 141 .

(3) - هو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب بن يحيى بن يغمراسن ، ولد في غرناطة سنة 723هـ / 1323 م ، عندما كان أبوه مبعداً إليها ، وانتقل إلى تلمسان في سنة ولادته مع أبيه ، وشهد زوال دولتهم الأولى في عهد أبي تاشفين سنة 737هـ/1336 . دخل تلمسان سنة 760هـ/1369م وانتظمت دولته واستقرّت . مات سنة 791هـ / 1389 م . وكان ملكاً عالمياً فاضلاً ، له قدم في السياسة وألف في هذا الصدد كتاب " نظم السلوك في سياسة الملوك " .

انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص ص 13 - 25 . وأيضاً : - ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص 76 .

(4) - يحيى بوعزيز : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2004 ، ج 01 ، ص 78،77 .

(5) - عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 55 .

(6) - كان السلطان أبو حمو هو من أطلق عليها اسم " الدولة الزيانية " بعد أن كانت تسمّى بإمارة بني عبد الواد .

انظر : - يحيى بوعزيز : المرجع السابق ، ص 78 .

(7) - عثمان الكعّاك : موجز التاريخ العام للجزائر ، تقديم ومراجعة : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، وآخرون ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان ، 2003م ، ص 231 .

- وحول مختلف الأعمال التي قام بها أبو حمو الثاني ، ارجع إلى يحيى بن خلدون الذي خصّ القسم الثالث من كتابه للحديث عن أبي حمو ، وعنوانه بـ

" فيما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد " . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 08 وما بعدها

(8) - قام على أبيه في ربيع الثاني سنة 789هـ/1387م ، ومات على وجع أصابه في بطنه في ربيع الأول سنة 795هـ/1392م ، وكانت دولته أربعة أعوام ، بينما ذكر التنسي أنه توفي في ربيع الثاني ، وكانت مدّة خلافته ثلاث سنوات وأربعة أشهر .

انظر : ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص 82 . وأيضاً : التنسي : المصدر السابق ، ص 196

وحول أسباب تمرّد أبي تاشفين على والده ، وكيف تمّت الإستعانة بالمرينيين . انظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 07 ، ص ص 139 - 147

(9) - انظر : - عبد الرحمن بن خلدون : المصدر السابق ، ج 07 ، ص 147 . وانظر أيضاً : - التنسي : المصدر السابق ، ص ص 210 - 228 .

(10) - أحمد عزايي : المرجع السابق ، ج 04 ، ص 49 .

(11) - يحيى بوعزيز : المرجع السابق ، ص 79 .

(12) - من ذلك حكم " أبو زيان الثالث " عدّة أسابيع ، وحكم " أبو ثابت ابن تاشفين الثاني " أربعين يوماً فقط ، و " عبد الرحمن بن أبي محمد " حكم شهرين لا غير ، و " سعيد بن أبي حمو الثاني " خمسة أشهر . وغيرهم من أمراء هذه الفترة . انظر : - بوزياني الدراحي : المرجع السابق ، ص 36 .

الزيانية فإنه لم يقوَ على مواجهة النفوذ الحفصي في المغرب الأوسط⁽¹⁾ ، كما لم تكن فترة حكم السلطان أبي عبد الله المتوكل (866 - 873هـ/1462 - 1468م) - الذي استطاع أن يعيد بعض البأس والأبهة للدولة والقضاء على النفوذ الحفصي⁽²⁾ - لتوقف الضعف الذي أضرب بالدولة الزيانية ، التي أخذ نجمها في الأفول مع نهاية القرن التاسع الهجري (15م) .

وبذلك يتبين أنّ الدولة الزيانية مرتّ بفترات ازدهار وقوة ، وبفترات للضعف والأفول ؛ والتي كان من بين أسبابها تنافس الدولتين المجاورتين لها ومحاولة الاستئثار بأراضيها وأملاكها ، كما أنّ صراع وتنازع سلاطينها فيما بينهم زاد من انتكاس دولتهم وساهم في إضعافها ؛ ممّا دفع بعض الباحثين إلى القول بأنّ دولة بني عبد الواد لم تدم إلا نحو سبعين سنة فقط⁽³⁾ .

03 - الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال القرنين 08 و 09 هـ (14 و 15 م) :

أحكم بنو مرين سيطرتهم وحكمهم على بلاد المغرب الأقصى منذ أن تمكن السلطان أبو يوسف يعقوب⁽⁴⁾ (656-685هـ/1258-1286م) من دخول مدينة مراكش⁽⁵⁾ سنة 668هـ/1269م وقطع الدعوة للحفصيين⁽⁶⁾ ، واتخذوا من مدينة فاس⁽⁷⁾ عاصمة لهم⁽⁸⁾ ، وقد تولى الحكم خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) أربعة وعشرون سلطانا⁽⁹⁾ ، تقدّمهم

(1) - عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 69 .
(2) - محمود بوعيداد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09 هـ / 15 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 20 .
(3) - ذهب إلى ذلك الباحث عبد الكريم غلاب ، وذكر أنّ الفترة التي حكم فيها القائد و مؤسس الدولة أبو يحيى بغمراسن (633 - 681هـ/1235 - 1282م) وفترة حكم ابنه أبي سعيد عثمان الأول (681 - 703هـ/1282 - 1303م) والحكام الذين جاؤوا بعدهما لم يكونوا في مستواهما .
انظر : - عبد الكريم غلاب : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 277 ، 278 .
(4) ولد سنة 607 هـ ، وقيل سنة 609 هـ ، تلقّب بالمنصور بالله ، بويع له بعد وفاة أبيه أبا بكر في 29 رجب 656 هـ / 1258 م ، توفي في محرّم سنة 685 هـ / 19 مارس 1286 م .
انظر : - ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص ص 388 - 391 .
(5) - مدينة بناها يوسف بن تاشفين سنة 465هـ/1072-1073م ، واتخذها المرابطون ثم الموحدون عاصمة لهم ، وهي تضم سبعة أقاليم وهي : حاحا ، سوس ، مراكش ، جزولة ، دكالة ، هسكورة ، وتادالا .
انظر : - باقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 08 ، ص 07 .
(6) - الناصري (أبو العباس أحمد) : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، 1954م ، ج 03 ، ص 28 .
(7) - مدينة بناها إدريس بن عبد الله سنة 190هـ/806م ، وبلغت في أيام المرابطين والموحدين من بعدهم من العمارة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة أخرى من مدن المغرب .
انظر : - ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 49 ، 63 ، 40 . - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 30 ، 31 .
- ابن القاضي : المصدر السابق ، ص 22 ، 23 . - الشريف الإدريسي : المصدر السابق ، ص 79 . - الجزنائي : زهرة الأاس في بناء مدينة فاس ، دراسة وتحقيق وتعليق : مديحة الشراوي ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 2001م/1422هـ ، ص 68 .
(8) - وكان السلطان يعقوب بن عبد الحق قد بنى غرب فاس المدينة البيضاء أو " فاس الجديدة " .
انظر : - الناصري : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 28 .
- ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ، ص 161 - 163 . / روض القرطاس ، ص 420 .
(9) - انظر : الملحق رقم 01 ص 244 .

السلطان يوسف أبو يعقوب⁽¹⁾ (685-706هـ/1286-1306م) الذي كان حكمه غاية في الاضطراب ، وجابه عدّة ثورات ضدّه ، وشنّ غارات كثيرة على مدينة تلمسان⁽²⁾ .

وبلغت الدولة المرينية أوج قوتها في عهد السلطان أبي الحسن علي بن عثمان⁽³⁾ (732-752هـ/1331-1351م) الذي كان "... أفخم ملوك بني مرين دولة وأضخمهم ملكا ، وأبعدهم صيتا..." ، وأصبح سلطان العدوتين - المغرب والأندلس⁽⁴⁾ - بعد أن كان سلطان المغرب فقط⁽⁵⁾ ، وساهم في الجهاد بالأندلس ، لكن الجيش الإسلامي الذي كان يقوده انهزم في معركة طريف سنة 741هـ/⁽⁶⁾1340م ، كما أنّ توسعه في بلاد المغرب الذي مكّنه من احتلال مدينة تلمسان سنة 737هـ/1337م ، ومدينة تونس سنة 748هـ/1347م ، انتهى بهزيمته في معركة القيروان سنة 749هـ/⁽⁷⁾1348م ، وغرق أسطوله وفقد معظم جيشه في عرض البحر قبل عودته إلى المغرب⁽⁸⁾ .

استغل أبو عنان فارس⁽⁹⁾ الظروف التي مرّ بها والده وأعلن نفسه سلطانا منذ سنة

-
- (1) - ولد في ربيع الأول سنة 638هـ/1240م، وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ، وكان غائبا بالأندلس ، وأعيدت بيعته في صفر سنة 685هـ/1286م ، لقّب بالناصر . انظر : ابن أبي زرع : الأنيب المطرب بروض القرطاس ، ص 492 ، 493 .
- (2) - روجي لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ترجمة : نقولا زيادة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1967م ، ص 28 . وكان يوسف أبو يعقوب قد حاصر تلمسان سنة 689 هـ/ 1289 م أربعين يوما ولم ينجح في دخولها ، وأعاد حصارها سنة 698هـ / 1298 م ، وفي هذه المرّة كان الحصار طويلا ؛ لذلك قام ببناء مدينة المنصورة - التي توفرت على كلّ المرافق - وبموت السلطان يوسف رفع الحصار الذي دام مئة شهر ، وعانى فيه سكان تلمسان كثيرا انظر : - عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج07 ، ص ص 213- 222 . - الناصري : المرجع السابق ، ص ص 79 - 85 .
- (3) - بويع من طرف مشيخة بن مرين بعد وفاة والده السلطان أبي سعيد عثمان(710-732هـ/1310-1331م) انظر : - الناصري : المرجع السابق ، ص 118 ، 119 .
- (4) - هي جزيرة كبيرة من على البحر تواجه من أرض المغرب ثم إلى البحر المحيط ، وهي جزيرة ذات ثلاثة أركان مثل شكل المثلث يحيط بها البحران المحيط والمتوسط . انظر : - الحموي : المصدر السابق ، ج01 ، ص ص 347 - 350 .
- (5) - الناصري : المرجع السابق ، ج03 ، ص 126 .
- الناصري : المرجع السابق ، ج03 ، ص ص 160 - 162 . انظر أيضا : - ابن خلدون (عبد الرحمان) : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تعليق : محمّد بن تاويت الطنجي ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007م ، ص 27 .
- (6) - هي معركة جرت بالأندلس ضدّ ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر ، انهزم فيها الجيش المريني ، قتل في هذه المعركة معظم أبطال الجيش المريني ، كما قتلت عائلته وبينها زوجته الحفصية ، ونجا أبو الحسن بنفسه فعاد إلى المغرب . حول هذه المعركة ، انظر : - عبد الرحمان بن خلدون : العبر ، ج07 ، ص 261 ، 26 . وأيضا : - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص ص 132 - 137 .
- (7) - الناصري : المرجع السابق ، ج03 ، ص ص 160 - 162 . انظر أيضا : - عبد الرحمان بن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص 27 .
- (8) - بعد أن أقدم أبو الحسن على العودة إلى المغرب سنة 750هـ /1349م عصفت الريح بأساطيله وغرق الكثير من مرافقيه ، وكان عددها نحو 600 قطعة ، وهلك أثناءها نحو أربعمئة عالم من أعلام المغرب . انظر : - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 171 . وأيضا : - عبد الرحمان بن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 284 .
- (9) - هو المتوكل على الله أبي عنان فارس ، ولد بفاس الجديدة في 12 ربيع الأول سنة 729هـ (21 جانفي 1329م) ، بويع في حياة والده يوم ثار عليه بتلمسان في ربيع الأول سنة 749هـ /1348م ، قتل خنقا من طرف وزيره الحسن بن عمر الفودودي في 28 ذي الحجة 759هـ/08 ديسمبر 1358م ، وسنه 30 سنة وكانت مدة حكمه 09 أعوام و09 أشهر . انظر : - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص ص 182 - 205 .

752هـ⁽¹⁾/1351م ، واهتم بالتشييد والبناء والعمل على تطوير الحركة العلمية⁽²⁾ ، كما أعاد احتلال تلمسان سنة 753هـ/1352م ، وزحف نحو تونس سنة 757هـ/1356م لاحتلالها لكنه لم يتمكن من ذلك ، وبعودته إلى عاصمته فاس قتل خنقا على يدّ أحد وزرائه سنة 759هـ⁽³⁾/1359م .

باغتيال السلطان أبي عنان تنتهي الفترة المجيدة من حياة الدولة المرينية ولتعمّ الفوضى فيها ، وكان الحكم لا يدوم أكثر من بضعة أيام وأشهر وتعدّدت المؤامرات والاضغتيالات⁽⁴⁾ ، وصار الوزراء أو الحجاب وراء استدعاء السلاطين للحكم ، وتعيينهم ، وعزلهم ؛ فقد كان "...التصرّف والنقض والإبرام كله للوزراء..."⁽⁵⁾ ، ورغم تمكن السلطان أبي فارس بن عبد العزيز⁽⁶⁾ (767-774هـ/1366-1372م) من إنعاش الدولة وإعادة الهيبة لها ، إلا أنّ ذلك انقطع بوفاته سنة 774هـ⁽⁷⁾/1372م . كما عرفت الدولة المرينية في هذه المرحلة التدخل الخارجي ، الذي قام به بنو الأحمر⁽⁸⁾ أحيانا ، ثمّ النصارى منذ احتلال البرتغاليين لمدينة سبتة⁽⁹⁾ سنة 818هـ/1415م ، ثمّ طنجة⁽¹⁰⁾ سنة 841هـ/1459م⁽¹¹⁾ .

مما سبق تتبيّن لنا أنّ الأوضاع السياسية التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) تحت حكم الحفصيين والزيايين والمرينيين ؛

-
- (1) - عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب ، ط4 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 ، ج 02 ، ص 204 .
(2) - إبراهيم حركات : " معالم من التاريخ الاجتماعي للمغرب على عهد بني مرين " ، العدد 02 ، مجلة كتيبة الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1977م ، ص 211 .
(3) - انظر : - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 205 . انظر أيضا : - عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 204 .
(4) - شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص 235 .
(5) - الناصري : المرجع السابق ، ج 04 ، ص 81 .
(6) - هو أبو فارس بن عبد العزيز ، بويع في 22 ذي الحجة سنة 767هـ/1366م ، احتل تلمسان سنة 772هـ/1371م ، وتوفي بها في 22 ربيع الثاني سنة 774هـ/1373م ، وعمره 24 سنة ، وكانت مدة حكمه ست سنوات وأربع أشهر . انظر : الناصري : المرجع السابق ، ج 04 ، ص 69 ، 70 .
(7) - انظر : - نفسه : ج 04 ، ص ص 52 - 59 .
(8) - ينتسبون إلى محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر ، الذين أسسوا دولتهم في غرناطة ما بين سنتي (636-897هـ/1238-1492م) انظر : - محمود مكي : " تاريخ الأندلس السياسي (92-897هـ/711-1492م) " ، (ضمن مجموعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1998م ، ج 01 ، ص ص 127 - 135 .
(9) - مدينة حصينة من قواعد بلاد المغرب تقابل جزيرة الأندلس . انظر : - ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 05 ، ص 26 ، 27 .
وأيضا : - ابن الخطيب (لسان الدين) : معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار ، دراسة وترجمة : كمال شبانة ، مطبعة أندال ، المغرب ، 1397هـ/1977م ص 71 ، 72 . - انظر : الخريطة ص 17 من الدراسة .
(10) - مدينة على ساحل بحر المغرب مجاور للجزيرة الخضراء ، بينها وبين سبتة مسيرة يوم . انظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 06 ، ص 61 ، 62 . - انظر : الخريطة ص 17 من الدراسة .
(11) - عبد العزيز بن عبدالله : تاريخ المغرب ، مكتبة السلام ، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، (د . ت) ، ص 160 .

تميّزت بغياب الاستقرار الداخلي في هذه الدول ، كما لم تكن العلاقات السياسية بين الدول الثلاثة تسير على وتيرة ثابتة ، بل كانت تتحكم فيها المصالح والظروف والمواقف ، ومن ثمّ كان الغالب عليها هو التوتر وطغيان الطابع التوسّعي بينها (1) ، خاصّة من طرف المرينيين ؛ ممّا نتج عنه وقوع العديد من المدن المغربية تحت الحصار والاحتلال على غرار ما تعرّضت له مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية .

ثانياً : الأوضاع الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي :

قصد التعرف على الأوضاع الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) وإدراك خصائص ومميّزات المجتمع المغربي ، يجدر بنا أن نتعرّض إلى مكوناته ، ومظاهر الحياة اليومية فيه ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفرادها .

01 - مكونات المجتمع في بلاد المغرب الإسلامي :

ضمّ المجتمع في المغرب الأوسط كغيره من المجتمعات المغربية الأخرى عناصر سكانية مختلفة ، ولقد كان العنصر البربري (2) هو الغالب عليها (3) ، خاصّة قبائل زناتة التي كانت تتراد جبال وصحراء المغرب الأوسط (4) . و بعدما صارت مدينة تلمسان عاصمة

(1) - حول العلاقات بين دول المغرب الإسلامي خلال القرنين (08 و 09 هـ / 14 و 15 م) ، انظر :
- عبد الرحمان بن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 111 ، 113 ، 288 ، 329 ، 363 .
- يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 143 ، ص ص 161 - 163 .
- الزركشي : المصدر السابق ، ص 125 ، 126 ، 150 . - الوزير السراج : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 190 .
- الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 28 ، 57 ، 58 ، 76 ، 77 ، 85 ، 160 ، 203 .
ومن الدراسات المعاصرة التي تعرّضت لذلك ، انظر :
- محمّد عيسى الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610 - 869 هـ / 1213 - 1365 م) ، ط 1 ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1405 هـ ، 1985 م ، ص ص 214 - 219 .
- عاشور بوشامة : " علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (626 - 981 هـ / 1228 - 1573 م) " ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، إشراف : حسن أحمد محمود ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1411 هـ ، 1991 م .
- أحمد عزراوي : المرجع السابق ، ج 01 ، ج 02 ، ج 03 ، ج 04 .
- عبد الفتاح المقلّد الغنيمي : المرجع السابق ، ج 03 . ص ص 87 - 93 ، ص ص 155 - 173 ، ص ص 310 - 332 .
(2) - يتكوّن من عدّة بطون وقبائل ، منهم أولاد مندبل من مغراوة ويسكنون بالقرب من الشلف ، وبنو توجين ويسكنون منطقة التيطري .
- انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص ص 72 - 75 .
(3) - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 175 .
(4) - مصطفى أبو ضيف أحمد عمر : القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبنو مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص 151 .

لدولة بني عبد الواد ، نقلوا إليها قبيلتهم – زناتة – وقبائل أخرى من بني عمومته⁽¹⁾ ، كما استقرت بالمغرب الأوسط بعض القبائل العربية⁽²⁾ ، التي تحالف معها بنو عبد الواد خاصة بطون عرب زغبة ؛ الذين جمعتهم وزناتة عصبية الحلف⁽³⁾ .

وشكل البربر والعرب عنصرين أساسيين في تركيبة مجتمع المغرب الأقصى في عهد بني مرين ، إلا أن قبائل المصامدة البربرية ظلت إلى أواخر القرن الثامن الهجري⁽⁴⁾ (14م) تعتبر العنصر الأكبر الذي يشغل أوسع مساحة من المغرب الأقصى⁽⁵⁾ إلى جانب قبائل زناتة ، ومغراوة ، ومكناسة⁽⁶⁾ ، وبينما استقرت قبائل زناتة في الشمال ، كانت القبائل العربية تتخذ حياة الترحال⁽⁷⁾ .

كما تميّز سكان المغرب الأدنى في عهد الحفصيين بأنهم عبارة عن مزيج من البربر الأصليين الذين امتزجوا بالهجرات السكانية التي حلت بإفريقية⁽⁸⁾ ، وكانت المملكة الحفصية منقسمة إلى قسمين هما : قسم غربي تسكنه أغلبية بربرية وأقلية عربية ، وقسم شرقي تسكنه عناصر عربية والبربر الذين تعربوا⁽⁹⁾ .

وعرف القرنين الخامس والسادس الهجريين (11 و12م) انتقال عدد كبير من الأندلسيين إلى جهات مختلفة من المغرب⁽¹⁰⁾ ، الذين كوّنوا بإفريقية طبقة

(1) - مثل بني توجين ، وبني راشد ، وبني زردال ، وبني عصاب أولاد مندبل ، وبخصوص مغراوة وبني توجين فقد تمكن السلطان عثمان بن يغمراسن من إزالة إمارتيهما نهائيا بعد حملات وتصفيات مضمّنة انتهت بإلحاقهم جميعا بالدولة العبد الوادية .
انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج07 ، ص 92 ، 93 .

(2) - ATallah Dhina : Le Royaume Abdelouadide a l'époque d'Abou Hamou Moussa 1^{er} , et d'abou Tachfin 1^{er} , Office de Publications Universitaires , Alger , 1985 , pp. 90 – 91 .

(3) - مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق ، ص 153 .

(4) - لأنه في أواخر القرن الثامن الهجري(14م) تغيّرت الأوضاع بوصول قبائل معقل العربية إلى المغرب الأقصى ، إلا أن وجود العنصر العربي بالمغرب يرجع إلى زمن العبيديين . انظر : - عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج02 ، ص214 .

(5) - إبراهيم حركات : " معالم من التاريخ الاجتماعي للمغرب على عهد بني مرين " ، المقال السابق ، ص 214 .

(6) - Henri Terrasse : Histoire du Maroc , Editions Atlantides , Casablanca , (S.D) , p . 72 .

(7) - ibid : p . 73 .

(8) - Hicham Djait , Farhat Dachraoui : Histoire de la Tunisie le Moyen Age , Societe Tunisienne de Diffusion , Tunis , (s . d) , pp . 378 - 379

(9) - ibid : p . 379 .

(10) - محمد بن شريفة : " المغرب مهاجر الأندلسيين " ، مجلة الأكاديمية ، عدد 15 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1982م ، ص 18 .

هامّة (1) ، كما استقبلت الإمارة الزيانية عددا أكبر منهم في القرن الثامن الهجري⁽²⁾ (14م) مقارنة بالمرحلة السابقة⁽³⁾ ، وكان هؤلاء المهاجرين من الأعلام وأهل البيوتات ومن أعيان الأندلس⁽⁴⁾ ، وفي المغرب الأقصى سمح المعبر الضيق بين مدينتي فاس وغرناطة ، بقدوم العديد من النازحين الأندلسيين الذين نقلوا معهم الحضارة الأندلسية إليها ، وكان لهم تأثير كبير خاصة في مدينتي فاس ومراكش⁽⁵⁾.

وإضافة إلى سكان بلاد المغرب الذين كانت غالبيتهم من المسلمين ، فإننا نجد أقلية يهودية⁽⁶⁾ لعبت دورا لا يغفل في مختلف المجالات⁽⁷⁾ ، وقد تضاعف عددهم خلال سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م⁽⁸⁾ ، وسكنوا أحياء خاصة بهم في المدن المغربية⁽⁹⁾ ، كما ضمّ المجتمع المغربي عناصر أخرى وافدة عليه من الخارج ؛ كالسود الذين سيقوا مع القوافل

-
- (1) - حول هجرة الأندلسيين إلى إفريقية ومعيشتهم فيها ، انظر : ابن خلدون : العبر ، ج06 ، ص 288 .
- محمد رزوق : " الجالية الأندلسية بالمغرب العربي " ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 3 - 4 ، السنة 13 ، نوفمبر 1986 ، مطبعة الإتحاد التونسي للشغل ، تونس ، 1986م ، ص 134 .
- محمد طالبي : " الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين " ، مجلة الأصاله ، العدد 26 ، 1975 ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، ص ص 53 - 64 .
- محمد رزوق : دراسات في تاريخ المغرب ، ط1 ، مطبعة إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1991 م ، ص 45 .
- (2) - A. Bel : La population Musulmane de Tlemcen , laibrairie Paul Geuthner , Paris , 1908 , p. 03 .
- (3) - محمد رزوق : " الجالية الأندلسية بالمغرب العربي " ، المقال السابق ، ص 134 .
- (4) - عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ج01 ، ص 175 . انظر أيضا : ATallah Dhina : op . cit . , p. 50
- (5) - Henri Terrase : op . cit . , p. 76 .
- وحول تأثير الأندلسيين بالمغرب الأقصى ، انظر :
- ابن الخطيب (لسان الدين) : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق : كمال شبانة ، حسن محمود ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، مصر ، (د . ت)
- محمود الحاج قاسم : " رحلات الأطباء من الأندلس وإليها " ، مجلة المورد ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، العدد01 ، 1418هـ/1998م ، (65-75)
- محمد بن شقرون : المرجع السابق ، ص 37 .
- (6) - استقر اليهود في مختلف المدن المغربية ، وحول استقرار اليهود وتأثيرهم في المجتمع المغربي ، انظر :
- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص 434 . وأيضا : الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج01 ، ص 283 ، 284 .
- الناصري : المرجع السابق ، ج03 ، ص 99 ، 100 . انظر أيضا :
- روبر بارنشفيك : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 م إلى القرن 15 م ، تعريب : حمّادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1988 ، ج 01 ، ص 30 ، ص ص 431 - 433 ، ص 436 ، 441 .
- انظر أيضا : محمود بوعياض : المرجع السابق ، ص 39 . - عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ج01 ، ص 193 .
- Atallah Dhina : Les Etats de L'occident Musulman aux 13^{ème} , 14 , 15 siècles , Office des Publications-Universitaires , Alger , (S . d) , p. 183 , 261 .
- Hicham Djait , Farhat Dachraoui : op .cit . , p. 382 .

(7) - ATallah Dhina : Le Royaume Abdelouadide... , p. 53 .

- (8) - عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ج01 ، ص 193 .
(9) - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج01 ، ص 283 ،

التجارية وانصهروا في المجتمع التلمساني⁽¹⁾ ، والنصارى الذين استقروا في مدينة تونس وسكنوا حيًا خاصًا بهم يعرف بـ " ربض النصارى " ⁽²⁾ .

02 – مميزات الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي :

تميّزت الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) بالاهتمام بالوقف من طرف أفراد المجتمع المغربي ، إضافة إلى العادات والتقاليد والسلوكات التي أظهرها نمط معيشتهم وحياتهم ، كما لم يسلم هذا المجتمع من صعوبات وعوائق شكلت حرجا كبيرا لأفراده .

أ – الأوقاف في بلاد المغرب الإسلامي :

اهتم أفراد المجتمع المغربي بالحبس على الفقراء والمساكين والمرضى ، و كان لرجال السياسة الحظ الأكبر في هذه الأوقاف ؛ من ذلك قيام السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ/1394-1433م) ببناء مارستان⁽³⁾ في قلب مدينة تونس لإيواء المرضى والعجزة⁽⁴⁾ ، كما كان يوجد موضع بمدينة تونس يسمّى بالأحباس ، خصّص لسكنى مرضى الجذام ؛ حتى لا يختلطوا بالأصحاء فيتسببوا في الإضرار بهم⁽⁵⁾ ، وبدوره تصدّق السلطان محمد المنتصر بالله (837-839هـ/1433-1435م) بمال كثير لذوي الحاجات والمرضى⁽⁶⁾ .

وأولى السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) اهتمامه بالأرامل والأيتام والمحتاجين والضعفاء والمساكين وأهل السجون ، وكان يقدّم لهم

(1) - ATallah Dhina : Le Royaume Abdelouadide... , p . 50 .

(2) - Ibid : p . 179 .

(3) - المارستان : جمعه مارستانات ، وهي كلمة فارسية مركبة من بيمار أي مريض ، وستان أي موضع ، فمعناها دار المرضى .

انظر : - رينهارت دوزي : تكملة المعاجم العربية ، تعريب : جمال الخياط ، ط01 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2000م ، ج10 ، ص09 .

(4) - روبرت برنشفيك : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 384 .

(5) - الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى) : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، إشراف : محمد حجّي ،

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1401 هـ ، 1981 م ، ص 82 ، 83 .

(6) - ابن الشمّاع : المصدر السابق ، ص 120 .

الجرايات في المناسبات المختلفة⁽¹⁾ ويطعمهم ويكسوهم⁽²⁾ ، ولما حلت المجاعة بتلمسان سنة 776هـ/1374م تصدّق بنصف الجباية كلّ يوم على الضعفاء ، ثمّ ضمّهم جميعا بمارستان يصلهم فيها رزقهم وحاجاتهم ، حتى انتهت هذه المجاعة⁽⁴⁾ . كما أنّ السلطان أبا الحسن المريني(732-752هـ/1331-1351م) " أجرى لسائر الأيتام من سائر القبائل ما يتمشى به أحوالهم ويستغنون به عن التكف ، وكان يجمع الصبيان للختان في يوم عاشوراء ويكسوهم ويقدمّ لهم بعض المال وما يكفيهم من اللحم " ⁽⁵⁾ ، وأجرى رواتب للشيوخ الضعاف ، وكسوتهم في كلّ عام⁽⁶⁾ ، وجدّد رسم المارستان بمدينة فاس⁽⁷⁾ .

كما قدّمت أوقاف المساجد والمدارس والزوايا خدمات كبيرة لأفراد المجتمع التلمساني ، فقد عمل سلاطين بني زيان على إلحاق جناح خاص بالمدارس التي بناها ؛ لإيواء الطلبة الغرباء والفقراء وعابري السبيل منهم ، وخزانة تتضمن كتباً محبّسة لفائدة الأساتذة والطلبة ، وتحبس من أجلها عقارات عمرانية وأرضية للإنفاق عليها وعلى الطلبة ، والأساتذة ، والعمّال بها⁽⁸⁾ ، كما احتوت الزوايا على عدد من الغرف ، وألحقت بها أسبلة(عيون عمومية) وميضات⁽⁹⁾ ، وكانت هناك العديد من الزوايا بالمغرب الأقصى محبّسة على الفقراء⁽¹⁰⁾ . كما قام السلطان أبو سعيد المريني(709-731هـ/1309-1331م) سنة 720هـ/1320م بتحبّيس أوقاف كثيرة على المدرسة التي بناها في مدينة فاس⁽¹¹⁾ ؛ فقد : "... أجرى بها ماء العين الغزير ، ورتّب فيها الفقهاء لتدريس العلم ، وأسكنها بالطلبة ، وقدمّ فيها إماما ومؤذنين وخدمة يقومون بأمرها ، وأجرى على الكلّ منهم المرتبات والمؤن ، واشترى الأملاك ووقفها

(1) - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 226 .

(2) - التنسي : المصدر السابق ، ص 180 .

(3) - انظر : ص 34 من هذا المبحث .

(4) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 326 .

(5) - ابن مرزوق(محمّد) : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة وتحقيق : ماريّا خيسوس بيغيرا ، تقديم : محمود بوعياد ،

وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007م ، ص 420 .

(6) - نفسه : ص 427 .

(7) - نفسه : ص 415 .

(8) - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 141 .

(9) - عبد العزيز لعرج : " مدرسة العباد ، سيدي أبي مدين " ، مجلّة دراسات إنسانية ، كتيبة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، العدد 02 ،

1423 هـ ، 2002 م ، ص 133 .

(10) - كمال السيّد أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار

المغرب للنشر يسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، 1996 ، ص 30 .

(11) - انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص 46 من الدراسة .

عليها... " (1) ، وأوقف السلطان أبو الحسن المريني (732-752هـ/1331-1351م) عند بنائه للمدرسة العظمى (2) بمدينة سلا (3) عدّة أوقاف (4).

ولم تقتصر الأحباس على السلاطين ، بل كان بعض الأغنياء وميسوري الحال من أهل المغرب يقومون بذلك ، فقد قام رجل من أهل المغرب بحبس أملاك على أحد المارستانات ، وكان ريعُ الحبس يُصرف على تعمیر المارستان وعلاج المرضى وإطعام المساكين (5) ، كما أنّ رجلا مغربيا آخر حبس بعض أملاكه على المساكين بالمغرب الأقصى (6) .

— مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي :

قام أفراد المجتمع المغربي كغيرهم من أفراد المجتمعات الأخرى بسلوكات ومعاملات وإقامة علاقات فيما بينهم ، كما مارسوا عادات وتقاليد تبرز شخصية مجتمعهم وتميّزه عن باقي المجتمعات .

وكان من عادات أفراد المجتمع المغربي زيارة المرضى وعيادتهم ، إلا أنه انتشرت في ذلك عادة سيئة تعرّض الشخص الذي يعود المريض دون أن يأتي معه بشيء إلى كلام الناس فيه (7) ، ومن العادات والتقاليد المتصلة بالجنائز والوفاة ، الجهر أمام الجنازة عند حملها بالتهليل والتصلية والتبشير والتنذير على صوت واحد (8) ، كما جرت عادة سكان مدينة فاس في إظهار الحزن فيها بأن : " ... تصيح النساء ويخدشن صدورهن وخدودهن ... يدوم ذلك سبعة أيام ، وبعد أربعين يوما يستأنفن نحيبهنّ لمدة ثلاثة أيام " (9) ، وفي مدينة تلمسان كان

(1) - ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص 543 ، 544 .

(2) - الأنصاري (محمد بن قاسم السبتي) : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، ط 2 ، الرباط ، المغرب ، 1403هـ ، 1983م ، ص 28 .

(3) - مدينة بناها الرومان ، وبنيت على شاطئ المحيط ، تبعد عن الرباط بميل ونصف . انظر : - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 207 انظر أيضا : - ابن الخطيب ، معيار الإختيار ، ص 74 ، 75 . انظر : الخريطة ص 17 .

(4) - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 175 .

(5) - الوثنريسي : المصدر السابق ، ج 07 ، ص 83 ، 84 .

(6) - يدعى هذا الرجل بابن عريق . انظر : - نفسه : ج 07 ، ص 82 .

(7) - ابن الحاج (أبو عبد الله محمد العبدري) : مدخل الشرع الشريف ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2275 ، ج 01 ، ورقة رقم 110 .

(8) - الوثنريسي : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 314 ، 315 .

(9) - نفسه : ج 01 ، ص 317 . ج 06 ، ص 419 . انظر أيضا : - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 258 .

الخاصة من المجتمع يقومون بتوجيه خطاب التعزية لذوي الفقيد ، لاسيما إذا كان فقيها أو أدبيا أو عالما أو أميرا (1) .

وعرفت بلاد المغرب عدّة احتفالات على طول أيام السنة ، منها احتفالات شعبية ، وأخرى احتفالات رسمية ، وكان الاحتفال بالمولد النبوي يلقي اهتماما كبيرا من قبل ولاية الأمر (2) ، وسائر طبقات المجتمع المغربي حيث اعتاد الناس الاحتفال بتلك المناسبة بإيقاد الشمع ، والتزيين بما حسن من الثياب ، وركوب فاره الدواب لإظهار الفرح والسرور بمولده عليه الصلاة والسلام (3) ، كما توزّع فيه الصلوات الكثيرة والهدايا المتنوعة ، وتودّي الديون عن المسجونين و الأموات (4) ، وكانت الزوايا تبقى مفتوحة طوال تلك الليلة أمام العامة (5) .

وإلى جانب الاحتفال بالمولد النبوي كان للمجتمع المغربي احتفالات أخرى (6) ؛ أهمّها الاحتفال بعيد الأضحى (7) ، وعيد الفطر الذي لا تختلف مظاهره عن الأوّل إلا فيما يتعلق بالأضحية ، وكان الناس يتزيّنون باللباس الجديد في الصباح ثم يتوجّهون إلى المصلى (8) ، ويصنعون أنواعا كثيرة من الأطعمة الفاخرة والحلويات اللذيذة (9) . كما احتفل أهل المغرب بميلاد أطفالهم وختانهم ، بإقامة مأدبة يدعى إليها الأهل والأقارب (10) ، إضافة إلى إحيائهم ليوم

(1) - محمّد الطاهر توات : أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993م ، ص 348 .
(2) - و أوّل من احتفل بالمولد النبوي من بني مرين ، هو مؤسس هذه الدولة يعقوب بن عبد الحق فقد أقام ليلة المولد بفاس ، واستمع إلى قصائد الشعراء وكلمات الخطباء ، ثم أحدث ابنه يوسف تعميم هذا الاحتفال في جميع جهات المغرب المريني بداية من سنة 691هـ / 1292م ، كما اهتم سلاطين بني زيان بذلك . انظر : يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص ص 137 - 143 ، ص ص 152 - 155 ، ص ص 162 - 166 ، ص ص 186 - 193 ، ص ص 208 - 218 ، ص ص 224 - 234 ، ص ص 282 - 284 . وأيضا :
- محمّد المنوني : ورفات عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ط3 ، الرباط ، المغرب ، 1420هـ ، 2000 م ، ص 521 .
(3) - كمال السيّد أبو مصطفى : المرجع السابق ، ص 44 .
وحول مختلف آراء الفقهاء بالاحتفال بالمولد ، انظر : الونشريسي : المصدر السابق ، ج 11 ، ص ص 278 - 289 . / ج 12 ، ص 48 ، 49 .
(4) - النميري (ابن الحاج) : فيض العباب وإفاضة القداح في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، دراسة وإعداد : محمد بن شقرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، ص ص 169 - 171 .

(5) - Bel (Alfred) : op . cit . , p . 09 .

(6) - ممّا جعل الفقيه ابن الحاج العبدري (ت737هـ/1336م) يقسمها إلى ثلاث مراتب هي : المواسم الشرعية ، والمرتبة الثانية هي المواسم التي ينسبونها إلى الشرع وليست منه ، والمرتبة الثالثة هي المواسم التي تشبّهها فيها بالنصارى . انظر : ابن الحاج : المخطوط السابق ، ص 130 .
وحول هذه المناسبات ، انظر : - روجي لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ص 100 - 104 .

(7) - حول طريقة الاحتفال بعيد الأضحى ، انظر :

- Bel (Alfred) : La Fête des Sacrifices en Berbérie , Imprimerie Julie Carbonel , Alger , 1932 .

(8) - عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 273 .

(9) - أحمد بن عامر : المرجع السابق ، ص 78 .

(10) - كمال السيّد أبو مصطفى : المرجع السابق ، ص 45 ، 46 .

عاشوراء بذبح الدجاج (1) ، و ليلة السابع والعشرين من رجب ؛ والتي يعتبرونها ليلة الإسراء والمعراج (2) .

وخضع لباس أفراد المجتمع إلى الحالة الاجتماعية والمادية والثقافية لهم ؛ فقد تميّز سكان المدن بصفة عامة باللبسة الأنيقة الرفيعة والجميلة ، بينما يلبس أهل البوادي الألبسة الخشنة والبسيطة من الصوف والكتان ، ويلبس الأعيان والأغنياء ألبسة من القطن والحريير والكتان والصوف الرفيع (3) .

كما انتشرت الحمامات في بلاد المغرب ، وكانت النساء في مختلف الأعمار لا تتأخرنّ عن الذهاب إليها في مناسبات عديدة ؛ كوقت الزواج والولادة وقبيل الأعياد ، وخصّصت بعض الحمامات لهنّ ، غير أنّ الكثير منها كانت تستعمل للرجال والنساء ، ولكلّ جنس وقت معيّن (4) .

03 - الأوبئة (5) والمجاعات (6) في بلاد المغرب الإسلامي :

تعرضت بلاد المغرب في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م) إلى مجاعات وأوبئة ، أثرت على المجتمع المغربي تأثيرا كبيرا لما شكلته من خطر حقيقي على حياة السكان ومستوى معيشتهم واستقرارهم .

واشتدتّ المجاعة في بلاد المغرب ما بين سنتي 693 و695هـ (1294—1296م) ، وصاحبها انتشار الوباء الفاتك (7) ، وقد أدّى القحط الشديد بالمغرب ما بين سنتي 723-724هـ (1323—1324م) إلى ارتفاع حاد في الأسعار ، جعل الدولة تعتمد إلى فتح المخازن

(1) - ذكر ابن الحاج ما أحدثته النساء فيه من البدع ، كاستعمال الحناء ، والبخور ، ومن لم يقم بذبح الدجاج عندهم فكأنه ما قام بحق ذلك اليوم .

انظر : ابن الحاج : المصدر السابق ، ج 01 ، ورقة رقم 133 .

(2) - ذكر ابن الحاج هذه الليلة في المواسم التي نسبها إلى الشرع وهي ليست منه . انظر : نفسه ، ج 01 ، ص 134 ، 135 .

(3) - مارمول كربخال : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 300 .

(4) - حسن الوزان : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 229 ، 230 .

(5) - مفردا : وباء ، وهو كل مرض عام يحدث بصورة سريعة ، ويصيب أعدادا هائلة من جميع الأعمار والأجناس . انظر :

- ابن منظور (أبو عبد الله) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ج 01 ، ص 189 .

(6) - المجاعة هي عام الجوع . انظر : نفسه : ج 08 ، ص 94 .

(7) - ذكر ابن أبي زرع هذه المجاعة بقوله : " وفيها - أي سنة 693 هـ - كانت المجاعة الشديدة بالمغرب والوباء العظيم ، فكان الناس يحملون من الموتى أربعة وثلاثة واثنتين على نعش ، وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمدّ ... " . انظر : ابن أبي زرع : الأنيب المطرب بروض القرطاس ، ص 507 .

وبيع حبوبها بأثمان زهيدة⁽¹⁾ ، كما داهمت مدينة تلمسان مجاعة شديدة سنة 776هـ/1373م وصفها المؤرخ يحيى بن خلدون(786هـ/1385م) بأنها : " ... مجاعة شديدة أكل فيها الناس بعضهم البعض " (2) . وعرف المغرب الأقصى في هذه السنة أيضا مجاعة قاسية ، عمّ بسببها الخراب (3) والوباء في أنحاءه (4) ، وعظم الوباء بالمغرب الأدنى سنة 873هـ/1469م ، حتى بلغ عدد الموتى أربعة عشر ألفا في كل يوم (5) ، كما حلّ بتونس سنة 899هـ/1494م وباء عظيم مات فيه خلق كثيرون ، منهم السلطان أبو زكرياء يحيى الحفصي (6) .

واشتركت العوامل الطبيعية في حدوث هذه المجاعات والأوبئة ، وكان الجفاف أحد أهم تلك العوامل (7) ، كما أنّ المجاعة التي ألمّت بتلمسان سنة 776هـ/1373م كان سببها إعصار عظيم ألم بسكانها(8) ، إلا أنّ تلك العوامل لم تكن وحدها سببا في حدوث هذه المجاعات ، حيث كانت الحروب عاملا آخر في ذلك ؛ فعندما حاصر السلطان أبو يعقوب يوسف المريني(685-706هـ/1286-1306م) مدينة تلمسان بين سنتي 697-702هـ (1297 - 1302م) نفذت الأقوات ، وبلغ عدد الموتى قتلا وجوعا زهاء مئة وعشرين ألف ، وثمان صاع القمح بلغ دينارين وربع ، وصاع الشعير إلى نصف ذلك (9) ، كما أدّت إحدى حملات السلطان المريني أبي سعيد عثمان(710-731هـ/1310-1331م) على تلمسان ، إلى مسارعة أهلها إلى تخزين ما لديهم من أقوات وامتنعوا عن عرضها في الأسواق ؛ ممّا أدّى إلى غلاء الأسعار(10) .

(1) - إبراهيم حركات : النشاط الإقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1996 ، ص 298 .

(2) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 326 .

(3) - إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 299 .

(4) - ابن قنفذ (أبو العباس أحمد الخطيب) : أنس الفقير وعزّ الحقيير، نشر وتصحيح : محمّد الفاسي ، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، 1965 م ، ص 47 .

(5) - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 157 .

(6) - نفسه : ص 159 .

(7) - ذكر المؤرخ لسان الدين بن الخطيب(ت776هـ/1374م) أنّ المجاعة التي حلت ببلاد المغرب سنة 630هـ/1232م كان سببها عظم الجفاف ، والريح العاصفة . انظر : - ابن الخطيب : تفضة الجراب ، ص 61 .

(8) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 326 .

(9) - نفسه : ج 01 ، ص 123 - 125 .

(10) - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 332 .

وإضافة إلى ما سببته المجاعات والأوبئة في بلاد المغرب من سقوط ضحايا كثيرين ، فإنها أدت من جهة أخرى إلى ظهور بعض السلوكات المنحرفة ، كالنهب والسلب الذي جعل أفراد المجتمع لا يشعرون بالأمن (1) ، مقابل انتشار سلوك التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع وإغاثة الفقراء منهم (2) .

يتبين لنا من خلال ما سبق التشابه الكبير في تركيبة المجتمع ، والعادات والتقاليد ، ومظاهر الحياة اليومية بين أقطار المغرب الثلاثة ، كما يتضح لنا الصعوبات التي واجهت أفراد المجتمع المغربي ، خاصة الأوبئة والمجاعات التي ما فتئت تحصد أرواح عدد كبير منهم إضافة إلى ما لعبته الأوقاف من دور كبير في مساعدة مختلف فئات المجتمع .

ثالثا : الأوضاع العلمية في بلاد المغرب الإسلامي :

حظي الجانب العلمي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) باهتمام بالغ ونشاط مستمر ، جعل الناس يقبلون على العلم إقبالا شديدا ، فما هي أسباب هذا الاهتمام ؟ وما هي مميزات ومظاهر الحياة العلمية أثناء ذلك ؟

01 – الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي :

تميّزت الفترة السابقة للقرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) باهتمام الموحّدين بالمذهب الأشعري (3) في العقيدة وتدرّيس مؤلفات أعلامه ، فنشروا أفكار الإمام أحمد بن محمد الجويني الشافعي (4) (ت 487هـ/ 1094م) وروّجوا لكتبه ، كما سمحوا بتدرّيس مصنّفات الفقيه

(1) - اضطر الفقيه ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/ 1407م) بسبب هذه الظروف إلى الإقامة في تلمسان لمدة شهر ، وذلك لانعدام الأمن في المسالك .

انظر : - ابن قنفذ : أنس الفقير وعزّ الحقير ، ص 105 .

(2) - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 255 .

(3) - الأشعرية : مذهب في العقيدة ينسب إلى أبي الحسن علي الأشعري (ت 324 أو 331 هـ / 936 أو 942م) من أهل البصرة ، وكان معتزلي النشأة والعقيدة ، ثم رجع عن القول بأرائهم ، وظل المذهب الأشعري ينتقل من طور إلى آخر بواسطة شيوخه كالباقلائي (ت 402هـ/ 1011م) ، والجويني (ت 478هـ/ 1085م) ، والغزالي (ت 505هـ / 1111م) ، والشهرستاني (ت 548هـ/ 1153م) والرازي (ت 606هـ/ 1209م) .

انظر : - مصطفى محمد حلمي : منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ، ط 1 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، مصر ، 2005م ، ص 214، 215 .

(4) - هو أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد الجويني ، الفقيه الشافعي ، تولى تدريس المدرسة النظامية ، من مؤلفاته : العقيدة النظامية ، الشامل في أصول الدين ، الإرشاد ، غياث الأمم ، وغيرها . انظر ترجمته : - الحنبلي (ابن عماد) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر

الأرناؤوط ، محمود الأرناؤوط ، ط 1 ، دار ابن كثير ، دمشق ، 1414هـ/ 1993م ، ج 05 ، ص ص 338 - 342 .

الشافعي محمد بن أحمد الغزالي⁽¹⁾ (ت505هـ/1111م) ؛ والتي كانت محظورة قبلهم⁽²⁾ ، وقد أدى ذلك إلى جدل واسع بينهم وبين فقهاء المالكية ، تحول إلى مقاومة شديدة من طرفهم⁽³⁾ .

وظلّ المذهب الأشعري سائدا في بلاد المغرب في عهد الحفصيين والزيانيين والمرينيين ، فلقد اعتمدت الدولة الحفصية في المجال العقدي على التأويل كما يذهب إليه الأشاعرة⁽⁴⁾ ، كما ظلت العقيدة الأشعرية سائدة في المغرب الأوسط وبرعاية سلاطين بني زيان ، لكنهم نقحوها مما شابها من أفكار كالعصمة والمهدوية والإمامة⁽⁵⁾ ، وكان ذلك دأب سلاطين بني مرين وفي طليعتم السلطان أبو الحسن (732-752هـ/1331-1351م) الذي كان " يقرأ بين يديه كتاب الإرشاد ... فإذا عُرِضت أدلة الخارجين عن مذاهب أهل السنة ، يقول : دعوا هذا " ⁽⁶⁾ .

أمّا فيما يتعلّق بالفروع ، فكان المذهب المالكي⁽⁷⁾ هو المذهب الفقهي المتبع في بلاد المغرب الإسلامي⁽⁸⁾ ؛ فلقد أعاده بنو زيان للمجتمع التلمساني خاصة ولأهل المغرب الأوسط عامة⁽⁹⁾ ، و أصبح المذهب المالكي مذهباً رسمياً في المغرب الأقصى بعد وصول المرينيين إلى الحكم⁽¹⁰⁾ وانتهى تقليد المذهب الظاهري⁽¹¹⁾ ، كما كان أغلبية المجتمع التونسي⁽¹²⁾

-
- (1) - هو محمد بن أحمد الغزالي ، حجة الإسلام ، الفقيه الشافعي ، سلك طريق الزهد ، من مصنفاته إحياء علوم الدين ، ولد بطوس سنة 450هـ/1058م ، وتوفي سنة 505هـ/1111م . انظر ترجمته : - نفسه : ج06 ، ص ص 18 - 22 .
- (2) - الفكون (عبد الكريم) : منشور الهداية ، تحقيق : أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1989م ، ص 41 .
- (3) - من أهم تلك المقاومات ، حركة القاضي عياض ضدّ عبد المؤمن بن علي ، انظر : - عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد زينهم ، محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، طرابلس ، لبنان ، 1994م ، ج01 ، ص 291 ، 292 .
- (4) - ابن الشّمّاع : المصدر السابق ، ص 117 . انظر أيضا :
- عبد المجيد عمر النجار : فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992م ، ص 39 .
- (5) - عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ج02 ، ص 377 ، 378 .
- (6) - ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 133 .
- (7) - مذهب فقهي ينسب لإمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت179هـ/813م) الذي أسسه بعد اتصاله بالخلفية العباسي المنصور ، وذلك في أوائل القرن الثاني الهجري ، وتطوّرت معالمه على يد تلاميذه من بعده . انظر : أسد حيدر : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1390هـ/1969م ، ج02 ، ص 302 .
- (8) - ممّا جعل الفقيه أبي العباس أحمد الوائلي (ت914هـ/1508م) يعتبره تعصباً ، وذمّ أهل المغرب والأندلس على ذلك .
- (9) - انظر : - الوائلي : المصدر السابق ، ج02 ، ص 482 ، 483 . - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص 375 . انظر أيضا :
- ألفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، تعريب : عبد الرحمان بدوي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1987م ، ص 411 .
- (10) - عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ج02 ، ص 377 .
- (11) - محمد شقير : تطوّر الدولة في المغرب من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن العشرين ، مطبعة إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، 2002م ، ص 180 .
- (12) - المذهب الظاهري : وهو مذهب فقهي أصحابه واقفون مع ظواهر النصوص من غير زيادة ولا نقصان ، وهو ينسب إلى داود الظاهري . انظر : الشاطبي (ابراهيم بن موسى) : الموافقات في أصول الفقه ، تحقيق : عبد العزيز دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ج01 ، ص 88 .
- (11) - لأنه يستثنى من ذلك سكان جزيرة جربة ، الذين كانوا من الخوارج الإباضية . انظر : - الوائلي : المصدر السابق ، ج10 ، ص 149 ، 150 .

معتنقة للمذهب المالكي (1) ، واضطلع أتباع المالكية بإحياء مذهبهم من جديد بإفريقية ، فأحرزوا نجاحًا كبيرًا (2) .

02 – مميزات الحياة العلمية في بلاد المغرب :

عرفت الأوضاع العلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م) ازدهارا واهتماما بالغا ، فقد كانت الحياة العلمية بحواضرها الكبرى – تونس وتلمسان وفاس – يانعة ، وظهر من أبنائها من ملأ صيبتهم الكثير من أصقاع العالم الإسلامي (3) ، ورغم الاضطرابات السياسية التي مرت بها بلاد المغرب الإسلامي خلال هذين القرنين ، فإنّ هذه الفترة شهدت ميلاد أكثر الأعمال الفكرية أصالة وأعمقها تنظيرًا (4) .

وكان أفراد المجتمع المغربي يقدّرون العلم وأهله ، ويعتبرون العزّ الحقيقي في طلبه (5) ، وقد صور لنا الرحالة أبو الحسن القلصادي الأندلسي (6) (ت891هـ/1486م) الحياة العلمية في بلاد المغرب ؛ فعند نزوله بمدينة تلمسان سنة 840هـ/1436م قال : "... وأدركتُ فيها كثيرًا من أهل العلم والزُّهَاد ، وسوق العلم حينئذ نافقة ، وتجارة المتعلمين رابحة ، والهمم إلى تحصيله مشرفة ، وإلى الجدّ والاجتهاد فيه مرتقية ... " (7) ، كما ذكر أنّ مدينة تونس التي مرّ بها سنة 848هـ/1444م كانت فيها "... سوق العلم حينئذ نافقة ، وينابيع العلوم على اختلافها مُغدقة ، فلا عليك أن ترى مدرسة أو مسجدا إلا والعلم فيه يُيْث ويُيُنسّر " (8) .

(1) - محمّد الهادي الشريف : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال ، ترجمة : محمّد شاوش ، محمّد عجيبة ، ط2 ، سراس للنشر ، تونس ، 1985م ، ص 60 .

(2) - عبدالعزيز الدولاتي : مدينة تونس في العهد الحفصي ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1981م ، ص 79 .

(3) - ابن القنفذ : الفارسية ، ص 37 ، 38 .

(4) - عبد المجيد الصغّير : " تقويم ابن خلدون للحالة العلمية في الغرب الإسلامي " ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ط1 ، الرباط ، 2001م ، ص 163 ، 164 .

(5) - الأنصاري (أبو عبد الله) : فهرست الرصاع ، تحقيق وتعليق : محمّد العنّابي ، المكتبة العتيقة ، تونس ، (د . ت) ، ص 18 .

(6) - هو أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن علي ، الشهير بالقلصادي ، الرحلة المؤلف ، الفرضي ، أصله من بسطة ، ثمّ انتقل إلى غرناطة فاستوطنها ثمّ ارتحل إلى المشرق ، ومرّ بتلمسان ، وتونس ، توفي بباجة بإفريقية سنة 891هـ/1486م .

انظر ترجمته : - المقرّي (أحمد بن محمّد التلمساني) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1408 هـ ، 1988 م ، ج 02 ، ص ص 692 - 694 .

(7) - القلصادي (أبو الحسن علي) : رحلة القلصادي ، دراسة وتحقيق : محمّد أبو الأجنان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1978 م ، ص 95 .

(8) - نفسه : ص 115 . انظر أيضا :

- حمّادي الساحلي : فصل في التاريخ والحضارة ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992م ، ص 38 .

ورغم إعجاب الرحالة القلصادي بالحياة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي خلال القرن التاسع الهجري(15م) ، فإننا نلاحظ تراجعاً في الحركة العلمية في هذا القرن مقارنة بالقرن السابق له(08هـ/14م) ، وأصبح النشاط العلمي يحمل في ثناياه الركود والتقليد⁽¹⁾ ، ممّا يدفعنا إلى القول أنّ القلصادي كان مُعجَبًا بالمؤسّسات العلمية ، والإقبال على دروس العلم والاهتمام بها ، ولم يتعرّض في ذلك إلى محتواها ومضامينها أو نقدها .

وتميّزت الحياة العلمية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14و15م) باهتمام السلاطين ورجال السياسة بالعلم وأهله ، فقد أولت دول المغرب الثلاث عناية كبيرة ببناء مدارس التعليم⁽²⁾ ، والعناية بطلبتها⁽³⁾ ، وجمع الكتب وإقامة الخزانات ووقفها لطلبة العلم ، على غرار ما قام به السلطان المريني أبو عنان(749-759هـ/1348-1358م) ، الذي زوّد مدينة فاس بخزانتين للكتب والمصاحف⁽⁴⁾ ، ونسخ بعضهم تلك الكتب والمصاحف بيده كما فعل السلطان الزياني أبو زيان محمد بن أبي حمو⁽⁵⁾(796-801هـ/1394-1399م) ، ويتجلى اهتمام السلاطين بالعلم أيضاً من خلال جعل قصورهم فضاءات للنقاشات العلمية ، والمسابقات الشعرية⁽⁶⁾ ؛ فقد كان للسلاطين أبي الحسن المريني(732-752هـ/1331-1351م) وابنه أبي عنان مجلس علمي في القصر يحضره العلماء⁽⁷⁾ .

كما تميّزت الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة بحريّة تنقل العلماء وطلبة العلم بين المدن المغربية المختلفة طلباً للعلم ونشره ، ولم تكن الخلافات

(1) - انظر : - المقري : المصدر السابق ، ج05 ، ص 275 . انظر أيضاً :

- أحمد شوقي بنين : تاريخ خزائن الكتب بالمغرب ، تر: مصطفى طوبي ، ط1 ، المطبعة والوراقة الوطنية ، مراكش ، 1424هـ ، 2003م ، ص77

- محمود بوعباد : المرجع السابق ، ص 57 . - محمد الهادي العامري : المرجع السابق ، ص167 ، 168 .

- ناصر الدين سعيدوني : دراسات أندلسية ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1426 هـ ، 2003 م ، ص 100 .

(2) - انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص ص 43 - 48 من الدراسة .

(3) - مثلما فعل السلطان السلطان أبو سعيد المريني(709-731هـ/1309-1331م) سنة 720هـ/1320م بتعيين أوقاف لطلبة المدرسة التي بناها .

انظر : - ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص 543 ، 544 .

(4) - الجزنائي : المصدر السابق ، ص 111 ، 112 .

(5) - التنسي : المصدر السابق ، ص 211 .

(6) - نجاح القابسي : " المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي " ، مجلة المؤرّخ العربي ، إتحاد المؤرّخين العرب ، بغداد ، العراق ، العدد19 ،

1981م ، ص195 .

(7) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص 22 ، 52 . انظر أيضاً : المبحث الثاني من الفصل الرابع ، ص198 من الدراسة .

والصراعات السياسية بين دول المغرب آنذاك لتحوّل دون إتمام تلك الرحلات (1) ، والتي أدت إلى الاحتكاك بين أهل العلم وتتلذّهم على بعضهم ، كما انتشر نتيجة لها أدب الرحلة في بلاد المغرب (2) .

03 – المؤسّسات العلمية والتعليمية في بلاد المغرب :

إنّ ازدهار الحياة العلمية في بلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م) ، كان من أهمّ أسبابه احتواء بلدان المغرب وحواضره على مؤسّسات علمية وتعليمية أثرت الحياة الثقافية فيها ، والتي تمثلت في الكُتاب ، و المساجد ، والزوايا ، والمدارس ، وخزائن الكتب .

أ - الكُتاب (3) :

انتشرت المكاتب أو الكُتاب — باعتبارهما الموضع الذي يتمّ فيه تعليم الصبيان (4) — في بلاد المغرب الإسلامي ؛ فقد عرفت مدينة فاس الكُتاب القرآنية كمدارس أوليّة للصغار ، تُعنى بتحفيظ القرآن وتلقين الخط ، وتهتم إلى جانب ذلك بتحفيظ بعض المصنّفات الابتدائية وتحليلها للمتعلّمين (5) ، وكان الأولاد يُرسلون إلى المدارس القرآنية متى بلغوا الخامسة أو السادسة ، ولم يكن أكثر الأولاد خاصّة الفقراء يتجاوزون مستوى المدارس القرآنية ، أمّا الذين ختموا القرآن وبلغوا الثالثة عشر أو الرابعة عشر من عمرهم ، كانوا يتابعون دراستهم إذا كانت مواردهم تسمح بذلك (6) .

-
- (1) - وقد أحصت الباحثة فاطمة خليل في بحثها الموسوم : " الرحلة في الأدب المغربي " ، حوالي ستين رحلة مغربية . انظر : فاطمة خليل : " الرحلة في الأدب المغربي " ، رسالة دكتوراه دولة (منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس ، المغرب ، 1988 م .
- (2) - كرحلة أبي عبد الله ابن بطوطة (ت779هـ/1377م) ، التي ضمّتها " ما شاهده من الأمصار وما علق بحفظه من نوادر الأخبار " ، ورحلة أبي عبد الله ابن رشيد (ت721هـ/1321م) ، ورحلة النميري التي قام بها في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي من سنة 706هـ/1306م إلى سنة 708هـ/1308م انظر : - ابن بطوطة (أبو عبد الله) : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط1 ، المطبعة الخيرية ، المغرب ، 1322هـ/1904م ، ص 04 . - ابن رشيد (أبو عبد الله محمد) : ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيبة إلى الحرمين مكة وطيبة ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن خوجة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1402 هـ ، 1982 م ، ص 32 .
- (3) - ذكر ابن منظور أنّ : " المكتب موضع الكُتاب ، والمكتب والكُتاب موضع تعليم الكُتاب والجمع الكُتاب والمكاتب " . انظر : - ابن منظور : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 698 .
- (4) - بشير رمضان التليسي : الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري (10م) ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003م ، ص 365 .
- (5) - محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 254 .
- (6) - روجي لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ص 169 - 172 .

وعرفت مدينة تلمسان الكُتاب ، وقد ذكرت المصادر التاريخية كُتابين بدرج مسوفة (1) وبسوق القُتابين (2) ، وأدى وصول علماء الأندلس إليها ، وعودة بعض شيوخها من بلاد المشرق المتأثرين بمنهج المشاركة (3) ، إلى إدخال بعض المواد الجديدة للصبيان كرواية الشعر وقواعد اللغة العربية وحفظها ، والحديث والتجويد ، والخط والكتابة ، ووقوفهم على روايات القرآن ومختلف قراءاته (4) . كما أحدث الحفصيون بتونس الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم (5) ، وكانت هذه الكتاتيب هي المرحلة الأولى للتعليم ، ينتقل بعدها التلميذ إلى تلقّي علوم أعمق وأوسع في ثلاث مؤسّسات مختلفة ، هي : الجامع ، والزاوية ، والمدرسة (6) .

ب - المساجد والزوايا :

يعتبر المسجد في الإسلام من أكثر المؤسّسات التعليمية والعلمية شأنًا عند المسلمين ، فقد عقدت به حلقات الدرس منذ إنشائه (7) ، فكان الطلاب يتحلّقون في المساجد حول العلماء وظلّت هذه الظاهرة مستمرة في جميع البلاد الإسلامية قبل وبعد بناء المدارس في القرن الخامس الهجري (11م) (8) ، وقد لعبت الجوامع بالمغرب دورا هامًا في الحياة العلمية ، وذلك منذ اللحظة الأولى التي دخل الإسلام فيها المغرب (9) .

وظلّت الجوامع المغربية تقوم بمهمّتها التعليمية حتى بعد تأسيس المدارس النظامية ، فظلّ جامع القرويين (10) مكانا للعبادة والصلاة ، وموطنا للتعليم ونشر العلم ، وكانت الدراسة

(1) - فهرست الرصّاع : ص 14

(2) - نفسه : ص 19 .

(3) - كان هناك اختلاف بين المغاربة من جهة والأندلسيين والمشاركة من جهة أخرى ، حول المواد المدرّسة في هذه الكتاتيب ، حيث اقتصر في بلاد المغرب على تدريس القرآن ، في حين تدرّس فيها مواد أخرى في المشرق والأندلس . انظر : ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 473 .

(4) - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 346 .

(5) - حمّادي الساحلي : المرجع السابق ، ص 38 .

(6) - عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق ، ص 83 .

(7) - حسين مؤنس : المساجد ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1981م ، ص 31 .

(8) - بشير رمضان التليسي : المرجع السابق ، ص 386 .

(9) - عبد الله العمراني : " جامعة القرويين " ، مجلة البحث العلمي ، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، العدد 11 ، 12 ، 1387هـ ، 1967م ، ص 160 . وقد ورد في المقال الأسباب وراء ذلك ، انظر : نفسه : ص ص 160 - 162 .

(10) - بنته أم البنين فاطمة بنت عبد الله الفهري القيرواني ، من مال حلال طيب ورثته ، وبدأ بناؤه يوم السبت فاتح رمضان عام 243هـ (نوفمبر 859 م) ونذرت أن تصوم وتظل صائمة إلى أن يتم البناء ، واختلف المؤرخون حول تاريخ تمام بنائه .

انظر : - الجزنائي : المصدر السابق ، ص ص 81 - 128 .

- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص ص 68 - 92 .

مستمرة به دون انقطاع ، كما أنه كان يشتمل على كراسي (1) لتدريس مختلف العلوم (2) ، إضافة إلى المجالس العلمية التي كان الجامع حافلا بها (3) ، وإلى جانب ذلك كانت جوامع مدينة فاس ومساجدها مرافق للتعليم (4) ؛ وهي التي وصل عددها إلى سبعمائة جامع ومسجد (5) ، منها التي أقامها المرينيون مثل الجامع الكبير ، جامع البيضاء ، جامع الحمراء ، مسجد العباسيين ، جامع الغربية ، وجامع الزهر (6) .

ولم يمنع اعتناء أمراء بني حفص بازدهار عمران قاعدة ملكهم - مدينة تونس - واهتمامهم بإحداث الجوامع والمدارس فيها ، من صرف همّتهم إلى أمجد معلم ديني تُؤويه عاصمتهم وهو جامع الزيتونة (7) ، بل قاموا بكل ما في وسعهم لتحسين وازدياد مساحته وتوفير الراحة للمصلين وطلبة العلم فيه (8) ، كما قاموا ببناء مساجد وجوامع أخرى بمدينة تونس ؛ على غرار جامع القصبية (9) ، والحلق (10) ، والتبّانين (11) ، ومسجد الهواء أو التوفيق (12) .

وبدورهم اعتنى سلاطين بني زيان ببناء المساجد والتي بلغ عددها بمدينة تلمسان ستين مسجدا (13) ؛ أهمّها : الجامع الكبير (14) ، ومسجد سيدي أبي

-
- (1) - إن لفظ كرسي ما زال مستعملا حتى الآن في مختلف جامعات العالم ، وذكر الباحث عبد الهادي التازي هذه الكراسي ، التي منها : كرسي المحراب ، كرسي الإمام الوريائي (ت880هـ/1475م) ، باب الرواح الأدنى ، النحو ، باب الصالحين الأيمن والأيسر ، باب الشماعين ، وكرسي الونشريسي ، وغيره من الكراسي . انظر : - عبد الهادي التازي : جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1972 م ، ج 02 ، ص ص 373 - 402 .
- (2) - عبد الله العمراني : " جامعة القرويين " ، المقال السابق ، ص 159 .
- (3) - عبد الهادي التازي : ج 02 ، ص 382 ، 383 .
- (4) - محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 254 .
- (5) - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 223 .
- (6) - عبد الله العمراني : " جامعة القرويين " ، المقال السابق ، ص 192 .
- (7) - هو ثاني جامع في إفريقية بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان ، واختلف حول تأسيسه بين من يرى أنّ حسان بن النعمان هو الذي بناه سنة 79 هـ / 698 - 699 م ، ومن يرى نسبة ذلك إلى والي إفريقية عبيد الله بن الحباب سنة 110 هـ / 728 - 729 م . انظر : - محمد عبد العزيز بن عاشور : جامع الزيتونة المعلم ورجاله ، دار سراس للنشر ، المطابع الموحدة ، تونس ، 1991 م ، ص 29 .
- (8) - نفسه : ص 29 .
- (9) - بناء مؤسس الدولة الحفصية السلطان أبو زكرياء (634-647هـ/1228-1249م) . انظر : - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 133 .
- (10) - بناء السلطان الثاني محمد المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م) . انظر : - أحمد بن عامر : المرجع السابق ، ص 106 .
- (11) - بناء الأمير أبو عمرو عثمان (839-893هـ/1435-1488م) . انظر : - نفسه ، ص 106 .
- (12) - بنته الأميرة عطف والدة السلطان المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م) . انظر : ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 135 .
- انظر أيضا : Atallah Dhina : Les Etats de L'occident Musulman.... , op. cit. , p. 289 .
- (13) - Brosslard (ch) : " Les inscriptions arabes de Tlemcen " , Revue Africaine, 3^{ème} année , N° 14 , Novembre, 1858. p. 83 .
- (14) - كان تأسيس هذا المسجد في عهد علي بن يوسف بن تاشفين سنة 530 هـ / 1136 م ، وزيّنه يغمراسن بن زيان ببناء منذنته . انظر : - يحيى بن خلدون : ج 01 ، ص 116 . وانظر أيضا : - رشيد بورويبة : " جولة عبر مساجد تلمسان " ، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 26 ، 1975 ، ص 172 .

مدين (1) ، ومسجد سيدي إبراهيم (2) ، ومسجد سيدي أبي الحسن (3) ، ومسجد أولاد الإمام (4) ،
ومصلى العباد السفلي (5) ، كما بنى المرينيون بمدينة تلمسان مسجدي سيدي الحلوي (6) ،
و المنصورة (7) .

و قد تأثرت المساجد بنظام المدرسة في التعليم واتجاهاته منذ منتصف القرن الثامن
الهجري (14م) ؛ وأصبحت الدولة تتدخل في تعيين الأساتذة ، والمدرّسين فيها (8) ، كما كانت
هذه المساجد مكانا لاجتماعات الصوفية (9) ، والاجتماع على الذكر وتلاوة القرآن وكتب
الوعظ (10) .

-
- (1) - وهو مشهور بمسجد " سيدي الهواري " ، بنى هذا المسجد السلطان أبو الحسن المريني ، ذكره ابن مرزوق بناءه بقوله : " ... وكان بناؤه على يد عمي وصنو أبي الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق ، وعلى يدي " . انظر :
- ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 403 ، 404 . وانظر أيضا : رشيد بورويبة ، موسى لقبال ، وآخرون : المرجع السابق : ص 500 - 501
- رشيد بورويبة : " جولة عبر مساجد تلمسان " ، المقال السابق ، ص 178 .
- (2) نسبة إلى إبراهيم المصمودي (ت805هـ/1403م) ، أسسه السلطان أبو حمّو موسى الثاني ؛ لكن الأستاذ عبد الحميد حاجيات ذهب إلى أنّ أبا حمّو لم يبن هذا المسجد بل بنى في هذا المكان بعد دفن والده بالمدرسة . انظر : - رشيد بورويبة : " جولة عبر مساجد تلمسان " ، المقال السابق ، ص 176 .
- عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص 181 ، 182 .
- (3) - أسس سنة 696هـ/1296م ، ويمتاز بسواريه و تيجانه ومحرايه وسقفه ومئذنته .
انظر : - ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 402 ، 403 . وانظر أيضا :
- رشيد بورويبة : " جولة عبر مساجد تلمسان " ، المقال السابق ، ص 496 ، 497 .
- رشيد بورويبة ، موسى لقبال ، وآخرون : المرجع السابق : ص 176 .
- وأيضا :
- Atallah Dhina : Les Etats de L'occident Musulman...., op. cit . , p . 295 .
- William Marçais , Georges Marçais : Les Monuments de Tlemcen , Ancienne Laibrairie thorin et Fils , Paris , 1903 , pp . 170 - 184 .
- (4) - شيّد هذا المسجد بعد مسجد أبي الحسن بأربع عشرة سنة ، من طرف الأمير الزياني أبي حمّو بجانب المدرسة القديمة .
انظر : - رشيد بورويبة : " جولة عبر مساجد تلمسان " ، المقال السابق ، ص 176 .
- رشيد بورويبة ، موسى لقبال ، وآخرون : المرجع السابق : ص 176 .
وأيضا :
- Atallah Dhina : Les Etats de L'occident Musulman.... , op. cit . , p . 295 .
- William Marçais , Georges Marçais : op . cit . , pp . 185- 186 .
- (5) - ذكره عبدالعزيز فيلالي باسم مسجد الرحمة ، وهو غير مسجد أبي مدين بالعبّاد . انظر : عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 161 .
- (6) - بناه السلطان المريني أبو عنان سنة 754هـ/1353م ، وهو يشبه مسجد سيدي أبي مدين ، وهو من آثار بني مرين بتلمسان .
انظر : التميري : المصدر السابق ، ص 488 .
- (7) - أسس هذا المسجد أثناء حصار المرينيين لتلمسان ، ويمتاز بالأخص بمئذنته التي يبلغ ارتفاعها 38 مترا ، وبناه السلطان المريني أبو يعقوب يوسف .
انظر : - رشيد بورويبة : " جولة عبر مساجد تلمسان " ، المقال السابق ، ص 177 .
- رشيد بورويبة ، موسى لقبال ، وآخرون : المرجع السابق : ص 499 - 500 .
وأيضا :
- Atallah Dhina : Les Etats de L'occident Musulman... , op. cit . , pp . 297- 299 .
- William Marçais , Georges Marçais : op . cit . , pp . 192 – 222 .
- (8) - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 349 .
(9) - عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق ، ص 81 .
(10) - الونشريسي : المصدر السابق ، ج 11 ، ص 60 ، 61 .

وأدت الزوايا دوراً لا يغفل في خدمة التعليم ببلاد المغرب الإسلامي⁽¹⁾ ، من تلاوة للقرآن وتعليم لأبناء المسلمين ، خاصة التي تأوي الصوفية المعتدلة ، الذين كان يرأس كل جماعة منهم شيخ يتخذونه قدوة لهم⁽²⁾ ، كما كانت تقام في الزوايا دروس لقراءة العلم ؛ من ذلك زاوية عين الزميت التي بناها السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (839-893هـ/1435-1488م) ، التي جعل فيها جامعاً للصلاة ودرسا لقراءة العلم⁽³⁾ ، كما كانت الربط⁽⁴⁾ الصوفية في عداد المراكز التعليمية ، واشتهر منها في المغرب رباط أبي زكرياء الحاجي بمدينة سلا⁽⁵⁾ .

ج - المدارس⁽⁶⁾ :

ظهرت المدارس في بلاد المغرب الإسلامي مع النصف الأول من القرن السابع الهجري (13م)⁽⁷⁾ ، ولقد اهتمت الدول الثلاث التي حكمت بلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م) ببناء المدارس التعليمية والإشراف عليها .

وأسست بمدينة تلمسان خمس مدارس للتعليم⁽⁸⁾ ، وصفها الجغرافي الحسن بن محمد الوزان الفاسي (توفي بعد سنة 957هـ/1550م) بقوله : "... وتوجد بتلمسان ... خمس مدارس حسنة ، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء ... شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس"⁽⁹⁾ ،

(1) - Atallah Dhina : Les Etats de L'occident Musulman.... , op. cit . , p . 304 .

(2) - الونشريسي : المصدر السابق ، ج 11 ، ص 46 ، 47 .

(3) - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 156 .

(4) - الرباط : هو موضع لمراقبة تحركات العدو ورصدها على طول الساحل ، كما يعد مكانا للتعليم والعبادة .

انظر : - ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 397 . انظر أيضا : - بشير رمضان التليسي : المرجع السابق ، ص 412، 413 .

(5) - محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 261 .

(6) - يذهب المقرئ (ت 845هـ) أنّ المدرسة مشتقة من الفعل "درس الكتاب" يدرسه درسا ودراسة ، إذا كرّره للتمكن منه ، ودارست ودرست ،

والمدرّس ، وهو الموضع الذي يدرس فيه ، والمدرسة منشأة من مستحدثات الإسلام فلم تكن معروفة قبله ، وقال أنّ : " المدارس مما حدث في الإسلام

... وإنما حدث عملها في المائة الرابعة من سني الهجرة ، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور ، التي بنيت بها المدرسة البيهقية "

لصاحبها الفقيه أبي بكر البيهقي (ت 454هـ/1062م) ، وأول من عمم بناء المدارس في المدن الوزير السلجوقي نظام الملك (ت 485هـ/1092م) .

انظر : - المقرئ : المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار التحرير للطبع والنشر ، مصر ، 1968 م ، ج 03 ، ص 313 ، 314 .

- عبد العزيز لمرج : "المدارس الإسلامية ، دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها" ، مجلة الدراسات الإنسانية ، العدد 01 ، 1421هـ ، 2001م ، ص 113 .

- مبارك بن محمد الملي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم : محمد الملي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1396هـ ،

1976م ، ص 865 .

(7) - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 141 .

(8) - ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص 48 . انظر أيضا : - عبد الحميد حاجيات : " تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط " ،

مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، العدد 10 ، 1997م ، ص 128 . انظر : خريطة مرافق تلمسان ، ص 45 .

(9) - حسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 19 .

وكانت أولى تلك المدارس⁽¹⁾ مدرسة ابني الإمام⁽²⁾ ؛ التي أمر ببنائها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأوّل (707-718هـ/1308-1318م) ، سنة 710هـ/1310م⁽³⁾ ، ولمّا صارت هذه المدرسة لا تكفي لكثرة عدد الطلبة أقدم السلطان أبو تاشفين بن حمو (718-737هـ/1318-1336م) على بناء المدرسة التاشفينية بجانب الجامع الأعظم⁽⁴⁾ ، التي كانت تسمّى في حياته باسمه ، ثمّ دُعيت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته⁽⁵⁾ ، وبنائها تكريمًا للفقير أبي موسى عمران المشذالي⁽⁶⁾ (ت745هـ/1344م) .

وشيّد السلطان أبو الحسن المريني (732-752هـ/1331-1351م) أثناء استيلائه على المغرب الأوسط ومدينة تلمسان⁽⁷⁾ ، مدرسة العبّاد⁽⁸⁾ " الجميلة جدًا " ⁽⁹⁾ ، سنة 747هـ/1447م⁽¹⁰⁾ ، والتي أطلق عليها أيضا اسم المدرسة الخلدونية بعد ذلك⁽¹¹⁾ ، كما قام ابنه السلطان أبو عنان (749-759هـ/1348-1358م) ببناء مدرسة سيدي الحلوي شمال مدينة تلمسان⁽¹²⁾ ، أثناء استيلائه عليها سنة 754هـ⁽¹³⁾ /1454م .

وقام السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1358-1388م) ببناء المدرسة اليعقوبية تخليدا لوالده السلطان أبي يعقوب (ت763هـ/1362م)⁽¹⁴⁾ ، واستغرق

-
- (1) - عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص 138 .
(2) - نسبة إلى الإمامين أبي زيد عبد الرحمان وأخيه أبي موسى عيسى ، ابنا الإمام محمّد بن عبد الله ، اللذان عيّهما السلطان للتدريس فيها . انظر :
- ابن مريم (الشريف التلمساني) : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، عناية وطبع : محمّد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1326 هـ ، 1986 م ، ص 126 .
(3) - محمّد بن عمرو الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د . ت) ، ص 122 .
(4) - التنسي : المصدر السابق ، ص 140 ، 141 .
(5) - عبد العزيز لعرج : " المدارس الإسلامية ، دواعي نشأتها وظروف تطوّرها وانتشارها " ، المقال السابق ، ص 120 .
(6) - من أكبر فقهاء عصره أصله من "زاوّة بجاية" ، قال يحيى بن خلدون : " توفي في حدود خمس وأربعين وسبعائة " ، وقال عنه أيضا : " لم يكن في معاصريه أحد مثله علما بمذهب مالك ، وحفظا لأقوال أصحابه ، وعرفانا بنوازل الأحكام ، وصوابا في الفتيا " .
انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 72 وأيضا : - التنسي : المصدر السابق ، ص 141 .
(7) - استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان من سنة 737هـ/1337م إلى غاية 749هـ/1348م .
انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص ص 109 - 111 .
(8) - بنيت هذه المدرسة فوق ربوة مطلة على تلمسان إلى جانب مسجد العبّاد ، وروضة أبي مدين ، وتبعد العبّاد عن تلمسان بأقل من كليومترين .
انظر : - ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 406 . وأيضا : - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 24 .
(9) - كما وصفها المستشرق غوستاف لويون بأنها تعدّ من أهم المباني من نوعها في إفريقيا . انظر : - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 24 .
وأيضا : - غوستاف لويون : حضارة العرب ، تر : عادل زعتر ، مطبعة عيسى البابي وشركاه ، (دون مكان الطبع) ، 1969 ، ص 260 .
(10) - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 142 . انظر أيضا : - غوستاف لويون : المرجع السابق ، ص 260 ..
(11) - عبد العزيز لعرج : " المدارس الإسلامية ، دواعي نشأتها وظروف تطوّرها وانتشارها " ، المقال السابق ، ص 132 .
(12) - بنيت هذه المدرسة بجانب ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي ، الملقب بالحلوي (ت في أوائل القرن 07هـ/13م) .
انظر : - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 144 .
(13) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 162 ، 163 .
(14) - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 144 .

بناؤها أكثر من سنة ونصف ؛ فقد انتهى من إنجازها سنة 765هـ⁽¹⁾/1364م ، ثم نقل رفات أبيه وعمّيه السُلْطَانَيْنِ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي ثَابِتٍ وَدَفَنَهُمْ فِيهَا ، وَاحْتَفَلَ بِهَا وَأَكْثَرَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَوْقَافِ⁽²⁾ ، إِضَافَةً إِلَى الْمَدْرَسَةِ الَّتِي بَنَاهَا أَوْ رَمَّمَهَا⁽³⁾ السُّلْطَانُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْعَاقِلُ (834هـ - 866هـ/1430-1462م) بِتَلْمَسَانَ⁽⁴⁾ .

وتنافس السلاطين المرينيون على تشييد المدارس والإنفاق على مرتاديهيها من الطلبة و المدرّسين الذين كانوا يتلقون الجراية⁽⁵⁾ ، فبنوا الكثير من المدارس بمدينة فاس⁽⁶⁾ ، وبالمدن المغربية الأخرى⁽⁷⁾ ، وأول تلك المدارس مدرسة الحلفاويين التي بناها السلطان أبو يوسف يعقوب (656-685هـ/1258-1286م) سنة 670هـ/1271م ، وتُعرف باسم " المدرسة اليعقوبية " ، أو "مدرسة الصفارين"⁽⁸⁾ ، وبناها قرب سوق صناعة النحاس⁽⁹⁾ بعدوة القرويين بمدينة فاس⁽¹⁰⁾ ، وأوقف عليها كتب العلم⁽¹¹⁾ ، كما قام السلطان أبو سعيد عثمان (709-731هـ - 1309-1331م) ببناء مدرسة العطارين⁽¹²⁾ بإزاء جامع القرويين ، وحضر بنفسه بنائها⁽¹³⁾ الذي انتهى سنة 723هـ/1342م⁽¹⁴⁾ .

وأقدم السلطان أبو الحسن المريني (732-752هـ/1331-1351م) على بناء مدرسة الصهريج غربي جامع عدوة الأندلس بمدينة فاس⁽¹⁵⁾ ، ومدرسة

(1) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 136 .

(2) - التنسي : المصدر السابق ، ص 180 .

(3) - ذهب الأستاذ محمد بوعبيد - محقق كتاب التنسي - إلى القول بأنه رَمَّمَهَا ولم يبنها ، وقال : " فعل بنى هنا إستعمل في غير مكانه ، ونظن أنه كان من الأفضل إستعمال كلمة رَمَّم " . انظر : - نفسه : ص 247 ، 248 (الهامش) .

(4) - بزواوية أبي علي حسن بن مخلوف في تلمسان . انظر : - نفسه : ص 248 .

(5) - عبد الله العمراني : " جامعة القرويين " ، المقال السابق ، ص 162 ، 163 .

(6) - روجي لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 173 .

(7) - من ذلك أن السلطان أبو الحسن أنشأ مدارس في كبريات مدن مملكته تقريبا ، في تازة ، ومكناس ، وسلا ، وطنجة ، وسبتة ، وأنفا ، وأزمور ،

وأغمات ، ومراكش ، والقصر الكبير ، والعياد . انظر : -

(8) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 357 .

(9) - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 111 .

(10) - ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 405 .

(11) - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 111 .

(12) - وسميت بالعطارين لأنها تقابل سوق العطارين بمدينة فاس . انظر : - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 358 .

(13) - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 112 .

(14) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 358 .

(15) - انظر وصف هذه المدرسة : - نفسه : ج 03 ، ص 112 .

وأيضا : - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 362 .

السَّبْعِين⁽¹⁾ ، والمدرسة المصباحية⁽²⁾ أو مدرسة الرُّخَام⁽³⁾ ، الكائنة في جامع القرويين⁽⁴⁾ ، والتي أقام إلى جانبها منزلاً لإقامة الطلبة⁽⁵⁾ . وقام السلطان أبو عنان (749—759هـ / 1348—1358م) بعده ببناء مدرسة بسوق القصر بمدينة فاس حملت اسمه " البوعنانية"⁽⁶⁾ ، وابتدأ بناءها سنة 751هـ / 1350م ، و فرغ منها سنة 756هـ / 1355م⁽⁷⁾ .

وعرفت بلاد المغرب الأدنى بدورها تشييد المدارس التعليمية ، بل كان سلاطينها سبّاقين إلى بنائها في بلاد المغرب ، فبينما ظهرت أوّل مدرسة بمدينة فاس في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف المريني(656—685هـ / 1258—1286م) ، كانت توجد في مدينة تونس أثناءها ثلاث مدارس⁽⁸⁾ ، وأوّل مدرسة أسّست بإفريقية وبلاد المغرب كلها قام ببنائها السلطان أبو زكرياء الحفصي(624-647هـ / 1227-1249م) سنة 633هـ / 1235م⁽⁹⁾ ، بالقرب من جامع القرويين بسوق الشّماعين ؛ لذلك سمّيت بـ " الشّماعية "⁽¹⁰⁾ ، وعرف القرن السابع الهجري (13م) بناء مدرستي الهواء أو التوفيقية⁽¹¹⁾ ، ومدرسة المعرض أو المعرضية⁽¹²⁾ ،

(1) - وسمّيت بذلك لأنها كانت خاصّة بالطلبة الذين يقرؤون القرآن بالروايات السبع ، وكانت في الحقيقة ملحقة بمدرسة الصهريج . وقد ذهب الأستاذ عطاء الله دهينة إلى القول بأنّ الذي بناها هو السلطان أبو سعيد عثمان سنة 721هـ / 1323م . انظر : عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 362 .

- Atallah Dhina : Les Etats de L'occident Musulman.... , op. cit . , p . 311

(2) - سمّيت بالمصباحية نسبة إلى الأستاذ أبي الضياء مصباح بن عبد الله الياصوتي ، الذي كان أوّل من تصدى للتدريس فيها .

انظر : - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 359

(3) - نجاح القابسي : " المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي " ، المقال السابق ، ص 190 .

(4) - ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 406 .

(5) - نجاح القابسي : " المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي " ، المقال السابق ، ص 190 .

(6) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 360 .

(7) - العربي الصقلي : مذكرات من التراث المغربي ، الخزانة العامّة والأرشيف ، الرباط ، المغرب ، 1985 م ، ج 03 ، ص 33 .

(8) - عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق ، ص 139 .

(9) - عبد العزيز لعرج : " المدارس الإسلامية ، دواعي نشأتها وظروف تطوّرها وانتشارها " ، المقال السابق ، ص 119

(10) - روبرار برنشفيك : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 382 .

(11) - قامت الأميرة عطف أمّ السلطان المستنصر بإنشائها ، والملاصقة للجامع الذي بنته بمدينة تونس .

انظر : - ابن الشّماخ : المصدر السابق ، ص 63 .

- عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق ، ص 139 . - روبرار برنشفيك : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 382 .

- Atallah Dhina : Les Etats de L'occident Musulman.... , op. cit . , p . 31 .

(12) - بناها السلطان أبو زكرياء بن أبي إسحاق الأوّل(678-683هـ / 1279-1283م) في حي الأسواق ، وذلك قبل سنة 682هـ / 1282م .

انظر : - Atallah Dhina : Les Etats de L'occident Musulman.... , op. cit . , p.310

- روبرار برنشفيك : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 382 .

كما تواصل بناء مدارس أخرى بمدينة تونس في الفترة اللاحقة ؛ كالمدرسة العنقية (1) والمغربية (2) ، والعصفورية (3) ، والمنتصرية (4) ، والحفاويين (5) ، ومدرسة باب البحر (6) .

وكان الهدف الذي من أجله بُنيت المدارس في بلاد المغرب الإسلامي ، هو اختصاصها منذ قيامها بنشر العلوم الدينية والشرعية على المذهب المالكي (7) وإحيائه ، رغم أن علماء المالكية بالمغرب لم ينظروا إليها بعين الارتياح ، لِمَا ينطوي تحت إنشائها من أغراض سياسية (8) .

د - المكتبات والخزانات :

كان من نتائج تطوّر الحركة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي ، نمو حركة التأليف ونسخ الكتب ؛ مما أدى إلى انتشار الخزانات في المدارس والجوامع والقصور ، كما كان اهتمام السلاطين بهذه الخزانات ووقفها لطلبة العلم عاملا مساهما في انتشارها ببلاد المغرب .

وقد تنافس الفقهاء والخطاطون والطلبة ، وحتى بعض السلاطين الزيانيين على نسخ المصاحف والكتب ، و تحبيسها على المدارس والمساجد والزوايا ، مما أدى إلى تطوّر فن النسخ والوراقة وازدهاره بمدينة تلمسان (9) ؛ من ذلك وقف السلطان أبي حمو موسى الثاني

-
- (1) - بنتها الأميرة فاطمة بنت الأمير أبي زكرياء الحفصي سنة 733هـ / 1333 م ، وكانت ترأب سير التعليم فيها بنفسها ، و ذكر عبد العزيز الدولاتي أن اكتمال بنائها كان سنة 741هـ / 1341م ، و سميت المدرسة العنقية بهذا الاسم نسبة إلى اسم الزقاق الواقعة فيه ، وهو نهج عنق الجمل .
انظر : - عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق ، ص 140 . وأيضا : - محمّد الهادي العامري : المرجع السابق ، ص 118 .
- (2) - تنسب إلى الشيخ أبي محمّد عبد الله المغربي من رجال العلم والصلاح . انظر : - محمّد الهادي العامري : المرجع السابق ، ص 118 .
- (3) - الموجودة بدرب عبد السلام ، وسميت بالعصفورية نسبة إلى ابن عصفور عالم النحو الشهير ، وجاء ذكرها في تحبيس على مصحف يعود تاريخه إلى شوال 742هـ / مارس 1342م . انظر : - عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق ، ص 140 .
- (4) - هي التي شرع تشييدها السلطان المنتصر في سوق الفلقة ، سنة 838هـ / 1434م ، وسميت باسمه المنتصرية ، وأتمّ بناءها أخوه السلطان أبو عمرو عثمان سنة 841هـ / 1438م ، وأوقف عليها وقفا كافيا . انظر : - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 156 ، 157 .
- (5) - الزركشي : المصدر السابق ، ص 114 . انظر أيضا : - عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق ، ص 140 .
- (6) - وتعتبر هذه المدرسة سنة جديدة سنّها السلطان أبو فارس عبد العزيز ؛ حيث جمع بين المدرسة التي بناها بباب البحر وبين ضريح أحد الأولياء ، بناها سنة 799هـ / 1399م . انظر : - الزركشي : المصدر السابق ، ص 115 ، 116 . وأيضا : - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 156 .
- (7) - عبد العزيز لعرج : " المدارس الإسلامية ، دواعي نشأتها وظروف تطوّر ها وانتشارها " ، المقال السابق ، ص 118 .
- (8) - عبد الله علي علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، المطبعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007م ، ص 292 .
- (9) - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 336 .

(760-791هـ/1369-1390م) خزانة للكتب سنة 760هـ/1359م ، وكتب عليها وقفية في ذلك (1) .

وتضاعفت الخزانات الخاصة و العامة التابعة للمساجد والمدارس والزوايا بالمغرب الأقصى مع تولي المرينيين الحكم (2) ؛ فقد بلغ عدد الخزائن العلمية بمدينة سبتة في عهدهم اثنتين وستين خزانة (3) ، وكان لسلاطين بني مرين مآثرٌ في جمع الكتب وإقامة المكتبات ؛ خاصة السلطان أبو يوسف يعقوب (656-685هـ/1258-1286م) الذي اهتم كثيرا باقتناء الكتب (4) ، ووصلت الخزانة الملكية المرينية على عهد السلطان أبي عنان (749-759هـ/1348-1358م) أوجها ؛ فقد كان متفانيا في خدمة الأدب وجمع الكتب ، وكانت له مكتبتين ، أكبرهما توجد في القصر الملكي في فاس ، والأخرى مكتبته المتقلة التي كان يحملها معه في رحلاته (5) ، كما زود مدينة فاس بخزانتين للكتب والمصاحف (6) ، ولتسهيل تلاوة القرآن على الناس أعدّ لخزانة المصاحف قيما بجرارية ، ليرضي رغبة الناس ويتناول المصاحف بالعناية والصيانة وردّها إلى مواضعها (7) .

وعرفت بلاد المغرب الأدنى إقامة خزائن ووقفها لطلبة العلم ، فقد قام السلطان أبو زكرياء الحفصي (657-678هـ/1277-1279م) لما بنى مدرسته بحمل الكثير من الكتب - ما يفوق الحصر عددا وحسنا - إليها (8) ، كما أقام السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز

(1) - جاء في هذه الوقفية : " أمر بعمل هذه الخزانة مولانا السلطان أبو حمو ابن الأمراء [كذا] الراشدين أيّد الله أمره وأعزّ نصره ونفعه كما وصل ونوى وجعله من أهل التقوى وكان الفراغ من عملها في يوم الخميس ثالث عشر لذي القعدة عام ستين وسبعمائة " . انظر : - Broslard (ch) : " Les inscriptions arabes de Tlemcen " , op . cit . , p. 90 - 91 .

(2) - أحمد شوقي بنين : المرجع السابق ، ص 73 .

(3) - الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 29 .

(4) - من ذلك عند فرضه شروط صلحه مع سانشو ملك قشتالة سنة 684هـ/1285م ، كان من بينها شرط يقضى بإرسال ملك قشتالة قدرا من الكتب العربية التي استولى عليها النصراري ، فأرسل له سانشو ثلاثة عشر حملا من الكتب القيمة ، هي التي كانت نواة المكتبة السلطانية بفاس . انظر : - نجاح القابسي : " المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي " ، المقال السابق ، ص 195 .

(5) - أحمد شوقي بنين : المرجع السابق ، ص 88 .

(6) - الجزنائي : المصدر السابق ، ص 111 ، 112 .

(7) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 332 .

وحول التطور التاريخي لمكتبة القرويين ، انظر :

- نزّهة بن خياط : " مكتبة جامع القرويين عبر التاريخ " ، المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات ، منشورات مركز البحوث في علم المكتبات والمعلومات ، تونس ، العدد 03 ، مارس 1985م ، (09 ، 25) .

(8) - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 156 .

(796-837هـ / 1394-1433م) خزانة كتب بجامع الزيتونة⁽¹⁾ ؛ وكانت مشتملة على أمّهات الدواوين ، وجعل لها مقصورة في الجامع وأوقفها على طلبة العلم ، شرط أن لا يخرج منها شيء خشية ضياعها ، وجعل لها قومة يقومون بها⁽²⁾ .

وقام السلطان أبو عمرو عثمان الحفصي⁽³⁾ (839-894هـ / 1435-1488م) بدوره بإخراج خزانة الكتب التي بقصره ، وجعل لها خزانة بالمقصورة الشرقية من الجامع الأعظم ، وقومة يقومون عليها وقت الانتفاع بها ، وأوقف عليها وقفا مؤبداً⁽³⁾ .

وإلى جانب هذه المؤسسات العلمية والتعليمية ، كان بعض الأساتذة والعلماء يعقدون حلقات خاصة في منازلهم مع طلبتهم وزائريهم⁽⁵⁾ ، كما كانت قصور السلاطين فضاء للنقاشات الفكرية والمسابقات العلمية⁽⁶⁾ .

ومن خلال استعراضنا للأوضاع العلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع (14 و15م) ، يتبين لنا أن سلاطين هذه الفترة أعطوا عناية كبيرة بالعلم والعلماء وشجّعوا - في معظمهم - كل ما يسهم في ازدهار الحركة الفكرية والعلمية في دولهم ، وكان التنافس بين البلاط المريني و الزياني و الحفصي من أهم الأسباب التي حدتْهم إلى ذلك ، بغبة جعل عواصمهم ودولهم أكثر إشعاعا واستقطابا للعلماء ورجال الفكر ، ومحاولة كل منهم الاستئثار بهذا الفضل . كما تميّزت الحياة العلمية بوفرة المرافق العلمية المختلفة ، وحرية التنقل بين أقطار المغرب المختلفة طلبا للعلم ونشره .

مما سبق أمكننا الوقوف على الأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري (14 و15م) ، والتي تميّزت سياسيا بقلّة الاستقرار الداخلي في الدول التي حكمت بلاد المغرب في هذه الفترة ، إضافة إلى طغيان الطابع التوسّعي والعسكري على العلاقات السياسية بينها . أمّا اجتماعيا فلاحظنا تشابها كبيرا

(1) - الزركشي : المصدر السابق ، ص 116 .

(2) - ابن الشّماع : المصدر السابق ، ص 114 .

(3) - نفسه : ص 124 .

(4) - محمّد المنوني : المرجع السابق ، ص 254 .

(5) - نجاح القابسي : " المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي " ، المقال السابق ، ص 192 .

في مكونات وعناصر مجتمع بلاد المغرب ، وفي عاداته وتقاليده وحياته اليومية ، والصعوبات التي واجهها أفرادها ، كما أنّ الوضع العلمي لم يتأثر كثيرا بعدم الاستقرار السياسي ، وتميّز عموما بازدهاره خاصّة القرن الثامن الهجري (14م) .

الفصل الثاني

دورُ علماء تلمسان في الحياة السياسية ببلاد المغرب الإسلامي
خلال القرنين (08 و 09 هـ / 14 و 15 م)

أولاً : علاقة علماء تلمسان بالسياسيين في بلاد المغرب :

01 – علاقة علماء تلمسان بالسلطة الحاكمة :

1 – 1 – علاقة علماء تلمسان بالسياسيين الزيانيين .

1 – 2 – علاقة علماء تلمسان بالسياسيين المرينيين .

1 – 3 – علاقة علماء تلمسان بالسياسيين الحفصيين .

02 – نظرة علماء تلمسان إلى العلاقة بينهم وبين السياسيين :

ثانياً : خدمات علماء تلمسان للسلطة السياسية في بلاد المغرب :

01 – أداء علماء تلمسان للبيعة :

02 – تولي علماء تلمسان للمناصب السياسية :

03 – دعم علماء تلمسان للسلطات القائمة بأعمال أخرى :

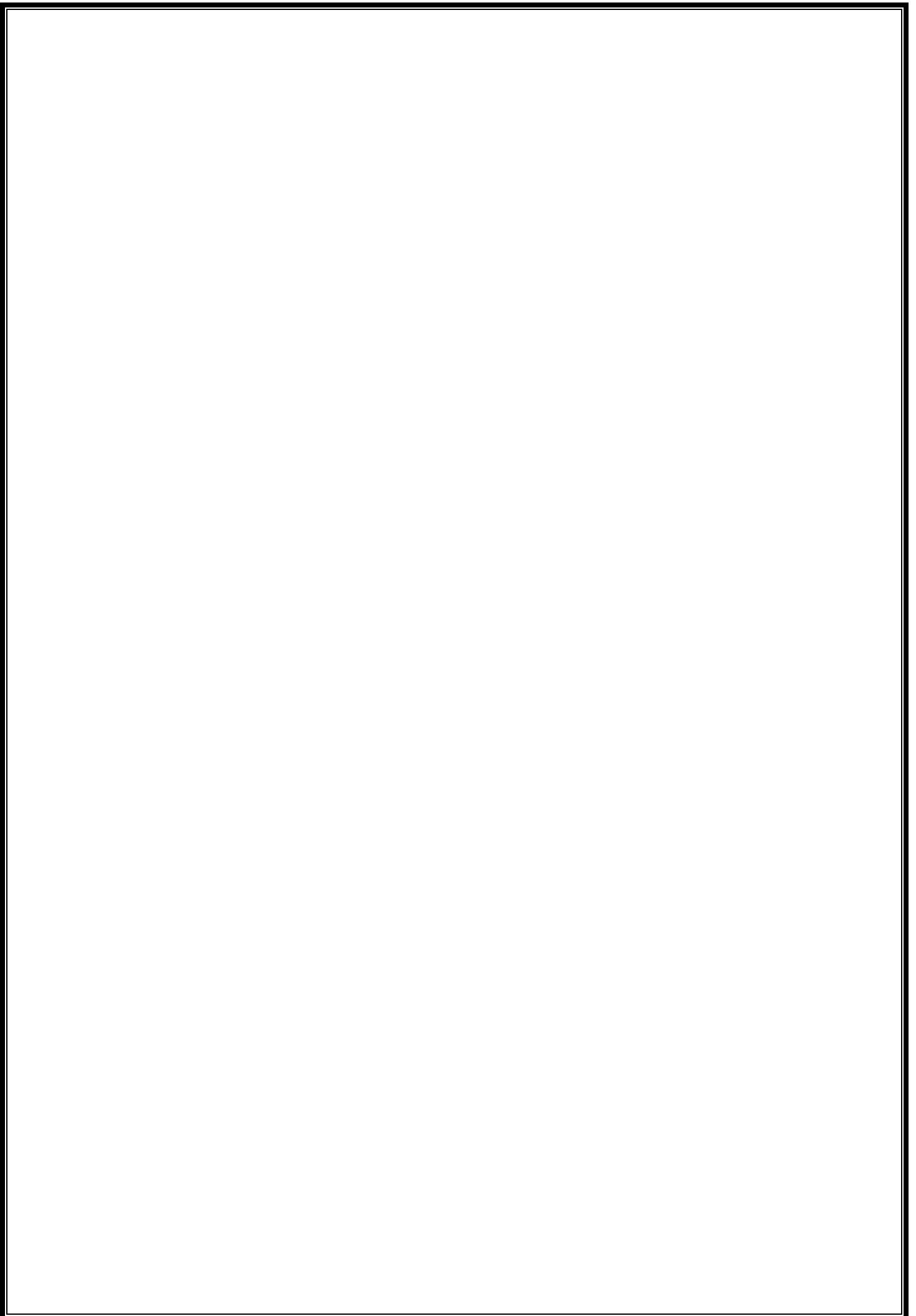
ثالثاً : دور علماء تلمسان في العلاقات والصراعات السياسية والعسكرية في

بلاد المغرب :

01 – دور علماء تلمسان في الصراعات السياسية في بلاد المغرب :

02 – مشاركة علماء تلمسان في الحياة العسكرية في بلاد المغرب :

03 – دور علماء تلمسان في المراسلات والسفارات :



دور علماء تلمسان في الحياة السياسية ببلاد المغرب الإسلامي

خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م)

تميّزت العلاقة بين العلماء والسلطة السياسية عبر التاريخ بعدة مظاهر ، فنجدها تارة تأخذ طابع التقارب والتعاون ؛ إمّا لحاجة السلطة في كسب مشروعية قيامها بذلك ، أو رغبة من الطرف الآخر في حماية ورضا هذه السلطة وتجنبًا لسخطها ، كما أمكن أن يكون هذا التوافق وُلِد أسباب وظروف أخرى . لكن في مقابل ذلك نجد هذه العلاقة في الكثير من الأحيان تُطبع بالإضطراب والصدام ، والفتور في أحسن الأحوال .

والتاريخ الإسلامي مليء بالأخبار عن العلاقة بين العالم والسلطة السياسية ، ممّا جعل مصادره حافلة بمثل هذه الأخبار ، وقد حاول فريق من العلماء فهم هذه العلاقة والتعرّض بالشرح لماهية الحكم أو السلطة ، وواجباتها ، وعلاقتها بالرعيّة ؛ فيما عرّف بكتب " السياسة الشرعية " (1) ، إضافة إلى ما أفردته الدراسات المعاصرة (2) من بحثها في هذه العلاقة ونتائجها وانعكاساتها .

أولاً - علاقة علماء تلمسان بالسياسيين في بلاد المغرب :

إنّ وقوع تلمسان عاصمة الزيانيين في الوسط بين دولتين ، كان كلّ منهما يخشاها ويطمع فيها ؛ وهما الدولة الحفصية والمرينية ، لم يمنع من أن تكون الحياة العلمية بها يانعة ، فهي ثالثة الحواضر الكبرى إلى جانب تونس وفاس ، وقد ظهر من أبنائها من ملأ صيبتهم بلاد المغرب والكثير من أصقاع العالم الإسلامي ، وتعدّى تأثيرهم مجال العلم إلى مجالات أخرى ، فهل كانت السياسة من ضمن تلك المجالات التي كان لعلماء تلمسان دورٌ فيها ؟ وما مدى تأثيرهم في أحداثها ؟

(1) - من الكتب التي ألفت في ذلك :

- الماوردي(أبو الحسن علي) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق : أحمد مبارك البغدادي ، ط1 ، مكتبة دار ابن قتيبة ، الكويت ، 1409هـ/1989م
- ابن تيمية(أبو العباس تقي الدين) : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعيّة ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، ط1 ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 1403هـ/1983م .

- ابن رضوان(أبو القاسم المالقي) : الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، تحقيق : علي سامي النشار ، ط1 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، 1404هـ/1984م .

- ابن الأزرقي(أبو عبد الله محمّد) : بدائع السلك في طبائع الملك ، دراسة وتحقيق : محمّد بن عبد الكريم ، الدار العربية للكتاب تونس ، 1397هـ/1977م .

(2) - من هذه الدراسات : - عبد العزيز البدري : الإسلام بين العلماء والحكام ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، السعودية ، 1385هـ/1965م .

- محمّد منير سعد الدين : العلماء عند المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع ، ط1 ، دار المناهل للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1992م .

01 - علاقة علماء تلمسان بالسلطة الحاكمة :

سيطر الحفصيون والزيانيون والمرينون على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) ، وهي الفترة التي عرفت بروز كوكبة من علماء تلمسان ، فما هي طبيعة العلاقة التي جمعتهم بالسلطة الحاكمة في بلاد المغرب ؟

1 - 1 - علاقة علماء تلمسان بالسياسيين الزيانيين :

ربط علماء تلمسان علاقات بالسلطة الزيانية بدءاً بمؤسسها السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م) ، الذي بذل جهداً كبيراً ليدفع بدولته للارتقاء إلى مستوى الدول المنافسة لها آنذاك⁽¹⁾ ، رغم أنّ المرحلة الأولى من حياة الدولة الزيانية (من 633هـ/1235م إلى 707هـ/1307م) تميّزت بطغيان العصبية القبلية ؛ مما جعل السلطان الزياني خلالها يتجنّب الانغماس في مظاهر الأبهة⁽²⁾ .

وكان العالم الفقيه أبو إسحاق التنسي⁽³⁾ (ت ما بين 689-703هـ/1290-1303م) أولّ العلماء التلمسانيين الذين نقلت لنا المصادر التاريخية علاقتهم بالسلطة الزيانية ؛ والتي يرجع الفضل في إقامتها إلى فقهاء تلمسان والسلطان يغمراسن بن زيان - المواظب على مجالسة الصلحاء وأهل العلم ، ويكثر من زيارتهم والبحث عنهم واستقدامهم إلى بلده - الذين دعوه للإقامة بتلمسان⁽⁴⁾ ، فقرّبهُ السلطان منه ونال عنده " أثر المنزلة " ⁽⁵⁾ .

(1) - يقول ابن خلدون عن يغمراسن بن زيان : " . فلما ولي هذا الأمر... سنة ثلاث وثلاثين ، قام به أحسن قيام ، واضطلع بأعبائه... وأحسن السيرة في الرعية... واتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح... وفرض العطاء ، واتخذ الوزراء والكتاب وبعث في الأعمال ، ولبس شارة الملك والسلطان واقتعد الكرسي" .
انظر: عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 07 ، ص 79 .

(2) - كانت العصبية القبلية حاضرة في جميع مراحل الدولة الزيانية ، لكن المرحلة الأولى منها تميزت بالقوة والعنفوان ؛ نظراً لتمامك العصبية العبد وادية وحول تأثير العصبية القبلية على العلاقات في المغرب الإسلامي ، انظر:
بوزياني الدراجي : " العصبية القبلية واثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي (من القرن 06 إلى القرن 09 هـ) " ، إشراف : موسى لقبال ، ماجستير في التاريخ الإسلامي ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1987/1988 م .

(3) - إبراهيم بن خلف التنسي ، يكنى بأبي إسحاق ، انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها ، هو من أهل تنس .
انظر ترجمته : - أحمد بابا التنبكي : كتابة المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، ضبط وتعليق : عبد الله الكندري ، ط 1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، 2002/هـ 1422 م ، ص 83 ، 84 . - التنبكي : نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، ج 01 ، ص 09 . - ابن مرزوق : المجموع ، مخطوط ، الخزنة العامة ، الرباط ، المغرب ، رقم 20 ، ط 40 وما بعدها . - الحفناوي (أبو القاسم محمد) : تعريف الخلف برجال السلف ، تقديم : محمد رؤوف القاسمي الحسني ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2007 م ، ج 01 ، ص ص 258 - 261 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 67 ، 68 .

(4) - كان التنسي يرد زائراً على تلمسان ويقدم أشهرها وينصرف إلى تنس ، إلى أن طلب منه الفقهاء والسلطان القيام بها فأجابهم .
انظر: الحفناوي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 258 .

(5) - ابن مرزوق : المجموع ، و 41 . انظر أيضاً : - التنسي : المصدر السابق ، ص 126 ، 127 .

وإذا كانت المصادر التاريخية قد ألمحت لنا عن العلاقة الحسنة التي كانت بين علماء تلمسان والسلطان يغمراسن بن زيان ؛ عندما اجتمعوا معه بأبي إسحاق التنسي طالبين منه الإقامة بتلمسان (1) ، فإنها لم تتحدث عن مشاركة العلماء في الحياة السياسية في هذه الفترة ، ولا عن العلاقة مع البلاط الزياني أثناءها .

وتبوءاً الفقيه الأصولي محمد بن إبراهيم الأبلي (ت757هـ/1356م) منزلة عالية في بلاط السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م) ، فذكر المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) أنه كان : " قهرمانا (3) بداره " (4) ، كما كانت الوصية الهامة التي سمعها الأبلي من السلطان أبي حمو - وكان قد أوصى بها السلطان يغمراسن لابنه عثمان حول العلاقة مع المرينيين (5) - فيها من الدلالة القاطعة على المنزلة التي حظي بها هذا الفقيه في البلاط الزياني .

وكان للعالمين الأخوين التلمسانيين أبي زيد عبد الرحمان بن الإمام (6) (ت743هـ/1342م) و أبي موسى عيسى (7) (ت750هـ/1349م) علاقة بسلاطين بني زيان ؛ فقد نالا في

(1) - ذكر الخطيب ابن مرزوق أن هذا الاجتماع تم في حانوت الخطيب أبي زيد بن أبي العيش بجانب الجامع الأعظم ، والذي كان مكان اجتماع العلماء . بينما ذكر التنسي أنه كان بالجامع الأعظم . انظر : ابن مرزوق : المجموع ، 41 . - التنسي : المصدر السابق ، ص 126 .

(2) - محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني ، الشهير بالأبلي ، نسبة إلى جبل قرب غرناطة ، انتقل أبوه وعمّه فاستخدما يغمراسن ، نشأ بتلمسان في كفالة جده القاضي ، ولد سنة 681هـ/1283م وتوفي سنة 757هـ/1356م . انظر ترجمته : ابن القاضي (أبو العباس) : درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق : محمد الحمدي أبو النور ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 1392هـ/1972م ، ص 265 .

- ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 191 ، 192 . وأيضا : - إبراهيم بن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دراسة وتحقيق : مأمون الجبان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1417هـ/1996م ، ص 219 ، 220 .

- عبد الرحمان بن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تعليق : محمد بن تاويت ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ، ص 21 ، 22 . و ص ص 33 - 38 . وأيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 214 ، 215 .

(3) - هو المُسَيَّرُ الحَفِيزُ على من تحت يديه ، وذهب أدي شير في كتابه أنها كلمة معربة من " قهر " العربية و " مان " الفارسية ؛ بمعنى صاحب الملك . انظر : - أدي شير إبراهيم : الألفاظ الفارسية المعربة ، ط2 ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ، مصر ، 1987 ، 1988م ، ص 152 .

(4) - عبد الرحمان بن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 92 .

(5) - ذكرها ابن خلدون بقوله : " حدثنا شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي ، قال : سمعت من السلطان أبي حمو موسى بن عثمان ... قال : " أوصى دادا يغمراسن لداد عثمان ... ، قال له : يا بني إن بني مريم بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم إذا أجمعوا لوفور مندهم ... فيالك واعتماد لقائهم " . انظر بقية الوصية : - المصدر نفسه : ج 07 ، ص 91 ، 92 .

(6) - عبد الرحمان بن محمد بن الإمام أبو زيد ، هو أكبر الأخوين المشهورين بابنا الإمام ، وهما من أهل برشك من أعمال تلمسان . انظر مصادر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص 123 - 125 ، - ابن خلدون : التعريف برحلة ابن خلدون ، ص ص 28 - 30 .

- التنبكي : نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، ج 01 ، ص 272 . - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص 178 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 03 ، ص 80 ، 81 .

(7) - مصادر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص 123 - 125 ، - ابن خلدون : التعريف برحلة ابن خلدون ، ص ص 28 - 30 .

- التنبكي : نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، ج 01 ، ص 325 . - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص ص 215 - 222 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 03 ، ص 186 ، 187 . وانظر ترجمته وترجمة أخيه : - الحفناوي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص ص 11 - 28 .

دولة السلطان أبي حمو موسى الأول قدمًا عالية وكان أشدّ اعتناء بهما (1) ، وهو ماتبواّه أيضا في عهد ابنه السلطان أبي تاشفين (2) (718-737هـ / 1318-1336م) ؛ الذي استحدثت في عهده وسائل جديدة ؛ متمثلة في المدارس ومجالس الفقه السلطانية المنظمة (3) . كما كان للفقير العالم أبي عبد الله محمد بن يحيى بن النّجار (4) (ت749هـ/1348م) علاقة به ، بعد أن ضمّه إلى حضرته (5) .

وتجلّت علاقة الخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق (6) (711-781هـ/ 1311-1379م) بالسلطة السياسية بتلمسان ، من خلال المهمة التي كلف بها من طرف السلطان الزياني أبي سعيد عثمان الثاني (749-753هـ/1348-1352م) لحمل السلطان أبي الحسن المريني (732-752هـ/1331-1351م) على عدم مهاجمة تلمسان ، والتي كانت سببا في سجنه من طرف الزيانيين (7) . كما حظي ابن مرزوق باستقبال حسن في بلاط السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1390م) وأفاض عليه من كرمه عند وروده عليه سنة 764هـ/1362م (8) .

-
- (1) - بنى لهما أبو حمو مدرسة في تلمسان داخل باب كشوط ، ودارين على جانبيها لسكناهما ، وجعل لهما التدريس فيها ، واختصّهما بالفتيا والشورى .
انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 100 . - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 31،30 .
- ابن مرزوق : المسند ، ص 390 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 126 .
- (2) - ابن خلدون : التعريف برحلة ابن خلدون ، ص 22 . انظر أيضا : ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 100 .
- (3) - صابرة خطيف : " فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791هـ/1235-1388م) " ، إشراف : محمد فرقاني ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 2004/2003 م ، ص 74 .
- (4) - هو أبو عبد الله محمد بن النجار ، من أهل تلمسان ، أخذ العلم ببلده ثم ارتحل إلى المغرب ، مات في طاعون عام 749هـ/1348م
مصادر ترجمته : - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 47 . - ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص 282 .
- ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 190 . / درة الحجال ، ج 02 ، ص 264 . - الحفناوي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 425 .
- (5) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 190 . وأيضا : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 264 .
- ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 47 . - الرصاع : المصدر السابق ، ص 42 .
- (6) - مصادر ترجمته : - ابن مرزوق : المجموع ، و 48- و 52 . . - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 49- 54 .
- ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 140 ، 142 / درة الحجال ، ج 02 ، ص 275 ، 276 . - مخلوف محمد : المرجع السابق ، ص 236 .
- ابن فرحون (ابراهيم بن نور الدين) : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دراسة وتحقيق : مأمون الجنان ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1417هـ/1996م ، ص 396 - 399 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 184-189 .
- (7) - ابن قنفذ (أبو العباس أحمد) : الوفيات ، تحقيق وتعليق ، عادل نويهض ، ط 4 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 1403هـ/1983م ، ص 373،374 .
(7) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 51 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 185 .
- ابن الخطيب (لسان الدين) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، ط 2 ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1393هـ/1973م ، ج 03 ، ص 54 .
- (8) - مؤلف مجهول : زهر البستان ، مخطوط بالمكتبة الجامعية جون ريلاندر ، مانشستر ، القسم العربي ، رقم 283 (نسخة مصورة) ، نقل عن : صابرة خطيف : " فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية " ، رسالة ماجستير سابقة ، (ملحق 3،4) ، ص 330 .

وتكشف علاقة الفقيه المفسر المجتهد العالم أبو عبد الله محمد الشريف⁽¹⁾ (ت771هـ—
 /1370م) بالسلطان أبي حمو موسى الثاني (760—791هـ/1359—1390م) عن قدره ومكانته
 عنده ، فبعدهما استفدته السلطان من مدينة فاس وأصهر له ابنته⁽²⁾ ، أسند له التدريس بالمدرسة
 التي أقامها على شرف والده السلطان أبي يعقوب⁽³⁾ ، وكان أثناءها يحبه ويعظمه⁽⁴⁾ . ومما
 يصور لنا ما كانت عليه منزلة أبي عبد الله الشريف وعلاقته برجال السياسة في وقته ، أنه
 " كان يجلس عند الملوك في أرفع المجالس ينصتون له " ⁽⁵⁾ ويجلّونه ويقدمونه⁽⁶⁾ .

كما أن الإمام الأصولي محمد بن يوسف السنوسي التلمساني⁽⁷⁾ (ت895هـ/1490م)
 — الذي ذكرت المصادر أنه يمقت العلاقة برجال السياسة — كان يقوم بقضاء حوائج الناس
 عند السلطان⁽⁸⁾ ؛ مما يحدونا إلى القول أن الشيخ السنوسي أقام علاقات بالسلطة السياسية
 القائمة ، وجعل من ذلك وسيلة لقضاء حوائج الناس .

ورغم ما صرح به الإمام الحافظ محمد بن عبد الجليل التنسي⁽⁹⁾ (ت899هـ/1494م)
 من النعم التي امتن بها عليه السلطان الزياني أبو عبد الله محمد المتوكل (866—873هـ—
 1462—1468م) بقوله : " ... ولما كنت في جملة من غمرته الآؤه ، وتواترت عليه نعمائه
 ... نهضت في خدمته بقدر طاقتي " ⁽¹⁰⁾ ، إلا أنه لم يفصح لنا عن هذه النعم التي غمرته ، ولا
 عن طبيعة العلاقة والخدمات التي قدمها للبلاد الزياني .

-
- (1) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 164-166 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 269 .
 - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص 338 . وأیضا :
 - مخلوف محمد بن محمد : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، مصر ، 1349هـ/1930م ، ص 234 .
 (2) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 64 . وأیضا : - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص 338 .
 (3) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 103، 104 . وأیضا : التنسي : المصدر السابق ، ص 179 .
 (4) - التنسي : المصدر السابق ، ص 179 .
 (5) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 174 .
 (6) - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص 243 .
 (7) - انظر ترجمته : - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص ص 445-448 / نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص ص 251-258 . - ابن مريم : المصدر السابق ،
 ص ص 238-244 . - مخلوف محمد : المرجع السابق ، ص 267 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ص 141، 142 .
 - الحفناوي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص ص 207 - 220 .
 (8) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 240 . وأیضا : - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 253 .
 (9) - انظر ترجمته : - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص 433 / نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص ص 260-261 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 248 .
 - ابن القاضي : درة الحجال ، ص 143 . - مخلوف محمد : المرجع السابق ، ص 267 .
 - الحفناوي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص 190 ، 191 .
 (10) - التنسي : المصدر السابق ، ص 107 ، 108 .

و يعكس سعيُ السلطة السياسية إلى تقريب العلماء منها وإكرامهم وإغداق النعم عليهم
— بغض النظر عن أهدافها — العلاقة القوية التي جمعت علماء تلمسان بالسلطين الزيانيين ؛
ومما نذكره في ذلك رغبة السلطان يغمراسن بن زيان (633—681هـ/1235—1282م) لقاء
العالم أبي عبد الله أحمد بن مرزوق⁽¹⁾ (ت681هـ/1282م) حين كان ينتقل إلى مسجد مرسى
الطلبة⁽²⁾ ، ولما تعذر عنه لقاءه أوصى أبناءه بأن يدفن هذا العالم إلى جانبه ، ورجاؤه من ذلك
كما قال : " لعلّ الله أن يرحمني بجواره " (3) .

كما أجلت حادثة أسرة ابن مرزوق مع أحد قضاة السلطان أبي سعيد عثمان (681-
703هـ/1282-1303م) ؛ وهو أبو زكرياء يحيى بن عصفور (كان حيًّا سنة 710هـ⁽⁴⁾) /
1310م) عن مكانة العالم أبي عبد الله بن مرزوق (ت681هـ/1282م) عند السلطة السياسية ،
فعندما أجبِر القاضي أرملة الشيخ ابن مرزوق بالتواطؤ مع أخيها على الزواج منها ، أقدم
السلطان على امتحانه وإخراجه مجرورا على الثلج وتكبيله وسجنه مدة ، قبل أن ينفيه إلى
تونس . وعاقبه بذلك رغم مكانة أسرة ابن عصفور بتلمسان أيضا⁽⁵⁾ ، والشخص المُعاقبُ هو
أحد قضاة السلطان ؛ مما يعكس لنا منزلة ابن مرزوق وأسرته عند السلطان أبي سعيد عثمان .
ومن جهة أخرى صورّ لنا الحوار⁽⁶⁾ الذي دار بين الشيخ أبي العباس أحمد بن
مرزوق⁽⁷⁾ (ت741هـ/1340م) والسلطان أبي تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1336م)
عن المكانة والمنزلة التي يحملها له السلطان رغم جفائه له ؛ كما جاء في قوله : "... وإن
أذنتَ لنا أن نزورك زُرناك " (8) . و تكرّرت تلك الزيارات من طرف العديد من السلطين ؛

(1) - انظر ترجمته : - ابن مرزوق : المجموع ، و 16 - و 40 .

(2) كان ابن مرزوق يتقاده ، إمّا بالإكثار من النافلة أو الخروج من المسجد دون أن يشعر به ، وعندما لم يتمكن من لقائه قال : " حجبنا الله عنه وبكى ،
ولكن الله يجمعني عنده في الآخرة " . انظر : - نفسه : و 04 .

(3) - نفسه : و 10 .

(4) - ذكر الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق أنه التقى به في تونس . انظر : - نفسه : ظ 09 .

(5) - نفسه : و 09 .

(6) - انظر : نص الحوار في الملحق رقم 02 ، ص 245 من الدراسة .

(7) - انظر ترجمته : - ابن مرزوق : المجموع ، ظ 2 - و 16 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 146 ، 147 .

- محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 275 .

(8) - ابن مرزوق : المجموع ، ظ 28 .

فقد كان الصوفي أبو علي الحسن بن مخلوف أبركان⁽¹⁾ (ت857هـ/1454م) يحظى بزيارة السلطان أبي العباس أحمد العاقل (834-866هـ/1431-1462م) ، الذي كان يسير إليه وهو في مجلس درسه فيتقدم إليه ليقبل يده ، ثم يجلس بإزائه⁽²⁾ .

كما كانت جناز العلماء فرصة أخرى لتبيان العلاقة التي ربطتهم بسلاطين بني زيان ، فقد عكس حضور السلطان وحاشيته فيها تلك المكانة التي أنزلتها إياهم السلطة الزيانية ؛ فحضر السلطان أبو سعيد بن يغمراسن (681-703هـ/1282-1303م) جنازة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم التنسي (ت مابين 689-703هـ/1290-1303م) بنفسه⁽³⁾ . وعند وفاة الفقيه أبي إسحاق إبراهيم المصمودي⁽⁴⁾ (ت805هـ/1402م) دُفن في المقبرة السلطانية بروضة آل زيان من ملوك تلمسان ، وحضر جنازته السلطان الزياني الواصل (870هـ/1465م) مشيا على الأقدام⁽⁵⁾ ، كما حضر جنازة العالم محمد بن مرزوق الحفيد⁽⁶⁾ (ت842هـ/1438م) كلّ الموكب السلطاني⁽⁷⁾ ، وممن حضر جنازة الفقيه الحافظ قاسم بن سعيد العقباني⁽⁸⁾ (ت854هـ/1450م) السلطان " ومن دونه " ⁽⁹⁾ ، وصلي عليه بالجامع الأعظم ، ودُفن قرب الشيخ ابن مرزوق⁽¹⁰⁾ ، وحضر السلطان الزياني في أكابر دولته جنازة الصوفي أحمد الغماري⁽¹¹⁾ (ت874هـ/1469م) وتأسف لفقدته بقوله : " ما رأيت مثل سيدي أحمد " ⁽¹²⁾ .

(1) - هو الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي، الشهير بأبركان ، وهو ابن أخت الإمام الشيخ السنوسي . انظر ترجمته : ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص 74-93 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ص 262 . - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص 428 .
- ابن سعد (محمد) : روضة النسر في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين ، مراجعة وتحقيق : يحي بو عزيز ، المؤسسة الوطنية والإشهار ، الجزائر ، 2004م ، ص ص 126 - 142 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 262 . - الحفناوي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص ص 395 ، 397 .
(2) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 88+87 .
(3) - التنسي : المصدر السابق ، ص 127 .
(4) - انظر ترجمته : ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص 64-66 . - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص ص 98،99 / نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص ص 44-42 . - الحفناوي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص ص 255 - 257 .
(5) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 66 .
(6) - هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق . ولد سنة 766هـ / 1364 م . انظر ترجمته : ابن مريم : المصدر السابق ، ص 208 .
- التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص ص 175-178 / كفاية المحتاج ، ص ص 391-395 . - الحفناوي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص ص 145 ، 161 .
(7) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 208 .
(8) - انظر ترجمته : - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص ص 13،14 . / كفاية المحتاج ، ص ص 281،282 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص 147،148 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 03 ، ص 282 .
(9) - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 13 . وأيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 148 .
(10) - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص 282 .
(11) - قال المؤرخ ابن سعد (ت901هـ/1496م) : " هو نزيل بلدنا تلمسان ، وهو من عرب رياح ، وقيل له الغماري لأنه كان سكن بطيوة وبلاد غمارة " انظر ترجمته : - ابن سعد : المصدر السابق ، ص ص 194-222 .
(12) - نفسه : ص 236 .

ولم تطبع علاقة العلماء بالسلطين الزينيين بالتفاهم والتقريب والإجلال فقط ، بل اجتاحتها رياح الخلاف والتوتر عدّة مرّات ، فقد دفع الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق (ت781هـ/1379م) ثمن قربه من السلطان وراح ضحيّة الخلاف بين الأخوين أبي سعيد عثمان ، وأبي ثابت اللذين حكما تلمسان (749-753هـ/1348-1352م) ؛ فبعدهما أرسل الأوّل - من غير مشورة أخيه - ابن مرزوق إلى السلطان المريني أبي الحسن من أجل الصلح ، اطلع أبو ثابت على ذلك ، فكان مصيره السجن (1) . وذكر صاحب " نفح الطيب " أنه رأى تعليقا لابن مرزوق حول ما اتهم به أنّه " رحل عنهم دسيسا " (2) ، قال فيه : " لم أر حل عنهم إلا بإذنهم واقتراحهم عليّ في الإصلاح بينهم ، لكنهم غدروا تقيّة على أنفسهم " (3) . وأوضح ابن مرزوق معاناته وأسرته أثناء سجنه بقوله : "...فأقمت في ثقافهم وسجنهم تسعة أشهر ، وكابدت ما يعظم الله أجره ... وبقي أهلي مدّة يعتقدون وفاتي... " (4) ، وكانت هذه المحنة دافعة لابن مرزوق على مغادرة موطنه والإستقرار بالأندلس (5) ما بين (752-754هـ/1351-1353م) .

واضطرّ الفقيه الأصوليّ محمد بن إبراهيم الأبلّي (ت757هـ/1356م) إلى الفرار من السلطان الزيناني أبي حمو موسى بن عثمان (707-718هـ/1307-1318م) متوجّها إلى المغرب (7) ؛ وكان سبب فراره رفضه " الوظيف " عند السلطان وضبط الجباية له (8) ، كما فرّ الفقيه المفتي أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (9) (ت914هـ/1508م) إلى مدينة فاس ، بعدما حصلت له حادثة مع السلطان (10) ، وانتهبت داره سنة 874هـ/1470م .

(1) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص54 . انظر أيضا : - المقرئ : نفح الطيب ، ج05 ، ص395،396 . - ابن مرزوق : المجموع ، و49 .

(2) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص54 .

(3) - المقرئ : نفح الطيب ، ج05 ، ص396 .

(4) - ابن مرزوق : المجموع ، و49 .

(5) - نفسه : و49 .

(6) - المقرئ : نفح الطيب ، ج05 ، ص392 .

(7) - أقدم السلطان الزيناني على إرسال من يبحث عنه . انظر : - المقرئ : نفح الطيب ، ج05 ، ص244 .

(8) - ابن خلدون : التعريف ، ص21 .

(9) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص53،54 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج01 ، ص92 / جذوة الإقتباس ، ص80 ، 81 .

- التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص73،74 . / نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص144،145 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص274 .

(10) - لم تذكر المصادر التي ترجمت له هذه الحادثة ، واكتفت بالقول : " حصلت له كائنة مع السلطان " .

(11) - الكتاني (محمد) : سلوة الأنفاس ومحادثّة الأكياس بمن أقيروا من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق : حمزة الكتاني ، المغرب ، (د.ت.) ، ج02 ، ص172 .

وكان من أسباب توثر العلاقة بين العلماء أو الرعيّة من جهة والسلطة السياسية من جهة أخرى ، الضرائب التي أثقلت كاهلهم وأبدت تذرهم تجاه السلطان (1) ؛ من ذلك ما قام به السلطان الزياني أبو مالك عبد الواحد (814-827هـ/1412-1424م) (2) ، حين سجن أحد شيوخ تلمسان وهو أحمد الحُصيني ؛ من أجل ضرائب فرضها عليها لكثرة أمواله . وقد زاد الأمر سوءاً تدخل الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1454م) - الذي كان قد أغضب السلطان حين مرّ عليه للتبرّك منه فلم يخرج إليه - ممّا جعل السلطان الزياني لايقبل وساطته ، وأمر بإخراج المسجون للضرب بالسياط نظير هذه الوساطة (3) .

1 - 2 - علاقة علماء تلمسان بالسياسيين المرينيين :

ربط عدد من علماء تلمسان بعلاقات بالسلطين ورجال السياسة المرينيين خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) ، وكانت هذه العلاقات ناتجة عن تعرّض مدينة تلمسان للإحتلال أو الحصار المريني عدّة مرّات والذي صاحبه التحاق بعض العلماء بالسلطة المرينية المتغلبة ، كما أنّ استدعاء سلاطين بني مرين لعدد آخر من العلماء إلى عاصمة ملكهم فاس ، أو الرحيل إليها بإرادتهم كانت مقدّمة لإقامة تلك العلاقات .

ويرجع أوّل احتكاك بين علماء تلمسان والسلطة المرينية إلى عهد السلطان أبي يعقوب يوسف (685-706هـ/1286-1306م) بالتحاق الفقيه أبي الحسن علي التنسي (4) (ت ما بين 700-706هـ/1300-1306م) ببلاطه إثر مغادرته تلمسان ، بعد حصارها الأوّل سنة 689هـ /1290م ؛ لاتهام سلطانها أبي سعيد عثمان الأوّل (681-703هـ/1282-1303م) له بالميل للمرينيين (5) ، " فتمكن من السلطنة وكان له فيها ما لم يعهد لمثله لفقيه مكانة

(1) - كان رفع المغارم من قبل السلطان يذكر من قبيل منحه ؛ من ذلك ما قام به أبو الحسن المريني بعد احتلاله تلمسان سنة 737هـ/1336م بأن : " رفع فيها [أي تلمسان] من المغارم ما كان شائعاً خسيماً ، ويجتمع فيه أموال المغرم على الحطب والبيض والدجاج والتين ، وسائر المرافق التي يقتقر إليها القوي والضعيف " . انظر : - ابن مرزوق : المسند الصحيح ، ص 285 .

(2) - كانت هذه فترة حكمه الأولى ، لأنه تولى للمرة الثانية ما بين (831-833هـ/1428-1430م) . - انظر : - الملحق رقم 01 ص 243 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص 76-78 .

(4) - هو جدّ الخطيب ابن مرزوق لأمه . انظر ترجمته : - ابن مرزوق : المجموع ، ط 17 ، و 18 .

(5) - نفسه : و 47 . وأيضاً : - ابن مرزوق : المسند ، ص 479 .

وحظوة ، وكان يغشى مجلس السلطان في كل يوم يجلس ، وكان يقوم له بعظمة اعتقادا فيه وفي أخيه أبي إسحاق " (1) .

وكان الفقيه أبو إسحاق التنسي(ت ما بين 689-703هـ/1290-1303م) قد حظي - أيضا - بمنزلة عالية في البلاط المريني ، فعندما شكر الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) السلطان أبا الحسن المريني على إنعامه عليه ، قال له : " لو رأيت مكان جدك التنسي [أبو إسحاق] عند أبي يوسف [يعني عمّه] لرأيت عجباً مبيناً " (2) . كما ربطت الفقيه أبا العباس أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني (ت741هـ/1340م) علاقة بالسلطان المريني أبي يعقوب يوسف(685-706 هـ / 1286 - 1306م) ؛ الذي أتمّ بنفسه عقد زواج ابن مرزوق بابنة الفقيه أبي إسحاق ابراهيم التنسي (3) .

وجمعت الفقيه ابن مرزوق الكفيف(ت741هـ/1340م) وأخوه أبي عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق (4) (ت747هـ/1346م) علاقة بالسلطان المريني أبي سعيد عثمان الثاني بن يعقوب(ت731هـ/1330م) عند إقامته بالعبّاد - أثناء حصار تلمسان في عهد أخيه السلطان أبي يعقوب يوسف - ولازما مجلسه " و كان لهما به إختصاص " (5) .

وإضافة لصلة الأخوين العالمين أبي زيد عبد الرحمان(ت743هـ/1342م) وأبي موسى عيسى (ت750هـ/1349م) ابني الإمام بالسلطة الزيانية ، فقد كانت لهما علاقة بالمرينيين ؛ فعند دخول السلطان أبي الحسن المريني(731-752هـ/1330-1351م) تلمسان سنة 737هـ/ (6) 1337م استدعاهما و " اختصّا به ، وأكرم مثواهما ، ورفع في

(1) - وذكر ابن مرزوق أيضا أن السلطان المريني أبي يعقوب افتداه هو وعائلته رفقة عائلة أخيه الحسن من تلمسان مقابل أبي العباس - أخ السلطان الزياني أبي سعيد عثمان - وبنيه .
انظر : - ابن مرزوق : المسند ، ص 479 .

(2) - ابن مرزوق : المجموع ، و 47 .

(3) - حول تفاصيل عقد هذا النكاح ، انظر : - نفسه : ظ 17 ، و 18 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 29، 30 .

(4) - انظر ترجمته : - ابن مرزوق ، المسند ، ص 117 وما بعدها .

(5) - نفسه : ص 117 .

(6) - حاصر أبو الحسن تلمسان ثلاث سنوات ، ثم دخلها سنة 737هـ/1337م .

انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 143 . وأيضا : - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 111 .

حضرته محلها ، وقرّب مجلسهما ، وصارا لديه أعزّ الفقهاء عليه وأقربهم إليه " (1) .
كما كان الفقيه أبو عبد الله محمد النجار⁽²⁾ (ت749هـ/1348م) ممّن ضمّه السلطان أبو الحسن
إلى مجلسه ونظمه في جملة عند احتلاله تلمسان⁽³⁾ .

وجمعت علماء تلمسان بعلاقات بالمرينيين بعاصمة ملكهم مدينة فاس ، فكان العالم
وإمام وقته وشيخ المغرب في العلوم العقلية محمد بن إبراهيم الأبلي⁽⁴⁾ (ت757هـ/1356م)
ممّن لازم السلطان المريني أبا الحسن بفاس ، الذي جعله من جملة العلماء بمجلسه⁽⁵⁾ . وكان
الأبلي قد فرّ من تلمسان حينما أجبر على الوظيف من طرف السلطان أبي حمو موسى بن
عثمان⁽⁶⁾ (707-718هـ/1307-1318م) ، والتحق بالمغرب أين تعمّق في دراسة العلوم
العقلية⁽⁷⁾ ، ليضمّه أبو الحسن إلى مجلسه بتزكية من شيخه ابني الإمام⁽⁸⁾ .

وكان من العلماء الذين ربطتهم علاقة بالسلطان المريني أبي الحسن ولازموه ،
الفقيه⁽⁹⁾ اللّغوي⁽¹⁰⁾ محمد بن عبد الله بن عبد النور التلمساني⁽¹¹⁾ (ت749هـ/1348م) ، الذي
نظرا لقدراته اللّغوية⁽¹²⁾ استحسّنه السلطان وضمّه لمجلسه⁽¹³⁾ . كما أقام أخوه الفقيه العالم
الفاضل أبو الحسن عليّ بن عبد النور⁽¹⁴⁾ (كان حيّا سنة 749هـ/⁽¹⁵⁾1348م) علاقة بالسلطان

-
- (1) - ابن مرزوق : المسند ، ص 265 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 126 .
- ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 46 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 03 ، ص 81 .
(2) - انظر ترجمته : ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 190/ درة الحجال ، ج 02 ، ص 264 . - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 47 .
(3) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 47 .
(4) - ابن مرزوق : المسند ، ص 266 .
(5) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 22 .
(6) - ابن مرزوق : المسند ، ص 266 . انظر أيضا : - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 22 - 36 .
(7) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 22 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 215 .
- ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 191، 192 .
(8) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 36 . انظر أيضا : - ابن مرزوق : المسند ، ص 266 .
(9) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 46 .
(10) - ابن مرزوق : المسند ، ص 267 .
(11) - انظر جوانب من حياته : - ابن مرزوق : المسند ، ص 267 .
(12) - وصفه ابن مرزوق بأنه : " كان أفصح الناس لسانا ، وأحسنهم طريقة ، وأعذبهم عبارة " . انظر : نفسه : ص 267 .
(13) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 46 .
(14) - انظر ترجمته : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 59 . ص 122 .
(15) - هي السنة التي التحق فيها بالسلطان أبي عنان . انظر : - نفسه : ج 01 ، ص 122 .

المرييني أبي عنان (749-759هـ/1348-1357م) ورافقه لما رجع إلى مدينة فاس سنة 749هـ/1348م ولازم مجلسه (1) .

كما كان من علماء تلمسان الذين ربطوا علاقات بالمريينيين ، الفقيه أبو عبد الله محمد المقرّي التلمساني⁽²⁾ (ت758هـ/1357م) الذي ندبه السلطان أبو عنان إلى بيعته لما نقض بيعة أبيه السلطان أبي الحسن بتلمسان سنة 749هـ/1348م ، ثمّ رحل معه إلى فاس⁽³⁾ ، وجعله من خواصّه المقرّبين ، ونظمه في مجلسه العلمي⁽⁴⁾ ، وبنى له المدرسة المتوكّلية بفاس⁽⁵⁾ . وقد سبقه الفقيه أبو العباس أحمد بن الحسن المديوني⁽⁶⁾ (ت768هـ/1330م) إلى ملازمة مجلس السلطان أبي الحسن المرييني فترات متعدّدة⁽⁷⁾ .

ولم يتخلف الفقيه المفسّر الأصولي الشريف أبو عبد الله الحسني التلمساني (ت771هـ/1370م) عن أقرانه من العلماء الذين احتضنهم البلاط المرييني ؛ فعندما سار السلطان أبو عنان إلى تلمسان سنة 753هـ/1352م وضمّها إلى ملكه ، استخلصه واختاره لمجلسه العلمي ، ثمّ رحل به إلى فاس⁽⁸⁾ ، وبقي عنده إلى سنة 759هـ/1358م ؛ سنة وفاة السلطان أبي عنان .

واعتبر الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) من أهمّ علماء تلمسان الذين ربطتهم علاقات وطيدة بالسلطة المريينية ، ممّا جعله يتبوأ أعلى المراتب ويحظى برعاية سلاطينها ؛ التي فاقت من ذكرنا من أبناء بلده تلمسان ، وحتى من أهل الحضرة المريينية

(1) - نفسه : ج01 ، ص 122 .

(2) - انظر ترجمته : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص43،44 . / جذوة الإقتباس : ص188،189 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص326،327 .

(3) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 60 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 155 .

(4) - المقرّي : المصدر السابق ، ج05 ، ص 264 .

(5) - المقرّي (أبو العباس أحمد) : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق : أحمد أعراب، وعبد السلام الهراس ، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي ، المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة ، 1978 ، ج 01 ، ص 05 .

(6) - هو من بني عزيز من أحواز تلمسان ، وهو جدّ الإمام ابن مرزوق الحفيد لأمه . انظر مصادر ترجمته :

- ابن القاضي : درة الحجال ، ج01 ، ص62،63 . - الونشريسي : المعيار ، ج 09 ، ص 36،37 . - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ،

ص 150 . - ابن مرزوق : المسند ، ص 267 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 47 . - الحفناوي : المرجع السابق ، ج01 ، ص 303 .

(7) - ابن مرزوق : المسند ، ص 267 .

(8) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 62،63 .

(9) - استدعاه بعد ذلك السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني(760-791هـ/1359-1389م) . انظر :

- ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 64 . وأيضا : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 338 .

نفسها . ويُعتبر الكتاب الذي صنّفه ، والذي ضمّته سردا لسيرة أحد سلاطين بني مرين⁽¹⁾ مصدرا مهماً لتتبع علاقته بالدولة المرينية ومدى قرّبه منها ومن الأحداث التي عايشها معها . وترجع علاقة الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) بالمرينيين بعد عودته من المشرق سنة 737هـ⁽²⁾/1337م ، والذي ما إن سمع به السلطان أبو الحسن المريني (731-752هـ/1330-1351م) حتى أوفد إليه من استقدمه وأوصله إليه⁽³⁾ ، وصورّ لنا المؤرّخ لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1375م) منزلته عنده بقوله : " فاشتغل عليه السلطان أبو الحسن...اشتمالا وخطه بنفسه " ⁽⁴⁾ ، وبعدهما سمعه يثني عليه في الخطبة بالجامع الذي بناه بتلمسان " اختصّه وقرّبه ، وهو في كلّ يوم يزيد رتبة " ⁽⁵⁾ . ونجد ابن مرزوق - نفسه - يحدّثنا عن تلك العلاقة التي ربطته بالسلطان أبي الحسن المريني ؛ فبعد توجّهه إلى مدينتي فاس وسلا سنة 740هـ/1340م صحبة السلطان ⁽⁶⁾ ، قال : " عدت إلى تلمسان فأقامت فيها أشهرا ، ثمّ استدعاني ... ألزم مجلسه وحضرته ، وعاملني بما يثنيه الله عليه في الآخرة ... ولازمته بمقصورة تلمسان ... " ⁽⁷⁾ .

وتواصلت هذه العلاقة مع سلطانين آخرين من بني مرين ، فقد استدعى السلطان أبو عنان (749-759هـ/1348-1357م) سنة 754هـ/1353م الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق - وكان آنذاك بالأندلس⁽⁸⁾ - فقدم عليه ، وجعله في أكابر أهل مجلسه ⁽⁹⁾ " في محلّ تجلّة وبساط قرب " ⁽¹⁰⁾ ؛ وعن ذلك قال ابن مرزوق : " ... فأكرمني ولازمت حضرته " ⁽¹¹⁾ ، إلى

(1) - عنون ابن مرزوق كتابه بـ " المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن " ومما قاله في مقدمته : "... وخبرت من سيره الجميلة

وخصاله الكريمة ، وشاهدت من شيمه العظيمة ما أعتقد أنّي اختصت في عصره بمعرفته ... " . انظر : - ابن مرزوق : المسند ، ص 92 .

(2) - ذكر ابن خلدون أنه عاد من المشرق سنة 735هـ / 1335م ، في حين المقرّي ذهب إلى أنه عاد سنة 733هـ / 1333 ، بينما أكد ابن مرزوق أنه عاد

سنة 737هـ/1337م . انظر : - ابن خلدون : التعريف ، ص 50 . - المقرّي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص 412 . - ابن مرزوق : المجموع ، و 49 .

(3) - ابن مرزوق : المجموع ، و 49 .

(4) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 52 . وأيضا : - المقرّي : المصدر السابق ، ج 05 ، ص 391 ، 392 .

(5) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 50 .

(6) - ابن مرزوق : المجموع ، و 49 .

(7) - نفسه : و 49 .

(8) نزل ابن مرزوق بالأندلس على السلطان أبي الحجاج بغرناطة سنة 752هـ/1351م ، بعد اتهامه في شأن الصلح بين الزيانيين والمرينيين . انظر :

- المقرّي : فنج الطيب ، ج 05 ، ص 392 - 413 . - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 53 . - ابن مرزوق : المجموع ، و 50 .

(9) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 52 .

(10) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 53 .

(11) - ابن مرزوق : المجموع ، و 50 .

غاية سنة 758هـ⁽¹⁾/1357م . كما آثر السلطان أبو سالم عند استيلائه على الملك المريني (760-762هـ/1359-1361م) الخطيبَ ابن مرزوق من جديد ، وجعل زمام الأمور بيده ⁽²⁾ ، وانفرد بمخالطته ⁽³⁾ حتى كان - كما ذكر صاحب الإحاطة - " لا يقطع في شيء إلا عن رأيه ، ولا يمحو ولا يثبت إلا واقفا عند حدّه ... فغشيت بابه الوفود ، وصرفت إليه الوجوه " ⁽⁴⁾ ، وبقي في حضرته إلى أن توفي السلطان ⁽⁵⁾ مقتولا سنة 762هـ⁽⁶⁾/1361م .

وتأرجحت علاقة علماء تلمسان بالمرينيين - كما كانت عليه مع الزيانيين - بين المنزلة الرفيعة والمكانة العالية والإكرام تارة ، والخلاف وعدم التفاهم تارة أخرى ؛ ومما يعكس لنا تلك المكانة ما ذكره السلطان أبو يعقوب المريني(685-706هـ/1282-1306م) أنه كان يحسّ بارتعاش في يده عند مصافحة الفقيه أبي إسحاق التنسي هيبة منه ⁽⁷⁾ . كما تتجلى لنا في إصرار السلطان أبي عنان(749-759هـ/1348-1357م) على دعوة الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) للقدوم من الأندلس إلى مدينة فاس " المرّة بعد المرّة " ⁽⁸⁾ منزلة هذا الأخير عنده ، وهو الذي كان أيضا مقربا عند السلطان أبي سالم المريني(760-762هـ/1359-1361م) ، الذي استأثر به و" خلطه بنفسه " ⁽⁹⁾ .

ولم تكن تلك المكانة التي نالها علماء تلمسان لتضعهم في مأمن من غضب وسخط المرينيين عليهم ؛ فلقد كان حرص السلطان أبي يعقوب المريني على إحكام الحصار على مدينة تلمسان ⁽¹⁰⁾ ، وإهدار دمّ كلّ من أخلّ بذلك من بني مرين وغيرهم ، سببا من أسباب

(1) - في هذه السنة توجه ابن مرزوق إلى تونس بعد تكليفه من طرف أبي عنان لخطبة ابنة السلطان الحفصي أبي يحيى ، والتي رفضت واختفت بتونس ؛ واتهم ابن مرزوق بأنه يعرف مكانها ، فأدى إلى سجنه من طرف أبي عنان . انظر :

- المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 413 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 185 .

(2) - المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 414 .

(3) - كان ذلك - حسبنا - في اتهام ابن خلدون لابن مرزوق بأنه سبب زوال ملك السلطان أبي سالم ، حيث قال : " ولم يزل ابن مرزوق أخذ في سعايته بي وبأمتالي من أهل الدولة غيره ومنافسة إلى أن انتقض الأمر على السلطان بسببه " . انظر : - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 76، 77 .

(4) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 59 .

(5) - ابن مرزوق : المجموع ، و 50 .

(6) - المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 414 .

(7) - نفسه : ظ 46 .

(8) - نفسه : و 50 .

(9) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 59 .

(10) - حاصر المرينيون مدينة تلمسان سبع سنوات من سنة 698هـ/1298م إلى غاية 706هـ/1307م . انظر :

- الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 85 . - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص ص 213-222 .

غضبه على الشيخ أبي العباس أحمد بن مرزوق⁽¹⁾ (ت741هـ/1340م) ، واجباره على الإقامة في إحدى الدور، قبل أن يفرج عنه بعد توسط جدّه أبي الحسن التنسي⁽²⁾ (ت ما بين 700-706هـ/1300-1306م) ، كما أقدم السلطان في هذا الحصار على تكبير أحد العلماء وهو أحمد بن صالح بن إبراهيم⁽³⁾ وأدخله السجن⁽⁴⁾ .

وعرف الخطيب ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) نفس المصير ؛ لاتهامه من طرف السلطان المريني أبي عنان(749-759هـ/1348-1357م) – الذي استدعاه من الأندلس سنة 754هـ/⁽⁵⁾1353م – بمعرفة مكان ابنة السلطان أبي يحيى الحفصي ؛ التي أرسله إلى مدينة تونس في خطبتها سنة 758هـ/1357م ، فرفضته واختفت ، فأمر السلطان بسجنه بسبب ذلك⁽⁶⁾ ، وبقي مسجوناً إلى أن أمر بإطلاقه قبل وفاته⁽⁷⁾ . وتكررت محنته مرّة أخرى على يدّ الوزير عمر بن عبد الله ؛ الذي استولى على ملك السلطان المريني أبي سالم سنة 762هـ/1361م ، فحبسه ثمّ أطلق سراحه بعد أن أراد الكثير من رجال الدولة قتله⁽⁸⁾ .

كما لم تشفع المنزلة التي حظي بها الفقيه أبو عبد الله محمّد الشريف التلمساني (ت771هـ /1370م) عند السلطان المريني أبي عنان من السخط عليه من قبله⁽⁹⁾ ، فاعتقله أشهراً ثمّ أطلقه أوائل سنة 756هـ/1355م وأقصاه من مهامه⁽¹⁰⁾ . وأقدم السلطان الأخير – أيضاً – على عزل الفقيه أبي عبد الله المقرّي(ت758هـ/1357م) من قضاء مدينة فاس سنة

(1) - كان ابن مرزوق يبعث لأخته وخاله بعض المون عندما كان هو بالعياد ، وتلمسان محاصرة من طرف المرينيين ؛ ممّا اعتبره السلطان وقوعاً في المحذور . انظر : ابن مرزوق : المجموع ، ط7 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 27 ، 28 .
(2) - بعد الإفراج عن ابن مرزوق ، أمر السلطان الفقيه أبي الحسن التنسي بأن يزوّج ابنة أخيه أبي اسحاق بابن مرزوق ، وأشرف بنفسه على هذا الزواج انظر : ابن مرزوق : المجموع ، ط7 ، و18 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 29 .
(3) - لم نعثّر على ترجمته .
(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 30 .
(5) - ابن خلدون : التعريف ، ص 53 .
(6) - نفسه : ص 53 . انظر أيضاً : ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص 54 . - المقرّي : نفح الطيب ، ج05 ، ص 395 .
(7) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 185 .
(8) - ابن مرزوق : المجموع ، و50 .
(9) - ابن خلدون : التعريف ، ص 53 .
(10) - سبب هذا السخط هو أن أبا عنان بلغه أن السلطان الزياني عثمان بن عبد الرحمان أوصى الشريف التلمساني على ولده ، وأودع له مالا عند بعض الأعيان من تلمسان ، وكان الشريف مطلع على ذلك . انظر : ابن خلدون : التعريف ، ص 63 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 176 .
(10) - ابن خلدون : التعريف ، ص 63 .

756هـ⁽¹⁾/1355م وامتحنه في ذلك ، ولمّا رفض العودة من الأندلس بعد إرساله برسالة سنة 757هـ⁽²⁾/1356 ، بذل أبو عنان جهداً لإعادته لحضرته ، وكان رجوعه إلى المغرب سنة 759هـ⁽³⁾/1356م بشفاعة⁽⁴⁾ من سلطان الأندلس⁽⁵⁾ . وذكر المؤرّخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) أنه : " استقرّ عطلا من الولاية والجراية "⁽⁶⁾ ، كما أنّه امتحن محنة أخرى من السلطان أبي عنان (749-759هـ/1348-1357م) ؛ الذي أمر بسحبته إلى مجلس القاضي لتنفيذ الحكم عليه في إحدى القضايا⁽⁷⁾ .

1 - 3 - علاقة علماء تلمسان بالسياسيين الحفصيين :

تكاد تكون علاقة الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) بالبلاط الحفصي هي الوحيدة التي عثرتُ عليها من خلال المصادر التاريخية - التي بين أيدينا - والتي لقي خلالها العالم التلمساني الإكرام والترحيب من قبل الحفصيين .

وقد أقدم الخطيب ابن مرزوق بعد إطلاق سراحه 762هـ⁽⁸⁾/1360م على مغادرة المغرب الأقصى ، وركب البحر إلى مدينة تونس سنة 764هـ⁽⁹⁾/1362م ، فلقى الحفاوة والترحاب من السلطان الحفصي أبي إسحاق (751-770هـ/1350-1369م) ووزيره أبي محمد بن تافراجين ، وتولى الخطابة بجامع الموحّدين ودرّس بمدرسة الشّمّاعين⁽¹⁰⁾ ، وأكرم أثناءها " إكرامًا عظيمًا " ⁽¹¹⁾ .

-
- (1) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 195 ، 196 . انظر أيضا : ابن خلدون : التعريف ، ص 60 .
(2) - المقرئ : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 209 .
(3) - ذهب ابن خلدون أنه عاد إلى المغرب سنة 757هـ/1356م . انظر : - المقرئ : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 280 . - ابن خلدون : التعريف ، ص 61 .
(4) - رجع المقرئ إلى المغرب مصحوبا بقاضي الجماعة أبي القاسم الحسني ، والشيخ الخطيب أبي البركات ابن الحاج للشفاعة في غرضه .
حول نص الشفاعة ، انظر : الملحق رقم 03 ، ص ص 246 ، 248 من الدراسة .
(5) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص ص 196 - 200 . انظر أيضا : - المقرئ : نفح الطيب ، ج 05 ، ص ص 209-214 .
(6) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص 61 .
(7) - سببها هو أنه حدثت بينه وبين أقاربه خصومة ، امتنع من الحضور معهم عند القاضي الفشتالي ، فأمر السلطان أكبر الوزعة بيباه بأن يسحبه إلى مجلس القاضي ، فاعتبرها الناس محنة . - نفسه : ص 61 .
(8) - كان ابن مرزوق قد ألقى عليه القبض وصودرت أملاكه ، وبعد مقتل السلطان المريني أبي سالم سنة 762هـ/1360م أطلق سراحه .
انظر : - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص 53 .
(9) - و ذهب ابن خلدون أنه استقر بتونس سنة 766هـ/1365م . نفسه : ص 53 . انظر أيضا : - المقرئ : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 414 .
(10) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص 53 ، 54 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 185 .
- التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 353/ . نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 111 ، 112 .
(11) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 186 .

وظلّ الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) على هذه المكانة في عهد السلطان الحفصي أبي البقاء خالد الثاني (770-772هـ/1369-1370م) إلى أن استولى السلطان أبو العباس على السلطنة الحفصية (772-796هـ/1370-1394م) ، الذي قتل السلطان أبا البقاء خالد سنة 772هـ/1370م ، وعزل الفقيه ابن مرزوق من الخطابة (1) .

وحسبما أورده الفقيه أبو عبيد الله محمد بن قاسم الأنصاري – المعروف بالرصاص (2) – (ت895هـ/1490م) التلمساني مولدا والتونسي نشأة (3) في فهرسته ، فإنّ الأمير أبا عبد الله ابن السلطان أبي العباس الحفصي سأل عن الرصاص هل هو تونسي أو لا ؟ فقال له شيخه : " هذا ولد صاحبنا فلان التلمساني " (4) ، وأتبع جوابه بالقول : "... فقهاء تلمسان رأيتهم في مجلس مولانا المرحوم أبي فارس ... فرأينا منهم ناسا فضلاء ، وأحدهم الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن مرزوق " (5) . فقولته أنّ مجلس السلطان أبي فارس (796-837هـ/1394-1433م) احتوى على فقهاء تلمسان ، واعتبار ابن مرزوق " أحدهم " ؛ فيه إشارة إلى اتصال علماء تلمسان بالبلاط الحفصي ، رغم جهلنا بأسمائهم ، وعددهم ، وطبيعة علاقتهم بهم . لكن عدم ذكر المصادر وكتب التراجم – التي تمّ الإطلاع عليها – للعلماء التلمسانيين الذين جمعتهم علاقة بالحفصيين – ماعدا ما ذكرته عن ابن مرزوق – يجعلنا نعتبر أنّ تلك العلاقة لم ترق إلى مرتبة علاقتهم بالزيانيين والمرينيين ، كما أنّ عددهم – حسب رواية الرصاص – لم يبلغ ما كان عليه البلاطين الزياني والمريني .

وقد أحصيت من خلال ما سبق ستة عشر عالما تلمسانيا أقاموا علاقات بالسياسيين في بلاد المغرب الإسلامي ؛ تسعة علماء منهم أقاموا علاقات مع السلاطين الزيانيين بنسبة 56 % مقابل أربعة عشر عالما كانت لهم علاقات مع سلاطين بني مرين بنسبة 87 % ، وعالما

(1) - ذكر ابن خلدون أنّ سبب عزل ابن مرزوق هو أنه كان بنه وبين أبي العباس شيئا لميله مع ابن محمد صاحب بجاية ، وبعد عزله سافر ابن مرزوق

إلى الإسكندرية سنة 773هـ/1371م واستقرّ بالقاهرة . انظر : - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 53، 54 .

(2) - الرصاص : من رصع الذهب بالجوهر واللوح بالصدف ، واشتهر بذلك نسبة إلى جدّه الرابع الذي كان نجارا يرصع المناجر

انظر : - فهرست الرصاص : ص 16 .

(3) - نفسه : ص 08 .

(4) - نفسه : ص 166 ، 167 .

(5) - نفسه : ص 167 .

واحدا هو الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) ربط علاقة بالحفصيين بنسبة 06 % ، ويبدو هذا العدد قليلا إذا ما قورن بمجموع العلماء الذين عاشوا خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) والذين بلغ عددهم ثمانية وستين عالما ؛ أي ما نسبته 23% .

وما تجدر الإشارة إليه أن علاقة هؤلاء العلماء كانت مع أكثر من دولة واحدة ، فمن مجموع تسعة علماء ربطتهم علاقة بالسلطة الزيانية نجد سبعة منهم أقاموا علاقات أيضا بالسلطة المرينية ؛ أي ما نسبته 78 % . كما يمكن أن نميز فئة أخرى من العلماء أقاموا علاقة بالمرينيين مقابل إجماعهم عن ذلك مع الزيانيين سلاطين موطنهم تلمسان ؛ وعلماء هذه الفئة هم : ابن مرزوق الكفيف ، وأخوه محمد بن مرزوق ، أبو عبد الله المقري ، أبو العباس أحمد المديوني .

ويمكن أن تُرجع أسباب التباين في إقامة العلاقات السياسية بين علماء تلمسان مع المرينيين والزيانيين والحفصيين إلى مايلي :

أولا : كانت بلاد إفريقية تُعتبر محطة يجتازها علماء تلمسان خلال توجّههم إلى المشرق من أجل الحج أو لطلب العلم ، ولم يكن لهم نية الإقامة فيها طويلا ؛ عكس مدينة فاس الأقرب لتلمسان من مدينة تونس (1) ، والتي كان توجّه أهل تلمسان إليها - غالبًا - بقصد الإقامة ؛ من أجل ذلك نسجت تلك العلاقة مع السلطة السياسية هناك ، كما كان من الطبيعي أن تجمعهم بالزيانيين علاقات ؛ باعتبار تلمسان - موطنهم - عاصمة دولة بني عبد الواد .

ثانيا : إن ما ضمّه البلاط المريني من علماء تلمسانيين ، يُعتبر نتاجا للخطر الكبير الذي واجهه الزيانيون والمتمثل في المدّ المريني ؛ مما جعل تلمسان تقع تحت حصار (2) أو احتلال .

(1) - المسافة بين فاس وتلمسان تسع مراحل ، بينما تمتد حدود تلمسان من الشرق إلى الغرب على مسافة 580ميلا .
انظر : - الصفاقسي : المخطوط السابق ، ص 18 . - أبو الفدا : المصدر السابق ، ص 137 . - حسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 08 .

(2) حاصر المرينيون تلمسان عدة مرات في سنوات (1290هـ/1295م) ، (1295هـ/1296م) ، (1296هـ/1297م) ، (1297هـ/1297م) ، (1298هـ/1307م) . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 143 . - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 111 . - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 85 .

المرينيين⁽¹⁾ لها عدّة مرات ، فأتاح لهم منافسة بني زيان والإستفادة من علماء عاصمتهم . في مقابل فشل المنافسة الحفصية لبني عبد الواد في الحصول على ما جناه المرينيون منها ؛ على الرغم من تبعية الزيانيين للحفصيين في بعض الفترات⁽²⁾ ، واحتلالها من طرف السلطان أبي فارس عبد العزيز مابين سنتي(827-831هـ/1424-1427م) و(834-837هـ/1431-1434م)⁽³⁾ .

ثالثاً : كانت مُنجزات السلاطين المرينيين التي أقاموها بتلمسان ؛ كمسجد ومدرسة العباد⁽⁴⁾ اللذان بناهما السلطان أبو الحسن المريني ، واهتمامهم بالأبهاء ؛ من العوامل التي أدت إلى ذيوع صيتهم في البلاد ، كما خصّ سلاطين بني مرين وبني زيان بعض هذه المنجزات لعلماء تلمسان⁽⁵⁾ ، فحفلت مجالسهم وبلاطاتهم بهم .

ومن خلال عرضنا لمختلف جوانب العلاقة بين علماء تلمسان والسلطة السياسية ، والتي تراوحت بين الرضا والتقريب أو التوتر والإختلاف ، يتضح لنا أنّ تلك العلاقة كانت تحكمها الظروف ، وتؤثر في طبيعتها الأحداث الجارية سواء كانت سياسية أو إجتماعية أو إقتصادية أحياناً . كما أنّ معظم العلماء الذين توترت علاقاتهم مع السلطة السياسية هم أنفسهم الذين نالوا علوّ المنزلة والحظوة عند هذه السلطة .

واستغلّ هذا التوتر في العلاقة من طرف البلاط المنافس أو السلطان المتولي ؛ وذلك بتقريب العالم الذي أبعد وعُوقب ، كما كان ذلك في الوقت ذاته فرصة للعلماء في تغيير الولاء أو البيعة مقابل كسب ودّ السلطان ونيل رضاه .

(1) - احتل المرينيون تلمسان في الفترات مابين : (737-749هـ/1336-1348م) ، (753-760هـ/1352-1358م) ، (772-774هـ/1370-1372) (784-786هـ/1382-1384م) . انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج07 ، ص111 . ص288 . ص329 . ص363 .

- يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص161 - 163 . - الناصري : المرجع السابق ، ج03 ، ص57 ، ص58 . ص76 ، ص77 .
(2) - استمر الزيانيون في ولائهم للحفصيين في الفترة من 633هـ/1236م إلى 700هـ/1300م ، في عهد السلطان عثمان بن يغمراسن . انظر : - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج07 ، ص98 . انظر أيضا : - أحمد عزاوي : المرجع السابق ، ج01 ، ص66 .

(3) - انظر : - التنسي : المصدر السابق ، ص235-245 . - الزركشي : المصدر السابق ، ص125 ، ص126 .
- الرصاع : فهرست الرصاع ، ص43 - 45 . - محمد عيسى الحريري : المرجع السابق ، ص90 وما بعدها .

- عاشوربوشامة : "علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس" ، رسالة ماجستير سابقة ، ص138-168 .
(4) - انظر : التمهيد ص43 ، ص46 من الدراسة .

(5) - قام السلطان أبو حمو الثاني سنة 765هـ/1364م ببناء المدرسة اليعقوبية للشريف الحسني ، كما بنى أبو حمو موسى الأول أول مدرسة علمية بتلمسان لابني الإمام سنة 710هـ/1310 . انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص43 - 48 من الدراسة .

في مقابل ذلك نرى أنّ الأسباب التي اتخذها السلاطين كحجج للسخط ومعاقبة العلماء ، لم تكن في الحقيقة إلاّ تُهمّاً افتقرت في كثير من الأحيان للأدلة الكافية ، ولم تكن لتبلغ مثل تلك ردود الفعل القاسية من طرف السلطة السياسية .

02 – نظرة علماء تلمسان إلى العلاقة بينهم وبين السياسيين :

عبّرت العلاقات المتينة التي ربطت بين علماء تلمسان والسلطة السياسية في بلاد المغرب عن صورة من صور موالاة هؤلاء العلماء للسلطة القائمة ، لكن ذلك لم يكن دأب كلّ العلماء ؛ حيث نجد فريقاً آخر منهم امتنعوا عن ذلك ورفضوا القرب من السلطان وتجنّبوا العلاقة معه ، كما ندم آخرون على علاقتهم بالسياسيين .

وقد اعتبر الفقيه أبو عبد الله محمّد المقرّي (ت1357/758م) أنّ السلاطين كانوا يجعلون من العلماء في معظمهم خدماً يسخّرونهم في أعمالهم لهم ، وإذا قضوا مآربهم منهم صرفوهم وطردهم⁽¹⁾ ؛ ممّا يُظهر أنّه كان معارضا بشدّة للعلاقة القائمة بين العلماء والسلاطين ، لكن في المقابل ألم يكن المقرّي – نفسه – مقرّباً من السلطان أبي عنان (749–759هـ / 1348–1357م) ، وخرج معه من تلمسان إلى فاس سنة 749هـ/1348م ، فلماذا هذا الموقف من المقرّي ؟

كان رأي المقرّي في تلك العلاقة مردّه إلى ندمه عن قربه من السلطان ورغبته في قطع صلته به ؛ وهو ما يبرّر استقراره بالأندلس عندما أرسله السلطان أبو عنان برسالة إلى سلطانها سنة 757هـ⁽²⁾/1356م . وعلق حفيده أبو العبّاس أحمد (ت1041هـ/1631م) — صاحب نفح الطيب — على هذه الحادثة بالقول : " هذه آفة الملوك ، فإنّ مولاي الجدّ ... كان نزل عن القضاء وغيره ، فلماً أراد التخلّي إلى ربّه لم يتركه السلطان أبو عنان " ⁽³⁾ .

(1) - المقرّي : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 277

(2) - نفسه : ج 05 ، ص 209 .

(3) - نفسه : ج 02 ، ص 214 .

وأفرد الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) في ترجمة والده أبي العباس أحمد بن محمد بن مرزوق (ت741هـ/1340م) فصلا بعنوان " في حبّه الخمول ونفوره من الخطط ومن طلب الجاه والشهرة التي تورط فيها من تورط وهو في وحلها يتخبّط " (4) ، ومما ذكره فيه أنّ والده كان كثيرا ما يوصيه بالبعد عن السلطان ، فقال : "... كان يقول لي يا بني ما لك وللسلطان ، أخوف ما أخاف عليك مخالطة السلطان ... وأنا أعجب من هذا لصغر سنّي وبعدي من هذا " (1) . وبعدهما تعرّض له من إمتحان ومعاناة ، عقّب على قول والده بقوله : " فكان ما قاله رحمه الله ... فما أنا في بحر الوحلة مُرتبّط ، وفي خلالها مشتبك ، وبسببها مُمتحن " (2) .

واعتبر الفقيه المُجتهد أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) علاقته بالسلطان سببًا في نقصان دينه وعلمه ؛ فبعدهما أمر السلطان المريني أبو عنان (749-759هـ/1348-1357م) تقريبه ورفعته على العلماء ، أجابه بالقول : "... وأما تقريبيك إياي فقد ضررتي أكثر مما نفعني ، ونقص به ديني وعلمي " (3) . كما لم يكن الأصولي المفسر محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) يحبذ العلاقة مع السلاطين والتقرب منهم (4) .

وأخذ رفض العلاقة بالسلطان عدّة مظاهر وسلوكات أبداها العلماء تجاه السلطة ورغبتها في تقريبيهم ؛ من ذلك تهرب العلماء من لقاء السلطان وتجنّب الإجتماع به ، فعندما رغب السلطان المريني أبو سعيد عثمان (709-731هـ/1309-1331م) لقاء الشيخ أبي العباس بن مرزوق (ت741هـ/1340م) وانتقل من أجل ذلك إلى جامع القرويين الذي كان يكثر فيه الشيخ الجلوس ، أبدى هذا الأخير توانيا في لقائه ، واختار العودة إلى موطنه تلمسان على أن يجتمع به (5) .

(4) - ابن مرزوق : المجموع ، و28 .

(1) - نفسه : و29 .

(2) - نفسه : و29 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 176 .

(4) - نفسه : ص 241 .

(5) - ابن مرزوق : المجموع ، و28 .

وأورد أبو عبد الله محمد الملاي التلمساني (عاش في القرن 09هـ/15م) أنهم خرجوا يوماً مع شيخه محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) إلى الصحراء ، فرأوا من بعيد فرساناً من خواصّ السلطان ، فتعوّذ الشيخ منهم وغير الطريق ، ولما لقيهم مرّة أخرى ولم يتمكن من الرجوع استدار للحائط وغطّى وجهه حتى ذهبوا (1) . وعندما وصل في تفسيره إلى سورة الإخلاص وعزم على قراءتها يوماً وقراءة المعوذتين يوماً آخر، وبلغه أنّ الوزير يريد حضور الختم ، قرأ السور الثلاث في يوم واحد تجنباً للقائه (2) ، كما رفض طلب السلطان لقراءة تفسيره بحضرته ، ولما ألحّ عليه كتب إليه معذراً بغلبة الحياء له في حضرته ، فصرف عنه نظره (3) . ومن جهته رفض الإمام العالم الحسن أبركان (ت857هـ/1453م) الخروج إلى السلطان الزياني أبي مالك عبد الواحد (814-827هـ/1412-1424م) الذي مرّ عليه للتبرّك به ؛ ممّا سبّب غضب السلطان عليه (4) .

ومن أوجه رفض العلماء للعلاقة مع السلاطين الامتناع عن أخذ الأعطيات التي كانت تعرض عليهم من طرفهم ، فقد رفض الشيخ الحسن أبركان أعطيات السلاطين ، واعتبرها تقييداً له (5) ، كما كان محمد السنوسي (ت895هـ/1490م) لا يقبل ذلك ، وإذا جاء ووجدها بداره أنكر على أهله قبولها وغضب (6) ، وعندما بعث إليه السلطان في أخذ غلات مدرسة الولي حسن أبركان رفض ذلك ، فألحوا عليه فاعتذر بكتابة مطوّلة فقبل منه (7) ، وعندما ناشده ابن السلطان بقبول مال أعطاه إيّاه ، وليتصدّق به على الفقراء إن شاء ، رفض ذلك (8) .

وكان رفض المنصب مكّلاً لمشهد الرفض الذي أبداه بعض علماء تلمسان تجاه السلطان ، فرغم حاجته رفض الشيخ أبو العباس بن مرزوق (ت741هـ/1340م) عرض

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص241 .

(2) - نفسه : ص 241 .

(3) - نفسه : ص 241 .

(4) - نفسه : ص 76،77 .

(5) - نفسه : ص 89،90 .

(6) - نفسه : ص 241 .

(7) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 447 .

(8) - نفسه : ص 448 .

السلطان أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م) له بأن يجلس لعقد الشروط والشهادة بين الناس (1) ، وأصرّ على هذا الرفض أمام زوجته التي طالبتة بالقبول لحاجتهم (2) ، كما رفض أيضا تولّي منصب الخطابة (3) . ومن جهته كره المحدث الأصولي محمد السنوسي (ت895هـ/1490م) الكتابة للسلطين ، ولما عاتبه أخوه على قبوله الكتابة لبعض السلطين ردّ ذلك لحيائه (4) .

ودفع رفض بعض العلماء للعلاقة مع السلطين والخوف من سخطهم إلى الهجرة والفرار من بلدهم ، فقد ذكر المؤرّخ لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م) أنّ الأديب أبا عبد الله بن خميس التلمساني (5) (ت708هـ/1309م) كتب بتلمسان لسلطين بني زيان ، و فرّ عنهم لما " أوجس منهم خيفة ، لبعض ما يجري بأبواب الملوك " (6) . كما هان على الفقيه محمد بن إبراهيم الأبلّي (ت757هـ/1356م) ألم مفارقة موطنه تلمسان مقابل أن يسلم من وظيفة الجباية والتصرّف في أعمال السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني (760—791هـ/1389—1359م) ، لما عرضها عليه وفرّ إلى المغرب (2) .

إلا أنّ بعض علماء تلمسان لم يكن رفضهم للعلاقة مع السلطين مطلقا ، بل هناك من رفض التقرب من سلطان معيّن لسبب من الأسباب ، في المقابل نجد له علاقة بسلطان أو سلطين آخرين ، فالفقيه محمد بن إبراهيم الأبلّي الذي فرّ من السلطان الزياني ، نجده يلبي دعوة السلطان المريني أبي الحسن (731—752هـ/1330—1351م) لما استدعاه من فاس ، ونظمه في طبقة العلماء عنده ولازمه ، ولازم ابنه السلطان أبا عنان (5) (749—759هـ / 1348—1357م) . كما أنّ الشاعر ابن خميس الذي غادر تلمسان فرارا من بني زيان وخوفا

(9) - ابن مرزوق : المجموع ، و 28 .

(9) - طالبتة زوجته بالقبول وقالت له : " لما لا تجبهم ، وأنت ترى ما نحن فيه من من ضيق الحال " ، انظر : - نفسه : و 28 .

(10) عرض عليه السلطان الخطابة بعد وفاة الخطيب الصالح أبي عثمان سعيد بن أبي إسحاق ، فاعتم ورفض ذلك ، وأجابه بالقول : " إنّ هذا عمل لا أعمله الآن أبدا ، ولا قدرة لي عليه " . - انظر : - نفسه : ظ 28 .

(1) - وردّ الشيخ بقوله أنه لا يستطيع قول " لا أكتب " . انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 241 .

(3) - ولد بتلمسان سنة 650 هـ / 1253 م ، مات بقرنطة يوم نكبة الوزير أبي عبد الله الحكيم سنة 708 هـ / 1309م .

انظر ترجمته : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 39 . - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص ص 529 - 557 .

(4) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 529 .

(2) - ابن خلدون : التعريف ، ص 36 .

(5) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 192 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 215 .

مما يحدث في قصور السلاطين ، نراه عندما حلّ بمدينة غرناطة يقبل تقريبه من وزيرها ابن الحكيم (6) .

وإن كان موقف هؤلاء العلماء من العلاقة مع السلطان له ما يبرّره — حسب ما ذكرنا — وهو ما يحفظ للعالم هيئته وكرامته ، ولا يكون وسيلة في يدّ السلطان ، ولا دعمًا يفضيه على السلطة القائمة ؛ إلا أنّ ذلك لم يكن محبّدًا دائمًا ، خاصة إذا كانت تلك العلاقة أو الاجتماع بالسلطان سيُجلب مصلحة عامّة للرعيّة ؛ فمثلا بعد الحوار الذي دار بين السلطان الزياني أبي تاشفين الأوّل (718-737هـ/1318-1337م) والخطيب أبي عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) عاتب فيه السلطان الشيخ لتمنّعه منه وعدم إجابته دعوته ، وانتهى الحوار بينهما بطلب السلطان من ابن مرزوق سؤال أيّ حاجة عنده ليقضيها له ، فكلمه في محوسين فاستجاب السلطان وأمر بإطلاق سراحهم (1) ، و بعد هذه الحادثة عاتبه على ذلك أحد أصحابه وقال له : " لو جيئت هذا السلطان لقضي لك ما شاء الله من الحوائج ولك أجر كبير " (2) .

وبدوره كان الإمام محمدّ السنوسي (ت895هـ/1490م) رغم رفضه العلاقة بالسلطان يقوم بقضاء حوائج الناس عند السلاطين (3) ، فعلاقة العالم بالسلطان لا بدّ وأن تكون ، ليس على سبيل التزلّف ونيل الرضا وإشباع الرغبات ، بقدر ما هو نصح وتوجيه وحملهم على رعاية شؤون من تحت رعايتهم . وصوّر لنا المؤرّخ ابن مريم التلمساني (ت1014هـ/1605م) منزلة العالم المطلوبة ، فقال عن أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) أنه كان : "... يجلس عند الملوك في أرفع المجالس ينصتون له ... لا يخدمهم بشيء من دينه ، ولا يسألهم حوائج نفسه ، ولا يخاطبهم إلا بما يسوغ شرعا " (4) . فموقع العلماء من ملك السلاطين — كما جاء في مقامة ابن الخطيب السياسية — " مواقع المشاعل المتألّقة ،

(6) - ذكر ابن الخطيب أنه " اجتنبه إليه وأقعه للإقراء بجواره " . انظر: - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 529 .

(1) - ابن مرزوق : المجموع ، ظ 28 .

(2) - نفسه : ظ 28 .

(3) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 253 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 210 .

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 174 .

والمصاييح المتعلقة ، وعلى قدر تعاهدها تبذل من الضياء ، وتجلو بنورها من صور الأشياء " (1) .

ثانيا : خدمات علماء تلمسان للسلطة السياسية في بلاد المغرب :

اقتضت العلاقة التي قامت بين علماء تلمسان والسلطة السياسية في بلاد المغرب الإسلامي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14و15م) إلى تقديم العلماء خدمات استفاد منها السلطان أو البلاط الذي عمل على تقريب هذا العالم وضمّه إليه ، ولم تنحصر تلك الخدمات بما جادت به قريحتهم من علم وفقه فحسب ، بل اقتحموا عالم السياسة بأعمال وأداء أدوار، فما طبيعة هذه الأدوار والأعمال التي قاموا بها ؟ وما هو مستوى وتقييم هذا الأداء ؟ وما مدى تأثيره السياسي ؟

1 - أداء علماء تلمسان للبيعة (2) :

يرى القاضي الفقيه محمد المقرئ التلمساني (ت1357/758م) أن نظام الملكية مُنافٍ للشريعة الإسلامية ، وإثما الذي يوافق مبادئ الإسلام هو الخلافة المبنية على الشورى (3) . ونقل حفيده المؤرّخ الأديب أبو العباس المقرئ (ت1041هـ/1631م) عنه أنه سمع العلامة محمد بن إبراهيم الأبلبي (ت757هـ/1356م) يذمّ افتراق الأمة الإسلامية - في زمانهم - وما نتج عن ذلك من ضعف وجرأة عدوّهم عليهم (4) ؛ مُرجعا ذلك إلى : "... تعدّد ملوكهم لاّتساع أقطارهم واختلاف أنسابهم وعوائدهم حتى غلبوا بذلك على الخلافة ، فنزعت من أيديهم وساروا في الملك بسير من قبلهم ... " (5) .

(1) - المقرئ : نفع الطيب ، ج06 ، 441 .

(2) - البيعة هي العهد بالطاعة ، يعاهد فيها المبايع أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين .
انظر : - ابن خلدون : المقدمة ، ص174 ، 175 . وأيضا : - المهدي بوعدلي : " البيعة والشورى في الإسلام وتطورها عبر التاريخ " ،

مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد28 ، نوالقعدة 1397هـ ، نوفمبر 1975م ، ص 71 ، 72 .

(3) - المقرئ : نفع الطيب ، ج05 ، ص 277 .

(4) - نفسه : ج05 ، ص277 ، 278 .

(5) - نفسه : ج05 ، ص278 .

وتجسّدت في بلاد المغرب في الفترة التي ندرسها صور هذا الاختلاف والتشردم بين المسلمين ، وتنافسهم على الملك والرغبة في توسيعه ، والذي وصل إلى حدّ التقاتل فيما بينهم . وكان ولاء أهل المغرب أثناءها منقسما ومتقلبا بين الحفصيين والمرينيين والزيانيين ، اضطروا خلالها إلى تحمّل تبعات التنافس الحاصل ، فكيف تعامل علماء تلمسان مع هذا الوضع فيما يخصّ مسألة البيعة ؟

تميّزت المصادر التي بين أيدينا بأنها شحيحة من أيّ تصريحات عن عملية مبايعة علماء تلمسان للسلطان المتولي ، واكتفى المؤرّخون الذين أرخوا لسلطين هذه الفترة عند ذكرهم لبيعة هؤلاء السلطين ، بذكر تاريخ البيعة ومكانها دون الإهتمام بالمبايعين ، خاصّة العلماء منهم (1) .

ومن الروايات التي ذكر فيها بيعة لعلماء تلمسان ، قيام الفقيه أبو عبد الله محمد المقرّي (ت1357/758م) بكتابة البيعة للسلطان المرينيّ أبي عنان (749-759هـ/1348-1357م) ؛ لمّا نقض بيعة أبيه سنة 749هـ / 1348م ، وقراءتها على الناس (2) ؛ وكانت الأسباب التي جعلت أبا عنان يختاره لذلك مكانته العلمية بتلمسان التي لم يكن ينافسها فيها أحد (3) ، خاصّة مع توجّه جلّ العلماء آنذاك في صحبة السلطان أبي الحسن المرينيّ إلى إفريقية (4) ، إضافة إلى أنه لم تكن في عنقه بيعة لأيّ سلطان (5) .

وحضر علماء تلمسان بيعة السلطان الحفصيّ أبي فارس (796-837هـ/1394-1433م) بتلمسان سنة 830هـ/1427م ؛ فقد ذكر الفقيه أبو عبد الله الرصّاع (6) (ت894هـ /

(1) - انظر : يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 110-118-122-127-133-150 / ج02 ، ص 37 .
- التنسي : المصدر السابق ، ص 111-129-131-132-140-150-159-184-206-209-210-229-231-234-235-241-247-255 .
- ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 141-143-145-147-148-149-151-153-155-156 .
- الناصري : المرجع السابق ، ج01 ، ص 81-91-99-103-164 / ج04 ، ص 07-60-61-62-69-71-72-73-79-81-86-95 .
(2) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 76 / كفاية المحتاج ، ص 327 .
(3) - نفسه : ج02 ، ص 76 .
(4) - نقل أبو الحسن أثناء حملته على تونس سنة 749هـ/1349م عددا كبيرا من العلماء ، ذكرت بعض المصادر أنّ عددهم بلغ أربعمائة عالم ، وقد تعرّضت أساطيل السلطان للغرق أثناء عودته من تونس سنة 750هـ/1349م . انظر :
- ابن مرزوق : المسند ، ص 261-270 . وأيضا : - الناصري : المرجع السابق ، ج03 ، ص 171 .
- صابرة خطيف : " فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية " ، رسالة ماجستير سابقة ، ص 88 .
(6) - فهرست الرصّاع : ص 31 . انظر أيضا : - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 154 .

1489م) أنّ البيعة قرأها بجامع تلمسان قاضي العسكر أبو عبد الله محمد بن الشماع⁽¹⁾ (كان حيًا سنة 861هـ/1457م) و " حضر لقراءتها علماء الوقت ، منهم ابن مرزوق ، وأبو القاسم العقباني وابن الإمام ، وابن النجار ، وجماعة من العلماء " (2) .

وكان تأسّف الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) عن عدم تمكنه من لقاء السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز⁽³⁾ (767-776هـ/1366-1375م) ، وقوله عن سلاطين بني مرين : " وكيف أنسى أيادي ملوك أورثوني الشرف ... لا جرم أنّي حيثما كنت فأليهم أنسبُ ، ومن عداد أوليائهم أحسبُ ... " (4) ؛ دليلا عن ولائه لبني مرين رغم عدم التصريح ببيعته لهم . كما أنّ الثناء والإشادة بالسلطان أبي الحسن المريني (731-752هـ/1330-1351م) على منبر تلمسان سنة 733هـ⁽⁵⁾ /1333م يُعتبرُ مبايعة غير مباشرة منه للسلطان المريني ، وقد رعى هذه البيعة وحافظ عليها عندما أرسله لإعادة ابنه أبي عنان إلى طاعته ؛ فعندما عرض عليه هذا الأخير مبايعة رفض ذلك ، وقال ابن مرزوق بعدها : " ... وحاول جلوسي عنده ، فلم يمكنني ذلك كوني فارقت والده على أن أعود إليه " (6) .

كما كان في قبول علماء تلمسان للمناصب وتوليها للسلطين ، وعلاقاتهم ولقائهم بهم ، يفهم منه بالضرورة مبايعتهم لهم ؛ ومما يؤكد لنا أنّ تلك اللقاءات بين العلماء والسلطين كانت في معظمها تنتهي بمبايعة العلماء ، ما حدث بين السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) وأحدُ الصوفية⁽⁷⁾ ؛ حين دخل عليه في أوّل عهده فلم يقبل يده و لم يبايعه بل سلّم فقط وانصرف ، فأغضب بذلك السلطان عليه⁽⁸⁾ .

(1) - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشماع ، من أسرة علم ، تولى منصب خطة قضاء الأمحال في فترة حكم السلطان أبي عمرو عثمان (839-894/1435-1488م) ، كما اشتغل كاتباً في مكتبة القصر ، ألف كتاب " الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية " سنة 861هـ/1457م .

انظر: - ابن الشماع : المصدر السابق ، ص 19 .

(2) - فهرست الرصاع : ص 31 . انظر أيضا : - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 154 .

(3) - ابن مرزوق : المسند ، ص 92 .

(4) - نفسه : ص 93 .

(5) - ابن مرين : المصدر السابق ، ص 184 ، انظر أيضا : - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 111، 112 / كفاية المحتاج ، ص 353 .

(6) - ابن مرزوق : المجموع ، و 49 .

(7) - لم يذكر ابن مرين اسم هذا الصوفي . انظر: - ابن مرين : المصدر السابق ، ص 174 .

(8) - نفسه : ص 174 .

02 – تولي العلماء للمناصب السياسية :

أدت العلاقة القائمة بين علماء تلمسان والسلطة السياسية في بلاد المغرب ، إلى توليهم عددٍ من المناصب التي تُشرف عليها الدولة ، ونحاول أن نستعرض دور علماء تلمسان في الحياة السياسية من خلال المناصب التي شغلوها في مختلف المدن والحوضر المغربية .

2 – 1 – القضاء :

يُعتبر القضاء في الإسلام من أهم خطط الدولة الدينية والسياسية (1) ، باعتباره أحد الفروع الأساسية للإمامة الكبرى (2) ، وفيه الحكم على أرواح النَّاس وأموالهم وأعراضهم (3) ، وعن خطورة القضاء يقول الإمام ابن قيم الجوزية(ت751هـ/1350م) : " ولخطر القضاء جاء في القاضي من الوعيد والتخويف ما لم يأت نظيره في المفتي ... فكلاهما أجره عظيم وخطره كبير " (4) .

أ – قضاء تلمسان :

صنّف الزيانيون القضاة إلى " قاضي الجماعة " (5) وهو كبير القضاة ، و " قاضي الحضرة " و " قاضي العسكر " (6) بالإضافة إلى تعيين قضاة بالمدن التابعة لهم (7) ، كما كان الحال على ذلك عند الحفصيين (8) والمرينيين (9) .

-
- (1) - النباهي (أبو الحسن) : تاريخ قضاة الأندلس المرئية العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت) ، ص2،3
(2) - الفروع الأخرى هي : الصلاة ، الإفتاء ، الجهاد ، والحسبة .
(3) - فخري أبو صفية : " مكانة القضاء في الإسلام " ، مجلة العلوم الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، العدد02 ، رمضان 1407هـ / ماي 1987 م ، ص 53 .
(4) - ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق : المعتصم بالله البغدادي ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1425هـ/2004م صص 37 - 39 .
(5) - قاضي الجماعة عند المغاربة هو " قاضي القضاة " عند المشاركة . وناقشت الباحثة صابرة خفيف الخلط الذي حدث بين مصطلحي " قاضي الحضرة " و " قاضي الجماعة " ، وذهبت إلى أنّ المقصود هو وظيفة واحدة . انظر : - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص 385 .
وأيضا : - صابرة خفيف : " فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية " ، رسالة ماجستير سابقة ، ص137 ، 138 .
(6) - Barges(Abbé): Tlemcen Ancienne capitale de royaume de ce nom , Edition Dupart et Challamel ,Paris ,1859, p.365
(7) - انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص ص60 - 73 .
(8) - حول القضاء عند الحفصيين ، انظر : - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص143 . - أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1999م ، ج01 ، ص 187 . وأيضا : - أحمد بن عامر : المرجع السابق ، ص 33 ، 34 .
(9) - حول القضاء عند المرينيين ، انظر : - محمّد المنوني : ورفقات عن حضارة المرينيين ، ص 89 .
- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ج05 ، ص 272 .

ومن خلال المصادر التي أمكن للدراسة الاعتماد عليها ، أحصينا تسعا وعشرين عالماً تولوا خطة القضاء بتلمسان⁽¹⁾ ، وأهملت تلك المصادر ذكر تواريخ تولية هؤلاء العلماء ؛ ممّا صعب أو استحال في كثير من الأحيان تحديد السلطان الذي قام بتعيين العالم في هذا المنصب. وقد تولى اثنا عشر عالماً منهم منصب قاضي الجماعة أو الحضرة بمدينة تلمسان ، وهم : محمد بن أبي عبد الله بن أبي عمرو التميمي⁽²⁾ (ت745هـ/1344م) وتولاه للسلطان أبي حمو موسى الأول⁽³⁾ (707-718هـ/1307-1318م) ، وأبو عبد الله بن هدية⁽⁴⁾ (كان حيا ما بين سنة 718هـ⁽⁵⁾ /1319م و737هـ/1334م) وتولاه للسلطانين أبي حمو موسى الأول ، وأبي تاشفين الأول⁽⁶⁾ (718-737هـ/1318-1337م) ، و أبو علي حسن الحسيني السبتي⁽⁷⁾ (633-753هـ⁽⁸⁾ /1253-1352م) وتولاه للسلطان أبي تاشفين الأول⁽⁹⁾ ، وأبو زكرياء يحيى بن عصفور⁽¹⁰⁾ (كان حيا سنة 764هـ⁽¹¹⁾ /1362م) وتولاه للسلطان أبي سعيد عثمان الثاني⁽¹²⁾ (749-753هـ/1348-1352م) ، وأبو عثمان بن سعيد العقباني⁽¹³⁾ (720-811هـ/1318-1336م) وتولاه للسلطان أبي حمو موسى الثاني⁽¹⁴⁾ (760-791هـ/1359-1389م) ، وأبو العباس المديوني (ت767هـ/1366م) وتولاه للسلطان أبي حمو موسى الثاني والسلطانين

(1) - انظر جدول رقم 01 .

(2) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص228، 229 . - ابن مرزوق : المجموع ، ظ 19 .

(3) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص127 . انظر أيضا : - ابن مرزوق : المجموع : ظ19 . - المقرئ : نفح الطيب ، ج05 ، ص235 .

(4) - هو أبو عبد الله بن منصور بن هدية القرشي ، انظر ترجمته : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ص 52 .

- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 225 . - ابن مرزوق : المجموع ، و11 .

(5) - كان حيا ما بين (718هـ/1319م - 737هـ/1334م) ، وهي فترة حكم أبي تاشفين ، في حين حدّد تاريخ ولادته بـ 707هـ/1308م ، وهي السنة التي بويغ فيها أبو حمو موسى .

(6) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 52 .

(7) - انظر ترجمته : - نفسه : ج01 ، ص 73 . - ابن مرزوق : المسند ، ص 121 .

(8) - المقرئ : أزهار الرياض ، ج05 ، ص 45 .

(9) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 73 ، ص 133 .

(10) - انظر ترجمته : - نفسه : ج01 ، ص 58 .

(11) - ذكر الخطيب ابن مرزوق أنه التقاه بتونس في هذه السنة . انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، ظ 09 .

(12) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 58 .

(13) - انظر ترجمته : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 138 ، 139 . - ابن مريم : المصدر السابق ، 106، 107 .

(14) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص60 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، 106، 107 . - ثبت البلوي : ص 311 .

أبي سعيد وأبي ثابت⁽¹⁾ (749-753هـ/1348-1352م) ، وقاسم بن سعيد العقباني⁽²⁾ (ت854هـ/1451م) ، ومحمد بن أحمد بن قاسم العقباني⁽³⁾ (ت871هـ/1467م) ، وإبراهيم ابن قاسم العقباني⁽⁴⁾ (ت880هـ/1467م) ، وعبد الواحد بن أحمد بن قاسم العقباني⁽⁵⁾ (ت896هـ/1491م) ، وأحمد بن يحيى بن الشريف التلمساني⁽⁶⁾ (ت833هـ/1430م) ، وأبو عبد الله الجلاب التلمساني⁽⁷⁾ (ت875هـ/1471م) .

كما أخصينا تسعة عشر عالما تولوا منصب القضاء في مدينة تلمسان ، وهم : أبو الحسن علي بن محمد بن مروان⁽⁸⁾ (كان حيا سنة 703هـ/1307م) وتولاه للسلطان أبي زيان محمد بن عثمان⁽⁹⁾ (703-707هـ/1303-1307م) ، وأبو عبد الله محمد بن مروان (كان حيا ما بين 681-703هـ/⁽¹⁰⁾1482-1303م) وتولاه للسلطان أبي سعيد عثمان الأول⁽¹¹⁾ (681-703هـ/1282-1303م) ، وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز (كان حيا سنة 703هـ/⁽¹²⁾1307م) وتولاه للسلطانين أبي زيان محمد⁽¹³⁾ وأبي حمو موسى الأول⁽¹⁴⁾ .

-
- (1) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص150 ، ج02 ، ص38 . انظر أيضا : ابن مرزوق : المسند ، ص267 .
(2) - هو أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني ، وذكر التنبكتي أنه تولى القضاء في صغره ، وتوفي سنة 854هـ/1451م ، فيمكن أنه تولى القضاء للسلطان أبي العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الثاني (834-866هـ/1431-1462م) . انظر : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص281 . - ثبت البلوي : ص313 وانظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص147،148
(3) - لم تذكر المصادر السلطان الذي وظفه . انظر : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص295 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص431 . / نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص56 .
(4) - لم تذكر المصادر التي ترجمت له السلطان الذي وظفه . انظر ترجمته : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج01 ، ص196 ، التنبكتي : نيل الإبتهاج ج01 ، ص56،57 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص265 .
(5) - لم تذكر المصادر التي ترجمت له السلطان الذي وظفه . انظر ترجمته : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص322 / كفاية المحتاج ، ص213 .
(6) - يكنى أبا جعفر ، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له السلطان الذي وظفه . انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص44 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج01 ، ص89 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص267 .
(7) - لم تذكر المصادر التي ترجمت له السلطان الذي وظفه . انظر ترجمته : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص435 / نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص238 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص236 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص264 .
(8) - لم يذكر ابن خلدون ترجمته ، وهذه السنة هي تاريخ مبايعة السلطان أبي زيان الذي عينه قاضيا .
(9) - كما تولاه قبله للسلطان أبي يحيى يغمراسن (633-681هـ/1235-1282م) انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص112 ، ص122
(10) - هي فترة حكم السلطان أبي سعيد عثمان الذي عينه قاضيا .
(11) - يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج01 ، ص118 .
(12) - لم يذكر ابن خلدون ترجمته ، وهذه السنة هي تاريخ مبايعة السلطان أبي زيان الذي عينه قاضيا .
(13) - نفسه : ج01 ، ص122 .
(14) - نفسه : ج01 ، ص127 .

(707-718هـ/1307-1318م) ، وأبو الحسن علي بن مروان⁽¹⁾ (كان حيا ما بين 703-707هـ/1303-1307م) الذي تولاه للسلطان أبي زيان محمد بن عثمان⁽²⁾ (703-707هـ/1303-1307م) ، وأبو علي بن هديّة⁽³⁾ (ت ما بين 769-777هـ/1367-1375م) ، و أبو محمد عبد الحق المليتي المسناوي (ت ما بين 718-737هـ⁽⁴⁾/1318-1336م) ، و أبو زيد عبد الرحمان بن أبي زاغ⁽⁵⁾ (كان حيا ما بين 718-737هـ⁽⁶⁾/1318-1336م) الذين تولوه للسلطان أبي تاشفين الأول⁽⁷⁾ (718-737هـ/1318-1337م) . وأبو زكرياء يحي بن رحمون⁽⁸⁾ (كان حيا ما بين 681-703هـ/1283-1304م) وتولاه للسلطان أبي سعيد عثمان⁽⁹⁾ (681-703هـ/1282-1303م) ، وأبو العباس أحمد بن رحمون⁽¹⁰⁾ (كان حيا ما بين 681-703هـ/1283-1304م) ، كما تولاه أبو الحسن المقرّي⁽¹¹⁾ (ت ما بين 769-777هـ/1367-1375م) وأبو عثمان بن سعيد العقباني⁽¹²⁾ (ت 811هـ/1336م) للسلطان أبي حمو موسى الثاني⁽¹³⁾ (760-791هـ/1359-1389م) ، وأبو العباس أحمد بن المشوش⁽¹⁴⁾ (كان حيا سنة 749هـ/1349م) الذي تولاه للسلطانين أبي سعيد وأبي ثابت⁽¹⁵⁾ (749-753هـ/1348-1352م) ، وتولى محمد بن عبد الحق بن ياسين⁽¹⁶⁾ ، وأحمد بن قاسم بن سعيد العقباني⁽¹⁷⁾ (ت 804هـ/1402م) ، ومحمد

(1) - انظر ترجمته : - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 122 .

(2) - نفسه : ج 01 ، ص 122 .

(3) - انظر ترجمته : - نفسه : ج 01 ، ص 52 .

(4) - مات أيام السلطان أبي تاشفين . انظر ترجمته : - نفسه : ج 01 ، ص 69 .

(5) - انظر ترجمته : - ابن مرزوق : المجموع ، و 23 . / المسند ، ص 121 .

(6) - فترة حكم السلطان الزباني أبي تاشفين .

(7) - انظر : - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 52 ، ص 69 . وأيضا : - ابن مرزوق : المجموع ، و 23 . / المسند ، ص 121 .

(8) - انظر ترجمته : - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 60 .

(9) - نفسه : ج 01 ، ص 60 .

(10) - نفسه : ج 01 ، ص 60 .

(11) - انظر ترجمته : - نفسه : ج 01 ، ص 58 .

(12) - نفسه : ج 01 ، ص 60 . وأيضا : - ثبت البلوي : ص 311 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 106 .

(13) - نفسه : ج 01 ، ص 58 .

(14) - انظر ترجمته : - نفسه : ج 01 ، ص 58 .

(15) - نفسه : ج 01 ، ص 59 ، ص 150 .

(16) - ذكر ابن مريم أنه من أعيان العباد ولي قضاء تلمسان ، ولم يذكر تاريخ وفاته ولا من ولاء القضاء . انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 226 .

(17) - لم يذكر ابن خلدون السلطان الذي وظفه . انظر : - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 122 ، ص 127 .

انظر ترجمته : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 47 .

أبو عبد الله الشريف التلمساني⁽¹⁾ (ت833هـ/1430م) ، وأبو العباس أحمد بن عيسى البطوي التلمساني⁽²⁾ (كان حيا سنة843هـ/1440م) قضاء مدينة تلمسان .

وتولى بعض العلماء القضاء في مدينة تلمسان للسلطين المرينيين عند احتلالهم وسيطرتهم عليها ، فقد تولاه الفقيهان أبو الحسن بن عبد النور⁽³⁾ (كان حيا سنة731هـ /1330م) و أبو عبد الله بن عبد النور(ت749هـ/1349م) للسلطان أبي الحسن المريني⁽⁴⁾ (731-752هـ / 1330-1351م) ، كما تولى له الفقيه أبو العباس المديوني (ت768هـ /1367م) إمرة الشكايات⁽⁵⁾ ، والقضاء لابنه أبي عنان⁽⁶⁾ (749-759هـ/1348-1357م) .

وكان يمكن لهذا العدد أن يرتفع لو أن صاحب " بغية الرواد " ؛ الذي انفرد بذكر عالمين من علماء تلمسان وهما : مروان بن محمد بن علي⁽⁷⁾ ، وأبو إسحاق إبراهيم بن اللجام⁽⁸⁾ ، زودنا بمن عيّهما أو على الأقل فترة حياتهما ، لكنه اقتصر على وصفهما بـ " القاضي " ⁽⁹⁾ .

ومن استعراضنا لعلماء تلمسان الذين تولوا قضاءها ، نلاحظ أن بعض العلماء تولوا هذا المنصب عند أكثر من سلطان ؛ فالقاضي أبو عبد الله بن هدية(ت735هـ/1335م) كان قاضيا لحضرة تلمسان في عهد السلطانين أبي حمو موسى الأول ، وأبي تاشفين الأول . وإضافة إلى تولي أبي العباس المديوني(ت767هـ/1366م) قضاء الحضرة للسلطانين الأخوين أبي سعيد وأبي ثابت ، ومن بعدهما للسلطان أبي حمو موسى الثاني ، نجده يتولى منصب " إسماع الشكايات " و " القضاء " في تلمسان للسلطانين المرينيين أبي الحسن وابنه أبي عنان على التوالي ، كما تولى الفقيهان أبو عبد الله بن عبد النور(ت749هـ/1349م) وأخوه أبو الحسن

(1) - يدعى أبو حمو الشريف ، لم تذكر المصادر التي ترجمت له السلطان الذي وظفه . انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص201 .

- ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص 165 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 252 .

(2) - لم يذكر ابن مريم من ولاة القضاء . انظر ترجمته : ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 51 .

(3) - انظر ترجمته : - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 232 / كفاية المحتاج ، ص431،432 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02، ص295 .

(4) - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص58 . انظر أيضا : - ابن مرزوق : المسند ، ص 267 .

(5) - ابن مرزوق : المسند ، ص 267 .

(6) - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص 47 .

(7) - انظر ترجمته : - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 32 .

(8) - انظر ترجمته : - نفسه : ج 01 ، ص 55 .

(9) - نفسه : ج 01 ، ص 32 - 55 .

ابن عبد النور قضاء تلمسان لسلطان أجنبي عليها وهو أبو الحسن المريني .

ولم يكن لقبول علماء تلمسان العمل في الجهاز القضائي المريني أثناء احتلالهم لعاصمة الزيانيين دخل في إقصائهم من الجهاز القضائي عند بني زيان ، فنجد مثلا أن القاضي أبا العباس المديوني بعد أن تولى قضاء تلمسان للسلطان المريني أبي عنان ، أسند له السلطان أبو حمو موسى الثاني منصب " قاضي الحضرة " سنة 760هـ⁽¹⁾/1359م .

ومما يُلفت النظر إليه أيضا هو وجود أسر تلمسانية تولى عدد كبير من أفرادها هذا المنصب ؛ كأسرة العقباني التي نجد منها ستة قضاة تولوا قضاء حضرة تلمسان . كما أن عدد العلماء الذين تولوا منصب القضاء كان أكبر ممّن تولوا منصب قاضي الجماعة ، فبينما كان عددهم في الأوّل تسعة عشر عالما بنسبة 65% من مجموع القضاة ، فإنّ عدد قضاة الجماعة أو الحضرة كان اثني عشر ؛ أي بنسبة 41% . لكن هذا العدد الأخير مرشح للارتفاع على حساب عدد القضاة ؛ بسبب أنّ المصادر التاريخية كانت تذكر قضاة السلطان وتصفهم بـ " القاضي " ، ولكن معناه هو قاضي الحضرة أو قاضي الجماعة . ما عدا من ولاهم السلطانان المرينيان أبو الحسن وأبو عنان منصبا قضائيا في تلمسان ، فهم قضاة فقط . وهو ما استعمله المؤرّخ يحيى بن خلدون (ت780هـ/1378م) إلى غاية عهد السلطان أبي تاشفين الأوّل (718-737هـ/1336-1318م) أين صار يذكر قضاة السلطان بـ " قضاة الحضرة " (2) .

بـ - قضاء العمالات (3) والمدن المغربية :

أحصيتُ في بحثي هذا عشرة علماء من تلمسان تولوا مناصب قضائية في العمالات العبد وادية والمدن المغربية ، سواء التابعة الزيانيين⁽⁴⁾ أو لمنافسيهم الحفصيين والمرينيين . وبدوره كان هذا العدد مرشحا للارتفاع لو أمدنا المؤرّخ يحيى بن خلدون (ت780هـ/1378م)

(1) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 38 - 166 .

(2) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 133 .

(3) - يقصد بالعمالة ما يكون تحت حكمه ويضاف إليه ، وعمالات الدولة الزيانية في عهد أبي حمو موسى الثاني هي : عمالة الجزائر، وهران ، ونشريس ، مليانة ، المدية. انظر: - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 31 - ج 02 ، ص 08 . - بوزياني الدراجي : المرجع السابق ، ص ص 187-189 .

(4) - أهم المدن في دولة بني زيان هي : وهران ، ندرومة ، هنين ، وجدة ، مستغانم ، مليانة ، تنس ، مازونة ، المدية ، برشك ، الجزائر ، شرشال . انظر: - بوزياني الدراجي : المرجع السابق ، ص 193 . انظر أيضا : الخريطة ص 17 من الدراسة .

بمعلومات أكثر عن مروان بن محمد بن علي - السابق الذكر- واكتفى بالقول أنه تولى قضاء مدينة سبتة (1) ، ومروان بن جبارة (2) الذي تولى قضاء مراكش حسب صاحب " البستان " (3) ؛ الذي لم يفصح لنا عن فترة حياته أو السلطان المعين له ، كما تواصل إغفال المصادر لتاريخ تولي هؤلاء العلماء لخطة القضاء ، وكذا السلاطين الذين عيّنوا بعضهم .

وتولى ثلاثة من علماء تلمسان منصب قاضي الحضرة أو الجماعة في المدن المغربية ، وهم : الفقيه أبو عبد الله بن عبد النور (ت749هـ/1349م) الذي ولاه السلطان المريني أبو الحسن (731-752هـ/1330-1351م) قضاء الحضرة والعسكر بمدينة فاس (4) ، وأبو عبد الله محمد المقرّي (ت758هـ/1357م) الذي تولى قضاء الجماعة بمدينة فاس للسلطان أبي عنان المريني (5) (749-759هـ/1348-1357م) ، وتولى القاضي أبو عثمان بن سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) قضاء الجماعة (6) في كل من مدن بجاية (7) ، مراكش ، سلا ، وهران (8) ، وهنين (9) .

كما تولى ستة علماء القضاء في مختلف المدن المغربية ، وهم : محمد بن أبي عبد الله ابن أبي عمرو التميمي (ت745هـ/1344م) في مدينتي وجدة (10) وتونس (11) ، وتولى الأخوان أبو زيد عبد الرحمان (ت743هـ/1342م) وأبو موسى عيسى (ت750هـ/1349م) ابنا الإمام قضاء

-
- (1) - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 32 .
(2) - جاء في ترجمته المقتضية في البستان أنه : " من أعيان الفقهاء التلمسانيين العارفين ، تولى القضاء بمراكش ، مات ودفن بتلمسان " .
انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 294 .
- نفسه : ص 294 .
(3) - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 58 . انظر أيضا : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج03 ، ص 299 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 106 ، 107 .
(4) - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 58 . انظر أيضا : - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 60 .
- ابن القاضي : درة الحجال ، ج03 ، ص 299 . - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص 230 ، ص 280 .
(5) - اكتفى يحي بن خلدون بالقول أن العقباني تولى منصب " قاضي الجماعة " دون الإشارة إلى السلاطين الذي عيّنوه ، ولم يتمكن إلا من معرفة أن السلطان أبا عنان المريني هو الذي عينه لقضاء الجماعة بمدينة بجاية . انظر : - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 60 .
وأيضا : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج03 ، ص 299 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 106 ، 107 .
(6) - مدينة بناها الرومان ، كان اسمها صلداي ، اتخذها الحماديون عاصمة لهم . انظر : - حسن الوزان : المصدر السابق ، ج02 ، ص 50 ، 51 .
(7) - مدينة كبيرة على شاطئ البحر المتوسط ، بعيدة نحو مائة وأربعين ميلا من تلمسان . انظر : - نفسه ، ج02 ، ص 30 .
انظر أيضا : الخريطة ص 17 من الدراسة .
(8) - مدينة صغيرة ، لها ميناء صغير . انظر : - نفسه ، ج02 ، ص 15 ، 16 . - انظر أيضا : الخريطة ص 17 من الدراسة .
(9) - مدينة تقع على بعد 40 ميلا من البحر المتوسط ، وعلى نفس البعد تقريبا من تلمسان . انظر : - حسن الوزان : المصدر السابق ، ج02 ، ص 12 .
- انظر أيضا : الخريطة ص 17 من الدراسة .
(10) - ذكرت المصادر التاريخية أن السلطان أبا حمو موسى الأول هو الذي ولاه قضاء مدينة وجدة ، لكن لم تذكر من ولاه قضاء تونس .
انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، ط 19 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 291 .

مدينة مليانة⁽¹⁾ ، كما أنّ الفقيه أبا الحسن بن عبد النور (كان حيّاً سنة 731هـ / 1330م) تولى القضاء في كثير من حواضر المغرب⁽²⁾ ، وبدوره انتصب أبو علي حسن السبتي (ت 753هـ / 1252م) للقضاء في هنين ووهران وإفريقية⁽³⁾ ، وتولى عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي⁽⁴⁾ (880-955هـ / 1475-1548م) قضاء مدينة سبتة⁽⁵⁾ .

ومن الملاحظات الأولى التي تستوقف الدارس هو العدد القليل من العلماء الذين تولوا خطة القضاء ببلاد المغرب ؛ فعشرة علماء هو عدد قليل جدّاً ولا يتوافق مع الفترة الزمنية للدراسة ؛ أي قرنين (08 و 09 هـ / 13 و 14م) . كما يتوزع هؤلاء العلماء على هذه الفترة توزيعاً غير عادل ، وذلك بإحصاء ثمانية علماء في القرن الثامن الهجري (13م) ، مقابل عالمين فقط في القرن التاسع الهجري (14م) ؛ وهما القاضيان عبد الواحد الونشريسي (ت 955هـ / 1548م) ، وأبو عثمان سعيد العقباني (ت 811هـ / 1336م) الذي تولى القضاء منذ منتصف القرن الثامن الهجري (13م) إلى غاية بداية القرن التاسع الهجري (14م)⁽⁶⁾ ، باعتباره بقي في القضاء أكثر من أربعين سنة⁽⁷⁾ . كما كان الفقيه عبد الله بن أبي بكر العصنوني⁽⁸⁾ (كان حياً بعد سنة 875هـ / 1471م) من قضاة القرن التاسع الهجري (14م) .

وإذا كان هذا الوضع يُعزى لقلّة المصادر التي أرّخت للقرن الأخير ، فإنّ الرخالة المصري عبد الباسط بن خليل (ت 920هـ / 1514م) ؛ الذي جاب أنحاء المغرب في منتصف

(1) - ذكر ابن خلدون أنّ ابنا الإمام بعد انتقالهما إلى مليانة ، استعملهما بنو مرين في خطة القضاء بمدينة مليانة ، الواقعة على أربعين ميل من البحر . انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 100 . حول المدينة انظر : حسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 34 ، 35 .
(2) - لم يحدّد لنا المؤرخ يحيى بن خلدون المدن التي تولى فيها القضاء . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 58 .
(3) - ذكر يحيى بن خلدون أنه تولى قضاء بعض حواضر إفريقية ، لكنه لم يحددها . انظر : - نفسه ، ج 01 ، ص 73 .
(4) - انظر ترجمته : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 03 ، ص 129 .
(5) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 32 .
(6) - تولى العقباني القضاء منذ سنة 768هـ / 1366م ، وبإضافة أربعين سنة التي ذكرتها المصادر أنه بقيها في القضاء ، نجد أنه واصل عمله إلى حوالي سنة 808هـ / 1406م .
(7) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 106 . انظر أيضاً : - محمّد مخلوف : المرجع السابق ، ص 250 .
(8) - هو أبو محمّد عبد الله العصنوني ، أخذ عن جماعة من العقباتيين ، وتولى قضاء الجماعة بمدينة توات .
(9) - انظر ترجمته : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 03 ، ص 55 .
- هي السنة التي استقرّ بها القاضي العصنوني بتوات . انظر : - المهدي بوعبدلي : " تاريخ مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات " مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر ، العدد 94 ، ذوالقعدة 1406هـ ، جويلية 986م ، ص 87 .

القرن التاسع الهجري(14م)⁽¹⁾ لم يورد أيًا من علماء تلمسان القضاة في بلاد المغرب ؛ إلا ما ذكره من لقائه بقاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن قاسم العقباني(ت871هـ/1467م) بتلمسان (2) .

وقد احتضنت المُدن المرينية أكبر عدد من العلماء المتولين لخدمة القضاء خارج موطنهم تلمسان مقارنة بالمدن بالحفصية (3) ؛ واتفقت أسباب ذلك مع ما ذكرناه سابقا حول التباين في إقامة علماء تلمسان للعلاقات مع الحفصيين والمرينيين (4) . إلا أنّ تولي القضاء عموما لم تكن تقف وراءه تلك العلاقة لوحدها ، بل هناك عوامل أخرى شجعت العالم للإقدام على هذا المنصب الخطير (5) أو الابتعاد عنه (7) ، وإلا كيف نفسّر عدم وجود عدد كبير من العلماء في هذه الخدمة رغم ما نالوه من منزلة كبيرة عند السلطان .

ونجد من علماء تلمسان من تبوأ مناصب قضائية هامة في المدن التي شغلوا بها ؛ فمنهم من وصل إلى " قضاء الجماعة " أو " الحضرة " بفاس عاصمة المرينيين ، على غرار الفقيهان أبي عبد الله المقرّي(ت756هـ/1355م) ، ومحمد بن عبد النور(ت749هـ/1348م) اللذان توليا قضاء العسكر للسلطانين أبي عنان ووالده أبي الحسن على التوالي .

وكان تنتقل علماء تلمسان لتولي هذه الوظيفة في عدّة مدن ولأكثر من سلطان ، إضافة إلى طول المدّة التي شغلها بعضهم يعكس الدور الكبير الذي قاموا به في القضاء ببلاد المغرب الإسلامي (8) ؛ فقد بقي أبو عثمان سعيد العقباني(ت811هـ/1336م) فيه أربعين سنة – كما ذكرنا – وعبد الواحد الونشريسي(ت955هـ/1548م) لم يبرح قضاء مدينة فاس لقرابة ثمانين

(1) - دامت رحلة عبد الباسط بن خليل إلى المغرب أربع سنوات ، من 22 ذي القعدة 866هـ/1462م إلى 870هـ/1465م ، وأقام بمملكة بني عبد الواد عاما كاملا سنة 868هـ/1363م قضى أكثره بتلمسان ، والباقي بوهران .
انظر : - محمود بوعياض : "رحلة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع" ، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 24 ، ربيع الأول 1395هـ/ مارس 1975م ، ص127 .

(2) - Abdalbasit B.KHalil et Adorne : op. cit , p . 44 .

(3) - أحصينا سبعة علماء تولوا القضاء في المغرب الأقصى مقابل ثلاثة في المغرب الأدنى .

(4) - انظر : المبحث الأول ، ص 70 - 71 من الدراسة .

(5) - أوصى أبو العباس ابن مرزوق(ت741هـ/1340م) ابنه أبا عبد الله الخطيب(ت781هـ/1379م) بالإبتعاد عن القضاء إلا أن يكلف به ، فقال له : "... وإياك وخدمة القضاء ، فإنك إن قبلتها مختارًا كنت غير راض عنك ... " . انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و 33 .

(7) - ناقشت الباحثة صابرة خطيف معايير تولي قضاء الحضرة في تلمسان ، والتي تشترك وتتكامل فيها المعايير الأخلاقية مع المعايير العلمية لمتولي القضاء . انظر : - صابرة خطيف : " فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية " ، رسالة ماجستير السابقة ، ص 139-146 .

(8) - لارتباط القضاء بالجانب الاجتماعي سنعود للحديث عن ذلك في دور علماء تلمسان الاجتماعي ، انظر : المبحث الثاني من الفصل الثاني ، ص 138 .

عشرة سنة (1) ، ونجد بعض العلماء لم يترك هذه الوظيفة حتى وفاته ؛ مثل : القاضي ابن عبد النور التلمساني(ت749هـ/1349م) والذي ظلّ متولياً خطة القضاء للسلطان أبي الحسن المريني(731-752هـ/1330-1351م) حتى وفاته بتونس ودفنه بها (2) ، والقاضي الفقيه أبي العباس أحمد المديوني الذي توفي سنة767هـ/1366م ، وهو متولي القضاء للسلطان أبي عنان(3)(749-759هـ/1348-1357م) ، كما توفي الفقيه أبو عبد الله المقرّي سنة 756هـ/1355م ، وهو متولي قضاء مدينة فاس (4) .

وتولى عدد آخر من علماء تلمسان وظائف مرتبطة بالقضاء ، فقد كان لبعض العلماء العدول وجود بوظيفة العدالة(5) في الدولة الزيانية ، كالفقيه الخطيب أبي محمد المجاصي (6) ، وأبي عبد الله بن أبي عمرو التميمي(ت745هـ/1344م) ، و القاضي أبي زيد عبد الرحمان ابن زاغ(7)(كان حيا ما بين 718-737هـ/1318-1336م) ، كما وُصِف أحد علماء تلمسان ؛ وهو أبو العباس التميمي(8)(كان حيا ما بين 769-777هـ/1367-1375م) بأنه " من كبار العدول" (9) . إلا أنّ بعض العلماء تورّعوا عن العمل في هذه الوظيفة ؛ كأبي العباس أحمد بن مرزوق(ت 741هـ/1340م) ؛ لاعتباره أجره الموثقين سُحتا ، إلا ما تعلق بثمن الورق والمداد (10) .

(1) - الكتاني : المرجع السابق ، ج02 ، ص163 .

(2) - ابن مرزوق : المسند ، ص 267 .

(3) - نفسه : ص 267،268 . انظر أيضا : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 47 .

(4) - محمّد مخلوف : المرجع السابق ، ص232 .

(5) - هي وظيفة القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم ، وتدوين ذلك في سجلات ، ويشترط في متوليها : الفقه ، والتمرن في ممارسة القضاء ، بالإضافة إلى العدالة كشرط أساسي لمتولي هذه الوظيفة . انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص187 ، 188 .

- ابن الخطيب(لسان الدين) : مثلى الطريقة في ذم الوثيقة ، تحقيق وتقديم : عبد المجيد التركي ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983م ، ص 99 - 104 .

(6) - كانا معاصران لأبي العباس ابن مرزوق (ت741هـ/1340م)، لأن السلطان الزياني كان قد عرض على ابن مرزوق الجلوس لعقد الشروط والشهادة فرفض ذلك . انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و 28 .

(7) - نفسه : و 28 .

(8) - هو ابن محمّد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي . انظر ترجمته : - نفسه : المجموع ، ظ 19 .

(9) - نفسه : ظ 19 .

(10) - حدث خلاف بين الفقهاء حول هذه المسألة ، انظر : - نفسه : و 28 . وأيضا : - الونشريسي : المعيار ، ج10 ، ص 211 - 213 .

- ابن الخطيب (لسان الدين) : مثلى الطريقة في ذم الوثيقة ، ص 77 وما بعدها .

أما بالنسبة لوظيفة الحسبة⁽¹⁾ فلم تردّ أية إشارة — من خلال المصادر التي اعتمدت عليها — إلى عالم تلمساني تولى هذه الوظيفة في موطنه تلمسان ، وحتى وظيفة المحتسب كان حظ ذكرها في هذه المصادر قليلا إلى غاية النصف الثاني من القرن التاسع الهجري(15م) ؛ بتأليف القاضي أبي عبد الله محمد بن القاسم العقباني(ت871هـ/1466م) لكتاب : " تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر "⁽²⁾ ، ذكر فيه أنّه ألفه للسائل الذي أشكل عليه " الواجب من تغيير المنكر ، وعلى من وجوبه ... وما يفرق به المنكر من غيره... "⁽³⁾ . وفيما يتعلق بالمدن المغربية الأخرى ، فقد ذكر الخطيب ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) أنه التقى بمدينة تونس بالفقيه أبي زكرياء يحيى بن عصفور(كان حيا سنة 764هـ/1362م) وكان متوليا الحسبة فيها⁽⁴⁾ .

وبالانتقال إلى وظيفة "صاحب الشرطة"⁽⁵⁾ " نجد أنّ الخطيب ابن مرزوق نقل لنا إسنادها لأحد علماء تلمسان ، وهو أبو الحسن علي بن الفحّام⁽⁷⁾(كان حيا سنة 758هـ/1357م) ؛ الذي خدم الزيانيين بها بتلمسان إلى جانب ولاية المظالم⁽⁹⁾ ، كما نقل لنا وجود بعض علماء تلمسان في هذه الأخيرة⁽¹⁰⁾ أيضا ؛ فقد كشف عن حضور عالمين من تلمسان مجلس السلطان أبي الحسن المريني للمظالم ؛ وهما الفقيهان : أبو عبد الله بن عبد النور ، وأبو

(1) - هي وظيفة دينية تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخدمة للقضاء وواسطة بين أحكامه والمظالم ، ومن وظائف المحتسب : أمن الأشخاص وحماية الحيوانات ؛ بمنع المضايقة في الطرقات ، ومنع الحملين وأصحاب السفن من الإكثار في الحمل ، منع المعلمين من المبالغة في ضرب الصبيان والمتعلمين ، مراقبة الموازين ومنع الغش والتدليس ، ومراقبة الحرف . انظر : ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص 188 .

- الونشريسي : كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية ، نشر وتعليق : محمد الأمين بلغيث ، مطبعة لافوميك ، الجزائر ، (د.ت) ، ص ص 28-31 .

(2) - العقباني(أبو عبد الله محمد) : تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر ، تحقيق : علي الشنوفي ، مستخرج من مجلة الدراسات الشرقية ، (الجزء 14) ، دمشق ، سوريا ، 1967م .

(3) - نفسه : ص01 .

(4) - ابن مرزوق : المجموع ، ص09 .

(5) - اعتبرها المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون(ت808هـ/1406م) أنها من ضمن الوظائف الدينية التابعة للقضاء ، وذكر من مهام وصلاحيات صاحب الشرطة : إقامة الحدود والتعازير والتأديب ، التهمة على الجرائم ، وقد تعرّض السلطان أبو حمو الثاني في كتابه " واسطة السلوك في سياسة الملوك " للشرطة وصاحبها ؛ الذي سمّاه بـ"الحاكم " . انظر : ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص 185 .

- أبو حمو موسى : واسطة السلوك في سياسة الملوك ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم : 1374 ، ص 83 .

(7) - هو أبو الحسن علي بن أبي العباس ، المعروف بابن الفحّام ، أعلم أهل وقته في التعاليم ، من تلاميذ ابن النجار .

انظر : ابن مرزوق : المجموع ، ص17 .

(8) - الجزنائي : المصدر السابق ، ص87 .

(9) - نفسه : ص17 .

(10) - يقوم متولي المظالم بالنظر في الأحكام التي يصدرها القضاة وغيرهم أو التي عجزوا فيها ، وعن شروط توليه ذكر المؤرخ ابن خلدون(ت808هـ/1406م) ، أنّ هذه الوظيفة : " متمتزة من سطوة السلطنة ، ونصفه القضاء ، وتحتاج إلى علو يد وعظيم هبة " .

انظر : ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص 185 .

محمد بن عبد النور⁽¹⁾ . ولم يتوقف دور علماء تلمسان على حضور تلك المجالس⁽²⁾ فقط ، بل كُفوا بعدها بتولي هذه الولاية ؛ فقد ذكر الخطيب المحدث ابن مرزوق (ت781هـ / 1379م) — عن نفسه — أن السلطان أبا الحسن المريني (731-752هـ / 1330-1351م) ولاه النظر في الشكايات⁽³⁾ ، كما كلف الفقيهين أبا عبد الله بن عبد النور (ت749هـ / 1349م) وأبي العباس أحمد بن سعيد المديوني (ت767هـ / 1366م) بسماع الشكايات⁽⁴⁾ .

2 - 2 - الإفتاء⁽⁵⁾ :

سمح إمام علماء تلمسان بالفقه⁽⁶⁾ بتصدر الفتوى ، من خلال إجابتهم على مختلف الأسئلة والقضايا الواردة إليهم من مختلف شرائح المجتمع ومن شتى أنحاء المغرب ، والتي احتوت بعضها كتب الفتاوى والنوازل⁽⁷⁾ ، كما كان حضور فقهاء تلمسان في منصب الإفتاء عند السلطان دليلاً آخر على فقههم وعلمهم إضافة إلى ما يظهره ذلك من حسن العلاقة مع البلاط السياسي .

وقد تولى الفقيه إبراهيم بن يخلف التنسي (ت مابين 689-703هـ / 1290-1303م) الإفتاء بمدينة تلمسان بعد الاستقرار بها ، باعتباره أشهر المفتين في وقته⁽⁸⁾ ؛ لكن وبعد أن أصبح مفتياً للسلطان غادر تلمسان⁽⁹⁾ ، وعند عودته إليها ووفاته ، خلفه في منصب الإفتاء أخوه أبو الحسن علي التنسي⁽¹⁰⁾ (ت مابين 700-706هـ / 1300-1306م) .

(1) - ابن مرزوق : المسند ، ص 173 .

(2) - كان العلماء يحضرونها ، وما يدلنا على ذلك ما ذكره أبو حمو في وصيته لابنه : "... وتحضر الفقهاء في مجلسك حين الفصل بين الناس لإزالة ما يقع إلى الأحكام من الإلتباس " . - انظر : أبو حمو موسى : المصدر السابق ، ص 84 . ، ص 27 . وأيضا : - الونشريسي : كتاب الولايات ، ص 27 .

(3) - ابن مرزوق : المجموع ، و 49 .

(4) - ابن مرزوق : المسند ، ص 267 .

(5) - ذكر عبدالرحمان بن خلدون أن : " الفتيا تعتبر من مصالح المسلمين في أديانهم ، لذلك وجب على الخليفة أو السلطان ردها إلى من هو أهل لها " ، وذكر الونشريسي (ت914هـ / 1508م) أنه يشترط في المفتي أن يتصف بالعدالة ، ويبلغ درجة الاجتهاد .

انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 183 . - الونشريسي : المعيار ، ج 08 ، ص 825 . ج 12 ، ص 188 .

(6) - انظر : المبحث الأول من الفصل الرابع ، ص ص 175 - 179 من الدراسة .

(7) - كنوازل ابن مرزوق الحفيد ، والدرر المكنونة للمازوني ، ومعيان الونشريسي .

(8) - كانت ترد إليه الفتاوى من تلمسان قبل استقراره بها ، ومن إفريقية كلها ، وانتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب .

انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و 41 .

(9) - كان سبب خروجه من تلمسان ، فتواه حول يمين عقدها السلطان ، والتي لم توافق مراد السلطان ، وبعد مضايقة حاشيته له وإساءة القول معه ومطالبته الخروج من تلمسان ، وسمع السلطان فاستعطفه للبقاء ، فغادر تلمسان أربعة سنوات ثم عاد إليها . انظر : - نفسه : ظ 45 ، و 46 .

(10) - نفسه : ظ 44 .

وتبوأ الأخوان أبو زيد عبد الرحمان (ت741هـ/1340) وأبو موسى عيسى (ت750هـ/1349م) ابنا الإمام الإفتاء في تلمسان في عهد السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول⁽¹⁾ (707-718هـ/1307-1318م) ، كما كان الفقيه أبو عبد الله بن هدية (ت735هـ/1334م) المفتي الأول للسلطان الزياني أبي تاشفين الأول⁽²⁾ (718-737هـ/1318-1337م) .

وتولى الإفتاء بتلمسان أيضا الفقيه الأصولي أبو العباس أحمد بن زكري⁽³⁾ (ت899هـ/1494م) على نحو ما ذكره تلميذه أبو جعفر البلوي⁽⁴⁾ (ت938هـ/1532م) ، كما ذكر الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل (ت920هـ/1514م) ممن التقاهم أثناء إقامته بتلمسان سنة 869هـ/1364م ، الشيخ محمد بن زكرياء⁽⁵⁾ الذي قال عنه أنه " مفتي تلمسان " ⁽⁶⁾ . وكان وصف القاضي إبراهيم بن قاسم العقباني (ت880هـ/1476م) بأنه " مفتي الأمة بتلمسان " ⁽⁷⁾ ، يُعتبر دليلا على توليه منصب الإفتاء إلى جانب قضاء الجماعة بمدينة تلمسان .

ولم يكن حظ علماء تلمسان في تولي منصب الإفتاء بالمدن المغربية ، مثل حظهم في تولي المناصب الأخرى ؛ حيث لم تذكر لنا المصادر من تولي هذه الخطة إلا عالما واحدا ، وهو الإمام عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت955هـ/1548م) ، والذي تولى الإفتاء بمدينة فاس ، وجمع بين الفتيا والقضاء والتدريس بها ⁽⁸⁾ ، ولم تقتصر هذه القلة على علماء تلمسان بل شملت أيضا علماء المغرب الآخرين ؛ الذين لم يتولوا هذا المنصب خارج أوطانهم ⁽⁹⁾ .

(1) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 31-30 .

(2) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 133 .

(3) - انظر ترجمته : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 70، 71 / نيل الإبتهاج : ج 01 ، ص 136، 137 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج01 ، ص 90 .

- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 38 . - محمد بن مخلوف : المرجع السابق ، ص 267- الحفناوي : المرجع السابق ، ج01 ، ص 44-48 .

(4) - ثبت البلوي : ص ص 415-419 .

(5) - لم نعثر على ترجمته ولا عن تاريخ وفاته .

(6)Abdalbasit B.KHalil et Adorn,op.cit , p.44.

(7) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص 56 .

(8) - الكتاني : المرجع السابق ، ج02 ، ص 162 ، 163 .

(9) - انظر : - محمد فتحة : " النوازل الفقهية والمجتمع ، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 06 إلى 09هـ/12 - 15 م) " ، رسالة

دكتوراه (منشورة) ، جامعة الحسن الثاني ، 1996م ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1999م ، ص ص 82- 85 .

أ - تولي علماء تلمسان الإمامة (1) :

من خلال المصادر - التي اطلعتُ عليها - أحصيتُ ثمانية علماء تلمسانيين تولوا إمامة الصلوات بمساجدها ، وهم : أبو سعيد بن عامر (كان حيًّا ما بين 681 - 703هـ / 1282-1303م) إمام مسجد المشور (2) ، ومحمد بن أبي العيش (كان حيًّا ما بين 681 - 703هـ / 1282-1303م) إمام المسجد الأعظم (3) ، وأبو زيد بن أبي زاغ (كان حيًّا ما بين 718 - 737هـ / 1318-1336م) الذي كان إماما بالسلطان أبي تاشفين الأول (4) ، وأبو محمد عبد الله المجاصي التلمساني (5) (ت 741هـ / 1340م) ، وأبو عبد الله بن المشوش (كان حيًّا ما بين 769 - 777هـ / 1367-1375م) الذي كان إمام بالسلطان أبي حمو موسى الثاني (6) ، وعبد الرحيم بن أبي العيش (كان حيًّا سنة 730هـ / 1329م) إمام الجامع الأعظم (7) ، وأبو عبد الله بن مرزوق (8) (ت 781هـ / 1379م) ، وأبو عبد الله محمد الشريف (9) (ت 847هـ / 1444م) إمام مسجد الخراطين (10) ، وأبو سالم ابراهيم العقباني (ت 880هـ / 1475م) إمام الجامع الأعظم (11).

أمّا الذين تولوا الإمامة خارج تلمسان ، فقد اقتصر الأمرُ على ما نقله لنا المؤرّخ ابن مريم التلمساني (ت 1014هـ / 1605م) من أنّ الشيخ هارون بن موسى التنسي (ت 724هـ /

(1) - هي من أرفع الخطط الدينية وأسمائها ، ويشترط في متقلد إمامة المساجد السلطانية : الفقه ، والعقل ، البلوغ ، الذكورية ، العدالة ، حفظ القرآن الكريم سلامة اللفظ من نقص أو لثغ ، وتنقسم إمامة الصلوات إلى ثلاثة أقسام : الإمامة في الصلوات الخمس ، الإمامة في صلاة الجمعة ، الإمامة في صلوات الندب (العيدين ، الخسوف ، الكسوف ، الإستسقاء) . انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 183 .

(2) - كان إماما بالسلطان أبي سعيد الأول بمسجد المشور الملحق بالقصر السلطاني . انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و 44 .

(3) - عينه به السلطان أبو سعيد الأول (681 - 703هـ / 1282-1303م) . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 29 .

(4) - كان أبو زيد بن أبي زاغ مقبلا بقصر السلطان أبي تاشفين ليلا ، من أجل الإمامة والشهادة . انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و 23 .

(5) - ذكر يحيى بن خلدون أنه أجبر على إمامة الصلاة بالمسجد المقابل لباب " إيمز تجمي " . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 34 .

(6) - نفسه : ج 01 ، ص 123 .

(7) - نفسه : ج 01 ، ص 31 .

(8) - ذكر المقرئ وابن الخطيب ، أن السلطان أبو الحسن المريني المريني جعله إمام جمعه ، دون أن يذكر المساجد التي أم فيها . انظر : - المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 392 . - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 53 .

(9) - انظر ترجمته : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 252 . - رحلة القلصادي : ص 99 ، 100 .

(10) - كان إماما بهذا المسجد - الذي لم تتعرّف عليه - أثناء إقامة القلصادي بتلمسان سنة 840هـ / 1437م . انظر : - رحلة القلصادي : ص 99 .

(11) - Abdalbasit B.KHalil et Adorn : op.cit , p. 44 .

1324م) كان إماماً لجامع الزيتونة بتونس⁽¹⁾ ، كما تولى الشيخ محمد الونشريسي (ت853هـ/1450م) إمامة جامع الزيتونة من سنة 851هـ/1448م إلى غاية وفاته⁽²⁾ .

ولم يتمكن من إحصاء علماء آخرين أموا الناس في مساجد بلاد المغرب ؛ إلا أنّ الظاهر هو أنّ الذين تولوا منصب الإمامة من أهل تلمسان سواء فيها أو خارجها ، أكثر ممّا تمّ حصره ؛ لاقتصار المصادر التاريخية وكتب التراجم على الأئمة والعلماء الذين اشتهروا بالعلم ، أو الفقه ، أو التصوّف ، أو من ربطتهم علاقة متينة بالسلطان .

ب - تولى علماء تلمسان الخطابة⁽³⁾ :

أحصيتُ من خلال البحث في المصادر التاريخية وكتب التراجم واحداً وعشرين خطيباً تلمسانياً خطبوا بجوامع تلمسان⁽⁴⁾ ، وقد احتضن الجامع الكبير أو الأعظم أغلب هؤلاء الخطباء ، ثمّ جامع العباد بالدرجة الثانية ، في حين لم يتمكن من معرفة أسماء الجوامع التي تولى الخطابة فيها بعض علماء تلمسان ، الذين وصفتهم المصادر بـ "الخطباء " فقط ، كما لم تذكر السلطين الذين خطبوا لهم .

ونجد تسعة علماء خطبوا بالجامع الأعظم بتلمسان ، وهم : أبو عبد الله بن عثمان بن عامر⁽⁵⁾ (ت ما بين 689-703هـ/1290-1303م) ، أبو سعيد عثمان بن عامر⁽⁶⁾ (ت ما بين 689-703هـ/1290-1303م) ، أبو زيد بن أبي العيش⁽⁷⁾ (ت ما بين 689-703هـ/1290-1303م) ، أبو عبد الله محمد بن أبي العيش⁽⁸⁾ (كان حيّاً سنة 730هـ/1329م) ، وأبو عبد

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 296 .

(2) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 443 .

(3) - تعتبر خطبتي الجمعة ركن من أركانها على المذاهب الأربعة ، باستثناء بعض الفقهاء ؛ لذا أوجب أن يكون لكل جامع خطيب . لكن اختلف الفقهاء في وجوب تقليد الإمامة في صلاة الجمعة ؛ فذهب الإمام أبو حنيفة (ت150هـ/767م) وأهل العراق إلى أنها من الولايات الواجبة ، وأنّ صلاة الجمعة لا تصح إلا بحضور السلطان أو من يستنبيه فيها . في حين ذهب الإمام الشافعي (ت204هـ/820م) وفقهاء الحجاز إلى أن التقليد فيها نذب ، وأنّ حضور السلطان ليس بشرط فيها . انظر : - الماوردي : المصدر السابق ، ص 134 .

- المقدسي (بهاء الدين عبد الرحمان) : العدة في شرح العمدة ، ط1 ، مطبعة المدني ، مصر ، 1412هـ / 1991م ، ج01 ، ص 128، 129 .

(4) - انظر : - الملحق رقم 04 ، ص 249 ، 250 من الدراسة .

(5) - تولى الخطابة للسلطان الزياني أبي سعيد الأول (689-703هـ/1290-1303م) . انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و 44 .

(6) - تولى الخطابة نائباً عن ابنه الذي أرسله السلطاني شأن الصلح بين السلطانيين أبي عثمان بن يغمراسن ، والسلطان أبي يعقوب .

انظر : - نفسه : و 44 .

(7) - تولى الخطابة بعد أبي عبد الله بن عثمان بن عامر للسلطان الزياني أبي سعيد الأول (689-703هـ/1290-1303م) . انظر : - نفسه ، و 44 .

(8) - تولى الخطابة بعد والده أبي زيد بن أبي العيش للسلطان أبي تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1337م) . انظر : - نفسه ، و 15 .

الله بن هدية⁽¹⁾ (ت735هـ/1334م) ، وأبو الحسن علي بن هدية⁽²⁾ (كان حيًا ما بين 769-777هـ/1367-1375م) ، وأبو عثمان سعيد العقباني⁽³⁾ (ت811هـ/1408م) ، وأبو سالم إبراهيم العقباني⁽⁴⁾ (ت880هـ/1475م) .

كما اعتلى منبر جامع العباد ثلاثة علماء ، وهم : أبو عبد الله بن مرزوق⁽⁵⁾ (ت781هـ-1379م) ، والحفيد أبو عبد الله محمد بن مرزوق⁽⁶⁾ (ت842هـ/1439م) ، وأبو عبد الله محمد ابن العباس⁽⁷⁾ (ت871هـ/1467م) ، مقابل إحصاء سبعة خطباء⁽⁸⁾ لم تقص لنا المصادر التاريخية - التي اطلعت عليها - عن المساجد التي خطبوا فيها .

أما بالنسبة لعلماء تلمسان الذين خطبوا على منابر الجوامع المغربية ، فأحصينا ثلاثة علماء فقط ، وهم : أبو عبد الله بن مرزوق (781هـ/1379م) الذي خطب بجامع مدينة فاس الجديدة⁽⁹⁾ سنة 741هـ⁽¹⁰⁾/1341م ، كما خطب بجامع الموحدين بمدينة تونس من سنة 765هـ/1364م إلى 770هـ/1369م⁽¹¹⁾ ، واعتلى الفقيه أبو زكرياء ابن أبي العيش (كان حيًا ما بين 769-777هـ/1367-1375م) منبر جامع مدينة فاس الجديدة نيابة عن الخطيب

-
- (1) - تولى الخطابة للسلطان أبي تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1337م) . انظر: نفسه ، و11- يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص51 .
(2) - تولى الخطابة للسلطان أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م) . انظر: نفسه : ج01 ، ص52 .
(3) - تولى الخطابة للسلطان أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م) . انظر: يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص60 .
(4) - تولى الخطابة به سنة 869هـ/1465م . انظر: -
(5) - تولى الخطابة فيه للسلطان أبي الحسن المريني سنة 737هـ/1337م ، كما ذكر صاحب " زهر البستان " (ظ93) أن ابن مرزوق خطب بجامع العباد للسلطان أبي حمو موسى الثاني سنة 764هـ/1362م .
انظر: - ابن مرزوق : المجموع ، و33 . - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص50 . - ثبت البلوي : ص247 .
- ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص53 . - المقرئ : نفح الطيب ، ج05 ، ص392 .
- صابرة خطيب : " فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية " ، رسالة ماجستير سابقة ، ملحق 13 ، ص322 .
(6) - تولى الخطابة به أثناء إقامة الرحالة أبي عبد الله المجاري بتلمسان سنة 798هـ/1396م . انظر: - برنامج المجاري : ص135 .
(7) - تولى الخطابة به سنة 869هـ/1465م . انظر: -
(8) - انظر: - الملحق رقم 04 ، ص249 ، 250 من الدراسة .
(9) - كما تولى ابن مرزوق الخطابة بهذا الجامع للوزير أبي علي بن منصور بعد استيلائه على ملك السلطان المريني السعيد بن أبي عنان .
انظر: - ابن مرزوق : المجموع ، و50 .
(10) - تولى الإمامة فيه بعد معركة طريف . انظر: - نفسه : و49 . وأيضا: - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص53 .
- المقرئ : نفح الطيب ، ج05 ، ص392 .
(11) - خطب بهذا المسجد للسلطان أبي إسحاق الحفصي . انظر: - المقرئ : نفح الطيب ، ج05 ، ص392 . - ثبت البلوي : ص247 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص185 .

ابن مرزوق⁽¹⁾ ، وخطب أبو علي منصور بن هدية(ت777هـ/1375م) بالجامع الأعظم بمدينة أغادير⁽²⁾ .

ولم يرد في قائمة الشيوخ الذين تولوا الخطابة في جامع القرويين - حسب صاحب جذوة الإقتباس - أحد من أهل تلمسان إلى غاية سنة 964هـ/1557م ، حين خطب فيه الفقيه محمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني ، إلى أن توفي سنة 981هـ/1574م⁽³⁾ . كما لم يعتل منبر جامع الزيتونة أحد من علماء تلمسان أو من المغرب الأوسط عموماً قبل منتصف القرن التاسع الهجري (14م) ؛ أي قبل أن يتولى الشيخ محمد الونشريسي(ت853هـ/1449م) الخطابة فيه سنة 851هـ/⁽⁴⁾1447م .

وكان للخطابة علاقة وثيقة بالسياسة والسلطة الحاكمة ببلاد المغرب ؛ فبالإضافة إلى أن السلطان هو من يقوم بتعيين الخطباء أو تأخيرهم ، أعتبر ما يقوم به الخطيب من الدعاء له والثناء عليه وأمر الناس بطاعته خدمة جليلة تقدّم للبلاط السياسي ؛ فأدى ذلك إلى تمتين العلاقة بين السلطة السياسية والعلماء ، كما حصل مع خطيب العدوتين⁽⁵⁾ أبو عبد الله بن مرزوق(ت781هـ/1379م) ، الذي بعدما ولاه السلطان المريني أبو الحسن خطابة جامع العباد - لما حاصر تلمسان سنة 737هـ/1337م - سمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره ويثني عليه ، فحليّ بعينه وقربه منه⁽⁶⁾ .

واللدلالة على أهميّة الخطابة في الحياة السياسية ، يكفي أن نذكر أن الدعاء باسم السلطان في الخطبة ، يُعبّر عن سيادة الدولة وبسط نفوذها على الأقاليم التي تدعو في منابرها لهذا السلطان أو ذاك⁽⁷⁾ ، ففي الفترة الأولى من تأسيس الدولة الزيانية قدّم الأمير يغمراسن بن

(1) - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص31 .

(2) - نفسه : ج01 ، ص52 .

(3) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص40 .

(4) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص443 .

(5) - وصف البلوي والمجاري ابن مرزوق بأنه " خطيب العدوتين " لتوليه الخطابة بالمغرب (عدوة المغرب) ، وبالأندلس (عدوة الأندلس) بجامع

الحمراء لأبي الحجاج يوسف . انظر : - ثبت البلوي : ص247 . وأيضا : - برنامج المجاري : ص105 .

(6) - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص224 - 226 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص184 . - التتكتي : كفاية المحتاج ، ص353 .

(7) - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص224 - 226 .

زيّان (633-681هـ/1235-1282م) ولاءه للسلطان أبي زكرياء الحفصي سنة 640هـ⁽¹⁾ / 1242م ، فكان يُدعى له على منابر تلمسان ، قبل أن يقوم السلطان عثمان بن يغمراسن (681-703هـ/1282-1303م) بتعطيل ذكره في جوامع تلمسان سنة 700هـ⁽²⁾ / 1300م ، كما قام السلطان المريني أبو يوسف يعقوب أيضا بقطع دعوة الحفصيين بالمغرب ، بعد دخوله مدينة مراكش سنة 668هـ/1269م⁽³⁾ .

2 - 4 - التدرّيس⁽⁴⁾:

عملت السلطة السياسية على إدخال السياسة في العمل التربوي والجهاز التعليمي ، وكان ذلك من السمات البارزة في التاريخ الإسلامي⁽⁶⁾ ، واعتبر البعض هذا التدخل من الدولة في شؤون التعليم لا يخدمه بل يفسده ويضعفه ؛ حتى ذهب أحد الباحثين⁽⁷⁾ إلى القول : " أنّ الأمة لو تركت العلم لرجال الدولة لمّا ظلّ العلم في بلاد الإسلام بذلك المستوى الرفيع ، ولو تبنت الدولة العلم لفرضت على الناس إذا شاءت الأدياء والدخلاء ، وأفسدت العلم بذلك " .

وفي بلاد المغرب الإسلامي كان إشراف الدولة على التعليم واضحا وجليا ، فقد أظهر تنافس السلاطين في هذه الفترة على بناء المدارس السلطانية⁽⁸⁾ ، وإشرافهم عليها ، واستقدام العلماء للتدرّيس فيها ، وجهاً من أوجه تلك العلاقة القائمة بين السلطة والجهاز التعليمي ، وجعلت تلك الأغراض السياسية من إنشاء تلك المدارس ، حتى علماء المالكية لا ينظرون إليها .

(1) - نفسه : ج 01 ، ص 225 .

(2) - نفسه : ج 07 ، ص 98 .

(3) - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص 28 .

(4) - اعتبر المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) تدرّيس العلوم أمراً طبيعياً في العمران البشري ، وعدّه من جملة الصناعات ، وظلت المساجد هي المكان الأول الذي استخدم للتعليم عند المسلمين ، فلم تكن دول الخلافة أو دول السلاطين مسؤولة عن التعليم حتى في عصر الراشدين ، وإمّا كان ذلك من اختصاص جماعة المسلمين ، ولم تقرّر الدولة راتباً لمعلم أو شيخ إلا ابتداء من منتصف القرن الخامس الهجري (11م) ، بعدما أقيمت المدارس . انظر : ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 358 ، 359 .

- حسين مؤنس : المساجد ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1981م ، ص 31 .

(6) - محمّد منير سعد الدين : المرجع السابق ، ص 111 .

(7) - وهو حسين مؤنس في كتابه " المساجد " . انظر : - حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص 32 .

(8) - انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص ص 43 - 48 من الدراسة .

بعين الإرتياح (1) ؛ رغم الخدمات التي كانت تقدّمها تلك المدارس للمذهب المالكي (2) .

وحظي علماء تلمسان على غرار أمثالهم من علماء المغرب ، بتنافس وسعي السلاطين في ضمّهم إلى حضرة دولتهم . ورغم تعدّد الأمكنة التي كان علماء تلمسان يلقون فيها دروسهم من دكاكين ، ومكتبات ، وفي بيوتهم ؛ فإنّنا سنركز على تدريسهم بالمساجد ، والمدارس ، والمجالس السلطانية ، لما في ذلك من علاقة مباشرة بالسلطة السياسية .

وقد احتضنت مساجد بلاد المغرب دروس علماء تلمسان ومجالسهم العلمية (3) ، فالتقوا بها مع طلبتهم وزائريهم ، ولم يكن جلوس علماء تلمسان للتدريس في المساجد ليتمّ لولا أنّ الدولة قد سمحت بذلك (4) ، كما كان تعيين الأساتذة بالمساجد السلطانية يرجع للسلطة الحاكمة (5) . إضافة إلى أنّ السلاطين كانوا إذا رغبوا بلقاء أحد العلماء توجّهوا إلى المسجد أو الجامع الذي يجلس فيه هذا العالم ، فعندما أراد السلطان المريني أبو سعيد عثمان (709م—731هـ/1309—1331م) الاجتماع بالشيخ أبي العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1340م) قصد جامع القرويين ؛ لأنّ أكثر جلوسه هناك (6) .

وما يعكس تلك العلاقة القائمة بين السلطة السياسية والجهاز التعليمي أكثر، تدريس العلماء في المدارس التي أقامها السلاطين ، وذلك بعد استدعائهم أو بناء المدارس لهم ، وأوّل مدرسة علمية بتلمسان (7) حملت اسم عالمين من تلمسان ؛ وهما ابنا الإمام (8) أبو زيد عبد الرحمان (ت 743هـ/1342م) ، وأخوه أبي موسى عيسى (ت 749هـ/1348م) اللذان " اغتبط

(1) - عبد الله علي علام : المرجع السابق ، ص 292 .

(2) - روبرير برنشفيك : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 336 . انظر أيضا : - عبد العزيز لعرج : " المدارس الإسلامية ، دواعي نشأتها وظروف تطورها " ، المقال السابق ، ص 118 .

(3) - انظر : المبحث الثاني من الفصل الثالث ص ص 193-195 من الدراسة .

(4) - كانت الطريقة المعمول بها أنه إذا كان المسجد من المساجد العظام (المساجد السلطانية) التي للسلطان الولاية عليها فلا بدّ للعالم من استئذان السلطان ، أمّا إن كان من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على إذن . انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 183 ، 184 .

(5) - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 196 .

(6) - ابن مرزوق : المجموع ، و 28 .

(7) - أمر ببنائها السلطان أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/1308-1318م) .

(8) - انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص 44 من الدراسة .

بهما أبو حمو ، واختنظ لهما - هذه - المدرسة " (1) وعيّنهما للتدريس بها (2) . كما قام السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1358-1388م) ببناء المدرسة اليعقوبية (3) للشيخ أبي عبد الله محمد الشريف الحسني (ت771هـ/1370م) ، بعد أن استدعاه من فاس وزوجه ابنته (4) ، فدرّس بهذه المدرسة حتى وفاته (5) .

وكان علماء تلمسان في طليعة المدرّسين بالمدارس التي أقيمت بتلمسان ، كما كان لهم حضور بمدارس بلاد المغرب الأخرى ؛ وقد أحصينا ستة علماء درّسوا في مدارس مدينة تلمسان (6) ، مقابل أربعة علماء في مدارس المغرب الأقصى (7) ، فيما اقتصر التدريس في مدارس المغرب الأدنى على الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) الذي درّس بمدرسة الشّماعين (8) .

وإن كان المنتبّع لمضامين المواد المدرّسة من طرف هؤلاء العلماء في المدارس السلطانية ، يجدها بعيدة عن السياسة وخدمة السلطة القائمة ، فإنّ التدريس فيها يعكس جانباً من العلاقات التي قامت بين السلطان وبعض العلماء الذين كان التدريس فاتحة لتوليهم مناصب أخرى في الدولة ، وقد أحصت إحدى الدراسات (9) أربعة وعشرين أستاذاً بتلمسان تولوا مناصب أخرى بالدولة الزيانية إلى جانب التدريس . وإذا أضفنا إلى ما سبق حضور العلماء للمجالس العلمية التي احتضنتها قصور السلاطين (10) ، فإنّ تلك العلاقة بين السلطة السياسية والجهاز التعليمي الممثل في العلماء تزداد جلاء .

ورغم رفض بعض العلماء أخذ أعطيات السلاطين نظير تدريسهم ، على غرار الفقيه المفسّر أبي عبد الله الشريف الحسني (ت771هـ/1370م) ، الذي ذكر ابنه أنه : " لم يأخذ

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 126 .
(2) - نفسه : ص 224 . انظر أيضا : - ثبت البلوي : ص 265 .
(3) - انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص ص 44 - 46 من الدراسة .
(4) - ابن خلدون : التعريف ، ص 64 . انظر أيضا : - التنسي : المصدر السابق ، ص 180 .
(5) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 120 .
(6) - انظر : المبحث الثاني من الفصل الرابع ، ص 196 ، 197 من الدراسة .
(7) - انظر : المبحث الثاني من الفصل الرابع ، ص 197 من الدراسة .
(8) - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 408 .
(9) - انظر : - صابرة خطيف : "فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية" ، رسالة ماجستير سابقة ، ص ص 230 - 232 .
(10) - انظر : المبحث الثاني من الفصل الرابع ، ص 198 ، 199 من الدراسة .

مرتباً في مدرسته ولا في غيرها ... وإنما ينفق من مال أبيه ويكتفي به " (1) ، فإن بعضهم الآخر قبل هذه الأعطيات وكانت مصدر عيشه ؛ فقد أجرى السلطان أبو الحسن المريني (731-752هـ/1330-1351م) للفقير أبي عبد الله محمد بن النجار (ت749هـ/1348م) رزقه بعد أن ضمّه في مجلسه (2) ، و كان الفقيه محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (3) (ت818هـ/1416م) ينفق عن نفسه من المرتب الذي يأخذه من تدريسه بمدرسة أبي عنان (4) . كما أجرى السلطان المريني عبد العزيز (768-774هـ/1367-1372م) عند احتلاله تلمسان ، للفقير العالم عبد الله بن محمد الشريف التلمساني (ت792هـ/1390م) مرتباً وافرأ يوتي به إلى داره كل شهر نظير الإقراء بمدرسته ، واستمر ذلك بعد عودة السيطرة الزيانية على مدينة تلمسان (5) . وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن السلطة السياسية على اختلافها كانت تشرف على الشؤون المالية للتعليم ، خاصة ما تعلق برواتب المدرسين .

أمّا عن دور علماء تلمسان في الحياة السياسية ببلاد المغرب من خلال وظيفة التدريس ، فإنّ تدريسهم كان علمياً محضاً يكاد يخلو من التعرّض للسياسة ؛ إلا ما تعلق ببعض الفتاوى التي تُعرض عليهم من الطلبة - كما سنذكرها لاحقاً (6) - وكان ما مارسوه من وظائف أخرى إلى جانب التدريس أمراً طبيعياً يتفق مع ماذهب إليه أحد الباحثين (7) من أنّ العلماء : " إذا قعدوا للتدريس في دُور بنتها لهم الدول وتقاضوا أرزاقهم منها ، لأصبحوا في عداد خدامها وحواشيها " .

ولم تتوقف الوظائف التي تولّاها علماء تلمسان على ما ذكرناه ، بل شغلوا وظائف أخرى ولكن بدرجة أقل ، ومن هذه الوظائف : الحجابة (8) ؛ التي تولّاها بعض العلماء ، كمحمد

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 174 .

(2) - ابن خلدون : التعريف ، ص 47 .

(3) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 246 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 201 . / درة الحجال ، ج 02 ، ص 284 .
- الحفناوي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 342 .

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 264 .

(5) - نفسه : ص 119 .

(6) - انظر : دورهم في التدريس : المبحث الثاني من الفصل الرابع ، ص 193 وما بعدها .

(7) - حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص 32 .

(8) - قال عنها السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني - في الكتاب الذي أرسله إلى عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) سنة 769هـ/1368م يعرض له فيه تولي الحجابة عنده - : " وكانت خطة الحجابة ببابنا العليّ ... أكبر درجات أمثالك ، وأرفع الخطط لنظرانكم ، قرباً منا ، واختصاصاً بمقامنا واطلاعا عل خفايا أسرارنا ... " . انظر : - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 103 .

ابن أبي عمرو التميمي (ت756هـ/1355م) ؛ الذي تحجّب للسلطان أبي عنان⁽¹⁾ (749-759 هـ /1348-1357م) ، والشيخ عبد الله بن أبي البركات الغماري⁽²⁾ (ت853هـ/1450م) حاجبُ السلطان الزياني أبي العباس أحمد العاقل⁽³⁾ (834-866هـ/1431-1462م) ، كما كان الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) بمثابة حاجب السلطان أبي الحسن المريني (731-752هـ/1330-1351م) ؛ باعتباره " مُفضي سرّه ، وأمين رسالته " ⁽⁴⁾ .

وشغل علماء تلمسان وظائف أخرى ، تمثلت في كتابة الرسائل ؛ ومن هؤلاء العلماء محمد بن منصور بن هدية القرشي⁽⁵⁾ (ت735هـ/1335م) ، والإمام عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت955هـ/1549م) الذي كان متقدّماً في وظيفة الإنشاء ، وعقد الشروط والوثائق ⁽⁶⁾ ، كما شغل العالم أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني ، المعروف بابن الفحام (كان حيّاً سنة 758هـ/1357م) وظيفة المؤقّت للسلطان أبي عنان المريني⁽⁷⁾ .

وقد عكس لنا تولّي علماء تلمسان كلّ هذه الوظائف التي ذكرناها ، خاصّة وظيفتي الخطابة والقضاء اللتين استقطبتا عدداً معتبراً من العلماء ، العلاقة التي قامت بين السلطة السياسية ببلاد المغرب وعلماء تلمسان ، كما كشفت لنا عن مختلف الأدوار والخدمات التي قدّموها لهذه السلطة ، وأثبتوا من خلالها مشاركتهم في الحياة السياسية ولو بدرجات متفاوتة .

03 - دعم علماء تلمسان للسلطات القائمة بأعمال أخرى :

قدّم عدد من علماء تلمسان خدمات للسلطة السياسية القائمة ببلاد المغرب الإسلامي ، فإضافة إلى الوظائف التي تقلّدوها ، كانت هناك مجالات أخرى أبدى فيها العلماء دعمهم للبلاد السياسي ، ومن أوجه هذا الدعم :

(1) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 265 . انظر أيضاً : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 228 .
(2) - انظر ترجمته : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 54 .
(3) - نفسه ، ج 02 ، ص 54 .
(4) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 53 .
(5) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 225 .
(6) - الكتاني : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 163 .
(7) - ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص 31 .

3 - 1 - المؤلفات السياسية لعلماء تلمسان :

تميّزت فترة القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م) فيما يخص حركة التأليف ، بانتشار التاريخ للدول والسلاطين الذين حكموا بلاد المغرب الإسلامي ، والسعي لإظهار أعمالهم وبطولاتهم وإحاق نسبهم بالنسب الشريف وإثبات ذلك (1) ، و سار بعض علماء تلمسان على هذا النحو وسخّروا أقلامهم لتقديم خدمات للسلطة السياسية ، بتأليفهم مؤلفات تُرضي السلطان عنهم وتزيد من حُبّ الرعيّة والنّاس له .

وقد ألف الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق التلمساني (ت781هـ/1379م) كتابه " المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن " (2) ، وانتهى من تأليفه سنة 772هـ (3) /1371م ؛ وما دفعه على تأليفه رغبته في العودة للبلاط المريني في عهد - ابن السلطان المُترجم له في كتابه - أبي فارس عبد العزيز المستنصر (4) (767-774هـ/1366-1372م) ، خاصّة بعد الوضع الصعب الذي كان يعيشه في مدينة تونس بعد موت السلطان الحفصي أبي إسحاق سنة 770هـ/1369م (5) ؛ لذلك ذكر في مقدّمة كتابه قوله : " وكيف أنسى أيادي ملوك أورثوني الشرف ، وأكسبني فراق مغانيهم الحزن والأسف " (6) .

إنّ هذه الظروف هي التي حملت الخطيب ابن مرزوق على تأليف " المسند " ؛ الذي أراد أن يُرضي به السلطان أبا فارس المريني بمدح والده السلطان أبي الحسن ، وتذكير ابنه بالمكانة التي تبوّأها أثناء حياة والده (7) ، ولتحقيق هذا الهدف جعل المؤلف كتابه مليئاً بالمبالغات والإطناب في المديح وتبيان مزايا سلطانه ، كقوله : " مولانا أمير المسلمين أبو

(1) - من أمثلة ذلك تأليف أبو العباس أحمد بن الخطيب ؛ المعروف بابن القنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) مؤلفاً سماه " الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية " ؛ أراد من خلاله أن يحافظ على العلاقة التي نشأت بين الدولة الحفصية وعائلته منذ سنة 733هـ/1332م ، كما قام القاضي أبو عبد الله محمد بن الشماع (كان حياً سنة 861هـ/1456م) بتأليف " الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية " ، سنة 861هـ/1457م ، كما قام ابن أبي زرع علي الفاسي (كان حياً سنة 726هـ/1326م) بتأليف " الذخيرة السنينة في تاريخ الدولة المرينية " .
انظر: - ابن القنفذ : الفارسية ، ص 86 . - ابن الشماع : المصدر السابق ، ص 19 . - ابن أبي زرع : الذخيرة السنينة ، ص 11 ، 12 .

(2) - ابن مرزوق : المسند ، ص 94 .

(3) - نفسه : ص 500 .

(4) - نفسه : ص 92 ، 93 .

(5) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 54 .

(6) - ابن مرزوق : المسند ، ص 93 .

(7) - لكن الخطيب ابن مرزوق لم يئل هدفه ، ولم يعد إلى الحضرة المرينية كما كان يريد . انظر: - نفسه : ص 66 .

الحسن علي ابن موالينا الأمراء الراشدين ، خاتمة الملوك بلا منازع ، وسابقهم إلى المعلومات غير مدافع " (1) . ورغم أن كتابه لم يحظ إلا بانتشار ضئيل ؛ حيث انحصر بين جدران القصور يتأمله رجال الحاشية ، ويتصقحه المؤرخون المترددون على بلاط بني مرين (2) ؛ ولم يكن موجها للطلبة في المدارس أو لعموم الأفراد ، إلا أنه عكس لنا خدمة قدمها الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) للدولة المرينية .

وَألف المؤرخ محمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/1499م) تاريخا مختصرا شمل أهم مراحل تاريخ الدولة الزيانية ، ابتداء من تأسيس السلطان يغمراسن بن زيان للدولة بتلمسان سنة 633 هـ/1236 م ، حتى سنة 868 هـ/1464م ، في عهد السلطان محمد المتوكل (3) ، وسمّاه " نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان " (4) ، وأرجع سبب تأليفه بالقول : " ... ولما كنت من جملة من غمرته آلاؤه ، وتواترت عليه نعمائه ... فعزمتُ جعل الله الملك فيه وفي عقبه أبديا ، على أن أجمع له تصنيفا يكون ملوكيا أدبيا يشتمل على التعريف بنسبه وسلفه الكريم ، وبيان شرفه في الحديث والقديم ... " (5) .

وإذا رجعنا إلى مضمون الكتاب رأينا أن محمد التنسي أراد أن يُصنّف تحفة أدبية لتسليّة السلطان ، خصّص شطرا منها لإثبات شرفه والتحدث عن أجداده من قريش وآل البيت ، والأداسة الذين جعل بني زيان من سلالتهم (6) . كما ذكرت المصادر التاريخية (7) أن الفقيه المفسر محمد التنسي ألف كتابا آخر سماه " راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح " ؛ والذي يظهر من خلال عنوانه أنه يهتم بسيرة السلطان أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) ، وما قيل فيه من مدح وإطراء .

(1) - نفسه : ص 92 .

(2) - نفسه : ص 01 (مقدمة المحقق) .

(3) - التنسي : المصدر السابق ، ص 107 .

(4) - نفسه : ص 108 .

(5) - نفسه : ص 108 .

(6) - محمود بوعياض : "نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان لمحمد التنسي" ، مجلة الثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، العدد 49 ، جانفي ،

فيفري ، 1979 م ، ص 46 .

(7) - المقرئ : نفع الطيب ، ج06 ، ص 248 . انظر أيضا : - التبتكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 261 .

كما يستوقفنا كتاب آخر لمؤلف مجهول بعنوان " زهر البستان في تاريخ بني زيان " (1) ؛ والذي درسه أحد الباحثين (2) ، وذهب إلى أنه ألف ما بين سنة 764هـ/1363 م و769 هـ /1368 م (3) . وتضمن السفر الثاني من هذا الكتاب (4) أخبار السلطان أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ/1358-1388م) ، وتمكنه من إحياء الدولة الزيانية واسترجاع ملك آبائه سنة 760هـ/1359 م (5) .

واللافتُ للانتباه أن علماء تلمسان رغم إفرادهم مؤلفات لعرض سيرة بعض سلاطين المغرب ومدحهم ، فإنهم لم يتعرضوا لمنافسيهم في الدول الأخرى بالانتقاص أو إلحاق المَعْرَة بهم ، كما فعل الوزير ابن الأحمر (6) (ت807هـ/1404م) مع الزيانيين في مؤلفه " تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان " (7) ، والذين وصفهم فيه بـ " المُحَرِّين ، الأذلة ، المصغرين ، ... " (8) كخدمة قدمها للمرينيين بذلك .

وقد عمل علماء تلمسان من خلال هذه المؤلفات على إثبات شرف (9) الأسرات الحاكمة في بلاد المغرب الإسلامي والدفاع عن نسبهم ، ومن العلماء الذين ساروا على ذلك الخطيب أبو عبد بن مرزوق (ت781هـ/1379م) الذي عنون الباب الأول من كتابه بـ " في نسبهم الشريف " (10) ؛ قاصداً بذلك بني مرين الذين تردّد على مسامعه شجرة أنساب تتضمن " رفع

(1) - السفر الثاني منه : مخطوط بمكتبة جون رايندس ، مانشستر ، بريطانيا ، رقم 283 ، (لم نطلع عليه) .
(2) - محمود بوعباد : " زهر البستان في دولة بني زيان " ، مجلة الثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، العدد 13 ، فيفري ، مارس 1973 ، ص59 .
(3) - نفسه : ص59 .
(4) - باعتبار أن السفر الأول لم يعثر عليه .
(5) - نفسه : ص 59 .
(6) - هو إسماعيل بن يوسف الخزرجي الأنصاري ، المعروف بابن الأحمر ، غرناطي الأصل ، إقامته ووفاته بفاس ، توفي سنة 807هـ/1404م .
(7) - انتهى منه سنة 807هـ/1404م . انظر : ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص 84 .
(8) - ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص 57 .
(9) - تعتبر ظاهرة الشرف من أهم الظواهر الاجتماعية والسياسية التي عرفتها بلاد المغرب بعد سقوط الخلافة الموحدية سنة 668 هـ/1269 م ، وضعف السلطة المركزية ، والشرف في اللغة هو العلو والمجد ولا يكون إلا بالأباء أو علو الحسب . وقد لقب بالشريف كل من كان له نسب بالرسول - صلى الله عليه وسلم - فيكون المعنى الإصطلاحي للفظ " شريف " : من ينسب إلى ذرية الحسن والحسين أبناء علي وفاطمة بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم . انظر : - ابن منظور : المصدر السابق ، ج04 ، ص 2241 . - الونشريسي : المعيار ، ج02 ، ص 543 - 549 .
بوية مجاني : " تحفة الرواد في اختصاص الشرف من الوالد لأبي العباس أحمد بن علي بن حسن بن الخطيب ، المعروف بابن القنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) ، مقاربة أولية " ، مجلة سيرتا ، قسنطينة ، العدد 11 ، 1418هـ ، 1998 م ، ص ص 154 - 157 .
(10) - ابن مرزوق : المسند ، ص 107 .

نسبهم إلى الدوحة النبوية والنبعة الحسنية " (1) .

ولم يُغفل الفقيه المؤرّخ محمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1499م) الإشارة والاهتمام بقضية الشرف ؛ فإثبات شرف بني زيان كان الهدف الأول لكتابه (2) ، والذي جاء في عنوانه أنه " في بيان شرف بني زيان " (3) . ورغم عدم التأكد من صحة إتصال نسب عبد الواد بالقاسم أو بإدريس ، والذي اعتبره المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) إدعاءً منهم (4) ، فإن التنسي أصرّ على إلحاقهم بالنسب الشريف ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما قال : " فقد ذكر جماعة من المؤرخين أنه لم يُولّ الخلافة من أبواه هاشميان إلا علي بن أبي طالب ، والأمين بن الرشيد ، فمولانا المتوكل ثالثهما في هذه الخاصية الشريفة " (5) .

وإذا كان التنسي قد وضع الهدف الأول لكتابه هو بيان شرف بني زيان ، فإنه لم يأت فيه بدليل واحد وصريح يؤيد به دفاعه عن هذا النسب وإلحاقه بآل البيت ، كما أن وصفه لمؤسس الدولة الزيانية وإلحاقه بهذا النسب بالقول أنه : " .. سليل سبطي الرسول وثمره عُصني الزهراء البتول ... " (6) ، كان السلطان يغمراسن بن زيان - نفسه - قد أنكره من قبل ، وأعرض عن التقرب إليه بذلك ، عندما قال : " أمّا الدنيا والملك فنلناه بسيفنا لا بهذا النسب ، وأمّا نفعه في الآخرة فمردود إلى الله " (7) .

إنّ هذا الاهتمام بنسب السلاطين وأسراهم والاجتهاد في إلحاق الشرف بهم ، مع ما يُظهره ذلك من تملق ومحاولة لكسب رضا وقرب السلطان ، يُعتبر من الخدمات الجليلة التي قدّمها علماء تلمسان للسلطة السياسية القائمة أمام الرعيّة المغربية ، كما يعكس ذلك العلاقة الوطيدة التي نشأت بين هذه السلطة وبعض العلماء الذين سخّروا علمهم من أجل المحافظة عليها وتقوية عراها .

(1) - ذكر ابن مرزوق هذا النسب مبتدءاً بالسلطان يعقوب المريني ، فقال : " يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمّامة بن محمد بن علي بن تاشفين بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن إسماعيل بن عمر بن حسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - انظر : - نفسه : ص 109 ، 110 .

(2) - التنسي : المصدر السابق ، ص 108 .

(3) - نفسه : ص 108 .

(4) - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 112 .

(5) - التنسي : المصدر السابق ، ص 256 .

(6) - نفسه : ص 111 .

(7) - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 112 .

3 - 2 - مشاركة علماء تلمسان في الاحتفالات الرسمية :

حضر علماء تلمسان الاحتفالات التي أقامها سلاطين الدول التي حكمت بلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) في مختلف المناسبات ، والتي كان من أهمها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، الذي وإن كان يراد به إظهار محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كواجب على هؤلاء السلاطين القيام به ، بحكم ادّعائهم أن نسبهم ينحدر من آل البيت ، فإنه لم يكن يخلو من أغراض سياسية وطموحات توسعية .

وكان أول حضور لعلماء تلمسان في هذه الاحتفالات في البلاط المريني ، ممثلا في الفقيه أبي الحسن التنسي (ت ما بين 700-706هـ/1300-1306م) بعد توجهه في سفارة للسلطان المريني أبي يوسف يعقوب (656-685هـ/1258-1286م) ، الذي كان أول سلطان أقام المولد النبوي ببلاد المغرب أيام حصاره لتلمسان ، فاشتراط عليه حضور المولد عنده (1) .

ولازم الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت 781هـ/1379م) حضور الاحتفال بالمولد النبوي ويومه السابع عند السلطان أبي الحسن المريني من سنة 738 هـ/1337م ، حتى رحيله إلى تونس (2) ، وجرت العادة أن يحضرها الشرفاء والفقهاء والقضاة والخطباء من أهل البلاد (3) ، وقد تحدث ابن مرزوق بإعجاب كبير عن عناية السلطان بالمولد النبوي ، وذكر أنه : " زاد فيها ... من المحاسن ما صيرها مثلا ، وألبسها من سيره الجميلة حلا " (4) .

وأثناء إقامة ابن مرزوق بمدينة تونس في عهد السلطان الحفصي أبي العباس أحمد الثاني المستنصر (772-796هـ/1370-1393م) ، وبعد اختلاف فقهاء مجلس هذا السلطان حول أفضلية ليلة القدر على ليلة المولد النبوي ، ذهب الفقيه المحدث الخطيب ابن مرزوق إلى .

(1) - ابن مرزوق : المجموع ، و 47 .

(2) - ابن مرزوق : المسند ، ص 152 .

(3) - نفسه : ص 152 .

(4) - نفسه : ص ص 152 - 154 .

أفضلية هذه الأخيرة (1) ، وألف كتابا بعنوان " جنى الجنتين في شرف الليلتين " (2) .

وكان الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري التلمساني(3) (كان حيًا سنة 791هـ/1388م ، ممّن حضر الاحتفالات التي حرص السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني(5) (760-791هـ/1359-1389) على إقامتها في عهده ؛ فقد قام بحق ليلة المولد واحتفل بها (6) وأضفى عليها طابعا خاصًا لم تعرفه بقية الممالك المجاورة (7) .

وإضافة إلى ما اشتملت عليه هذه الموالد من قصائد جادت بها قريحة السلاطين والشعراء في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - (8) ، فإنها احتوت على قصائد نظمها من حظر هذه الاحتفالات ، وامتزجت بموضوعات أخرى تعكس الأهداف السياسية التي صاحبت الموالد النبوية كمدح السلطان وإثبات شرفه والدعاء له بالنصر (9) . وقد نظم الشاعر أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري قصيدتين في أول احتفال بليلة المولد النبوي في عهد السلطان أبي تاشفين الثاني سنة 791هـ/1388م ، ضمّتها مدحه للسلطان الزياني ، وممّا قاله فيها :

أبلغ إلى خير الأنام تحيةً أذكى من المسك الفتيق شذاها

عن عابد الرحمان مولانا الذي حاز الفضائل جملة وحواها

فهو الذي حبّ النبي وآله سرّ جوانحه عليه طواها(11)

(1) - الونشريسي : المعيار ، ج11 ، صص 279- 289 .

(2) - نفسه : ج11 ، ص 279 .

(3) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص222 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص152 .

(4) - حضر الاحتفال بالمولد النبوي لهذه السنة . انظر : - التنسي : المصدر السابق ، ص ص 187 - 196 .

(5) - التنسي : المصدر السابق ، ص 168 .

(6) - التنسي : المصدر السابق ، ص 162 .

(7) - عبد الله حمادي : دراسات في الأدب المغربي القديم ، ط1 ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1406هـ ، 1986 م ، ص 262 .

(8) - انظر قصائد السلطان أبي حمو المولدية : - التنسي : المصدر السابق ، ص ص 164 - 168 .

- يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج02 ، صص 137 - 142 . ص ص 152 - 155 . ص ص 224 - 226 .

(9) - جاء في إحدى القصائد لمولد سنة 768هـ/1367م ، مدح للسلطان أبي حمو الثاني . انظر : - يحيى خلدون : المصدر السابق ، ج02 ، صص 192، 191 .

(10) - انظر : - التنسي : المصدر السابق ، ص ص 187 - 196 .

(11) - نفسه : ص 192 .

إلى أن قال :

ملكٌ تَقَرَّ له بكلِّ فضيلة كلِّ الملوك وأنه مولاها

ملك تهاب الأسدُ سورة بطشه ولعزَّ سطوته يذلُّ سطاها⁽¹⁾

وختم قصيدته بالدعاء للسلطان بقوله :

جعل الإله علاك عنوانا لما تـرجو بدار الخلد من عليها

وحبَّاك منه بكل سعد مسعد لا ينقضي أبدا ولا يتتاهى⁽²⁾

ولا نجد كبير فرق بين احتفالات السلاطين المرينيين بهذه الليلة مع ما رأيناه مع سلاطين بني زيان فيما يخص دور العلماء والفقهاء فيها ، ففي وصف الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) للموالد التي أحيها السلطان المريني أبو الحسن (731—752هـ—/ 1330—1351م) — وكان هو حاضرا فيها — ذكر ما جرت عادة الاحتفال بأنه : " ... يشرع في قصائد المدح والتهناني ، فتقرأ على نظام محفوظ وترتيب محوط على قدر المنازل والرتب والمناصب ... " ⁽³⁾ .

وبالإضافة إلى ما كانت تشهده تلك الموالد من أطباق الطعام المختلفة ⁽⁴⁾ ، فإنها لم تخلُ من العطايا للمادحين والحاضرين ؛ من ذلك أن السلطان المريني أبا الحسن ، كان بعد احتفاله بليلة السابع وفي صبيحتها يُعطى للواردين من الشرفاء وكبار الفقهاء والأئمة والخطباء والقضاة كسوة ، وإحسانا لبعضهم ⁽⁵⁾ ، كما كان السلطان الزياني أبو تاشفين الثاني (791—795هـ/ 1389—1392م) يثيب على تلك الموالد " من عظيم النوال " ⁽⁶⁾ .

(1) - نفسه : ص 193 .

(2) - نفسه : ص 196 .

(3) - ابن مرزوق : المسند ، ص 154 .

(4) - انظر : - التنسي : المصدر السابق ، ص 163+164 . - ابن مرزوق : المسند ، ص 154 .

(5) - ابن مرزوق : المسند ، ص 154 .

(6) - التنسي : المصدر السابق ، ص 187 .

وبذلك يمكن اعتبار أن الموالد رغم أنّها احتفالات ذات شعارات دينية ، إلا أنّ البلاط السياسي أراد أن يجعل منها فرصة لإظهار قوة الدولة ، ومدحه وإقرار نسبه ، والدفاع عن ملكه بين رعيته ، أو أمام المنافسين له . ومن جهة أخرى عكست هذه الاحتفالات وجهًا آخر لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية في بلاد المغرب ، وخدمة أخرى قدّموها للسلطان ، مقابل التقرب منه أو الحصول على قسط من العطايا التي توزّع .

ثالثًا : دور علماء تلمسان في العلاقات والصراعات السياسية والعسكرية في بلاد

المغرب الإسلامي :

تميّزت الحياة السياسية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) في أغلب فتراتها بعدم الاستقرار السياسي ، سواء على الصعيد الداخلي للدول الثلاث الحاكمة لبلاد المغرب ، التي كانت مراحل حكمها مليئة بالمؤامرات والدسائس والصراعات (1) . يُضاف إلى ذلك سوء العلاقة الخارجية بينها ورغبة كلّ منها في التوسّع وإحكام السيطرة على كامل بلاد المغرب ، فوسط هذه الأجواء ما هو دور علماء تلمسان وموقفهم من ذلك ؟

01 – دور علماء تلمسان في الصراعات السياسية في بلاد المغرب :

قام علماء تلمسان بعدّة أدوار في الصراعات السياسية التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي ، ومن الأدوار التي قام بها العلماء خلال الأحداث والصراعات الداخلية ، تكليف العالم الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني (2) (ت771هـ/1370م) من طرف السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) بتبليغ أمانه إلى

(1) - حول بعض الصراعات الداخلية التي عرفها البيت الزياني . انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص ص 125- 137 . ص 329 . ص 361، 362 . - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 244 . - التنسي : المصدر السابق ، ص 281 ، ص 235 .

- حول بعض الصراعات الداخلية التي عرفها البيت المريني . انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص ص 278 - 287 . - الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص ص 160 - 162 . - شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص 235 .

- حول بعض الصراعات الداخلية التي عرفها البيت الحفصي . انظر : - ابن قنفذ : الفارسية ، ص 155 .

(2) - وكان مرافقه في ذلك شخص آخر يدعى محمد البريطل . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 207 .

شيوخ إحدى قبائل التيطري⁽¹⁾ وهم خالد بن عامر ، وأبو بكر بن عريف وأخوه محمد ، شرط إخراج غريمه ومنافسه في الحكم أبي زيان ، بعد أن التجأ إليهم سنة 770 هـ /1369م .

وذكرت إحدى الروايات⁽³⁾ أن السلطان المريني أبا سالم (760-762هـ/1359—1361م) كان قد طلب ليلة مقتله سنة 762هـ/1361م من الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) الدخول لداره للتستر قبل أن يفرّ ، ويقع في قبضة من أرسلهم الوزير عمر بن عبد الله للبحث عنه ، والذين كان قد أمرهم بقتله⁽⁴⁾ .

ولم يكتف ابن مرزوق بما قام به لحماية السلطان أبي سالم ، بل أبدى رأيه في مقتل سلطان مريني آخر— وهو السلطان أبو زيان محمد (763—768هـ/1362—1367م) — من قبل وزيره عمر بن عبد الله سنة 768هـ/1367م⁽⁵⁾ ، وردّ على ادّعاءات هذا الأخير حول مقتله ؛ فقد ذكر الفقيه أبو عبد الله محمد المقرّي (ت758هـ / 1357م) أنه رأى على هامش هذه الحادثة من كتاب " الإحاطة " بخط أبي عبد الله بن مرزوق ، أن السلطان أبا زيان : " توفي مغتالا...على يد مظاهره الخائن عُمر بن عبد الله بن علي الوزير ، ردّاه في بئر وأشاع أنه أفرط في السكر وألقى نفسه في البئر... " ⁽⁶⁾ .

وقبل هذه الأدوار التي قام بها الخطيب ابن مرزوق في الشؤون الداخلية للدولة المرينية ، كان هذا العالم التلمساني هو من استجار للوزير عمر بن عبد الله من السلطان أبي سالم المريني عند الاستيلاء على الملك سنة 760هـ/1359م ، بعد أن كاد ينال منه ، فأجاره ورفع رتبته عند السلطان⁽⁷⁾ .

(1) - التيطري هي إقليم يقع شرق تلمسان ، يضم مدينة المدينة . انظر : الخريطة ص 25 من الدراسة .

(2) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 207 .

(3) - الزياني (محمد بن يوسف) : دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتعليق : المهدي بوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1399هـ ، 1979م ، ص 108 ، 109 .

(4) - نفسه : ص 108 . انظر أيضا : - الناصري : المرجع السابق ، ج 04 ، ص 39 .

(5) - الناصري : المرجع السابق ، ج 04 ، ص 51 .

(6) - المقرّي : نفح الطيب ، ج 06 ، ص 12 .

(7) - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 313 .

وكانت من أسباب إبعاد الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) عن الخطابة بمدينة تونس من طرف السلطان الحفصي أبي العباس سنة776هـ/1375م ، ما كان بينه وابن عم السلطان صاحب بجاية (1) ؛ مما يدفعنا إلى القول بأن ابن مرزوق كان له حضور وتأثير في العلاقات السياسية في الدولة الحفصية ، استدعت عزله من منصبه بمجرد وصول السلطان الجديد .

وبرز دور علماء تلمسان في الصراعات الخارجية خلال الحصار التي فرضها المرينيون على مدينتهم ؛ فعندما احتل السلطان أبو الحسن المريني (731-752هـ/1330م) تلمسان سنة737هـ (2)/1337م ، استدعى " شيوخ الفتيا بالبلد " (3) الأخوين أبي زيد عبد الرحمان (ت743هـ/1342م) وأبي موسى عيسى (ت750هـ/1349م) ابني الإمام ، فحضرا بين يديه ووعظاه وذكراه له ما نال الناس من النهب ، فامتثل لهما وأمسك جنوده عن ذلك ورفع القتل عن بني عبد الواد (4) .

وكان ما قام به ابنا الإمام في رفع الحصار عن تلمسان دافعا لأهلها على التوجه إلى علمائهم ومشائخهم عند إحكام الحصار عليها مرة أخرى من طرف السلطان أبي فارس المريني سنة795هـ (5)/1393م ، وطلبوا منهم أن يخرجوا مع الأولاد الصغار بألواحهم يطلبون من السلطان العفو عن أهل تلمسان (6) ، وأمام رفض الشيخ الحسن بن مخلوف الراشدي المعروف بأبركان (ت857هـ/1453م) الخروج للقاء السلطان مع شيخين تلمسانيين آخرين هما : عبد الرحمان السنوسي ، وابن عبد العزيز ، أرجع صاحب " البستان " رفع الحصار من طرف السلطان أبي فارس إلى كرامات الشيخ أبركان (7) ، لكن كان المطلوب منه إجابة هذين الشيخين ومن ورائهم أهل تلمسان نظراً للضرر الذي لحق بهم . ونتساءل هنا عن

(1) - المقرئ : نفع الطيب ، ج05 ، ص 414 .

(2) - انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 111 . وأيضا : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 140 - 142 .

(3) - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 258 .

(4) - نفسه : ج07 ، ص258 .

(5) - نفسه : ج07 ، ص147 .

(6) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص79 .

(7) - نفسه : ص 79 .

سبب هذا الرفض ؟ ! رغم أنّ الشيخ الحسن أبركان قاتل مع أهل تلمسان السلطان أبا فارس المريني (1) .

ورفض الفقيه أبو الحسن علي بن يخلف التنسي(ت ما بين 700—706هـ/ 1300—1306م) العودة إلى مدينة تلمسان ، بعد أن كلفه سلطانها برسالة إلى السلطان أبي يعقوب المريني(685-706هـ/1286-1306م) ، كما لم يتحرك لرفع الحصار الذي فرضه هذا السلطان على تلمسان(2) ، في الفترة ما بين(697-707هـ/1297-1307م) والذي نفذت خلاله الأقوات(4) ، وبلغ فيه عدد الموتى من أهل تلمسان مائة وعشرون ألف (5) . وبالنظر إلى المنزلة التي حظي بها الفقيه التنسي عند السلطان المريني المحاصر(6) ، فإنّ طلبا منه كان يُعجّل برفع المعاناة على أهل بلدته تلمسان .

وأثناء ذلك الحصار غادر الأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني (ت708هـ/1309م) مدينة تلمسان سنة 706هـ/1306م متوجّها إلى الأندلس(7) ، وخاطب المرينيين المحاصرين لها بقصيدة (8) جاء فيها :

كفاكم بها سجنا طويلا وإن يكن هلاككم فيها فهي لكم فخ

فكم فئة منّا ظفرتهم ينيلها بأبشارها من جُحَن أظفاركم برخ(9)

ورغم أنّ ابن خميس أراد بهذا الخطاب رفع الحصار الذي أقامه السلطان أبو يعقوب المريني ، فإنّه في الوقت ذاته أرجع مسؤولية ذلك إلى الزينيين الذين لم يستجيبوا للمحاصرين .

(1) - نفسه : ص 79 .
(2) - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ص 119 - 122 .
(3) - انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص ص 213 - 222 . وأيضا : - الناصري : المرجع السابق ، ص ص 79 - 85 .
(4) - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 123 .
(5) - نفسه : ج 01 ، ص 125 .
(6) - من ذلك أنّ السلطان المريني أبو يعقوب حضر جنازة التنسي ولم يحضر جنازة أحدا قبله ، وقال : " نعم صاحب فقننا اليوم " .
(7) - انظر : - المقري : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 25 .
(8) - نفسه : ج 05 ، ص 361 .
(9) - انظر : - نفسه : ج 05 ، ص 372 .
(9) - البرخ : قطع اللحم وشبّه أظفارهم بالسيف . - نفسه : ج 05 ، ص 372 .

فأضاف قائلاً (1) :

دعاهم أبو يعقوب للشرف الذي يذل له رضوى ويعنو له دمخ (2)

فلم يستجيبوه فذاقوا وبألهم وما لامرئ عن أمر خالقه نخ (3)

وكان غضب السلطان أبو يعقوب المريني (685-706هـ/1286-1306م) على الشيخ أبي العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1282هـ) خلال حصاره لتلمسان واتهامه إياه بعدم احترام أوامره الهادفة إلى إحكام الحصار (4) ، يعكس - إذا كان صحيحا - دور ابن مرزوق لرفع هذا الحصار . كما قام بعده ابنه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) بمحاولة للصلح بين السلطانين الزيانيين أبي سعيد عثمان وأخيه أبي ثابت (749-753هـ/1348-1352م) مع السلطان المريني أبي الحسن (731-752هـ/1330-1351م) ، وانتهت مهمته هذه بسجنه (5) .

وتجلت مشاركة علماء تلمسان في الصراع الزياني المريني بعد احتلال السلطان المريني أبي عنان (749-759هـ/1348-1357م) مدينة تلمسان سنة 753هـ/1352م ، وقبضه على السلطان الزياني أبي سعيد (6) (749-753هـ/1348-1352م) ، فقام السلطان المريني باستدعاء الفقهاء والمفتين بتلمسان ، الذين أفتوا بقتل السلطان أبي سعيد ، فدبّح بعد تسعة أيام من اعتقاله (7) . ورغم أن المصادر - التي بين أيدينا - لم تكشف لنا عن العلماء الذين أفتوا بهذه الفتوى ، فإنها أظهرت سلبية من هؤلاء العلماء في تعاملهم مع حدث وخطر تعرّضت له مدينتهم وأهلها .

(1) - انظر: - نفسه: ج05 ، ص 373 .

(2) - دمخ: اسم جبل . - نفسه: ج05 ، ص 373 .

(3) - نخ: السير العنيف . - نفسه: ج05 ، ص 373 .

(4) - ابن مرزوق: المجموع ، ظ17 ، و18 .

(5) - انظر هذه الحادثة وسبب سجن ابن مرزوق: المبحث الأول من هذا الفصل ، ص 60 من الدراسة .

(6) - أما أخوه الأمير أبو ثابت فقد فرّ بعد هزيمتهم أمام بني مرين . انظر: - التنسي: المصدر السابق ، ج07 ، ص 260 - 264 .

(7) - ابن خلدون: العبر ، ج07 ، ص 288 . انظر أيضا: - الناصري: المرجع السابق ، ج03 ، ص 183 .

02 - مشاركة علماء تلمسان في الحياة العسكرية :

اقتضت مشاركة علماء تلمسان في الحياة السياسية وأدائهم أدواراً في العلاقات الداخلية والخارجية في بلاد المغرب ، إلى وقوفهم أمام محكّ صعب ؛ تمثل في المواجهات العسكرية التي كانت تنتهي إليها أغلب العلاقات السياسية المتوترة ، سواء على المستوى الداخلي للدول الحاكمة في المغرب أو على المستوى الخارجي ، فما هو موقف علماء تلمسان من هذه المواجهات ؟ وهل كانت لهم مشاركة فيها ؟ وما مدى مجهوداتهم لإيقافها ؟

سجّل علماء تلمسان وجودهم في الأحداث العسكرية من خلال مشاركتهم في معركة طريف سنة 741هـ/1340م ، والتي التقى فيها الجيش الإسلامي المكوّن من بني الأحمر والمرينيين - بقيادة السلطان أبي الحسن المريني - ضدّ جيش النصارى⁽¹⁾ ؛ وقد أقدم السلطان أبو الحسن فيها على استنفار أهل المغرب وتجهيز أساطيلهم ، وبعد استكمال ذلك عبروا إلى الأندلس في أواخر سنة 740هـ/1340م ونزلوا بطريف⁽²⁾ .

ومن علماء تلمسان الذين رافقوا السلطان المريني إلى هذه المعركة ، الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق⁽³⁾ (ت781هـ/1379م) الذي ذكر مشاركته بقوله : " ... ثم رحلتُ سنة إحدى وأربعين ، فشاهدتُ واقعة طريف في خدمة السلطان المرحوم أبي الحسن .. وباستدعائه"⁽⁴⁾ ، كما حضر هذه المعركة العالمان الأخوان أبو زيد عبد الرحمان (ت743هـ/1342م) وأبو موسى عيسى (ت749هـ/1348م) ابنا الإمام⁽⁵⁾ ، والفقهاء الأصولي محمد بن إبراهيم الأبلي التلمساني⁽⁶⁾ (ت757هـ/1356م) .

(1) - انظر معركة طريف : - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص ص 260 - 264 .
- الناصري : المرجع السابق ، ج 03 ، ص ص 132 - 137 .
(2) - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 261 .
(3) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 50 . انظر أيضا : - ابن مرزوق : المجموع ، و 49 .
- المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 413 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 185 .
(4) - ابن مرزوق : المجموع ، و 49 .
(5) - ابن القاضي : درة المجال ، ج 03 ، ص 81 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 79 .
(6) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 192 . انظر أيضا : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 220 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 215 .

ولم تفصل المصادر - التي اطلعت عليها - على كيفية وطريقة مشاركة هؤلاء العلماء في المعركة ودورهم فيها ، واكتفت بعرض أدوارها ومراحل القتال بين المسلمين والنصارى ، لكن ما يتأكد لدينا أنّ علماء تلمسان المشاركين فيها عادوا من بلاد الأندلس سالمين ؛ وذلك بالاعتماد على تواريخ وفياتهم .

كما عرفت معركة القيروان سنة 749هـ/1348م التي انهزم فيها السلطان أبو الحسن المريني (731-752هـ/1330-1351م) أمام القبائل العربية بعد احتلاله تونس⁽²⁾ ، مشاركة عالمين تلمسانيين ؛ هما القاضي الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد النور⁽⁴⁴⁾ (ت749هـ/1349م) والفقيه الأصولي أبو عبد الله محمد بن النجار⁽³⁾ (ت749هـ/1349م) .

وقد صاحب الفقيه أبو موسى عيسى بن الإمام (749هـ/1348م) السلطان أبا الحسن المريني إلى إفريقية سنة 748هـ/1347م ، ولما استولى عليها سرّحه إلى بلده⁽⁴⁾ ، ولم تثبت مشاركة ابن الإمام في هذه المعركة ، كما لم تفصل المصادر التاريخية - أيضا - دوره في الاستيلاء على إفريقية . كما سار مع السلطان المريني في حملته هذه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق⁽⁵⁾ (ت781هـ/1379م) ، الذي لم يشارك في معركة القيروان لأنه كان أثناءها موجودا ببسكرة⁽⁶⁾ ، عكس ما ذهب إليه المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) من أنّه كان بالأندلس⁽⁷⁾ . وبنهاية المعركة توجه ابن مرزوق إلى مدينة تونس ، وعن ذلك قال : " ... ثمّ لما بلغ الخبر بخروج السلطان المرحوم من القيروان إلى تونس ، تجرّدت في فرسان وتوجهت نحوه ، وقاسيتُ أمورا عظيمة وشدائد ... " ⁽⁸⁾ . وقد كلفه السلطان بالالتحاق بولده عبد الله ومن معه من كبار بني مرين في إحدى المهام ؛ وذكر الخطيب ابن مرزوق ذلك بقوله : " فخرجتُ من تونس أيضا مجردا في فرسان من المرابطين ... فأدركتهم

(1) - الناصري : المرجع السابق ، ج3 ، ص ص 160 - 162 .

(2) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 46 .

(3) - نفسه : ص 47 . انظر أيضا : - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 190 .

(4) - ابن مرين : المصدر السابق ، ص 126 .

(5) - ابن مرزوق : المجموع ، و 49 .

(6) - نفسه : و 49 . ومدينة بسكرة هي من مدن إقليم الزاب . انظر : - حسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 138 .

(7) - ذكر ابن خلدون أنّ الخطيب ابن مرزوق غاب عن واقعة القيروان بسبب السفارة عنه إلى صاحب الأندلس .

انظر : - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 50 .

(8) - ابن مرزوق : المجموع ، و 49 .

بين مقرّة⁽¹⁾ والمسيلة⁽²⁾ " (3) . وكان وجود الفقيه المحدثّ أبي عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) إلى جانب هؤلاء الفرسان في المهام التي قام بها بتونس ، يشير إلى أنه كانت له مشاركة عسكرية ، خاصّة وأنه صاحبَ السلطان المريني إلى الأندلس وشارك معه في معركة طريف .

واختلف تقييم مشاركة علماء تلمسان في الأحداث العسكرية التي رأيناها ، فإن كانت مشاركتهم في معركة طريف تُحسب لهم بل هي أمر مطلوبة منهم ؛ كونه جهادا ضدّ النصارى كما أنّهم يُعذروا في مشاركتهم للدفاع عن مدنهم وأنفسهم عند الهجوم عليها وحصارهم ؛ مثلما فعل الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1453م) عندما قاتل مع أهل مدينة تلمسان ، لمّا أراد السلطان المريني أبو فارس (768-774هـ/1367-1372م) احتلالها⁽⁴⁾ سنة 772هـ⁽⁵⁾ / 1370م ، فإنه كان يُفترضُ منهم عدم المشاركة في حملات عسكرية للاحتلال وترويع الأمنين من المسلمين ، خدمة لدولة أو سلطان ، أو تحقيقاً لأهداف سياسية وعسكرية .

03 - دور علماء تلمسان في المراسلات والسفارات :

تميّزت مشاركة علماء تلمسان في الحياة السياسية ببلاد المغرب بوقوعهم طرفاً في الصراع الدائر بين القوى السياسية المسيطرة على المغرب آنذاك ، لكن نظراً لمنزلتهم العلمية والتقدير الذي حظوا به ، فقد أقحموا في مهمّة سياسية أخرى للعب دور الوسيط والإصلاح بين المتخاصمين ، فكفّوا بعدة سفارات ومراسلات بين مختلف الأطراف .

أمام الجهود الذي بذلها الزيانيون لبسط سيطرتهم على المغرب الأوسط استجاب السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م) لطلب شيخ قبيلة

(1) - بالفتح ثمّ السكون وتخفيف الراء ، وهي مدينة قريبة من قلعة بني حمّاد ، بينها وبين طنبة ثمانية فراسخ .

انظر: - ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج08 ، ص125 .

(2) - مدينة اختطها أبو القاسم بن عبيد الله المهدي سنة 315هـ/927م . انظر: - نفسه : ج08 ، ص58 ، ص59 .

(3) - ابن مرزوق : المجموع ، و59 .

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص79 .

(5) - الناصري : المرجع السابق ، ج04 ، ص52 .

مغرواة - من منطقة بُرشك⁽¹⁾ - زيري بن حمّاد ، الذي طلب من السلطان الزياني أن يُرسل إليه من يؤمّن له الطريق للوصول إلى بابه ، فبعث إليه الفقيه أبا زيد عبد الرحمان بن الإمام⁽²⁾ (ت743هـ/1342م) ، لكن ورغم أن بُرشك صارت تابعة للسلطان أبي حمو ، إلا أن ابن الإمام المُرسَل لتأمين صاحب بُرشك لم يعمل على أمان هذا الأخير ، بل كان هو من أقدم على قتله سنة708هـ/1308م ، بعد أن استأذن السلطان في ذلك ثارا لأبيه منه⁽³⁾ .

ومن علماء تلمسان الذين كان لهم دور في هذه السفارات ، الفقيه العالم أبو عبد الله محمّد الشريف التلمساني(ت771هـ/1370م) الذي بعثه السلطان الزياني أبو حمو الثاني (760-791هـ/1359-1389م) مع رسوليّ صاحب بجاية الأمير أبو إسحاق بن أبي يحيى الحفصي لطلب الصلح سنة764هـ⁽⁴⁾/1363م ، لكن الفقيه لم يصل إلى مدينة بجاية ؛ لأنّ السلطان أبي حمو أرسل من أعاده إلى تلمسان وقبض بالرسولين الآخرين قرب المدينة⁽⁵⁾ ، وكلف الشريف أبو عبد الله التلمساني بعدها بالوساطة بين السلطان أبي حمو الثاني والثائرين عليه من قبائل التيطري ، فأرسله لتبليغ أمان السلطان لهم⁽⁶⁾ . كما أرسل إلى الأندلس من طرف السلطان أبي سالم المريني(760-762هـ/1359-1361م) في شأن الشفاعة للوزير لسان الدين بن الخطيب(ت776هـ/1374م) وإطلاق سراحه ، فنجح في مهمته وقدموا على السلطان أبي سالم⁽⁶⁴⁾ .

وحاول الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق(ت781هـ/1379م) أن يُصلح بين السلطانيين أبي سعيد عثمان وأبي ثابت الزيانيين(749-753هـ/1348-1352م) مع السلطان أبي الحسن المريني(731-752هـ/1330-1351م) بعد أن كلّف بذلك ، لكن هذا المجهود قوبل

(1) - بُرشك : مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط ، تبعد بعدة أميال عن مدينة مستغانم . انظر : حسن الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 32 ، 33 .

(2) - ابن خلدون : العبر ، ج07 ، ص100 .

(3) - نفسه : ج07 ، ص100 .

(4) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج02 ، ص133 .

(5) - نفسه : ج02 ، ص 134 .

(6) - نفسه : ج02 ، ص 203 .

(7) - ابن خلدون : العبر ، ج07 ، ص 333 .

بسجنه (1) ، كما كان الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) من سفراء السلطان أبي سالم المريني (760-762 هـ/1359-1361م) إلى الملوك (2) .

وعلى الرغم أنّ بعض هذه السفارات والوساطات لم يكتب لها النجاح ، وأنها كانت في خدمة أحد أطراف الصراع ، فإنها أعطت لنا جانبا آخر من علاقة علماء تلمسان بالسياسة ومحاولاتهم لإيجاد الحلول للمشاكل والخلافات بطريقة سلمية .

وقد تجلت لنا ممّا سبق العلاقات التي ربطها علماء تلمسان مع السلطة السياسية في بلاد المغرب ، والتي لم تستقر على حال وتحكمت فيها عدّة عوامل وظروف ، كما أمكننا الوقوف على مختلف الأدوار والأعمال التي ساهم بها العلماء في المشهد السياسي ، فكان أدائهم للبيعة ، وتوليهم للمناصب السياسية ، والمشاركة في الاحتفالات الرسمية للدولة ، والتوجّه في السفارات والوفود ، وحمل السلاح في المعارك ، عكس لنا تلك الأدوار وحجم مشاركة علماء تلمسان في الحياة السياسية ودرجة تأثيرهم فيها .

(1) - انظر: - ابن مرزوق : المجموع ، و49 . - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص54 . - ابن خلدون : العبر ، ج07 ، ص312 .
- ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص51 . - المقرئ : نفح الطيب ، ج05 ، ص395 ، ص396 .

(2) - ابن خلدون : العبر ، ج07 ، ص312 .

الفصل الثالث

دورُ علماء تلمسان في الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب
خلال القرنين (08 و09 هـ / 14 و15 م)

أولاً : الحياة الاجتماعية لعلماء تلمسان :

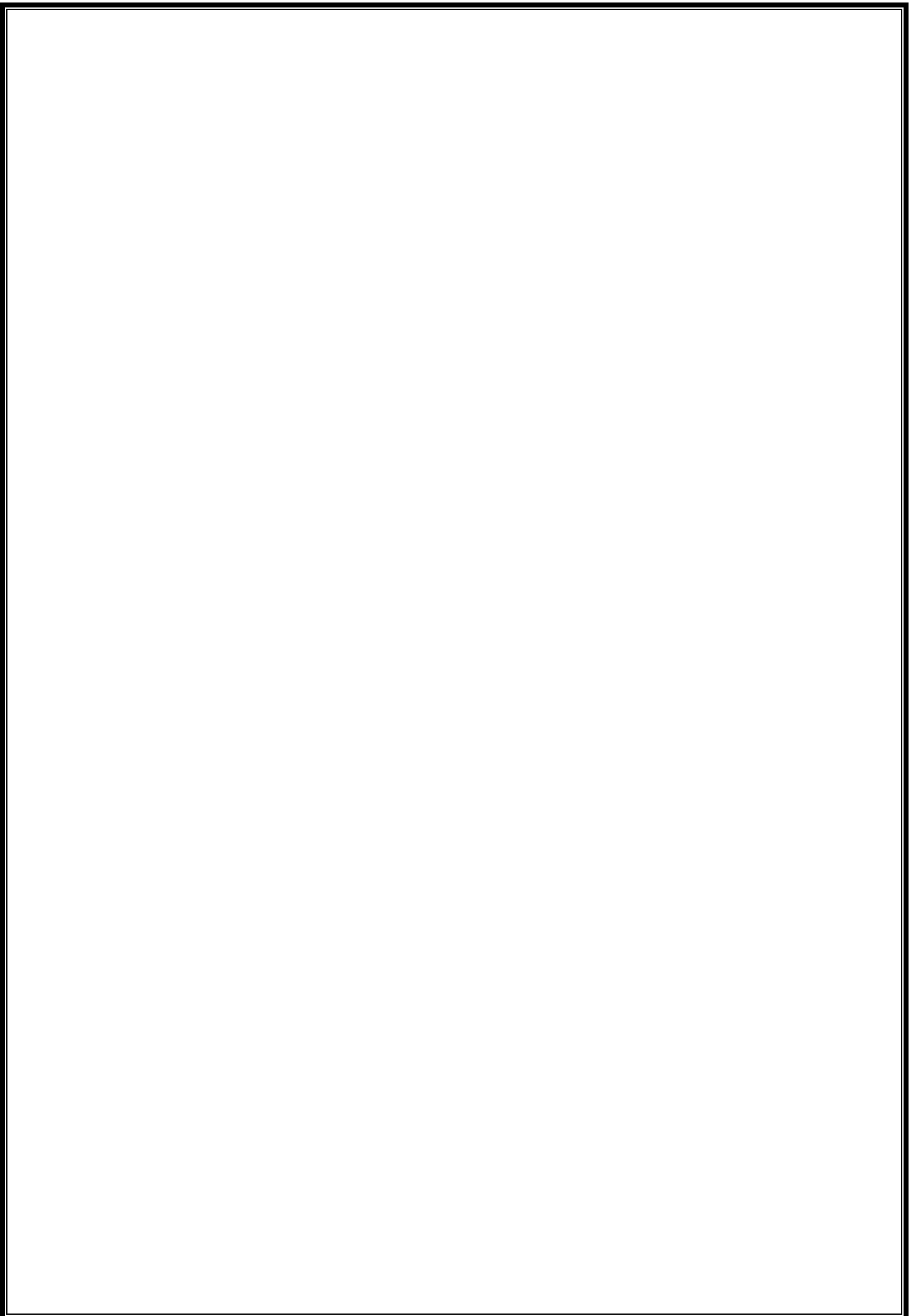
- 01 – الحياة الخاصة لعلماء تلمسان :
- 02 – علاقة علماء تلمسان بالمجتمع المغربي :

ثانياً : خدمات علماء تلمسان الاجتماعية :

- 01 – خدمات علماء تلمسان من خلال مناصبهم ووظائفهم :
- 02 – مساعدة أفراد المجتمع :
- 03 – أعمال علماء تلمسان أثناء الكوارث و الشدائد :
- 04 – إقامة المرافق الاجتماعية :
- 05 – جهود علماء تلمسان لإصلاح المجتمع :

ثالثاً : مواقف علماء تلمسان من قضايا مجتمعهم :

- 01 – موقف علماء تلمسان من قضية الشرف :
- 02 – موقف علماء تلمسان من سلوك المتصوفة :
- 03 – موقف علماء تلمسان من قضية يهود توات :



دور علماء تلمسان في الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب الإسلامي

خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15 م)

ربطت علماء تلمسان بمجتمعهم علاقات وصلات وطيدة ، باعتبارهم أفراد من المجتمع الذي ينتمون إليه وهو المجتمع التلمساني ، كما كانت تلك العلاقات أيضا على درجة من المتانة مع أفراد المجتمع المغربي بصفة عامة ، بسبب تنقلاتهم في أقطار المغرب والإقامة فيها والاحتكاك بأفرادها ، مع ما يوافق طبع الإنسان من الألفة والاجتماع مع من يعيشون معه ؛ كما ذهب إلى ذلك المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) في مقدّمته (1) .

وبعد ما ذكرناه من مشاركة علماء تلمسان في الحياة السياسية ببلاد المغرب ودورهم فيها ، نحاول إتباع ذلك بمعرفة دورهم الاجتماعي ، وما مدى تأثيرهم فيه ؟ وماهي الخدمات التي قدّموها لأفراد المجتمع المغربي ؟ أو أنّ دخولهم معترك السياسة أرهاقهم وشغلهم عن الاهتمام بذلك ؟

أوّلا : الحياة الاجتماعية لعلماء تلمسان :

يؤثر التكوين والنشأة الاجتماعية للفرد على مسار حياته وفترات عمره ، ويتحكم في تحديد ملامح شخصه وأدواره المختلفة ؛ ممّا يجعل الحديث عن بعض الجوانب الخاصة في حياة علماء تلمسان ، ثم الغوص في طبيعة العلاقة التي جمعتهم بأفراد مجتمعهم ضروريا لتفسير وفهم دورهم الاجتماعي .

01 – الحياة الخاصة لعلماء تلمسان :

1 – 1 علاقات علماء تلمسان الأسرية :

إدراكا من علماء تلمسان لدور الأسرة في حياة الفرد والمجتمع ، وما تمثله من لبنة هامة وأساسية لبناء المجتمع ، فقد أولّوها عناية كبيرة واهتموا بالعلاقات مع أفراد أسرهم ، وإن لم تركز المصادر التاريخية وكتب التراجم على هذا الجانب من حياة العلماء ، فإننا نحاول أن نستخلص ذلك من بعض الإشارات الواردة في تراجمهم وأدوارهم .

(1) - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص 34 .

أقام علماء تلمسان أسرا بعد إتمامهم لرابطة الزواج ، وممّا ذكرته المصادر عن زواجهم ارتباط الفقيه أبي العباس أحمد بن مرزوق(ت741هـ/1341م) بابنة الفقيه أبي إسحاق إبراهيم التنسي⁽¹⁾(ت ما بين 689هـ – 703هـ/1290 – 1303م) ، التي كان وليها في هذا الزواج عمها أبو الحسن علي التنسي⁽²⁾(ت ما بين 700 – 706هـ/1300 – 1306م) . كما تزوّج الفقيه أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني(ت771هـ/1370م) بعد عودته من مدينة فاس إلى تلمسان بابنة السلطان أبي حمو موسى الثاني(760-791هـ/1359-1389م) الذي " أصهر له ابنته وزوّجها إياه " (3) .

ويعكس لنا قيام السلطان الزياني بتزويج ابنته من أحد علماء تلمسان ، ونصح السلطان أبي يعقوب المريني(685-706هـ/1286-1306م) للفقيه أبي الحسن التنسي بقوله : " ... لمثل هذا ينبغي أن تزوّج ابنة سيدي إسحاق أخيك ... " (4) ، عن الرغبة في مصاهرة علماء تلمسان من طرف المجتمع التلمساني ، وإذ لم تطلعنا المصادر التاريخية حول هذه الرغبة في المدن المغربية الأخرى ، ولا عن ارتباط العلماء وزواجهم منها ، فإننا نلمس تلك الرغبة من قول السلطان المريني السابق .

ومن جهة أخرى تميّزت أسر علماء تلمسان بالتماسك والعلاقات الحسنة بين أفرادها ، فعندما عرض على الشيخ أحمد بن مرزوق(ت741هـ/1341م) الزواج ، ترك الأمر لوالده في تقرير ذلك (5) ، كما كانت والدته الخطيب ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) مرافقة له عندما انتقل من تلمسان إلى فاس بعد سنة 741هـ/1341م (6) ، وكان الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1453م) في غاية البرّ بأبويه ، وكان يقول : " لم أر الخير والبركة إلا في برّ الوالدين " (7) .

(1) - ابن مرزوق : المجموع ، ط7 ، و18 . انظر أيضا : - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص29 .

(2) - ساهم في هذا الزواج السلطان المريني أبو يعقوب ، بعدما أمر التنسي بقوله : " ... لمثل هذا ينبغي أن تزوّج ابنة سيدي إسحاق أخيك ... " ، وتكفل هو بالعرس وأنفق عليه أربعمائة وثمانين ديناراً ذهبياً . انظر : - نفسه : و18 .

(3) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص64 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص165 .

(4) - ابن مرزوق : المجموع ، و18 .

(5) - نفسه : و07 .

(6) - كما كانت والدته ابن مرزوق مرافقة لوالده عند انتقاله إلى المغرب .

انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و18 . - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص413 .

(7) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص85 .

وكانت الزوجة تتولى تربية الأبناء في غياب زوجها أو وفاته ، فعند وفاة والد الفقيه الأصولي أحمد بن محمد بن زكري(ت899هـ/1494م) وتركه صغيراً ، قامت أمه بحضائنه (1) ، كما قامت أخت الشيخ أبي العباس أحمد بن مرزوق(741هـ/1340م) بكفالاته عند ولادته سنة 681هـ(2)/1282م . وقد أوصى العلماء أبناءهم برعاية أرحامهم وصلتهم ؛ من ذلك الوصية التي ذكرها الخطيب ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) لوالده وجاء فيها : " ... وعليك بطاعة عمك وبخدمته وبالرفق بأختك وصلة قرابتك " (3) ، وكان الفقيه الشريف التلمساني(ت771هـ /1370م) يصل رحمه ويواسيهم بكثير من ماله (4) .

وقد أولى كثيرٌ من علماء تلمسان رعاية كبيرة لأجدادهم ، كما فعل الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم العقباني(ت871هـ/1467م) مع جدّه أبي الفضل قاسم العقباني (ت854هـ /1450م) عند مرضه (5) . ويتجلى لنا من خلال احتفاظ العلماء بذكرى أجدادهم (6) وآبائهم (7) ، تلك العلاقة القوية التي كانت عليها أسر العلماء .

وكان العالم هو الذي يتولى الإنفاق على أسرته ، واجتهد بعضهم للتوسيع في الإنفاق ، فقد ذكر صاحب كفاية المحتاج أن الفقيه المفسر أبا عبد الله الشريف التلمساني(ت771هـ/1370م) كان : " يوسّع نفقة أهله " (8) . كما نقل لنا الخطيب ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) عن جدّه أبي عبد الله محمد بن مرزوق(ت681هـ/1282م) أنه : " عمل لكل بنت من بناته وكنّ جملةً حلياً بألف دينار من الذهب عدا ما جعل لهنّ من الفرش والثياب ، وأعطى كلّ واحد من بنيه نحو ذلك " (9) .

(1) - المقرئ : نفع الطيب ، ج05 ، ص38 .

(2) - ابن مرزوق : المجموع ، و17 .

(3) - نفسه : و33 .

(4) - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص340 .

(5) - العقباني : المصدر السابق ، ص91 .

(6) - ذكر أبو العباس أحمد المقرئ(ت1041هـ/1631م) سيرة جدّه في كتابه " نفع الطيب " ، وذكره بلقب " جدي " . كما فعل ذلك الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) بذكر سيرة جدّه أبي عبد الله ابن مرزوق(ت681هـ/1282م) في كتابه " المجموع " .

انظر : - المقرئ : نفع الطيب ، ج02 ، ص215 . ج05 ، ص244 - 281 . - ابن مرزوق : المجموع ، و01 - 16

(7) - خصّص الخطيب ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) جزءاً من كتابه " المجموع " لعرض سيرة أبيه . انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و16 - 40

(8) - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص340 .

(9) - ابن مرزوق : المجموع ، ظ07 .

1 - 2 - مصادر معيشة علماء تلمسان :

اختلفت مصادر معيشة علماء تلمسان ، بين من حصل عليه نظيرَ وظيفته عند الدولة ، أو من كان مصدره من أعمال حرّة قام بها لوحده بممارسة أنشطة وأعمال مختلفة ، في حين هناك من تفرّغ للعلم وما تعلق به وكانت معيشته من مصادر أخرى .

اشتغل عدد كبير من علماء تلمسان في وظائف مختلفة بدول المغرب الإسلامي⁽¹⁾ ، وإن جاءت المصادر التاريخية شحيحة فيما يتعلّق بأخذ الأجرة مقابل أداء تلك الوظائف ، فإنّ بعض ما ورد في كتب التراجم والنوازل الفقهية تعطي لنا إشارات عن ذلك .

ذكر المؤرخ ابن مريم الشريف التلمساني(ت1014هـ/1605م) أنّ الفقيه أبا عبد الله الشريف(ت771هـ/1370م) لم يكن يأخذ مرتبا في مدرسته⁽²⁾ ، في حين أنّ الفقيه محمد بن عمر الفتوح التلمساني(ت818هـ/1415م) كان يقرئ بمدرسة أبي عنان بفاس ويقيم حاله بمرتبها⁽³⁾ . كما أجرى السلطان المريني أبو الحسن(731-752هـ/1330-1351م) للفقيه الحافظ أبي عبد الله محمد بن النجار(ت846هـ/1442م) رزقه من خزينة الدولة⁽⁴⁾ .

وذهب المفتي أبو عثمان سعيد العقباني(ت811هـ/1408م) إلى جواز أخذ الأجرة على تعليم العلم حفاظا عليه من الضياع ، وحتى لا يشغل العلماء بطلب المعيشة عن أداء وظيفتهم التعليمية⁽⁵⁾ ، ممّا يجعلنا نوّكد أنّ الدولة خصّصت أجورا للعلماء الذين تولوا مناصب ووظائف في الخطط المختلفة ؛ لكن في مقابل ذلك هناك من رفض أخذ هذه الأجرة ، على غرار أبي عبد الله محمد الشريف⁽⁶⁾(ت771هـ/1370م) ، وأبي العباس أحمد بن مرزوق(ت741هـ/1340م) ، هذا الأخير الذي رفض الاشتغال بوظيفة التوثيق ، لاعتباره أن أجرته حرام⁽⁷⁾ .

(1) - انظر : - المبحث الثاني من الفصل الثاني ، ص 79 وما بعدها من الدراسة .

(2) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 174 .

(3) - نفسه : ص 246 .

(4) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 47 .

(5) - الوثائقي : المعيار ، ج 08 ، ص 236 . ج 11 ، ص 16 ، 17 .

(6) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 174 .

(7) - اختلف العلماء حول أجرة التوثيق . انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و 28 ، ط 28 . انظر أيضا : - ابن الخطيب : مثلى الطريقة في ذم الوثيقة ،

ص ص 77 - 115 .

وجعل جماعة أخرى من علماء تلمسان من قيامهم بالأنشطة الحرّة مصدرًا لمعيشتهم ،
 فقد كان الأديب الشاعر أبو عبد الله بن خميس(ت707هـ/1308م) حرقياً بارعا في صنع
 الشمع (1) . وبدوره احترف أبو العباس أحمد بن مرزوق(ت741هـ/1340م) حياكة الصوف
 بتلمسان (2) . وبعد وفاة والد الفقيه الأصولي أحمد بن محمد بن زكري(ت899هـ/1494م)
 أدخلته أمّه في طراز عند معلم ليتعلم الحياكة ، وبقي عنده حتى تعلم النسيج ، وكانت أجرته في
 الطراز نصف دينار في كلّ شهر(3) ، وكانت للخطيب أبي زيد بن أبي العيش(كان حيا ما
 بين 681 – 703هـ⁽⁴⁾/1282-1303م) حانوتا بجانب المسجد الأعظم بتلمسان يتاجر فيه (5) .
 كما جرت عادة الشيخ أحمد بن الحسن الغماري(6) (ت874هـ/1470م) أن يخرج للجبال
 والأراضي التي ليست ملكا لأحد ، ويجعل حزمة من الحطب على ظهره ويأتي بها لسوق
 الحطب في تلمسان ليبيعه هناك (7) .

وقام العلماء الذين رفضوا أخذ الأعطيات من عند السلاطين ، ولم يتولوا مناصب في
 الدولة ، ولم يمارسوا أي نشاط ، بإعالة أنفسهم من مصادر أخرى ؛ فالفقيه أبو عبد الله
 الشريف(ت771هـ/1370م) لمّا رفض أخذ مرتبه مقابل تدريسه ، كان ينفق على نفسه من
 مال أبيه ويكتفي به (8) ، كما أنّ الشيخ محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) – الذي
 امتاز برفضه لأعطيات السلطان – كان يقبل أعطيات غيره من أفراد المجتمع (9) ، وذكر هذا
 الأخير أنّ شيخه محمد بن قاسم بن تومرت التلمساني(10) (عاش في القرن 09هـ/15م) كان
 يأكل من الطعام الذي يعطى للسعاة من الديار (11) .

(1) - المقري : نفح الطيب ، ج05 ، ص 360 .

(2) - ابن مرزوق : المجموع ، و 16 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 38 ، 39 .

(4) - تولى الخطابة للسلطان الزياني أبي سعيد الأول(681 - 703 هـ / 1282 - 1303 م) . انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و 44 .

(5) - ابن مرزوق : المجموع ، و 41 .

(6) - مصادر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 31 - 38 . - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 193 - 237 .

(7) - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 402 .

(8) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 174 .

(9) - نفسه : ص 241 .

(10) - مصادر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 237 . - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 239 .

(11) - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 240 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 237 .

وكان العلماء يحرصون على أبنائهم بالكسب الحلال والابتعاد عن الحرام ، كما فعل الفقيه أبو العباس أحمد بن مرزوق(ت741هـ/1340م) مع ابنه أبي عبد الله محمد(ت781هـ/1379م) عندما طلب منه السعي للرزق الحلال والابتعاد عن الحرام ، وأوصاه بذلك قائلاً : " ... وعندك من الحلال ما يكفيك عن طلب غيره " (1) .

1 - 3 - الوضع المادي لعلماء تلمسان :

تباين المستوى الإجتماعي لعلماء تلمسان ، بين مجموعة من العلماء كانت وضعيتها الإجتماعية والمادية جيّدة عاشت ميسورة الحال ، مقابل مجموعة أخرى عاشت وضعية إجتماعية صعبة ومتردّية .

فمن الأسر التلمسانية التي كانت ذات منزلة إجتماعية ومادّية راقية أسرة ابن مرزوق ، فقد دلت الأعمال التي قام بها أبو عبد الله بن مرزوق الجدّ(ت681هـ/1282م) من توسيع على أهله وتصدّقه على الفقراء وكسوتهم كل سنة (2) ، على غنى هذه الأسرة ، كما وُصف حفيده الفقيه أبو عبد الله محمد بن مرزوق(ت842هـ/1438م) بأنّه من رجال الدنيا والآخرة (3) ؛ ممّا يعكس مكانته ومكانة أسرته في المجتمع وقيمتها بين أفراده . ومن جهتها اشتهرت أسرة العقباني بتولي المناصب القضائية (4) ؛ ممّا جعلها من الأسر ذات المكانة الاجتماعية الراقية ، كما نالت هذه المنزلة أسرة المقرّي التي اشتهر أفرادها بالتجارة (5) .

ونال بعض العلماء منزلة إجتماعية وكوّنوا ثروة بمجهوداتهم الخاصّة ، كما هو حال الفقيه الأصولي محمد بن سعد التلمساني(6)(ت901هـ/1496م) ، الذي وصفه الفقيه أبو جعفر البلوي(ت938هـ/1532) بأنه : " من أعيان بلده ، وصدور بيوتات أهله ، ونوي الثروة

(1) - ابن مرزوق : المجموع ، و33 .

(2) - نفسه : ظ07 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 208 .

(4) - انظر : - المبحث الثاني من الفصل الثاني ، ص ص 80 - 91 من الدراسة .

(5) - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص 205 .

(6) - هو محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد التلمساني ، توفي بمصر سنة 901هـ/1496م .

انظر ترجمته : - ابن مخلوف : المصدر السابق ، ص268 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص144 .

- ابن مريم : المصدر السابق ، ص251 ، 252 . - الحفناوي : المرجع السابق ، ج01 ، ص174 .

- التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص263 . / كفاية المحتاج ، ص455 .

والجاه في أهله " (1) ، و ذكر أنه كان يسعى في تحصيل تلك المنزلة والزيادة فيها بماله وبنفسه (2) . وإن لم يُصرِّح البلوي عن مصدر هذه الثروة ، فإنّ الظاهر أنّ الشيخ ابن سعد مارس أنشطة حرّة درّت عليه أموالا كبيرة .

في مقابل ذلك عاش علماء آخرون وضعية مادّية صعبة وعانوا من شظف العيش وضيقة ، فقد عاش الفقيه الأصولي المتصوّف أبو إسحاق إبراهيم المصمودي (3) (ت805هـ/1403م) في فقر شديد ، ونقل لنا تلميذه أبو عبد الله المجاري الأندلسي (4) (ت862هـ/1458م) درجة فقره بأنّ : " بيته كان في غاية الضيق ، كانت له فيها سجادة يصلي عليها ، وعليها ينام ... ويتوسّد حجرا ولباسه كساء " (5) . كما كانت الصدقات والنذور التي تصل إلى الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1454م) ، وجمعه لقوته من الطعام المتساقط في الطرقات ومن أتقاب الحيطان (6) ، تعكس حياة الفقر والحاجة التي عاشها .

ويتجلّى لنا فقر الفقيه الأصولي أحمد بن زكري (ت899هـ/1494م) في عدم قدرته على امتلاك بيت (7) ، كما فرضت الحاجة وانعدام مصدر للرزق على الأصولي المفسّر محمّد ابن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) قبول أعطيات الناس وصدقاتهم (8) من أجل إعالة نفسه .

وسبّب رفض بعض العلماء الوظيفة عند السلطان أو أخذ أعطياته ضيقا وصعوبة كبيرة في العيش ، فقد أدّى رفض الفقيه العالم أبي العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1340م) الجلوس لعقد الشروط والشهادة عند السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/

(1) - ثبت البلوي : ص 414 .

(8) - نفسه : ص 414 .

(3) - انظر ترجمته : - التبتكي : كفاية المحتاج ، ص98، 99 . / نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص ص 42 - 44 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص248 - ابن القاضي : درّة الحجال ، ج01 ، ص199 .

(4) - ولد في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري بالأندلس (14م) بالأندلس ، رحل إلى المغرب فأخذ عن علماء تلمسان وبجاية وتونس .

انظر ترجمته : - السخاوي (شمس الدين محمّد) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ط1 ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، 1412هـ/1992 ، ج09 ، ص151 . - برنامج المجاري : ص ص32-42

(5) - برنامج المجاري : ص 133 .

(6) - ابن سعد : روضة النسرين ، ص128 ، 129 .

(7) - لأجل ذلك كان يمشي من تلمسان إلى العباد من أجل طلب العلم ، فبعث الشيخ محمّد بن العباس التلمساني (ت871هـ/1467م) إلى السلطان ليكتب له

بيتا في المدرسة ، فكتب له البيت برتبته وفرشه وسمنه وزيتته ولحمه وفحمة . انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 39 .

(8) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 241 .

1307-1318م) رغم حاجته وأسرته لمصدر عيش⁽¹⁾ إلى وضعية مادية صعبة ، أبان عنها جواب زوجته بعد رفضه ، بقولها : "... ولم لم تجبهم وأنت ترى ما نحن فيه من ضيق الحال..."⁽²⁾ ، كما أدى رفض الصوفي الحسن أبركان(ت857هـ/1453م) أخذ أي شيء من السلطان وعدم ممارسته لأي عمل لإعالة نفسه ، إلى جمع الطعام من الطرقات⁽³⁾ .
مما سبق ندرك تفاوتاً في المستوى المعيشي والمادي لعلماء تلمسان ، وهو ما سيكون له كبير الأثر على الدور الاجتماعي الذي يؤديه في المجتمع .

02 – علاقة علماء تلمسان بالمجتمع المغربي :

نشأت بين علماء تلمسان وأفراد مجتمعهم علاقات وصلات أخذت صوراً وأشكالاً مختلفة بحكم منزلتهم العلمية وتقدير المجتمع للعلم وأهله ، إضافة إلى الأعمال الاجتماعية التي قاموا بها والمناصب والوظائف التي تقلدوها ، مما جعلهم على احتكاك بالناس كثيراً .

2 – 1 معاملتهم الناس :

عامل علماء تلمسان أفراد المجتمع معاملة تليق بهم كعلماء يرشدون الناس ويعلمونهم ، ومن خلال السلوكات التي قابلوهم بها أثناء تأديتهم لوظائفهم ، يمكن الحكم على طبيعة تلك المعاملة مع أفراد المجتمع على اختلاف شرائحهم .

نقل المؤرخ أبو العباس بن القاضي الكناسي (ت1025هـ/1616م) أن القاضي أبا عبد الله محمد المقرئ (ت758هـ/1357م) – الذي تولى قضاء الجماعة بمدينة فاس – :
" أنفذ الحق وألان الكلمة وخفض الجناح ، فأحبتّه العامة والخاصّة " ⁽⁴⁾ . فكان تولي المقرئ لمنصب القضاء والقيام على شؤونه فرصة لتقريبه من الناس وكسب ودّهم .

وكان تصدر علماء تلمسان للتدريس فرصة للقائهم مع كثير من الطلبة ، سواء في تلمسان أو في غيرها من المدن المغربية ، كما أنهم فتحوا بيوتهم لقاصديهم وتلاميذهم ؛ فكان بيت الفقيه أبي عبد الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) مجتمعاً للعلماء والصلحاء ، يُطعم

(1) - ابن مرزوق : المجموع ، و28 .

(2) - نفسه : و28 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص 88 - 90 .

(4) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص 43 .

أثناءه الطلبة أطيّب الأُطعمة (1) . ورغم ضيق بيت الشيخ أبي إسحاق إبراهيم المصمودي (ت805هـ / 1403م) ، فإنّ تلميذه أبا عبد الله المجاري الأندلسي (ت862هـ / 1458م) قرأ على شيخه فيه (2) .

وأدّت مخالطة علماء تلمسان لأفراد مجتمعهم إلى إكرامهم وحسن ضيافتهم ، فقد اشتهر الفقيه محمدّ الشريف التلمساني (ت771هـ / 1370م) بإكرامه لضيوفه (3) ، وتقريبه لهم ما حضر عنده (4) ، كما كان الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ / 1453م) يؤثّر أهل العلم عنده ويرفع من قدرهم (5) . وجرت عادة أبي عبد الله بن مرزوق الجدّ (ت681هـ / 1282م) في التوسيع على ضيوفه (6) ، وتبعه من بعده ابنه الفقيه أبو العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ / 1340م) في إكرام الضيف ، فقد كان يقدّم لضيوفه ما تيسّر من الطعام عنده (7) .

واشتهر علماء تلمسان بانسجامهم مع أبناء مجتمعهم وانتشار الألفة بينهم ، فكان الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ / 1379م) " إفا مألوفاً منقاداً للدعوة " (8) ، كما كان الفقيه الأصولي محمدّ بن يوسف السنوسي (ت895هـ / 1490م) يتبسّم مع النَّاس ، ويتزاحم الأطفال على تقبيله (9) . وبدوره قابل الشيخ أبو إسحاق إبراهيم التنسي (10) (ت ما بين 689 – 703هـ / 1290–1303م) النَّاس بالابتسامة وحسن الخُلق (11) .

وتحرّز بعض العلماء في مخالطتهم لأفراد المجتمع خاصّة أبناء الدنيا منهم ، فرغم ما رأيناه من مخالطة الفقيه محمدّ السنوسي (ت895هـ / 1490م) فإنّه كان إذا سمع بوليمة أحد من أبناء الدنيا تخلف عن الحضور يومها أو قبلها بأيام حتى لا يُدعى لها (12) ، كما كان الشيخ أبو

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 170 .

(2) - برنامج المجاري : ص 133 .

(3) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 340 .

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 170 .

(5) - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 129 .

(6) - ابن مرزوق: المجموع ، و 06 .

(7) - نفسه : و 24 .

(8) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 59 .

(9) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 240 .

(10) - هو جدّ الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق (ت781هـ / 1379م) . انظر : - ابن مرزوق ، ص 40 .

(11) - نفسه : و 40 .

(12) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 174 .

إسحاق إبراهيم المصمودي (ت805هـ/1403م) شديد الانقباض على الناس⁽¹⁾ . لكن الذي ينبغي هو أنّ العالم يخالط جميع الناس ، ويبثّ دعوته فيهم وينصحهم ، حتى يصلح المعوج ويعيد المنحرف منهم .

وكان علماء تلمسان مشفقين على أفراد مجتمعهم ، يتقاسمون معهم آلامهم وصعوبات الحياة ، فقد وُصف الفقيه الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) بأنه مشفق على الناس كثير المواساة لهم⁽²⁾ ، كما اُتصف بذلك المُفسّر الأصولي محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) الذي دفعه إشفاقه على الناس إلى قضاء حوائجهم عند السلطان⁽³⁾ .

2 - 2 - المميّزات السلوكية والخلقية :

تحلّى علماء تلمسان أثناء مخالطتهم لأفراد مجتمعهم بسموّ أخلاقهم ، التي جعلت منهم محبوبين ومكرّمين في المجتمع ، ومن بين تلك الأخلاق نذكر :

أ - التواضع مع الناس :

يظهر تواضع علماء تلمسان في حياتهم من خلال الأنشطة والأعمال التي كانوا يقومون بها ، كما يظهر تواضعهم مع أفراد مجتمعهم من خلال مخالطتهم - كما ذكرنا - والقيام على خدمتهم والإشفاق والعطف على ضعفائهم .

وقد نقل الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) عن والده أبي العباس أحمد (ت741هـ/1340م) أنه كان : " أشدّ الناس تواضعا ، وإذا مرّ بطريق فيه حجرا أزاله أو شوكا أماطه " ⁽⁴⁾ ، وكان في خدمة أهله يحمل العجين إلى الفرن ، ويشترى بنفسه ما يحتاج من حطب وفحم وغيره ، ويخيط ثوبه بيده ، وكان كثيرا ما يدعو الخادم ليأكل معهم ⁽⁵⁾ ، كما كان الشيخ أبو إسحاق إبراهيم التنسي (ت مابين 689-703هـ/1290-1303م) حسن الخلق وشديد التواضع مع الناس ⁽⁶⁾ .

(1) - برنامج المجاري : ص 133 .

(2) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 170 .

(3) - نفسه : ص 240 .

(4) - ابن مرزوق : المجموع ، ظ 30 .

(5) - نفسه : و 31 .

(6) - نفسه : ظ 40 .

ورغم أنّ الشريف أبا عبد الله التلمساني (ت771هـ/1370م) كان يلبس رفيع اللباس ، فإنه لم يكن يتكبر على الناس وعاملهم بحلم ، وكان مشفقاً عليهم ، ورحيماً بهم ، يتلطف معهم ويقضي حوائجهم بسماحة وبغير تكبر⁽¹⁾ . ووصف المؤرخ لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1375م) الفقيه المفسر أبا عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) بأنه كان " كثير التودّد لطيف التأتّي ، طلق الوجه " (2) في معاملته للناس ، كما كان الحفيد محمد بن مرزوق (ت842هـ/1438م) في التواضع والانصاف والاعتراف بالحق فوق كلّ غاية (3) .

ومن التواضع الذي أظهره الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) مع أفراد مجتمعه ، تبسّمه في وجه من لقيه مع الإقبال على الناس وحسن الكلام معهم ، وقد كان ليّناً هيناً حتى في مشيه ، يتزاحم الأطفال على تقبيل أطرافه (4) ، كما كان من تواضعه أنه لا يلبس لباساً مخصوصاً يُعرف به ، ولا يرفع صوته ، يصافح الناس (5) ، ولا يفارق الرجل حتى ينصرف (6) .

ولم يمنع تولي علماء تلمسان لمناصب عليا ووظائف مختلفة في الدولة على التواضع للناس ؛ من ذلك ما ذكره المؤرخ ابن القاضي (ت1025هـ/1616م) أنّ القاضي أبا عبد الله محمد المقرّي التلمساني (ت758هـ/1357م) لما تولى قضاء الجماعة بمدينة فاس " ألان الكلمة وخفض الجناح " (7) ، وكان مسلوب التصنّع (8) .

ومن مظاهر تواضع علماء تلمسان هو قيامهم بأعمال يمارسها العامة ؛ فقد كان الأديب الشاعر أبو عبد الله بن خميس (ت707هـ/1308م) حرقياً في صناعة الشمع (9) ، كما اشتغل الفقيه أحمد بن محمد بن زكري (ت899هـ/1494م) في الحياكة (10) . وحرص البعض منهم على خدمة أنفسهم في بيوتهم ، فكما كان أبو العباس أحمد بن مرزوق

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 169 ، 170 .

(2) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 52 .

(3) - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 425 .

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 240 .

(5) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 254 ، 255 .

(6) - نفسه : ج 02 ، ص 256 .

(7) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 43 .

(8) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 194 .

(9) - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 360 .

(10) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 38 ، 39 .

(ت741هـ/1340م) في خدمة أهله (1) — كما ذكرنا — كان الصوفي أحمد بن الحاج ، أحد متصوفة تلمسان (2) " لا يخدمه أحد و يخدمُ نفسه بنفسه ، ويخدم فرسه بيده ... يعلق لها الشعير ويعطيها التبن ويسقيها " (3) .

كما يتجلى تواضع علماء تلمسان وحسن خلقهم ، من معاملتهم لأهل بيوتهم وأقربائهم ؛ فقد كان الشيخ الحسن أبركان(ت857هـ/1453م) غاية البرِّ بأبويه ولمن له أدنى علاقة لهم بنسب أو رضاع أو صحبة ، وبلغ من تعظيمه لأمه أنه كان لا يبيت معها في بيت واحد ، ويراه من التجاسر وسوء الأدب مع الوالدين (4) .

ب - زهدهم وورعهم :

رغم ما أظهره كثيرٌ من علماء تلمسان من حرص على القيام بشؤونهم وبمصالح أهلهم وممارستهم لأنشطة مختلفة من تجارة ، وزراعة ، وحرف يدوية ، وشغلهم لعدة وظائف ومناصب سياسية ، فإن ذلك لم يكن مدعاةً لتعلقهم بالدنيا ، وركونهم إلى ملذاتها ، فقد قرنوا ذلك بالزهد والورع والانقطاع عن زخارف الحياة .

وكان من مظاهر زهدهم وورعهم رفضهم أعطيات السلاطين — كما ذكرنا — (5) حتى أن بعضهم رفض أخذ الأجرة عن الوظيفة أو العمل الذي يؤديه ؛ مثلما فعل المدرّس أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني(ت771هـ/1370م) برفضه أخذ المرتب في مدرسته (6) .

كما كان عدم طمعهم بما في أيدي الناس شكلا آخر من أشكال الورع والزهد عندهم ، فقد جرت عادة الفقيه أبي العباس أحمد بن مرزوق(ت741هـ/1340م) أنه لا يأكل عند أحد من الناس ، ولا عند من عرف أن مكسبه من تجارة أو فلاحه (7) ، وكان الفقيه المفسر محمد ابن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) يبغض الاجتماع بأهل الدنيا والنظر إليهم ، و إذا

(1) - ابن مرزوق : المجموع ، و31 .

(2) - لم يذكر ابن مريم تاريخ وفاته . انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 23 .

(3) - نفسه : ص 23 .

(4) - نفسه : ص 85 .

(5) - انظر : - المبحث الأول من الفصل الثاني ، ص ص 74 - 76 من الدراسة .

(6) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 174 .

(7) - ابن مرزوق : المجموع ، 23 .

سمع بوليمة أحد منهم تخفى يوماً أو أياماً حتى لا يُدعى إليها (1) . وأدى زهد الشيخ الحسن أبران (ت857هـ/1453م) بما عند الناس وعدم قبول أعطياتهم ، إلى التقاط طعامه من الطرقات و أنقاب الحيطان (2) .

ومن أشكال ورع وزهد علماء تلمسان – أيضاً – حرصهم الشديد على الحلال في المأكل والملبس ومصدر العيش ؛ فقد أوصى أبو العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1340م) ابنه محمداً الخطيب (ت781هـ/1379م) بذلك ، فقال له : " ... وعندك من الحلال ما يكفيك عن طلب غيره " (3) . كما كان الحسن أبران (ت857هـ/1453م) لا يأكل من الزكاة ولا من الحُبس ولا يقبل منها شيئاً ، ويحمل خدامه وولده على عدم قبولها (4) ، و كان " يدعو في آخر عمره أن يقبضه الله ... إليه قبل أن يأكل من أحباس المدرسة " (5) .

وكان من زهدهم وتقشفهم أنهم لم يلبسوا فاره اللباس ولم يخصوا أنفسهم بلباس معين ، فلم يكن الفقيه المفسر محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) يلبس لباساً مخصوصاً يُعرف به ، بل لبس ما اعتاد الناس عليه من الملابس (6) ، كما أظهر الفقيه المتصوف أبو إسحاق إبراهيم المصمودي (ت805هـ/1403م) زهده بلباسه الكساء (7) . و لبس علماء تلمسان الصوف على عادة المتصوفة ، فقد لبس الفقيه المفسر أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م) الخرقه على يد أبيه وعمه ، اللذان لبساها بدورهما على يد أبيهما (8) ، كما قام الإمام العلامة الزاهد إبراهيم التازي (ت866هـ/1462م) باللباسها لتلميذه محمد السنوسي (ت895هـ/1490م) (10) .

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 241 .

(2) - نفسه : ص 88 .

(3) - ابن مرزوق : المجموع ، و 33 .

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 89 .

(5) - نفسه : ص 90 .

(6) - نفسه : ص 244 . انظر أيضاً : - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 254 ، 255 .

(7) - برنامج المجاري : ص 133 .

(8) - المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 424 .

(9) - من مواليد مدينة تازة بالمغرب الأقصى ، انتقل إلى تلمسان وتلمذ على ابن مرزوق الحفيد ، وانتقل إلى وهران ، ومكة ، ثم عاد إلى تلمسان واستقر بها مدة قبل أن ينتقل إلى وهران ، وتوفي بها سنة 866هـ/1462م .

انظر ترجمته : - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 143 - 180 .

(10) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 238 .

وظهر هذا الزهد على سلوكيات كثير من علماء تلمسان مع أسرهم وأفراد مجتمعهم ، فقد وُصف الفقيه الأصولي محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1489م) بأنه " أروع أهل زمانه " (1) ؛ لشدة خوفه ومراقبته كل لحظة من حياته ، كأثمه مسجون في الدنيا (2) ، كما كان الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1453م) من شدة ورعه وخوفه لا يضحك إلا متبسماً (3) . ولم يكن الزهد والورع داعياً لاعتزال الناس من طرف بعض علماء تلمسان ، وإن كانوا من أهل الدنيا ؛ لأن الأحرى بالعلماء مخالطة الناس على اختلاف شرائحهم ومستوياتهم الاجتماعية ، نظراً للمكانة المحترمة عندهم ، مما يمكنهم من أداء خدمات جليلة لأفراد المجتمع . كما لم يكن هذا الزهد ليجعل العالم يجمع طعامه من الطرقات ، كما فعل الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1453م) ، الذي لو قبل الزكاة لحاجته الماسة فإن ذلك لن يضره شيئاً .

2 - 3 - مكانة علماء تلمسان ومنزلتهم الاجتماعية :

إن ما أظهره أكثر علماء تلمسان من أخلاق حسنة ومخالطة للناس والعطف عليهم ، واحتكاكهم اليومي بهم بحكم وظائفهم والمناصب السياسية التي شغلوها ، قد جعلهم يحظون بمنزلة ومكانة خاصة بين أفراد مجتمعهم . وتتجلى مكانة علماء تلمسان في المجتمع المغربي من خلال ما لحقهم من احترام وتقدير من أفرادهم ، فعندما تولى القاضي محمد المقرري التلمساني (ت758هـ/1357م) قضاء الجماعة بمدينة فاس وقام به حق القيام ، أحبه العامة والخاصة من الناس (4) ، وكان من محبة الناس للفقيه المحدث محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) أنهم كانوا يقبلون يده (5) ، ويتزاحم الأطفال على تقبيل أطرافه (6) .

(1) - نفسه : ص 241 .

(2) - نفسه : ص 243 .

(3) - نفسه : ص 74 .

(4) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 43 .

(5) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 224 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 254 ، ص 255 .

(6) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 240 .

ونقل الإمام الفقيه المفسر أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي⁽¹⁾ (ت875هـ/1471م) أنّ شيخه الفقيه محمد بن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م) قد : " جعل الله تعالى حبه في قلوب العامة والخاصة ، فلا يذكر في مجلس إلا والنفوس متشوقة إلى ما يحكى عنه " (2) ، كما كان الشريف أبو عبد الله التلمساني (ت771هـ/1370م) " وقورا مهيبا " (3) بين أفراد مجتمعه ومحبيهم ، من رآه أحبه وإن لم يعرفه (4) . وعندما سجنه السلطان المريني أبو عنان (752-759هـ/1351-1358م) جاء شيخ غريب من إفريقية ، فسأله السلطان عما يقال فيه بإفريقية ، فقال : " خيرا ، غير أنهم سمعوا سجنك عالما شريفا كبيرا القدر ، فلامك فيه العامة والخاصة " ، فأمر أبو عنان بإطلاق سراحه والإحسان إليه (5) ؛ وهو ما نلمس منه مكانة علماء تلمسان في بلاد المغرب كلها .

وذكر الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) أنّ القاضي محمد المقرئ الجد (ت758هـ/1357م) كان " معلوم القدر ، مشهور الذكر ، تبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ... وعوارفه مشهورة بين الدهماء " (6) . وعند استدعاء الفقيه الأصولي محمد ابن إبراهيم الأبلي (ت757هـ/1356م) من طرف شيخ الهساكرة (7) بمدينة مراكش - ليقرا عليه - أقام عنده مدة عظمت أثناءها " رياسته بين تلك القبائل " (8) .

وبالإضافة إلى المكانة التي حظي بها علماء تلمسان ، كانت لهم مهابة كبيرة تجاه أفراد المجتمع ، فقد كان الشريف أبو عبد الله التلمساني (ت771هـ/1370م) تهابه النفوس ، إلا أنه لم يكن ينقر العامة منه (9) . وذكر المؤرخ ابن مريم التلمساني (ت1014هـ/1605م) في ترجمته للشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1453م) أنه : " كان عظيم المهابة جدا ، ولم أر قط

(1) - هو أبو زيد عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، الفقيه المفسر المحدث الراوية ، له عدة مؤلفات ، ولد سنة 786هـ/1384م ، وتوفي سنة 875هـ/1471م . انظر ترجمته : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 264 ، 265 .

(2) - المقرئ : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 425 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 169 .

(4) - نفسه : ص 174 .

(5) - نفسه : ص 176 . انظر أيضا : - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص 244 .

(6) - المقرئ : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 279 .

(7) - هو علي بن محمد بن تروميت . انظر : - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 36 .

(8) - نفسه : ص 36 .

(9) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 174 .

هيئته على شيخ من المشائخ ، ولا وليّ من الأولياء ... " (1) ، كما صورّ لنا المهابة التي أحيطت بالفقيه المفسّر محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) بأنه " وُضع له من القبول والهيبة والإجلال في القلوب ما لم ينله غيره من علماء عصره وزهّاده ، ارتحل النَّاس إليه وتبرّكوا به ... " (2) .

وتتأكد لنا مكانة علماء تلمسان عند أفراد مجتمعهم من خلال تأسّفهم على فقدهم وتشجيع جنازتهم ، فعند وفاة الحفيد محمد بن مرزوق (ت842هـ/1438م) تأسّف الناس لفقده ، و لم يُر مثل جنازته من قبل (3) ، ووصف الفقيه أبو جعفر البلوي (ت938هـ/1532م) جنازة الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) بقوله : " ... حضرنا جنازته وكانت في غاية الحفول ، غصّت الشوارع فيما بينها ، وحضرها السلطان فمن دونه ، واتبع ثناءً يليق بمثله ، وتأسّف الناس لفقده " (4) .

في المقابل ، وإن كُنّا قد ذكرنا أنّ أفراد المجتمع المغربي قد أنزلوا علماء تلمسان أعلى المراتب وأكرمهم ، فإنّ ذلك لم يكن سيمّة جميع العلاقات التي قامت بين العلماء ومجتمعهم — وإن كان هو السائد والغالب — لأنّ ذلك الإكرام والإحترام شابّه بعض الخلاف وعدم التوافق ؛ من ذلك ما ذكره الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) ، عندما ذكر ما جرى له مع السلاطين ، قال : " وكان النَّاس يظهرون لي جميل الودّ ، ويبطن أكثرهم خلافه " (5) ، ورأى أنّ الحسدة هم الذين طعنوا فيه وأوغروا السلطان المريني أبا عنان (752-759هـ/1351-1358م) عليه (6) .

ويُمكن إرجاع الخلاف الذي اعترى العلاقة بين العلماء ومجتمعهم ، في بعض الأحيان إلى تأثير عوامل أخرى عليها ، أهمّها العامل السياسي ، على اعتبار أنّ رضا أو سخط السلطان عن عالم من العلماء يؤثر على نظرة الرعيّة واحترامها له وقربها منه .

(1) - نفسه : ص 85 .

(2) - نفسه : ص 240 .

(3) - رحلة القلصادي : ص 98 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 208 .

(4) - ثبت البلوي : ص 437 ، 438 .

(5) - ابن مرزوق : المجموع ، و 50 .

(6) - نفسه : و 50 .

ثانيا : خدمات علماء تلمسان الاجتماعية :

أدى ربط علماء تلمسان للعلاقات السياسية إلى المشاركة في الحياة السياسية والمساهمة فيها – كما رأينا – فهل كانت للعلاقات الاجتماعية التي أقاموها مع مجتمعهم ، دافعا لهم على تقديم خدمات لأفراد مجتمعهم ؟ وما هي الخدمات التي قدموها للمجتمع ؟

01 – خدمات علماء تلمسان من خلال مناصبهم و وظائفهم :

جعل علماء تلمسان من المناصب التي تبوؤوها والوظائف التي شغلها ، وسيلة لتقديم خدمات لأفراد مجتمعهم حسب ما يتيح كل منصب أو وظيفة .

واتخذ علماء تلمسان من المنابر التي خطبوا عليها في الجوامع المغربية فرصة لنصح الناس وإصلاح أحوالهم ، فقد وصف الرحالة الأندلسي أبو الحسن المجاري(ت862هـ/1458م) الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق(781هـ/1379م) بأنه " الخطيب النصيح " (1) ، واعتبر " فارس منبر غير جزوع ولا هيابة " (2) . كما وصف الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل (ت920هـ/ 1514م) خطبة الفقيه الحافظ محمد بن العباس(ت871هـ /1467م) من أنه " شئف بها الأسماع ، وموعظته التي بها انتفاع " (3) ؛ مما يدلنا على تخصيص علماء تلمسان خطبهم لوعظ ونصح الناس ، كما كان عدم تدخل أفراد المجتمع المغربي في عزل الخطباء من منابرهم وعدم المطالبة بعزلهم (4) ، يُعبّرُ بدوره عن رضا المجتمع على هؤلاء الخطباء .

وأدى تولي علماء تلمسان للتدريس إلى تقديمهم خدمات اجتماعية لطلبتهم وزائريهم إضافة على ما كانوا يقدمونه من علم ، فقد كانت بيوتهم ومرافقهم الخاصة مكانا للقاء بطلبتهم وتدريسهم ، فذكر الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق(ت781هـ/1379م) أنه قرأ على شيخه الفقيه أبي زيد عبد الرحمان بن علي(5) بكتابه بسويقة إسماعيل في تلمسان (6) ، كما فتح الخطيب أبو زيد بن أبي العيش(كان حيا ما بين 689-703هـ/1290-1303م) حانوته للقاء

(1) - برنامج المجاري : ص 134 .

(2) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 52 .

(3) - Abd el Basit Ben Khalil : op.cit.p . 43

(4) - كان عزل الخطيب يرجع للسلطان ، ويتحكم فيه رضاه وسخطه منه . - انظر : - المبحث الثاني من الفصل الثاني ، ص 94،95 من الدراسة .

(5) - لم يذكر الخطيب ابن مرزوق تاريخ وفاة شيخه ، ولم نعثر على ترجمته . انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و 48 .

(6) - نفسه : و 48 .

الفقهاء والصلحاء (1) ، ورغم ضيق بيت الفقيه الأصولي أبي إسحاق إبراهيم المصمودي (ت805هـ/1403م) فقد خصّصه لاستقبال طلبته (2) ، كما درّس الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) أثناء إقامته بتونس في منزله (3) ، وأكد لنا المؤرّخ لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1375م) ذلك عندما وصفه بأنه " غاصّ المنزل بالطلبة " (4) .

وكانت بيوت علماء تلمسان مقصدًا ومأوى للقادمين من مدن المغرب والراغبين في طلب العلم ، فذكر الرحالة أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت891هـ/1486م) أنه عندما عاد إلى تلمسان سنة 854هـ/1450م بعد أدائه فريضة الحج ، أقام عند الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1453م) إلى حين مغادرته تلمسان سنة 855هـ/1451م (5) ، كما أقدم الشريف أبو عبد الله التلمساني (ت771هـ/1370م) على جعل بيته مكانا لاجتماع العلماء والصلحاء ، وأطعم فيه طلبته أطيب الأطعمة التي لم يكونوا ليقدروا على شرائها (6) .

وكان تولي علماء تلمسان لمنصب الإفتاء ، قد جعلهم مقصد أفراد المجتمع المغربي طلبا لفتواهم في القضايا الاجتماعية وغير الاجتماعية التي تصادفهم ، ومن الفتاوى الاجتماعية التي أفتى فيها علماء تلمسان ، ما أنكره الفقيه المفتي أبو العباس أحمد الونشريسي (ت914هـ/1508م) على أمراء المغرب الذين كانت عاداتهم آنذاك وضع السلاسل في أعناق الجناة عند سؤقهم للنظر في جرائمهم بين يدي الأمراء والفقهاء (7) ، كما أفتى لمسلمي الأندلس وحكم الإقامة فيها بعد سقوط غرناطة (8) .

ورغم أنّ بعض علماء تلمسان لم يتولوا الإفتاء ، فقد كانت لهم فتاوى وآراء في بعض القضايا الاجتماعية ؛ من ذلك ما ذهب إليه قاضي الحضرة بتلمسان أبو عبد الله العقباني

(1) - نفسه : و 41 .

(2) - برنامج المجاري : ص 133 .

(3) - المقرّي : نفخ الطيب ، ج05 ، ص 425 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 206 .

(4) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص 52 .

(5) - أقام القلصادي في تلمسان من شعبان 854هـ / سبتمبر 1450م إلى 19 ربيع الأول 855هـ / 21 أبريل 1451م .

انظر : - رحلة القلصادي : ص 160 ، 161 .

(6) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 170 .

(7) - انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج08 ، ص 68 .

(8) - انظر : - الونشريسي (أبو العباس أحمد) : أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصرى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج ، تحقيق : حسين مؤنس ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 1406هـ/1986م .

انظر أيضا : - الونشريسي : المعيار ، ج02 ، ص ص 137 - 141 .

(ت871هـ/1466م) إلى القول بأنّ الطلاق بالثلاث لا يقع إلا واحدة⁽¹⁾ ، وكان يهدف من ذلك إلى المحافظة على الأسرة ، لذلك نجده يطالب السلطة السياسية بالتدخل من أجل ذلك ، بقوله : "... فينبغي للحاكم حسم ذلك كله وقطعه بمنع الناس ابتداء من استعمال لفظ الثلاث والاشتداد عمّن صدر منه بالأدب الرادع لأمثاله " (2) .

وقدّم علماء تلمسان من خلال جهاز القضاء خدمات لأفراد مجتمعهم خاصّة المتقاضين منهم أمامهم ، وقد أثنت المصادر التاريخية على علماء تلمسان القضاة وذكرت مآثرهم في هذه الخطة ؛ من ذلك ذلك ثناء المؤرّخ لسان الدين بن الخطيب(ت776هـ/1375م) على القاضي أبي عبد الله المقري(ت758هـ/1357م) عند جلوسه لقضاء الجماعة بمدينة فاس ، بأنه " أنفذ الحق وألان الكلمة وآثر التسديد وحصل الكلّ وخفض الجناح " (3) ، ونقل لنا جانبا من مجلس قضاؤه وطريقة حكمه ومعاملته للناس بقوله : " حضرتُ بعض مجالس حكمه ، فرأيتُ من صبره على اللدّد وتأنيه للحجج ، ورفقه بالخصوم " (4) ، كما أنّ وصف القاضي أبي عثمان سعيد العقباني(ت811هـ/1408م) - الذي تولى القضاء لأزيد من أربعين سنة (5) - بأنه " خاتمة قضاة العدل ببلده " (6) ، هي كلها أدلّة على ما قدّمه القضاة التلمسانيون لمجتمعهم من خلال عدلهم وقيامهم بدورهم .

وإن كان علماء تلمسان لم يتولوا بعض الوظائف ، إلا أنّهم ساهموا في تقديم خدمات لمجتمعهم من خلال قيامهم بأعمال تدخل في مجال تلك الوظائف ، فالقاضي أبو عبد الله العقباني(ت871هـ/1466م) لم يتول وظيفة المحتسب ، لكنه من خلال كتابه الذي ألفه " تحفة الناظر " قدّم دليلا يسيّرُ عليه المحتسب ، كما ضمّنه موقفه ورأيه في بعض السلوكات اليومية

(1) - ناقش العقباني هذا الخلاف الفقهي . انظر : - العقباني : المصدر السابق ، ص ص 60 - 62 .

(2) - نفسه : ص 281 .

(3) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 195 .

(4) - نفسه : ج 02 ، ص 195 .

(5) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 106 . انظر أيضا : - محمّد مخلوف : المرجع السابق ، ص 250 .

(6) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 107 .

لأفراد مجتمعه ، كمنعه التضييق على طرق المسلمين باقتطاع شيء منها لزيادة دار أو حديقة أو غيرها (1) ، ونهيه عن إيقاف الدواب بالخشب والحطب لما يقع في ذلك من تضييق على المارة (2) .

وأشرف بعض العلماء على إتمام بعض العقود وتوثيقها ، رغم أنهم لم يكونوا قضاة أو مؤثّقين ؛ فلقد أتمّ الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) عقد نكاح السلطان أبي سالم المريني (760-762هـ/1359-1361م) بأخت وزيره عمر بن عبد الله بن علي بمدينة فاس (3) ، وكتب أيضا بمدينة تونس عقد وصدق زواج السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم المستنصر (751-770هـ/1350-1369) من ابنة الوزير ابن تافراجين سنة 766هـ/1364م (4) . كما كتب حفيده الفقيه المفسر محمد بن أحمد بن مرزوق (ت842هـ/1438م) أثناء وجوده بتونس سنة 828هـ/1425م وقفية حبس (5) لبستان كان يملكه أحد أهالي مدينة توزر (6) ، ونمّقها بطريقته وأسلوبه (7) .

وساهم علماء تلمسان الذين احترفوا عدّة حرف في الحياة الاجتماعية ، وذلك بما كانوا يوقرونه من حاجيات لأفراد المجتمع ، فالصوف التي عمل على حياكتها الشيخ أبو العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1340م) كانت ترد إليها التجارة من كل بلاد (8) ، كما وقر الشيخ عيسى المديوني (9) بعض حاجيات المجتمع الغذائية من خضر وفواكه من بستانه (10) ، ومن جهته وقر الخطيب أبو زيد بن أبي العيش (كان حيا ما بين 689-703هـ/1290-1303م) لأفراد مجتمعه ما يحتاجونه من لوازم بحانوته المحاذي للجامع الأعظم بتلمسان (11) .

(1) - العقباتي : المصدر السابق ، ص 64 .

(2) - نفسه : ص 67 .

(3) - محمّد بن يوسف الزياتي : المصدر السابق ، ص 107 .

(4) - ابن الشّماخ : المصدر السابق ، ص 105 . انظر أيضا : - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 150 .

(5) - انظر النص الكامل للوقفية : الملحق رقم 05 ، ص 251 من الدراسة .

(6) - هي مدينة بناها الرومان ، ويمتد إقليمها من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة . انظر : - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 142، 143 وأيضاً : - البغدادي (صفي الدين) : مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق : علي محمّد البجاوي ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ،

لبنان ، 1412هـ/1992م ، ج 01 ، ص 280 .

(7) - سعد الله (أبو القاسم) : " وثيقة تونسية لابن مرزوق التلمساني " ، المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، العدد 17 ، 18 ، جانفي 1980م ، ص 125 .

(8) - ابن مرزوق : المجموع ، و 16 .

(9) - ذكره ابن مرزوق بأنه من سكان مدينة تلمسان ، لكنه لم يذكر تاريخ وفاته ، ولم نعث على ترجمته . انظر : - نفسه : ظ 06 .

(10) - نفسه : ظ 06 .

(11) - نفسه : و 41 .

وكانت تلك الأعمال والحرف التي احترفها علماء تلمسان مصدر عيش كثير من الأسر وذلك بتوظيفهم إلى جانبهم عمّالاً وخدمًا في أعمالهم ، فقد كان للشيخ عيسى المديوني خادم يقوم بجمع الثمار من البستان ويبيعها في السوق نهاراً⁽¹⁾ ، كما كان لأبي العباس أحمد بن مرزوق(ت741هـ/1340م) خدَمٌ وعمّالٌ يشتغلون بحياكة الصوف في درب شاعر بتلمسان⁽²⁾ .

وواصل بعض علماء تلمسان عطاءهم لمجتمعهم حتى سنّ متأخرة من حياتهم ، فقد تابع الخطيب أبو عبد الله محمد بن العباس(ت871هـ/1467م) التدريس والخطابة بجامعة العباد بتلمسان وله من السنن نحو الثمانين سنة⁽³⁾ ، وذكر الرحالة الأندلسي أبو عبد الله المجاري(ت862هـ/1458م) أنّه فارق شيخه الفقيه المفسر أبا عثمان سعيد العقباني(ت811هـ/1408م) بعدما درس عليه ، وهو في اثنين وثمانين سنة⁽⁴⁾ .

ويُضح من ذلك أنّ علماء تلمسان قدّموا خدمات مختلفة لمجتمعهم ، كلّ حسب موقعه ووظيفته ونشاطه الاقتصادي ، ولم تكن المناصب العليا التي تقلدوها في الدولة لتُبعدهم عن أفراد مجتمعهم فضلاً عن إفادتهم بها ، وجعلها وسيلة لخدمة الناس .

02 – مساعدة أفراد المجتمع :

أدّت مخالطة علماء تلمسان لأفراد مجتمعهم ومعاملتهم ، إلى اطلاعهم على أحوالهم ومعرفة مشاكلهم وحاجاتهم وما يشغل بالهم ، وبحكم مكانة العلماء ووضعيتهم المادية والاجتماعية ، إضافة إلى ما ائصفوا به من صفات الرأفة ، والتواضع للناس ، يجعلنا نتساءل ما هو دور علماء تلمسان في حلّ المشاكل التي عانى منها المجتمع المغربي ؟

2 – 1 – مساعدة الفقراء :

اهتم علماء تلمسان بفقراء مجتمعهم ، وسعّوا في تحسين أوضاعهم ولم يبخلوا عليهم ، بل بذلوا من أجل ذلك أعلى ما يملكون ، فكان الشريف أبو عبد الله التلمساني(ت771هـ/

(1) - نفسه : ط 06 .

(2) - نفسه : و 16 .

(3) - Abd el Basit Ben Khalil : op.cit.p.43

(4) - برنامج المجاري : ص 132 .

1370م) لا يألوا جهدا في إعانة الناس مع كرم واسع معهم ، وكانت نفقاته عليهم عديدة يعطيهم رفيع الكساء (1) ، وأجرى عليهم جرايات كثيرة من ماله (2) ، ووصف صاحب كفاية المحتاج إحسانه بالفقراء فقال : "... كان مشفقا رحيفا بالناس ، يعينهم ... ويعطيهم عدّة نفقات ... ويواسي رحمه بكثير من ماله ... ويطعم الأطعمة " (3) .

وكان من إحسان أبي العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1340م) على الفقراء ، أنه جرت عادته عند جمع زرعه وتخزينه بعد الحصاد تصدّقه منه طول الأيام ، رغم أنه كان لا يكاد يكفي قوت أهله طول السنة (4) ، كما كان من إحسانه أنه كثيرا ما يدعو خادمه ليأكل معه في بيته (5) ، وذكر ابنه الخطيب محمّد بن مرزوق (ت781هـ/1379م) أنه كان وأهله ينكرون عليه ذلك ، فيؤذنه إليه ويؤذبه (6) .

كما كان الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1453م) رفيقا بأفراد المجتمع وكثير الشفقة عليهم ، مبالغا في إيثارهم ومبادرا لإغاثة ملهوفهم ، ورغم وضعيته المادية التي لم تكن أحسن حالا من فقراء المجتمع ، فإنه كان كثيرا ما يتصدّق بالصدقات والنذور التي تصله من بلاد السودان وغيرها ولا يدّخر منها شيئا (7) ، فنرى أن الشيخ أبركان كان اهتمامه المنصّب على فقراء مجتمعه والإحسان إليهم مقدّما على النظر لنفسه ووضعه ، وهو الذي كان يلتقط طعامه من الطرقات وأتقاب الحيطان (8) .

وذكر الفقيه المؤرّخ محمّد بن سعد الأنصاري التلمساني (ت901هـ/1496م) أن الشيخ أحمد الغماري (9) نزيل تلمسان (10) " كانت تجيء إليه ثمرات كل شيء ، ويقصده الناس بالصدقات والنذور ، وربما جاءه من الذهب المائة والمائتان فلا يدّخر ذلك .. وإنما يفرّقه في

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 169 .

(2) - نفسه : ص 170 .

(3) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 339 ، 340 .

(4) - ابن مرزوق : المجموع ، ط 27 .

(5) - نفسه : و 31 .

(6) - نفسه : و 31 .

(7) - ابن سعد : روضة النسرین ، ص 129 .

(8) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 88 .

(9) - هو أحمد بن الحسن بن عبد الرحمان ، نزيل تلمسان ، وهو من عرب رباح ، وقيل له الغماري لأنه سكن بطيوة وبلاد غمارة ، توفي سنة

1470هـ/874م - انظر ترجمته : - ابن سعد : روضة النسرین ، ص 27 ، 35 .

(10) - ابن سعد : روضة النسرین ، ص 160 .

الفقراء والمحاويج ...⁽¹⁾ ، وكان الشيخ العُمّاري يتولى ذلك بنفسه . كما كان يقوم بخدمة المرضى من الفقراء بنفسه ، ويسقي لهم الماء ويحمل الطعام إلى منازلهم ويتفقد أحوالهم⁽²⁾ ، ولم يكن الفقراء الذين يقدون عليه من كلّ مكان ليعودوا خائبين من عنده⁽³⁾ . وتعدّى إحسانه وجوده إلى جميع أفراد المجتمع ؛ فقد ذكر الفقيه الأصولي محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ / 1490م) أنه كان يخرج كلّ يوم خميس إلى سوق مدينة ندرومة⁽⁴⁾ ، يأخذ معه إيريقا مملوءًا ويدور به على أهل السوق ويسقيهم منه جميعا⁽⁵⁾ .

ويظهر لنا من خلال ما قام به علماء تلمسان من إحسان إلى فقراء مجتمعهم ، أنّ ذلك كان سلوكًا متأصلًا فيهم ، ونابعٌ من إحساسهم بمعاونة أفراد مجتمعهم ، ولم يكن ذلك مرتبطًا بمناسبات أو مواسم ، بل جرت عليه عاداتهم طول أيام السنة .

2 - 2 - قضاء حوائج الناس :

استغل علماء تلمسان علاقتهم السياسية مع السلطة الحاكمة في بلاد المغرب خاصة الذين جمعتهم علاقات حسنة معهم ، في تقديم خدمات لأفراد المجتمع من خلال توسّطهم والسعي لقضاء حوائجهم عندهم .

وكانت اللقاءات التي جمعت العلماء بالسلطين فرصة لعرض المشاكل التي يعاني منها بعض أفراد المجتمع ومن ثمّ العمل على حلّها ، فبعد الحوار الذي دار بين الفقيه أبي العباس بن مرزوق (ت741هـ / 1340م) والسلطان الزياني أبي تاشفين الأوّل (718-737هـ / 1318-1337م) بجامع العباد بتلمسان ، سأله هذا الأخير إن كانت له حاجة ، فكلّمه في شأن بعض المحبوسين ، فأمر السلطان بإطلاق سراحهم⁽⁶⁾ . وقد شفّع ابنه الخطيب محمد بن مرزوق (ت781هـ / 1379م) لأحد أعيان تلمسان ، وهو أحمد بن قاسم بن الحاج⁽⁷⁾ الذي سجّنه السلطان أبو الحسن المريني (731-752هـ / 1330-1351م) ؛ لاثّامه بإيواء بعض

(1) - نفسه : ص 194 .

(2) - نفسه : ص 194 .

(3) - نفسه : ص 197 .

(4) - هي مدينة أسّسها الرومان ، تبعد عن 12 ميلا من البحر المتوسط ، وهي من مملكة تلمسان وتقع في الشمال الشرقي لمدينة تلمسان .

انظر : - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص13 ، 14 .

(5) - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 219 .

(6) - ابن مرزوق : المجموع ، و 28 .

(7) - لم نعثر على ترجمته وتاريخ وفاته .

الجواسيس في بيته بتلمسان ، وبعد تدخل أبي عبد الله بن مرزوق أطلق السلطان سراحه وأمر له بكسوة (1) . كما كان الفقيه المفسر محمد بن أحمد بن مرزوق (ت842هـ/1438م) له " نية صالحة في مشاركة الناس والوقوف لحوائجهم " (2) ، بالإضافة إلى ما قدمه الشيخ الحسن أبران (ت857هـ/1453م) من صدقات للفقراء بمكاتبتة لملوك الوقت وأرباب الدولة في قضاء حوائج المسلمين ، ولم يسأم أو يفتر من ذلك (3) .

وسعى الشيخ أحمد بن الحسن الغماري (ت874هـ/1470م) - بدوره - لقضاء حاجات الناس عند أولياء الأمور ، وكان إذا كتب لأحد من ولاية الأمور أو بعث إليه رسولا في شيء من حوائج الناس وتعدت قضاء تلك الحاجة ، وتكلم أهل مجلسه في ذلك ولأموا المكتوب إليه يقول لهم : " كان بعض من مضى إذا تكلم في حاجة يقول من قضى لنا حاجة حمدنا الله وشكرناه ، وإلا حمدنا الله وعذرناه " (4) . كما دفعت شفقة الفقيه الأصولي محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) على أفراد مجتمعه ، إلى العمل على قضاء حوائجهم عند السلطان (5) .

ورغم الأدوار التي قام بها بعض علماء تلمسان في قضاء حوائج الناس والتوسط لهم عند السلاطين ، فإنها تبقى قليلة إذا ما قارناها بعدد العلماء الذين حظوا بمنزلة عالية عند السلطة الحاكمة ، كما أن بعض العلماء الذين سعوا في تلك الحاجات لم يقوموا بذلك إلا بعد محاولات عديدة من أفراد المجتمع أو إلحاح من السلاطين أنفسهم ، فالفقيه أبو العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1340م) لم يجتمع بالسلطان أبي تاشفين إلا بعد محاولات كثيرة من هذا الأخير (6) ، و لم يكن ليكلّمه في مسألة المحبوسين عنده لولا أن السلطان هو الذي ألح عليه لطلب أيّ حاجة له (7) . وقد عقب الخطيب محمد بن مرزوق (ت781هـ/1379م) على والده بالقول : "... وربما عتب عليه بعض أصحابه في هذا ويقول له ، لو جئت هذا السلطان لقضي

(1) - ابن مرزوق : المسند ، ص 322 ، 323 .

(2) - ثبت البلوي : ص 448 .

(3) - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 129 .

(4) - نفسه : ص 197 .

(5) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 240 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 256 .

(6) - ابن مرزوق : المجموع ، و 28 .

(7) - نفسه : و 28 .

لك ما شاء الله من الحوائج ولك في هذا أجر كبير" (1) ، كما أن الفقيه المفسر محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) رغم أنه لم يكن يُفضل ربط علاقات مع السلاطين ، إلا أن رغبته في حلّ مشاكل الناس وقضاء حاجاتهم جعلته يضطر إلى اللقاء بالسلطان .

وكان رفض كثير من العلماء أخذ أعطيات السلاطين ، الذين ألحوا عليهم لأخذها ثم التصدّق بها على الفقراء إن أرادوا — مثلما فعل الشيخ السنوسي برفضه أخذ المال من أحد أبناء السلاطين بتلمسان (2) — له ما يبرّره ، فرغم ما في ذلك من تفويت هذا المال على فقراء المجتمع فإنّ ما يطرح التساؤل ، لماذا لم يُقدم هؤلاء السلاطين على التصدّق بتلك الأموال مباشرة على الفقراء ؟ أم أنّهم بإعطائها للعالم أوّلا ، أرادوا كسب ودّ العلماء منهم وجعلهم طوع أمرهم !؟

2 - 3 - سعيُ العلماء لمواجهة الضرائب والمكوس :

شكّلت المغارم والجبايات والمكوس التي فرضت على سكان بلاد المغرب (3) عبئا ثقيلا عليهم ، وجعلتهم يعيشون في ضيق وضنك كبيرين ، هذه الوضعية صورّها لنا الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) بقوله : " ... فكم أدّت المطالب بها إلى افتقار ، وكم هتكت فيها من حرمة أموال وأعراض ... " (4) ، ممّا يجعلنا نتساءل عن دور علماء تلمسان في التخفيف عن أفراد مجتمعهم من هذه الضرائب ؟

ظهر علماء تلمسان كمدافعين عن أفراد المجتمع خاصّة الفقراء منهم ضدّ المغارم والمكوس وفرض الضرائب عليهم ، وجاء ذكرُ الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) رفعَ السلطان المريني أبي الحسن (731-752هـ/1330-1351م) لهذه المكوس والضرائب على سكان بلاد المغرب ، وعدّه من جملة مآثره (5) ؛ ليعكس لنا موقف علماء تلمسان الراض لها . وقد أخذ هذا الرفض والتصديّ للمكوس والضرائب ، سلوكات عملية قام بها العلماء دفاعا عن أفراد مجتمعهم منها ؛ من ذلك ما قام به أحد متصوّفة تلمسان وهو الصوفي أبو

(1) - نفسه : و 28 .

(2) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص241 . انظر أيضا : - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص ص 448 .

(3) - انظر : - ابن مرزوق : المسند ، ص ص 282 - 286 .

(4) - نفسه : ص 286 .

(5) - نفسه : ص 281 .

الربيع سليمان(779هـ/1377م) الذي حذر أحد الوزراء بما قد يصيبه إن قام بالتمكيس ، مذكراً إياه بالعقوبة التي تعرض لها سابقوه من فارضي المكس (1) ، كما وقف الصوفي عبد الله بن منصور(كان حياً في النصف الأول من القرن 09هـ/15م) ضد سياسة الجباية التي انتهجتها السلطة الزيانية (3) .

وأظهر الشيخ أحمد بن الحسن الغماري(ت874هـ/1470م) معارضته لهذه الضرائب والمكوس ، من خلال فتح بيته للمطالبين بالمغارم والضرائب ، والفارين من أيدي السلطة (4) كإيوائه لرجل من قبيلة بني ورنيد (5) فرّ إليه بعد أن طولب بما عليه من الغرامة (6) .

وسعى علماء تلمسان إلى رفع تلك الضرائب والمكوس ، من ذلك ما قام به الفقيه أبو زيد بن الإمام(ت743هـ/1342م) بالتوسط للفقيه العالم أبي العباس أحمد بن عمران البجائي (7) (كان حيا سنة 765هـ/1364) عند السلطان الزياني أبي تاشفين الأول(718-737هـ/1318-1337م) بعد حلوله بتلمسان ، فرفع عنه السلطان مغرمه ومغرم من جاء معه وكان يقدر بمائتي دينار ، و زاد عن ذلك بأن أعطاه مائتي دينار ذهبية (9) .

03 – أعمال علماء تلمسان أثناء الكوارث والشدائد :

مرّ المجتمع المغربي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م) بفترات صعبة ؛ بسبب الجفاف الذي حلّ بالمغرب ، ممّا جعل أفراد المجتمع عرضة للمجاعات والأوبئة ، والتي حصدت عددا كبيرا من الأرواح (10) ، يضاف إلى ذلك الأوضاع الصعبة التي عاشها أفراد المجتمع ؛ بسبب الصراعات العسكرية بين دول المغرب الثلاث المرينية والحفصية

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 299 .

(2) - ذكر ابن مريم بأنه معاصر للشيخ أحمد الغماري(ت874هـ/1470م) . انظر ترجمته : - نفسه : ص 135 - 139 .

(3) - نفسه : 137 .

(4) - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 220 .

(5) - قبيلة بني ورنيد ، هم بطن من قبيلة زناتة الأمازيغية ، ذكر الوزان أنها اسم جبل على بعد 03 أميال من تلمسان . انظر :

- حسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 44 .

(6) - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 220 .

(7) - ذكره ابن مريم في ترجمة الشيخ منصور بن علي الزواوي ، وقال عنه أنه قاضي الجماعة ببجاية . انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ،

ص 293 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 220 .

(8) - ذكر ابن مريم أن الشيخ منصور الزواوي أخذ عنه بعد عودته من الأندلس في هذه السنة . انظر : - نفسه : ص 293 .

(9) - التنسي : المصدر السابق ، ص 142 .

(10) - حول هذه المجاعات وآثارها ، انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص 34 ، 35 من الدراسة .

والزيانية ، والتي جعلت مُدُنهم تحت الحصار في بعض الأحيان ، فما هي الأدوار التي قام بها علماء تلمسان أثناء ذلك ؟ وماهي الخدمات التي قدموها لمجتمعهم ؟

كان علماء تلمسان أنفسهم ضحايا للأوبئة والمجاعات التي حلت ببلاد المغرب ، ومن العلماء الذي قضاوا نحبهم فيها الفقيه الحافظ أبو عبد الله بن النجار، الذي هلك في الطاعون العام سنة 749هـ/1348 م بتلمسان (1) ، والذي وصفه المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون(ت 808هـ/1406م) بـ " الطاعون الجارف ... ذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة " (2) ، كما توفي الفقيه محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني في الطاعون الذي حلّ بمدينة مكناسة(3) سنة 818 هـ(4)/1415م ، وتوفي الفقيه المفسر أبو العباس أحمد بن زاغو(5) في الوباء الذي حلّ بتلمسان سنة 845هـ(6)/1441م ، كما لقي الفقيه الحافظ محمد بن العباس التلمساني نحيبه في طاعون سنة 871 هـ(7)/1467م .

ومن مجهودات علماء تلمسان في مساعدة أفراد مجتمعهم في أوقات الحاجة ما ذكره الخطيب ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) من أنّ عمّه أبا عبد الله محمد بن مرزوق(كان حيّا سنة747هـ/1346م) : "... كانت له مطامير من قمح وفحم ... فإذا كان يوم الثلج فتح مطمورا من قمح وآخر من فحم ويتصدق بالزرع والفحم والأدام طول يومه ، فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ المطمورتين "(8) ، كما كان الفقيه المفسر محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) يوصي أهله بالصدقة خاصة في وقت الجوع (9) ، إضافة إلى ما رأيناه من صدقات العلماء على الفقراء ، يجعلنا نميل إلى القول بأن علماء تلمسان أدّوا أدوارا لمساعدة أفراد مجتمعهم من هذه الكوارث التي ألمّت بهم .

(1) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 190 . / درّة الحجال ، ج02 ، ص264 .
(2) - وذكر ابن خلدون أنّ أبواه توفيا في هذا الطاعون . انظر: - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 55 .
(3) - مدينة أسستها قبيلة مكناسة فسُميت باسمها ، وتبعد عن فاس بنحو ستة وثلاثين ميلا ، وعن سلا بخمسين ميلا .
انظر: - ابن غازي (محمد) : روض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، ط3 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ، 1420هـ/1999م ، ص ص 07 - 16 . - حسن الوزان : المصدر السابق ، ج01 ، ص ص 214 - 216 .
(4) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 201 .
(5) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 305 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص 124 .
- الحفناوي : المرجع السابق ، ج01 ، ص ص 48 - 51 .
(6) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 305 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص 124 .
(7) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 224 . انظر أيضا : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 431 .
(8) - ابن مرزوق : المجموع ، ط 16 .
(9) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 243 .

وقد ركزت المصادر التاريخية – التي اطلعنا عليها – على الأعمال التي قام بها العلماء الذين نجوا من هذه الأوبئة للتخفيف من الآثار التي عانى منها المجتمع المغربي ، و نسبتها إلى كراماتهم قصد إبراز خوارقهم (1) ، وهي لم تعكس لنا الدور المنوط بالعلماء القيام به في مثل هذه الظروف ؛ من ذلك ما قام به الشيخ أحمد بن الحسن الغماري(ت874هـ-1470م) أثناء الغلاء الشديد الذي حلّ بتلمسان وتعطلت بسببه الصلاة في كثير من المساجد ، فقد ظل نائما في مسجد الحفاويين – الذي أهمل لاشتغال الناس بأمر الجوع – حتى رفع عنهم هذا الضيق (2) .

وإن جاء ذكر ذلك على سبيل الكرامات للشيخ أحمد الغماري ، وأنّ الله غيَّبه عن فتنة الجوع ومشاهدة ما أحاط بالناس فيها ، كما غيَّب أهل الكهف – حسب صاحب البستان (3) – فإننا نقول أنّ العلماء في مثل هذه الظروف وإن لم يستطيعوا مساعدة الناس ماديا ، فالواجب عليهم دعوتهم وتذكيرهم بالصبر والثبات ومحاربة النهب والسلب الذي انتشر في المجتمع (4) ، وعدم ترك المساجد والجماعات و اعتزالهم والنوم عليهم .

كما كانت الحروب والصراعات السياسية من أسباب حدوث المجاعات في بلاد المغرب ؛ من ذلك الحصار الذي فرضه السلطان أبو يعقوب يوسف المريني(685–706هـ/1286–1306م) على تلمسان بداية من سنة 698هـ/1299م (5) ، والذي نال الجوع أثناءه من سكانها فاضطروا إلى " أكل الجيف والقطط والفئران " (6) ، وتكرّر ذلك في عهد السلطان أبي فارس المريني(767–774هـ/1366–1373م) (7) .

(1) - ناقشت الباحثة آمال لدرع هذه الكرامات ودورها في الجفاف والمجاعات .

(2) - انظر : - آمال لدرع : " الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال العصر الزياني " ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، إشراف : بوبه مجاني ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 1427هـ/2006م ، ص ص 341 - 344 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 33 .

(4) - نفسه : ص 33 .

(5) - من أمثلة عدم توفر الأمن في تلك الظروف ، أنّ ابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1407م) اضطرّ أن يقيم في تلمسان مدة شهر لانعدام الأمن في المسالك والطرق بسبب مجاعة سنة776هـ/1374م . انظر : - ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحفير ، ص 105 .

(6) - انظر : المبحث الأول من الفصل الأول ، ص 20 من الدراسة .

(7) - ابن خلدون : العبر ، ج 07 ، ص 197 ، 198 .

(7) - انظر : المبحث الأول من الفصل الأول ، ص 21 من الدراسة .

وأمام الأوضاع السيئة التي انعكست سلباً على الناحية الاجتماعية ، لجأ أفراد المجتمع في الكثير من المرات إلى علماء تلمسان ، طلباً لشفاعتهم ونصيحتهم للسلطان من أجل رفع الغبن والخراب الذي يعيشونه ، فعند إحكام السلطان أبي فارس المريني سيطرته على تلمسان سنة 772هـ⁽¹⁾/1371 م ، وتأكد الناس من هلاكهم بسبب ذلك ، توجهوا إلى علمائهم ومشائخهم وطلبوا منهم أن يخرجوا مع الأولاد الصغار ويطلبوا من السلطان العفو عن بلدهم⁽²⁾ . ورغم أن الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1453م) رفض الخروج⁽³⁾ ، فإن نزول الشيخين عبد الرحمان السنوسي ، و ابن عبد العزيز⁽⁴⁾ إلى السلطان ، كان له دورٌ في صرف جيشه عن تلمسان⁽⁵⁾ .

لا ريب أن عدم وقوع علماء تلمسان في منأى عن هذه المجاعات والأوبئة والتي أتت على أرواح عدد منهم ، إضافة إلى الوضعية الاجتماعية التي عاشها علماء آخرون باعتبارهم من فقراء المجتمع ، هي التي أظهرت لنا هذه الأدوار المتواضعة وغير المتكافئة مع عدد العلماء الذين شهدوا مع أفراد مجتمعهم مختلف الأوضاع الصعبة .

04 – إقامة المرافق الاجتماعية :

يحتاج المجتمع إلى أماكن ومنشآت عمرانية تخصص لحاجات الأفراد المختلفة ، سواء في العبادة كالمساجد ، أو التعليم كالمدارس والزوايا ، أو لقضاء حاجة يومية كالعيون والآبار ، وللتعرف على أدوار إجتماعية أخرى لعلماء تلمسان ، نحاول استعراض دورهم في إقامة هذه المنشآت .

تولى علماء تلمسان الخطابة والتدريس في عدد من الجوامع و المساجد في المغرب ، ولم تذكر المصادر – التي أتاحت للدراسة – أيّاً من علماء تلمسان قام ببناء مسجد في مدن المغرب⁽⁶⁾ ، كما لم يقدّم أحدٌ منهم ببناء مدرسة⁽⁷⁾ أو كتاب للتعليم ؛ ويمكن إرجاع ذلك إلى

(1) - ابن خلدون : العبر ، ج07 ، ص329 . انظر : - الناصري : المرجع السابق ، ج03 ، ص57 ، ص58 .

(2) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص79 .

(3) - رفض الشيخ الحسن أبركان التوجه معهم وقال : " لا أخرج إليه ، والله سبحانه يحكم بيننا وبينه " . انظر : - نفسه : ص79 .

(4) - ذكرهما المؤرخ ابن مريم أنه من أولياء تلمسان . ولم يذكر ترجمتهما . انظر : - نفسه : ص80 .

(5) - نفسه : ص80 .

(6) - انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، صص 40 - 43 من الدراسة .

(7) - إلا أن بعض المدارس أخذت اسم بعض العلماء كمدرسة ابني الإمام ، ومدرسة الحسن أبركان بتلمسان ، والتي يظهر أنها حملت اسمه لتدريسه بها .

انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص224 ، ص240 .

التكاليف المادية التي تحتاجها مثل هذه المنشآت ، مما جعل السلاطين يستأثرون ببنائها وتشبيدها ، كما قد يُعزى ذلك إلى اعتبار السلطة السياسية لأبي مبادرة في هذا الجانب منافسة لها .

وقد كانت لعلماء تلمسان خاصّة المتصوّفة منهم زوايا ، التي وإن كان نشاطها الأساسي هو جمعُ المُريدين وتعليم التصوّف ونشره ، فإنها قامت بأدوار ووظائف اجتماعية أخرى ؛ فقد كان للشيخ محمد بن أبي عمرو التميمي (ت756هـ/1355م) زاوية بطريق العبّاد بتلمسان كان من وظائفها توفير الأمن والحماية لقاصديها (1) ، كما كان للفقيه الأصولي محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1489م) زاوية بتلمسان (2) .

وذكر المؤرّخ أبو عبد الله بن القاضي (ت1025هـ/1616م) أنّ العالم أبا الحسن علي ابن أحمد التلمساني (كان حيّاً سنة 758هـ⁽³⁾/1357م) قام بأمر من السلطان المريني أبي عنان بتتصيب المنجاة⁽⁴⁾ ، قبالة المدرسة العنانية بمدينة فاس سنة 758هـ⁽⁵⁾/1357م . ورغم أنّ السلطان هو الذي أمر ببنائها إلا أنّ تنصيبها من طرف أحد تلمسان – الذي كان مؤقّتا للسلطان⁽⁶⁾ – يعكس لنا مشاركة علماء تلمسان في الجانب العمراني ، وبناء المرافق الاجتماعية .

مما سبق يتجلى لنا جانب آخر من الأدوار الاجتماعية التي ساهم بها علماء تلمسان في مجتمعهم ، ورغم تواضع مشاركتهم في إقامة المنشآت والمرافق الاجتماعية ، فإنّ ما قاموا به من أعمال أخرى لفائدة أفراد المجتمع ، إضافة إلى تخصيصهم لبيوتهم ومنازلهم في استقبال الطلبة وإيواء الفقراء والوافدين على تلمسان ، غطّى على النقص الذي أظهره في هذه الناحية .

(1) - نفسه : ص 228 .

(2) - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 189 ، 190 .

(3) - الجزنائي : المصدر السابق ، ص 87 .

(4) - ساعة قام السلطان المريني أبي عنان بتتصيبها في مدخل مدرسته بفاس . انظر : - نفسه : ص 87 .

(5) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 31 .

(6) - نفسه : ص 31 .

05 – جهود علماء تلمسان لإصلاح المجتمع :

عرف المجتمع المغربي في القرنين الثامن والتاسع (14 و15م) كغيره من المجتمعات قيام أفرادهِ بسلوكات وممارستهم لأعمال أثناء حياتهم اليومية ، والتي لم تكن في مجملها لتسلم من الانحراف والسقوط في الأخطاء ، مما يجعل دور العلماء لتقويم هذا الإعوجاج وتصحيح تلك السلوكات أمراً ضرورياً ومهماً ، فما هي جهود علماء تلمسان في إصلاح مجتمعهم ؟

اهتم علماء تلمسان بتماسك مجتمعهم والعلاقات الحسنة بين أفرادهِ ، لذلك سعوا إلى إصلاح تلك العلاقات التي قد تعصف بها رياح الخلاف وعدم التفاهم في بعض الأحيان ، فقد كان الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1454هـ) يحرص على الإصلاح بين الناس ، وكثيراً ما أتاه من هو على خلاف مع والده أو أهله أو صديقه ، فيقوم بجمعهم وتذكيرهم وتبيان الحق لهم ويصلح ذات بينهم ⁽¹⁾ . وبدوره كان الشيخ أحمد بن الحسن الغماري (ت874هـ/1470م) يسارع إلى الصلح بين ذوي القربى ⁽²⁾ وذكر المؤرخ ابن سعد (ت901هـ/1496م) أنه : " كثيراً ما وصل الله بسببه أرحاما كانت مقطوعة ، وأصلح على يده أحوالا عظيمة ... " ⁽³⁾ ، كما بذل الفقيه المفسر محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) جهوداً لإصلاح العلاقات بين أفراد المجتمع ، وكان يقوم بالإصلاح بين الخصوم ⁽⁴⁾ .

وتواصل اهتمام علماء تلمسان بالأسرة وبنائها في المجتمع المغربي ، ومما نقلته لنا المصادر في ذلك ، قيام الفقيه أبو العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1341م) بتزويج الشيخ أبي العباس بن القطان (كان حياً ما بين 681-741هـ ⁽⁵⁾/1282-1340م) و دفعه الصداق عنه ، وزاد على ذلك بأن قدّم له دراهم لإعالة نفسه ⁽⁶⁾ .

(1) - ابن سعد : روضة السنين ، ص 129 .

(2) - نفسه : ص 194 .

(3) - نفسه : ص 197 .

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 243 . انظر أيضا : - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 256 .

(5) - ابن مرزوق : المجموع ، ظ 06 .

(6) - نفسه : ظ 06 ، و 07 .

وأولى علماء تلمسان اهتماما بالغا بالعلاقات الأسرية وصلة الرحم ؛ لذلك نجد أبا العباس أحمد بن مرزوق(ت741هـ /1341م) في وصيته لابنه يوصيه بأهل بيته ، فقال له : " ... عليك بطاعة عمك وبخدمته ، وبالرفق بأختك وصلة قرابتك " (1) .

إلى جانب ذلك لم يسلم المجتمع المغربي من السلوكات المنحرفة ، فلقد كانت مظاهر التفسخ الأخلاقي رائجة في بلاد المغرب (2) ، فتحمل علماء تلمسان جزءاً من أعباء تغيير هذا الوضع وإصلاح المجتمع ومحاربة هذه السلوكات .

ويُعتبر شرب الخمر من أخطر السلوكات التي انتشرت في المجتمع المغربي (3) ، ورغم تخصيص الدولة لأماكن خاصة لشرب الخمر ، فإن بعض شارب الخمر كانوا يجاهرون بسكرهم ؛ ممّا جعل القاضي الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم العقباني(ت871هـ/1467م) يتدخل ويأمر المتصرفين بمنع السكارى المجاهرين بسكرهم من السير في الطرقات ؛ لما قد يصاحب ظهورهم من عبث القول وفاحش الكلام (4) .

وممّا أحدثته النساء في هذه الفترة لبسهنّ الثياب الضيقة القصيرة ، وخروجهنّ لقضاء حوائجنّ واجتماعهنّ بالبزازين(5) والصواغين ، وما يرافق ذلك من مفاسد واختلاط وخلوة بغير المحارم (6) ؛ لذلك أمر القاضي أبو عبد الله العقباني(ت871هـ/1467م) بمنع النساء من الزينة الظاهرة والاختيال في المشي وإظهار ما يستدعي الفتنة(7) ، ومنع خروجهنّ للحمام (8) ، كما منعهنّ من الاجتماع بغير المحارم بقوله : " ... وأمّا ما يقع في بلدنا ووطننا من اجتماعهنّ على احتفال أو تزيّن فيحلقن دائرة على رجل غير محرم يغنيهنّ ويضطربهنّ فمحرم اتفاقاً " (9) .

(1) - نفسه : و 33 .

(2) - انظر : - الغبريني(أبو العباس أحمد) : عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : رابح بونار ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ص 152 . انظر أيضا : - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 154 .

(3) - الغبريني : المصدر نفسه ، ص 152 .

(4) - العقباني : المصدر السابق ، ص 69 .

(5) - البزاز : هو بائع الثياب . انظر : - الرازي(محمد بن أبي بكر) : مختار الصحاح ، تحقيق : محمد خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، 1415هـ/1995م ، ص 21 .

(6) - ابن الحاج : المصدر السابق ، ص ص 112 - 116 .

(7) - العقباني : المصدر السابق ، ص

(8) - أفتى العقباني بحرمة المرأة للحمام بقوله : " وقد شاع في هذا الوقت وذاع أنّ النساء لا تستترن بحال إلا القليل ، وذلك القليل يرى عورة غيره ، فأراه اليوم مجتمعا على تحريمه ، إلا أن يخلو لها الحمام أو تكون مع من يجوز له الإطلاع عليها " . انظر : - نفسه : ص 73 .

(9) - نفسه : ص 77 .

وللحفاظ على الأنسال ومحاربة فاحشة الزنا والفساد الأخلاقي ، أفتى الفقيه المفتي أبو العباس أحمد الونشريسي(ت914هـ/1508م) بمنع المرأة إسقاط الحمل واستعمال الأدوية لمنعه (1) ، كما نهى الرجال عن الجلوس على الطرقات والتعرض للنساء ، ونهى النساء عن تبرّجهن واجتماعهنّ في المقابر (2).

ورغم موافقة بعض علماء تلمسان على احتفالات المولد النبوي وتفضيل هذه الليلة على ليلة القدر ؛ كما ذهب إلى ذلك الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق(3) (ت781هـ/1379م) ، فإن علماء آخرين عارضوا بعض السلوكات المصاحبة للاحتفالات ، كاعتبار المفتي أبو العباس أحمد الونشريسي(ت914هـ/1508م) اتخاذ طعام مخصوص في المولد النبوي وفي بعض الاحتفالات بدعة من البدع (4) ، وأنكر اجتماع الرجال والنساء فيها (5) .

وللحفاظ على نظافة المدينة ومنع انتشار الأوساخ والنفائيات في الطرقات دعا القاضي أبو عبد الله محمدّ العقباني(ت871هـ/1467م) السكان إلى عدم رمي نفائياتهم في الطرق والأفنية (6) ، كما أمر أصحاب المنازل بعدم ترك الميازيب تقطر بالنجاسة والماء على المارة (7) ، ومنع الخزازين(8) من بسط جلود الأبقار في الطرقات ، وللحفاظ على المارة من الأوساخ والتعثر (9) .

ورغم انتشار السرقة في المجتمع المغربي فإنّ دور علماء تلمسان في مواجهتها وتخليص المجتمع منها نقلته لنا المصادر التاريخية على سبيل الكرامة وتسخيرها من طرفهم لتحقيق هذا الهدف (10) ؛ من ذلك ما ذكره المؤرّخ ابن مريم التلمساني(ت1014هـ/1605م) أنّ

(1) - الونشريسي : المعيار ، ج3 ، ص 370 .

(2) - نفسه : ج3 ، ص 499 ، 500 .

(3) - ذكر ابن مرزوق في مؤلفه " جنا الجنّين في فضل الليلتين " أفضلية ليلة المولد على ليلة القدر بإحدى وعشرين وجهاً .

انظر : - نفسه : ج 11 ، ص ص 280 - 289 .

(4) - نفسه : ج 02 ، ص 489 .

(5) - نفسه : ج 12 ، ص 48 ، 49 .

(6) - وفصلّ العقباني في ذلك بقوله : " ... وإذا علم من قام بهذا الفعل تعاد نفائياته إليه ، وإلا فعلى المجاورين للمكان كنسه ورميه " .

انظر : - العقباني : المصدر السابق ، ص 65 .

(7) - نفسه : ص 66 ، 67 .

(8) - الخراز : صانع الخرز ، من حرفته الخرز ، والخرازة : حرفة الخراز ، والخرازة صانعة الخرز ، التي توشي الثوب وتزيّنه . انظر :

- محمّد خير أبو حرب : المعجم المدرسي ، تدقيق : ندوة النوري ، ط01 ، المؤسسة العامّة للطبوعات والكتب المدرسية ، الجمهورية العربية السورية 1406هـ/1985م ، ص 300 .

(9) - العقباني : المصدر السابق ، ص 67 .

(10) - ناقشت الباحثة أمل لدرع ذلك . انظر : - أمل لدرع : " الحركة الصوفية في المغرب الأوسط... " ، رسالة ماجستير السابقة ، ص ص 351 - 354 .

الصوفي الحسن أبركان (ت857هـ/1454هـ) ردّ لخادمه حماره الذي أخذ منه ، بعد أن تشقّع الخادم بسيدّه الصوفي الذي كان بعيدا عن مكان الحدث (1) .

ثالثا : مواقف علماء تلمسان من قضايا مجتمعهم :

تواصل اهتمام علماء تلمسان ودورهم في الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب ، من خلال مواقفهم من بعض القضايا التي انتشرت في مجتمعهم وشغلت بال أفراده ، وإن اختلفت آراؤهم حولها فإنّها تعكس لنا قربهم واهتمامهم بقضايا المجتمع .

01 – موقف علماء تلمسان من قضية الشرف :

يُعتبر الشرف كواحدة من أهم الظواهر الاجتماعية والسياسية التي عرفتها بلاد المغرب بعد سقوط الخلافة الموحدية سنة 668 هـ/1269 م وضعف السلطة المركزية (2) ، وتختلف مجتمعات دول المغرب الإسلامي عن بعضها في حجم موقع الشرفاء وكثافة تواجدهم ، فالمغرب الأقصى هو مجال تقليدي للشرفاء منذ عهد الأدارسة ، ونفس الأمر يمكن أن يذكر أيضا بالنسبة لإفريقية وإن بدرجة أقل ، بينما تقل أخبار الشرف في مجتمع المغرب الأوسط (3) .

وكانت المنزلة التي حظي بها الشرفاء من طرف السلاطين الزيانيين والمرينيين والحفصيين ، والإمتميازات والعطاءات التي أُغدقت عليهم ، سببا في ارتفاع مدّعي هذا النسب ؛ ممّا جعل السلطان الحفصي أبا بكر بن أبي زكرياء (718-747هـ/1318-1346) – على سبيل المثال – يرتب الأشراف في ديوان خاص ، فأدّى ذلك إلى ازدياد عطائهم (4) . ومن جهتها أعتفت الدولة المرينية أسر الأشراف من سائر أنواع الضرائب والإتاوات ، ومنحتهم الحقّ في اقتطاع مرتّب سنوي تأخذه الأسر من جباية المنطقة كلّها (5) .

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 275 .

(2) - بوبة مجاني : " تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد ... " ، المقال السابق ، ص ص 154 - 157 .

(3) - محمد فتحة : " النوازل الفقهية والمجتمع " ، رسالة ماجستير السابقة ، ص 239 .

(4) - المقرري : نفع الطيب ، ج05 ، ص 281 .

(5) - انظر : - محمد القبلي : مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط ، ط1 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1987م ،

ص 99 ، 100 .

واختلفت نظرة علماء تلمسان للشرف كظاهرة اجتماعية ، ممّا أثار نقاشا كبيرا بينهم أو مع نظرائهم من علماء المغرب الإسلامي ، وكان الفقيه أبو عبد الله المقرّي (ت758هـ/1357م) من أشدّ معارضي فكرة الشرف ؛ وأبانت لنا حادثته مع نقيب الشرفاء بمجلس السلطان المريني أبي عنان بمدينة فاس عن موقفه من هذه القضية⁽¹⁾ ؛ فقد كانت عادة السلطان ومجلسه الوقوف لنقيب الشرفاء عند قدومه ، لكن المقرّي الجدّ رفض ذلك ، فسأله عن ذلك بقوله : " أيها الفقيه ما لك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله وأهل مجلسه إكراما لجدي وشرفي ؟ ومن أنت حتى لا تقوم لي ؟ " ، فأجابته المقرّي : " أمّا شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبته ولا يرتاب فيه أحد ، وأمّا شرفك فمظنون ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة ؟ " (2) .

ولقد استدللّ الفقيه أبو عبد الله المقرّي (ت758هـ/1357م) بحجّة منطقية تدحض ما أراد نقيب الأشراف أن ينال به منزلة اجتماعية ، وفرض الإحترام والتوقير على أفراد المجتمع بسببه ، وهو ما أكده المؤرّخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) عندما اعتبر النسب أمرا وهميا لا يستمر في أكثر من أربعة أجيال إلا في القليل النادر⁽³⁾ .

في مقابل ذلك عارض الفقيه الأصولي أبو العباس أحمد بن محمد بن زاغو (ت845هـ/1441م) ما ذهب إليه المقرّي الجدّ ومن بعده المؤرّخ ابن خلدون ؛ فقد أفتى في نازلة وقعت بتلمسان سنة 843 هـ⁽⁴⁾/1440 م ، ضمّتها موقفه من قضية الشرف بقوله : " ... وقول من قال من أهل المائة الثامنة ومن تبعهم من أهل التاسعة ، الشرف بعد السبعمائة وأحرى بعد الثمانمائة ضعيف ، قولٌ لا يُعرَف لهما فيه سلف ، وهو قول باطل لا تمكن صحته " (5) ، بل ذهب الفقيه ابن زاغو أبعد من ذلك عندما اعتبر إنكار الشرف والطعن في النسب الشريف طامّة عظيمة وغرورا كبيرا⁽⁶⁾ .

(1) - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص 281 .

(2) - نفسه : ج05 ، ص 281 .

(3) - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص 108 .

انظر أيضا : - علي صدقي : " النسب والتاريخ وابن خلدون " ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، عدد 11 ، 1985م ، ص ص47، 83 .

(4) - سبب هذه النازلة هو اختلاف شريف وفقه من الفقهاء ، فتسابا وتشاتما . انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج02 ، ص ص 540 - 547 .

(5) - نفسه : ج02 ، ص 548 .

(6) - نفسه : ج02 ، ص 548 .

و كان علماء تلمسان من أشدّ المعارضين للموقف والرأي الرافض لأحقية الشرف من جهة الأم⁽¹⁾ ؛ ومن التلمسانيين الذين أثبتوا الشرف من جهة الأم الفقيه أبو عبد الله الشريف (ت771هـ/1370م) في فتوى أفتاها سنة 770هـ⁽²⁾/1369م ، كما كان ذلك رأي جماعة من شيوخ تلمسان في طبقتة⁽³⁾ . وقد أفتى الفقيه أبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) في نفس السنة بلزوم توقير الشريف من جهة الأم مثل ما يلزم للشريف من أبيه⁽⁴⁾ ، وأثبت ذلك الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق⁽⁵⁾ (ت781هـ/1415م) ، وعند اختلاف علماء تونس وبجاية حول الشرف من جهة الأم ، ألف بتونس سنة 811هـ⁽⁶⁾/1408م كتابا سماه بـ " إسماع الصمّ في إثبات الشرف من قبّل الأم " (7) .

مما سبق يتبيّن لنا أن معظم علماء تلمسان مالوا إلى إثبات الشرف ، وهو ما جعل لهؤلاء الشرفاء منزلة عالية بين أفراد المجتمع ، وكونوا فئة اجتماعية محظوظة تبلور كيائها وأصبحت لها امتيازات مادية مضبوطة قارّة ومتوارثة أحيانا⁽⁸⁾ ، وإن كان ذلك على درجات وتباين بين أقطار المغرب الثلاثة .

وجاءت سلوكات بعض علماء تلمسان لتؤكد المنزلة التي تبوأها الشرفاء في المجتمع ، فقد أدّى تعظيم وإجلال الشيخ أحمد بن الحسن الغماري (ت874هـ/1470م) للشرفاء ، إلى تدخله لدى السلطان لمّا أساء أحد العمال وانتقص - حسبه - من قدر شرفاء مغراوة⁽⁹⁾ من بلاد الشلف ، فما كان من السلطان إلا أن أقدم على عزل هذا العامل كعقوبة له⁽¹⁰⁾ ، وكتب للشيخ رسالة جاء فيها : " ... إني قد عزلت هذا العامل عقوبة له على إهانتة للشرفاء ، وسأتقدّم لمن يلي هذا العامل بتأكيد الوصية عليهم في تعظيمهم واحترامهم " (11) .

(1) - كان الخطيب ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) من أهم معارضي ذلك ، وألف كتاب " تحفة الوارد في اختصاص الشرف من جهة الوالد " . انظر : - باشا(إسماعيل بن محمد) : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ج1 ، ص 262 .
(2) - انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 207 .
(3) - نفسه : ج 12 ، ص 207 .
(4) - نفسه : ج 12 ، ص 208 .
(5) - انظر : - نفسه : ج 12 ، ص ص 193 - 207 .
(6) - ابن مرزوق(محمد بن أحمد) : إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2067 ، و 176 .
(7) - نفسه : و 01 .
(8) - محمد القبلي : المرجع السابق ، ص 102 .
(9) - هي منطقة جبلية تمتد على طول نحو أربعين ميلا ، وهي محاذية للبحر المتوسط . انظر : - حسن الوزان : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 44 .
(10) - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 233 .
(11) - نفسه : ص 233 .

إنّ ما اعتبره الشيخ الغماري إساءة وانتقاصاً لشرفاء مغراوة ، واستدعى منه مراسلة السلطان وعزل عامل الشلف ، لم يكن في الحقيقة إلا معاملة هذا الأخير للشرفاء كما يعامل باقي الرعية وتسويتهم معهم⁽¹⁾ ، ممّا يؤكد لنا المنزلة التي حظي بها الشرفاء في المجتمع المغربي والتي جعلتهم يعاملون معاملة خاصّة ، كما أنّ موقف العلماء التلمسانيين الداعم لهذه الفئة في معظمه أضفى لها حماية وإجلالا زائداً في المجتمع ، وهو الإجلال الذي جعل عدم قيام الفقيه أبي عبد الله المقرّي الجدّ (ت758هـ/1357م) لنقيب أشرف مدينة فاس يعتبر - في مجلس السلطان المريني أبي عنان - سلوكاً غريباً لم يألفه الحضور .

02 - موقف علماء تلمسان من سلوك المتصوّفة :

لعب المتصوّفة أدواراً كبيرة الأهمية على المستوى الاجتماعي ، وهذا يرجع إلى الرصيد المعنوي الذي اكتسبوه داخل مختلف الشرائح الاجتماعية ، وإلى الهيبة التي صارت لهم لدى الناس على اختلاف درجاتهم ومواقعهم ، ولسنا في هذا الموضوع بصدد عرض ظهور التصوّف في بلاد المغرب وتغلّغه في المجتمع المغربي ، أو الأدوار التي أداها المتصوّفة لمجتمعهم⁽²⁾ وإمّا سنكتفي بإبراز مواقف علماء تلمسان من بعض السلوكات الصوفية في المجتمع ، مع الأخذ في الاعتبار أنّ عدداً من علماء تلمسان كانوا متصوّفة .

كانت الأعمال التي قدّمها المتصوّفة لمجتمعهم فرصة لإظهار كراماتهم ، وإن أدّى الصوفية دوراً اجتماعياً كبيراً لا يمكن إنكاره ، فإنّ الكرامة ظلّت تغلّف هذا الدور بما تحمله من إمكانية التجاوز اللطبيعي الذي لا يخضع للحواجز الدنيوية ، وبما تمتلكه من تعلق نفسي وذهنّي من قبل المجتمع⁽³⁾ .

(1) - نفسه : ص 233 .

(2) - من الدراسات التي اهتمت بدور الصوفية في المجتمع :

- أمال لدرع : " الحركة الصوفية في المغرب الأوسط ... " ، رسالة ماجستير السابقة .

- محمّد فتحة : " النوازل الفقهية والمجتمع ... " ، رسالة ماجستير السابقة ، ص ص 159 - 236 .

- منال عبد المنعم السيّد : " أثر الطريقة الصوفية في الحياة الاجتماعية لأعضائها ، دراسة أنثروبولوجية في مصر والمغرب " ، رسالة دكتوراه ، إشراف محمّد علي أبو ريّان ، فاروق أحمد مصطفى ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، 1990 م . (اطلعت عليها) .

- بوداود عبيد : ظاهرة التصوّف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13 و15م) ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د.ت)

(3) - أمال لدرع : " الحركة الصوفية في المغرب الأوسط ... " ، رسالة ماجستير السابقة ، ص 72 .

واختلفت الآراء حول صحّة الكرامة وحقيقتها ، فقد ذهب الفقيه المالكي أبو الوليد محمّد ابن رُشد⁽¹⁾ (ت520هـ/1126م) بأنّ " إنكار الكرامة والتكذيب بها بدعة وضلالة بثها في الناس أهل الزيغ " (2) ، كما أقرّها المؤرّخ عبد الرحمان بن خلدون⁽³⁾ (ت808هـ/1406م) ، بينما ذهب المعتزلة⁽⁴⁾ إلى إنكارها (5) .

وذهب الفقيه محمّد بن القاسم العقباني(ت871هـ/1467م) إلى عدم إنكار الكرامات للأولياء ، لكنه أبطل منها بعض السلوكات كادّعاء الكلام مع الملائكة ، وتوظيف الولاية من أجل الحصول على مكسب حرام ، أو التنبؤ بما هو في علم الله وحده⁽⁶⁾ ، ورأى الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمّد بن العباس(ت871هـ/1467م) بجوازها ، وقال أنّ : " العقل قاض بجوازها وكذا في الشرع ، لأنّ ظهورها لا يؤدّي إلى رفع أصل من أصول الشرع ولا هدم قاعدة " (7) ، ولكنه طلب من صاحب الكرامة أن يعمل على إخفائها⁽⁸⁾ ، في حين ذهب الشيخ المفسّر محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني⁽⁹⁾ (ت909هـ/1503م) إلى وصف من ادّعى كرامة فيها خرق للعادة بالكفر ، ويجب قتله بدون استتابة⁽¹⁰⁾ .

ونجد أنّ عددا من علماء تلمسان المتصوّفة ذكرت لهم المصادر وكتب التراجم جملة من الكرامات التي ظهرت على أيديهم ، على غرار ما ذكره الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) من كرامات والده الفقيه أبي العباس بن مرزوق⁽¹¹⁾ (ت741هـ/1340م)

(1) - هو أبو الوليد محمّد بن رشد المالكي ، قاضي الجماعة بقرطبة ومفتيها . انظر ترجمته : - الحنبلي(ابن عماد) : المصدر السابق ، ج06 ، ص 102
(2) - ابن رشد (أبو الوليد محمّد) : فتاوى ابن رشد ، تقديم وتحقيق : المختار التليلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ/1987 ، ج01 ، ص 580 .

(3) - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص 395 ، 396 .

(4) المعتزلة : جماعة تنسب إلى واصل بن عطاء(ت131هـ/749م) ، وعمرو بن عبيد(ت142هـ/759م) البصريان ، اللذان اعتزلا مجلس الحسن البصري(ت101هـ/719م) وخالفاه في القدر ، وفي المنزلة بين المنزلتين ، فطردهما واعتزلا في سارية من سوارى مسجد البصرة ، فقيل لهما ولأتباعهما المعتزلة . انظر : - البغدادي(عبد القاهر) : الفرق بين الفرق ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1424هـ/2004م ، ص 20 .

(5) - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص 396 . انظر أيضا : - الونشريسي : المعيار ، ج02 ، ص 391 .

(6) - الونشريسي : المعيار ، ج02 ، ص 391 ، 392 .

(7) - نفسه : ج02 ، ص 388 .

(8) - نفسه : ج02 ، ص 389 .

(9) - انظر ترجمته : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص 284 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 254 - 257 - أحمد بابا التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 456 ، 457 . / نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 264 - 268 . - محمّد مخلوف : المرجع السابق ، ص 274 .

(10) - المازوني(أبو زكرياء يحي المغيلي) : الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 1336 ، ج02 ، و274 .

(11) - انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، ط43 ، ط44 .

إضافة إلى كرامات الأصولي المتصوّف محمّد بن يوسف السنوسي⁽¹⁾ (ت895هـ/1490م) ،
والصوفي أحمد بن الحسن الغماري⁽²⁾ (ت874هـ/1470م) وكرامات الشيخ المتصوّف الحسن
أبركان⁽³⁾ (ت857هـ/1453هـ) .

ويظهر عدم معارضة علماء تلمسان لسلوكات الصوفية في المجتمع من خلال قيام
بعضهم بلبس الخرقه⁽⁴⁾ ، فقد قام الفقيه محمّد بن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م) بلبسها
بعد أن " ألبسه أبوه وعمّه الخرقه ، وهما ألبسهما أبوهما جدّه " ⁽⁵⁾ ، كما رحل الفقيه المفسّر
أحمد بن زكري (ت899هـ/1494م) إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم التازي (ت866هـ/
1462م) فألبسه خرقه التصوف⁽⁶⁾ ، وقام هذا الأخير أيضا بالباسها للفقيه المتصوّف محمّد بن
يوسف السنوسي⁽⁷⁾ (ت895هـ/1490م) .

وعلى الرغم من اعتبار عدد من علماء تلمسان زيارة القبور للتبرّك والتوسّل بدعة
في الدين ، كما ذهب إلى ذلك الفقيه المفتي أبو العباس أحمد الونشريسي (ت914هـ/1508م)
بمعارضته للبناء على القبور وتجسيصها وشدّ الرحال لزيارتها⁽⁸⁾ ، وأنّ تقبيل قبر الرجل
الصالح أو العالم هو بدعة⁽⁹⁾ ؛ فإننا نجد عددا آخر من العلماء لم ينكروا ذلك ، بل هناك من
قام بذلك أو اتخذ قبره من بعده مزارا للناس ، فقد ذكر المؤرّخ محمد بن سعد التلمساني
(ت901هـ/ 1496م) أنّ قبر الشيخ أحمد بن الحسن الغماري (ت874هـ/1470م) " جربّ
النّاس فيه إجابة الدعاء ، وتعرّفوا بركة زيارته في الشدّة والرخاء ، فروضته قلّ أن تخلو من
زائر يتلو القرآن ويهدى له الثواب ، أو يذكر وينتظر منه بلسان الحال الجواب... " ⁽¹⁰⁾ ، فكان
عدم إنكار الفقيه ابن سعد لذلك ، دليلا على رضا فريق آخر من العلماء عن سلوك التبرّك .

(1) - انظر: - ابن مريم: المصدر السابق ، ص 80 .

(2) - انظر: - نفسه: ص 33 . انظر أيضا: - ابن سعد: روضة النسرين ، ص 219 .

(3) - ذكر ابن مريم أنه اشتهر بالكرامة والعلم . انظر: - ابن مريم: المصدر السابق ، ص 220 انظر أيضا: - ابن سعد: روضة النسرين ، ص 141 .

(4) - ينسب لبس خرقه التصوّف إلى الشيخ ابن عربي ، وهو سلوك صوفي يؤدّي إلى ارتفاع رتبة المرید بلباسها والصحة ، وللصوفية أسانيد في لبسها .

انظر: - مجموعة من المؤلفين: لبس الخرقه في السلوك الصوفي ، تحقيق: عصام الكيالي ، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، 2008م ، ص 01 وما بعدها .

(5) - المقري: نفع الطيب ، ج 05 ، ص 424 . انظر أيضا: - ابن مريم: المصدر السابق ، ص 206 .

(6) - ثبت البلوي: ص 426 .

(7) - ابن مريم: المصدر السابق ، ص 238 .

(8) - الونشريسي: المعيار ، ج 11 ، ص 152 .

(9) - نفسه: ج 02 ، ص 490 .

(10) - ابن سعد: روضة النسرين ، ص 237 .

وما يعكس لنا انتشار سلوك التبرك بالقبور في بلاد المغرب ، ما ذكره الخطيب أبو العباس أحمد بن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1408م) من أنه وقف مرّات على قبور بعض الأولياء ، وسأل الله تعالى في أشياء فتيسرت له⁽¹⁾ ، إضافة إلى ما ذكره الفقيه أبو جعفر البلوي (ت938هـ/1532م) من أشعار للشيخ إبراهيم التازي(ت866هـ/1462م) ، يدعو فيها لزيارة القبور والتوسّل بها فقال :

زيارة أرباب التقى مرهم يبيري	ومفتاح أبواب الهداية و الخير
وُحِدِثَ فِي الْقَلْبِ الْخَلِيِّ إِرَادَةً وَتَشْرَحُ	صدرا ضاق من سعة الوزر
وَتَنْصُرُ مَظْلُومًا وَتَرْفَعُ خَامِلًا	وتكسب معدوما وتجبر ذا كسر
وَتَبْسُطُ مَقْبُوضًا وَتَضْحَكُ بَاكِيًا	وترفد بالبذل الجزيل وبالأجر
عَلَيْكَ بِهَا فَالْقَوْمُ بَاحُوا بِسَرِّهَا وَأَوْصَوْا	بها يا صاح في السرّ والجهر ⁽²⁾

واختلف علماء تلمسان حول مجالس الصوفية وما كان يصاحبها من رقص وأكل وتهليل وأثار ذلك خلافا بينهم ، فقد استحسّن الفقيه المفسّر أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني (ت854هـ/1451م) اجتماع الفقراء بعد صلاة الجمعة في مجلس على أحد الشيوخ و قيامهم بالتسبيح والتهليل ثم الأكل وقراءة القرآن⁽³⁾ ، وخالفه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) وردّ عليه بكتاب في ذلك⁽⁴⁾ . في مقابل ذلك اعتبر الفقيه أبو العباس الونشريسي(ت914هـ/1508م) اجتماع الفقراء على الرقص والغناء والبكاء وأكل الطعام ، وخط ذلك بالصلاة وقراءة القرآن أمراً منكراً ، وأشدُّ ضرراً على المسلمين من مرده الشياطين⁽⁵⁾ ، وذهب إلى بدعية التسبيح باجتماع الأصوات والإطراب واللحن في ذلك⁽⁶⁾ .

وكان رأي الونشريسي الأخير هو الصائب في هذا الخلاف ، وذلك لما تحدّثه هذه المجالس من إيذاء للمصلّين وانتفاء للسكينة في المساجد ، كما كانت زيارة بعضهم للقبور

(1) - ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقيير ، ص 07 .

(2) - ثبت البلوي : ص ص 329 - 331 .

(3) - انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج 11 ، ص ص 48 - 73 .

(4) - انظر : - نفسه : ج 11 ، ص ص 48 - 73 .

(5) - انظر : - نفسه : ج 11 ، ص ص 30 - 34 . ج 02 ، ص 511 .

(6) - انظر : - نفسه : ج 12 ، ص ص 362 - 364 .

والدعاء عندها والتوسّل بها أو عدم الإنكار على قاصديها ممّا يؤخذ عليهم ؛ فقد تواترت النصوص عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالنهاي عن الصلاة عند القبور مطلقا ، واتخاذها مساجدًا ، أو بناء المساجد عليها (1) ، والنهاي عن شدّ الرّحال لزيارتها (2) ، كما تصدّى فريق من علماء بلاد المغرب الإسلامي لمثل هذه السلوكات وعملوا على محاربتها (3) .

03 - موقف علماء تلمسان من قضية يهود توات (4) :

عرف المجتمع المغربي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14و15م) استقرار عناصر غير مسلمة من نصارى ويهود ، والذين قامت بينهم وبين أفراد المجتمع المغربي علاقات ، وكان لتمكن بعضهم من التقرب إلى السلطة الحاكمة في بلاد المغرب و تبوء منزلة عالية لديها ، إضافة إلى بعض السلوكات التي قاموا بها ، قد أثار حفيظة فريق من العلماء الذين رأوا في ذلك مساسا بأحكام أهل الذمّة (5) .

وأثارت مسألة اليهود المقيمين بتوات خلافا كبيرا بين علماء المغرب الإسلامي ، ورغم أنّ هذه القضية أخذت طابعا فقهيًا وعلميًا ، حيث أنّ العلماء استدلوا بآراء فقهية وردت في كتب الفقه الإسلامي من أجل تعضيد كل فريق لرأيه بأدلة تزيد من صحة موقفه ، فإنّ ذلك لم يكن ليخرجها عن إطارها الاجتماعي ؛ لأنّ هؤلاء اليهود كانوا يعيشون في المجتمع وما يصحبه من علاقات واحتكاك مع فئات المجتمع الأخرى ، كما أنّ بعض العلماء وفي استدلاله على رأيه ذكر بعض السلوكات التي قام بها اليهود مع أفراد المجتمع المغربي والتي لها تأثير كبير عليهم (6) .

(1) - ابن تيمية(تقي الدين أحمد) : إقتضاء الصراط المستقيم مُخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق : خالد عبد اللطيف السبع العلمي ، ط3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1422هـ/2001م ، ص 363 .

(2) - جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " لا تشدّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا " وهذا النهي يعمّ السفر إلى المساجد والمشاهد ، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب والعبادة . انظر : - نفسه : ص 362 ، 363 .

(3) - حول مختلف هذه المواقف ، انظر : - مصطفى باحو : "علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوّف والقبورية والمواسم" ، ط1 ، نشر جريدة السبيل، المغرب الأقصى ، 1428هـ/2007م .

(4) - توات : هو إقليم يشتمل على قصور ذات نخيل وأشجار ، وهو صحراء . من قصورها : تيلكوزة ، تميمون ، شروين ، تمنظيط .

انظر : - بكرى عبد الحميد : النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري ، ط2 ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، 2007م ، ص 18 . انظر أيضا : - الخريطة رقم 02 ص 25 من الدراسة .

(5) - الذمّة هي العهد والأمان ، وعقد الذمّة هو أن يقرّ الحاكم أو نائبه بعض أهل الكتاب - أو غيرهم - من الكفار على كفرهم بشرطين هما : أن يلتزموا أحكام الإسلام جملة ، وأن يبذلوا الجزية . انظر :

- السيد سابق : فقه السنة ، ط3 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1401هـ/1981م ، ج3 ، ص 14 .

(6) - من هؤلاء العلماء الذين استدلوا بتلك السلوكات الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت909هـ/1504م) .

انظر : - المغيلي(محمد بن عبد الكريم) : رسالة في أحكام أهل الذمّة ، مخطوط ، مكتبة الأزهر ، مصر ، رقم 1312349 ، و88 - 90 .

وقد شغلت هذه المسألة بالناس وأثارت اهتمامهم ، وما يدلنا على هذا الاهتمام ما جاء في إحدى الرسائل التي بعث بها أهل توات لطلب الفتوى حولها ، وقالوا فيها أنّ : " ... المسلمين في حيرة من هذه المسألة " (1) . ولم تقتصر هذه الحيرة على سكان مدينة توات ، فقد أدّى وجود اليهود والنصارى في مختلف أقطار المغرب ، وقيامهم ببعض الأعمال المشابهة لما قاموا به في توات ، أن أصبحت المسألة محلّ اهتمام من طرف المجتمع المغربي كله (2) .

وتتمثل المسألة في أنّ اليهود قدموا إلى مدينة توات ونزلوا واستقروا فيها ، وأحدثوا فيها كنيسة لإقامة دينهم ، فاحتار الناس في هدم تلك الكنيسة وإن كان اليهود قد ملكوا أرضها بشرائها من المسلمين ، أو أنّها لا تهدم ؟ واستعدوا إن كان الحق هدمها هدموها بلا فتنة ولا اختلاف ، وإن كان الحق في إبقائها أبوقها بلا فتنة أيضا (3) ؛ لذلك قاموا باستفتاء العلماء ببلدهم وبعلماء بلاد المغرب الآخرين .

وكان من علماء تلمسان المستقرّين بتوات الفقيه محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني(ت909هـ/1503م) والذي قدم إلى تمنطيط سنة 882هـ/1477م ، وقاضي الجماعة الفقيه عبد الله بن أبي بكر العصنوني(كان حيّا بعد سنة 875هـ/1471م) الذي استقر قبله بتوات منذ سنة 875 هـ/1471م (5) ، وتولى القضاء بها (6) .

ووقع خلاف بين عالمي تلمسان ، فقد ذهب الفقيه الحافظ محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى وجوب هدم الكنيسة التي أقامها اليهود ، وقال أنّ هذه المسألة : " لا يعلم فيها خلاف ، ولا يفتي بتقريرها إلا دجال " (7) ، ورأى أنّ يهود توات كغيرهم من يهود تلمسان وإفريقية قد حلت دماؤهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم ، وإنهم لا ذمّة لهم ؛ لأنّ الذمّة التي ترفع عنهم

(1) - الوثنرسي : المعيار ، ج 02 ، ص 236 .

(2) - ذكر الوثنرسي نازلة وقعت بتونس ، وهي إحداث النصارى كنيسة في فندقهم ، وجعلوا عليها شيئا يشبه الصومعة ، فطالب السكان بإزالتها ، كما كانت هناك نازلة في مدينة فاس حول النصارى الداخلون من العدو ، وبنائهم بيع وكنائس في موضع استقرارهم .

انظر : - نفسه : ج 02 ، ص 215 .

(3) - انظر : - نفسه : ج 02 ، ص 236 .

(4) - المهدي بو عبدلي : " تاريخ مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات " ، المقال السابق ، ص 87 .

(5) - نفسه : ص 87 .

(6) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 03 ، ص 55 .

(7) - الوثنرسي : المعيار ، ج 02 ، ص 216 .

— حسب — هي الذمة الشرعية لا الذمة الجاهلية ، وتكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية عن يدٍ وهُم صاغرون (1) .

وكانت من الأسباب التي جعلت المغيلي يري بمثل هذا الرأي ؛ هو ما أظهره اليهود من قبيح الأفعال وتحكمهم في أمور البلاد والتدخل في شؤون الحكم (2) ، وقال أنهم : " ... تمردوا على الأحكام الشرعية بسكن البلاد السابقة والتعلق بأرباب الشوكة والتعصب بأموالهم ... " (3) ؛ ممّا جعله يؤكد أنّ كلّ يهودي تعلق بخدمة سلطان أو وزير أو قاضي ، فقد انتقض عهده وحلّ ماله ودمه ؛ لأنّ خدمة " أرباب الشوكة " — حسب — مناقض لشروط الذمة من الصغار والذلة (4) .

وذكر المغيلي ما قام به هؤلاء اليهود من سبهم للرسول — صلى الله عليه وسلم — واستهزائهم بالمسلمين ، إضافة إلى إساءتهم لأفراد المجتمع (5) ؛ وممّا ذكره في ذلك أنّ أحد قضاة زمانه استعمل يهوديا في أشغاله ، وأعطاه يوما ثيابه ليغسلها له فرآه يبول عليها ، وأنّ امرأة يهودية كانت تعجن خبز مسلم فتأخذ القمل من رأسها وتقتله بين أظفارها وتعجن من غير أن تغسل يديها (6) .

وخالف القاضي عبد الله بن أبي بكر العصنوني (كان حيّا بعد سنة 875هـ/1471م) الشيخ المغيلي في المسألة ، ورأى أنّ كنائس اليهود لا تهدم (7) ، واستدلّ بأن ذلك هو العمل به في مدن المغرب ، وأنّ الكثير من العلماء قد حلوا بهذه الصحراء وشاهدوا الكنائس فيها ، وأنكروا أشياء على أهل الذمة ، ولم تكن الكنائس في جملة ما أنكروه عليهم (8) .

ورأى أنّ السلوكات التي قام بها اليهود مع أفراد المجتمع وتحجّج بها المغيلي ، يكفي أن يُنهبوا عنها بالزجر والتأديب ، وأنهم عند زجرهم في غاية الذلة والصغار (9) . وأضاف أن

(1) - المغيلي : المصدر السابق ، و 91 .

(2) - نفسه : و 92 .

(3) - نفسه : و 92 .

(4) - نفسه : و 92 .

(5) - نفسه : و 88 .

(6) - نفسه : و 88 .

(7) - انظر : - الوثريسي : المعيار ، ج 02 ، ص ص 214 - 217 .

(8) - نفسه : ج 02 ، ص 215 .

(9) - نفسه : ج 02 ، ص 217 .

يهود توات لهم درباً اختصوا به ولا يعيش في خارجه إلا قليلا منهم ، وكنيستهم بين دُورهم ولا تلاصق دار أيّ مسلم (1) .

وأدى هذا الخلاف بين العالمين إلى اتهام كلّ منهما للآخر ، فقد اتهم القاضي عبد الله العصنوني مخالفه الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1504م) بالشغب الذي كاد أن يثير الفتنة (2) ، في حين أنكر هذا الأخير على الأوّل بقوله : " ولا يستدلّ في هذا الزمان الكثير الشرّ بعمل الأمصار وسكوت العلماء الأخيار ؛ لأنّ الأمر اليوم ومن قبله بكثير بيد أرباب الهوى لا بيد أرباب التقوى " (3) ، كما أدّى هذا الخلاف إلى مراسلة واستفتاء فقهاء تلمسان و فاس (4) .

انقسم علماء تلمسان في هذه المسألة إلى فريقين ، فمن الذين وافقوا القاضي عبد الله العصنوني (كان حيّاً بعد سنة 875هـ/1471م) ورأيه الداعي إلى عدم هدم كنائس اليهود ، فقيه تلمسان ومفتيها أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري (ت899هـ/1494م) ، الذي أجاب عن رسالة العصنوني إليه (5) ، ومما أجابه فيها (6) بأنّ المحققين في المذهب المالكي لا يقولون بهدم كنائس اليهود ، وأنه لا يدلّ منع إحداث الكنائس على وجوب هدم المبني منها (7) ، وعن السلوكات التي يقوم بها اليهود مع أفراد المجتمع قال : " لا مانع من الإنكار عليهم عادة في تلك المواضع ولا في غيرها ، لما علّم من حال اليهود في غالب أحوالهم " (8) ، كما كان من علماء تلمسان المؤيدين لرأي العصنوني الفقيه القاضي أبي زكرياء بن أبي البركات الغماري (9) (كان حيّاً بعد سنة 882هـ⁽¹⁰⁾/1477م) ، والذي رأى بأنّ المنكر إذا ما أريد تغييره يجب أن لا ينتج عنه منكر أشدّ منه ، خوفاً من الفتنة والفساد (11) .

(1) - نفسه : ج02 ، ص 217 .

(2) - نفسه : ج02 ، ص 217 .

(3) - المغيلي : المصدر السابق ، و91 .

(4) - الوئشريسي : المعيار ، ج02 ، ص 214 .

(5) - انظر رسالة العصنوني : الملحق رقم 06 ، ص ص 252 - 254 من الدراسة .

(6) - انظر جواب ابن زكري : الملحق رقم 06 ص 255 ، 256 من الدراسة .

(7) - نفسه : ج02 ، ص 218 .

(8) - نفسه : ج02 ، ص 219 .

(9) - لم نعثر على ترجمته ، واكتفى الحفناوي بذكر ترجمة والده دون ذكر تاريخ وفاته . ووصفه الوئشريسي أنه من علماء تلمسان .

انظر : - الحفناوي : المرجع السابق ، ج01 ، ص 270 . - الوئشريسي : المعيار ، ج02 ، ص 229 .

(10) - هي السنة التي وصل فيها المغيلي إلى توات ، وظهرت بعدها مسألة يهود توات التي كان له رأي فيها .

(11) - الوئشريسي : المعيار ، ج02 ، ص ص 229 - 232 .

وأيد فريق آخر من علماء تلمسان الفقيه الحافظ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1504م) ، ومن هؤلاء الفقيه المفسر محمد بن عبد الجليل التنسي(ت899هـ/1499م) الذي بعد أن وصلتته رسالة من أهل تمنطيط (1) أجابهم (2) بوجوب هدم كنائس اليهود ومنع إحداثها فيما اختطه المسلمون (3) ، وذهب الفقيه الأصولي أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) إلى القول بهدم تلك الكنائس ، وكتب إلى المغيلي بذلك (4) .

وأفتى القاضي أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني(ت854هـ/1450م) بدوره ، أن يهود توات لا تجب عليهم الجزية والضيافة والأرزاق ؛ لأنهم خرجوا عن حدّ ما وجب لهم من الإذلال ، وأنكر عليهم ما يقومون به وما يلبسونه من ملابس المسلمين وفاخر الثياب (5) ، كما ذهب المفتي أبو العباس الونشريسي(ت914هـ/1508م) من جانبه إلى وجوب هدم كنائس اليهود ، واعتبر أنّ : " ... ما أحدثه ملاعين اليهود من الكنائس بالقصور التواتية وغيرها من بلاد الجريد المسامطة [كذا] لتلول المغرب الأوسط لا تقر بل تهدم... " (6) .

وأما مسألة يهود توات اللثام عن العلاقة التي كانت بين أفراد المجتمع المغربي وأهل الذمة واليهود على وجه الخصوص ؛ والتي تميّزت في بعض الأحيان بالتحفظ وبالاضطراب أحيانا أخرى ، وكانت السلوكات التي قام بها بعض اليهود مع أفراد المجتمع – والتي ذكرنا بعضها منها – جعلت علماء تلمسان يطالبون بالابتعاد عن مخالطتهم ؛ فقد اعتبر الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت909هـ/1504م) الاقتراب من اليهود من أبواب المضرة (7) ، كما أنّ الحادثة التي جرت للفقيه أبي إسحاق إبراهيم المصمودي(ت805هـ/1403م) مع أحد يهود تلمسان (8) ، وامتداح الخطيب ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) للسلطان

(1) - انظر : - نفسه : ج 02 ، ص 236 .

(2) - انظر جواب التنسي : الملحق رقم 06 ص ص 257 - 259 .

(3) - الونشريسي : المعيار ، ج 02 ، ص ص 235 - 245 .

(4) - انظر جواب السنوسي : الملحق رقم 06 ص 260 من الدراسة .

(5) - الونشريسي : المعيار ، ج 02 ، ص 248 ، 249 .

(6) - نفسه : ج 02 ، ص 235 .

(7) - المغيلي : المصدر السابق ، و 87 .

(8) - كان إبراهيم المصمودي يجلس عند رجل من العطارين في حانوته فقصده يوما على عادته ، وإذا به قد رأى يهوديا واقفا عليه ن فتولى الشيخ إلى البيت ، وأغبق بابيه ، وقال : " وجه أقبليت به على عدوّ الله ورسوله لا تقبل به على حبيب الله ورسوله " . انظر : - نفسه ، و 87 .

أبي الحسن المريني ؛ لأنه لم يوظف في دولته يهودياً قط (1) ، إضافة إلى ما رأيناه سابقاً من آراء علماء تلمسان الذين وافقوا المغيلي في المسألة ، جاءت كلها لتعكس لنا ذلك الاضطراب في العلاقة بين أفراد المجتمع المغربي واليهود ، إلا أنّ تلك العلاقات قد تميّزت بدرجة من التعايش في بعض الأحيان ، كإقامة الفقيه الأصولي محمد بن إبراهيم الأبلي(ت757هـ/ 1356م) بعد فراره من تلمسان إلى فاس عند أحد اليهود (2) .

مما سبق يتبيّن لنا أنّ علماء تلمسان أقاموا علاقات اجتماعية وطيدة مع أفراد مجتمعهم ، جعلتهم يهتمون باحتياجاتهم ويقدمون على قضائها لهم حسب مقدرتهم ، ومن خلال وظائفهم . كما استغل بعضهم منزلته وعلاقته بالسلطة السياسية لتقديم خدمات وإزالة عثرات بعض أفراد المجتمع أمام السلطان ، إضافة إلى ما أظهره من تعاطف ومواساة للفقراء والمحتاجين ، خاصّة في أوقات الحاجة التي كثيراً ما تعرّض لها هؤلاء في بلاد المغرب . وقد صاحب ذلك تواضعاً وانبساطاً منهم لجميع أفراد المجتمع ؛ ممّا جعلت مكانتهم ومنزلتهم الاجتماعية تحظى بالسموّ والرفعة ، كما قوبلت خدماتهم تلك بالاحترام والتقدير والامتنان .

(5) - روجي لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 111 .

(6) - وهو شيخ التعاليم خلع المغيلي اليهودي . انظر : ابن مريم : المصدر السابق ، ص 215 .

الفصل الرابع

دور علماء تلمسان في الحياة العلمية ببلاد المغرب

خلال القرنين (08 و 09 هـ / 14 و 15 م)

أولاً : التكوين العلمي لعلماء تلمسان :

01 – العلوم التي نبغ فيها علماء تلمسان :

02 – عوامل التنشئة العلمية لعلماء تلمسان :

ثانياً : دور علماء تلمسان التعليمي في بلاد المغرب :

01 – أماكن تدريس علماء تلمسان :

02 – النشاط التعليمي لعلماء تلمسان :

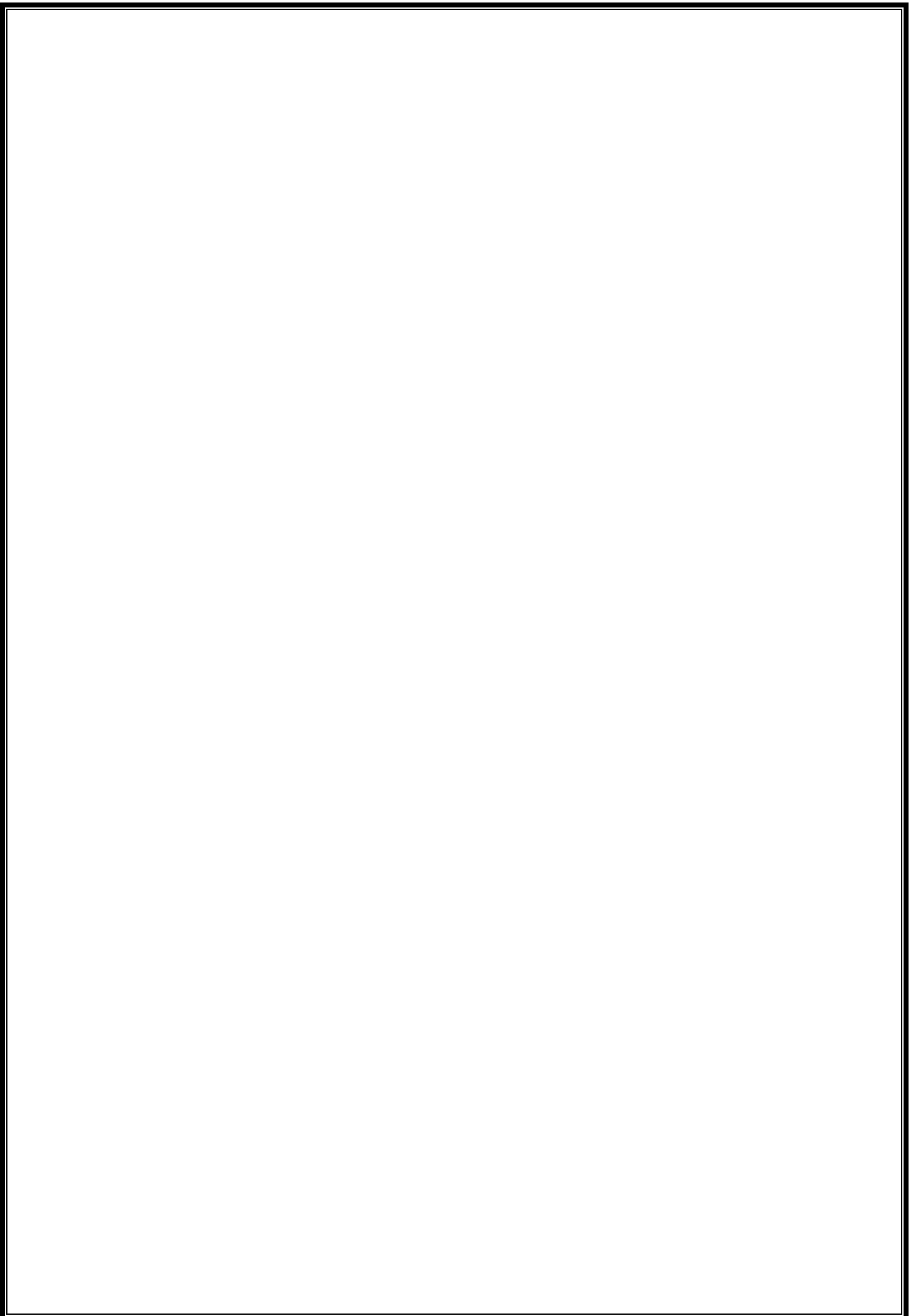
ثالثاً : مشاركة علماء تلمسان في الحياة العلمية :

01 – المناظرات والمناقشات العلمية :

02 – المؤلفات العلمية لعلماء تلمسان :

03 – الإنجازات العلمية لعلماء تلمسان :

04 – دعوة بعض علماء تلمسان للاجتهد ورفض التقليد :



دور علماء تلمسان في الحياة العلمية ببلاد المغرب خلال

القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15 م)

أصبحت تلمسان على عهد بني زيان حاضرة من حواضر العلم في المغرب الإسلامي ، نبغ فيها عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء ؛ الذين لم تقتصر شهرتهم على موطنهم الأصلي بل تعدتها إلى مختلف أقطار بلاد المغرب وخارجه ، مما يجعلنا أمام كثير من الأسئلة حول التكوين العلمي لعلماء تلمسان ، ثرى ما العوامل التي ساهمت في تنشئتهم العلمية ؟ وماهي الأدوار العلمية التي أدوها وأفادوا بها تلمسان وبلاد المغرب ؟ وماهي المكانة التي تبوؤها نظير ذلك؟

أولاً : التكوين العلمي لعلماء تلمسان :

رغم الأوضاع السياسية غير المستقرّة التي عاشتها تلمسان في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15 م) ؛ فإنّ ذلك لم يمنع من ظهور ونبوغ علماء تلمسانيين ذاع صيتهم في مختلف أنحاء المغرب ، وبرزوا في عدّة علوم وبرعوا فيها ، فماهي العلوم التي برع فيها علماء تلمسان ؟ وماهي العوامل التي ساهمت في تكوينهم العلمي ؟

01 – العلوم التي نبغ فيها علماء تلمسان :

قسّم المؤرّخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) العلوم التي يخوض فيها الإنسان ويتداولها إلى علوم طبيعية ؛ يقف عليها بطبيعة فكره ، وعلوم نقلية وضعية لا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول⁽¹⁾ . وتشتمل العلوم النقلية على العلوم الشرعية (علوم القرآن ، التفسير ، أصول الفقه ، الحديث ، الفقه) ، وعلوم اللّغة العربية⁽²⁾ ، في حين تشتمل العلوم العقلية على علم الفلسفة ، والعلوم الرياضية ، والطبيعية⁽³⁾ ، وعلى ضوء ذلك يمكن تصنيف علماء تلمسان حسب العلوم التي تطلّعوا فيها كما يلي :

(1) - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص 363 .

(2) - انظر : - نفسه : ج01 ، ص 364 .

(3) - انظر : - نفسه : ج01 ، ص ص 399 - 402 .

01 - علوم القرآن :

أ - علم القراءات : يتناول طرق قراءة القرآن حسب ما تواتر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما يشتمل هذا العلم على فن رسم وأوضاع حروف القرآن في المصحف (1) . ومن أهم علماء تلمسان الذين برزوا فيه : عبد الله بن عبد الواحد المجاصي أبو محمد التلمساني (2) (ت741هـ/1340م) ، وأبو إسحاق المصمودي (3) (ت805هـ/1402م) . ومن خلال ما أشارت إليه المصادر التاريخية نلمس إماما من علماء آخرين بهذا العلم ؛ كالإمام الأصولي محمد بن يوسف السنوسي (4) (ت895هـ/1489م) والفقير المفسر محمد بن مرزوق الحفيد (5) (ت842هـ/1438م) ، كما كان الشيخ أحمد بن الحسن الغماري (ت874هـ/1470م) له معرفة بطريقتي رسم و أداء وتجويد القرآن ؛ مما جعل القراء يزدهمون عليه (6) . يضاف إلى هؤلاء الحافظ محمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1494م) ؛ الذي أظهر مقدرة في هذا العلم من خلال مؤلفه في الضبط " الطراز في شرح الخراز " (7) .

ب - تفسير القرآن : وهو العلم الذي يفهم به كتاب الله المنزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه (8) ، وعلماء تلمسان الذين برزوا في علم التفسير هم : محمد بن أحمد بن أبي بكر المقرئ أبو عبد الله التلمساني (ت758هـ/1357م) : " ... يقوم أتم القيام على ... التفسير " (9) ، وله مراجعات في بعض مسائل التفسير مع معاصريه (10) ، ومحمد بن أحمد بن عليّ الحسني أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) : فسر القرآن الكريم في خمس وعشرين سنة ، أتى فيه بالعجب

(1) - نفسه : ج01 ، ص 365 .

(2) - انظر ترجمته : يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 33 .

(3) - ابن سعد (الأنصاري) : النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب ، مخطوط ، الخزانة العامة ، الرباط ، رقم ك/1292 ، (نسخة مصورة) ، و09

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 246 .

(5) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 180 .

(6) - ابن سعد : المصدر السابق ، ص 207 .

(7) - ثبت البلوي : ص 372 . انظر أيضا :

- التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 261 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص267 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 248 .

(8) - الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله) : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ،

1391هـ/1971م ، ج 02 ، ص 147 .

(9) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص 195 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص75 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 188 .

(10) - المقرئ : فح الطيب ، ج 05 ، ص ص 246-251 .

العُجاب (1) ، وأقرأ التفسير في مجلس السلطان المريني أبي عنان وبحضرة العلماء (2) ،
 ومحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي أبو عبد الله الجدّ الخطيب (ت781هـ/1379م)
 المشارك في عدّة علوم منها التفسير (3) ، وكان له نشاط ملحوظ فيه أثناء إقامته بالمغرب (4) ،
 وسعيد بن محمد العقباني أبو عثمان التلمساني (ت811هـ/1408م) : القاضي المفسّر (5) ، ذكره
 الحافظ شمس الدين الداودي (ت945هـ/1538م) في طبقاته وأثنى على تفسيره (6) ، و عبد
 الرحمان بن محمد بن أحمد أبي يحيى الشريف التلمساني (7) (ت826هـ/1423م) : وصفه
 صاحب شجرة النور بـ "خاتمة المفسرين" (8) ، و "آخرهم" (9) حسب المؤرّخ ابن مريم
 التلمساني (ت1014هـ/1605م) ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي أبو عبد الله
 الحفيد (ت842هـ/1439م) : الإمام المفسّر (10) ، قال المؤرّخ أحمد بابا
 التنبكتي (ت1036هـ/1626م) عن معرفته بالتفسير: "... فلو رآه مجاهد (11) ، علم أنّه في
 علوم القرآن مُجاهد ..." (12) ، وقد جاء ذكره في طبقات المفسرين (13) . و أحمد بن محمد بن
 زاغو المغراوي أبو العباس التلمساني (ت845هـ/1441م) : المفسّر (14) ، ذكر تلميذه الرحالة
 أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت891هـ/1486م) في رحلته أنه : " أعلم النَّاس في

.

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 172 .

(2) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 258 .

(3) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص 52 . انظر أيضا :

- ابن فرحون : المصدر السابق ، ص396 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 141 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 186 .

(4) - محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب ، أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، 1987 م ، ص 77 .

(5) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص139 .

(6) - الداودي (شمس الدين محمد بن أحمد) : طبقات المفسرين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1403هـ/1983م ، ج 01 ، ص 189 .

(7) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص127-129 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 251 .

(8) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 251 .

(9) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 127 .

(10) - نفسه : ص 201 ، 205 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 252 .

(11) - هو مجاهد بن جبر المكيّ ، سمع سعدا وعائشة وأبا هريرة وابن عباس ، قال قتادة : أعلم من بقى بالتفسير مجاهد ، توفي سنة 103هـ/721م .

انظر : - ابن عماد الحنبلي : المصدر السابق ، ج02 ، ص19 ، 20 . انظر أيضا :

- محمد الخضري بك : تاريخ التشريع الإسلامي ، دار شريفة للطباعة والنشر ، الجزائر ، (د . ت) ، ص 157 .

(12) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 294 .

(13) - ذكره الأندوني في طبقاته ، إلا أنه أخطأ في تاريخ وفاته ، عندما ذكر أنه توفي سنة 877هـ / 1472م . انظر :

- الأندوني (أحمد بن محمد) : طبقات المفسرين ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، 1417هـ/1997م ، ص 442 .

(14) - ابن مريم : البستان ، ص16 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص122، 123 .

وقته بالتفسير " (1) ، و محمد بن إبراهيم بن عبد الله الإمام أبي الفضل التلمساني (2)
 (ت845هـ/1441م) : له كلام وأبحاث في التفسير ناقش فيها المفسر أبا عبد الله
 المقرئ (ت758هـ/1357م) في مسائله التفسيرية (3) ، و قاسم بن سعيد بن محمد العقباني أبو
 الفضل التلمساني (ت854هـ/1451م) : المفسر (4) ، له تفسير سورة الإخلاص (5) ، و محمد بن
 يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي أبو عبد الله التلمساني (ت895هـ/1490م) : كان يفسر
 القرآن في مجلسه العلمي (6) ، وله تفسير للقرآن الكريم لم يتمه (7) ، وأحمد بن أبي يحيى أبو
 جعفر الشريف التلمساني (8) (ت895هـ/1490م) : " العالم المفسر " (9) ، وأحمد بن محمد بن
 زكري أبي العباس التلمساني (ت899هـ/1494م) : وصفه صاحب نيل الإبتهاج بـ " المفسر
 الأبرع " (10) ، و محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي أبو عبد الله التلمساني
 (ت899هـ/1494م) : نبغ في علم التفسير (11) ، لذلك خصص له أياما خاصة لتدريسه ، كما
 ذكر ذلك تلميذه أبو جعفر البلوي (12) (ت938هـ/1532م) . إضافة إلى محمد بن عبد الكريم بن
 محمد المغيلي أبو عبد الله التلمساني (ت909هـ/1504م) : الذي كان مفسرا ، وله مؤلفات في
 التفسير (13) .

02 – علوم الحديث : هو علم تعرف به آثار الرسول – صلى الله عليه وسلم – من
قول أو فعل أو تقرير أو صفة ، وهو مرادف للسنة . كما أنه أصل من أصول التشريع
الإسلامي ، ومرتبته بعد القرآن الكريم في الاستدلال (14) . ولمعرفة اهتمام علماء تلمسان بهذا

(1) - رحلة الفلصادي : ص 103 .

(2) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 220، 221 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 289 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ،

ص 408، 409 / نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 198، 199 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 221 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 199 .

(4) - الأدنوي : المصدر السابق ، ص 319 .

(5) - المقرئ : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 430 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 211 .

(6) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 241 .

(7) - نفسه : ص 247 .

(8) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 44 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 267 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 68، 69 .

(9) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 44 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 267 .

(10) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 136 .

(11) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 349 . انظر أيضا :

- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ج 06 ، ص 680 .

(12) - ثبت البلوي : ص 319 .

(13) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 255 .

(14) - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 368-371 .

العلم نأتي على ذكر من برز منهم فيه خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15 م) وهم : يحيى بن عصفور أبي زكرياء التلمساني (كان حيًّا بعد سنة 710هـ/1310م) : الحافظ ⁽¹⁾ ، وعبد الله بن عبد الواحد المجاصي أبي محمد التلمساني (ت741هـ/1340م) : ذكره المؤرِّخ يحيى بن خلدون (ت786هـ/1385م) بأنه : " من أهل الحديث " ⁽²⁾ ، و محمد ابن النجار أبي عبد الله التلمساني (ت749هـ/1348م) : " الحافظ المتقن " ⁽³⁾ ، وعلي بن منصور بن هدية القرشي أبي الحسن التلمساني (كان حيا مابين 769-777هـ/⁽⁴⁾1367 — 1375م) : من صدور الدراية ⁽⁵⁾ في علم الحديث ، ومحمد بن أحمد بن محمد أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) : الذي نال مرتبة الحافظ في الحديث ⁽⁶⁾ ، ووصفه الفقيه المفتي أبو العباس الونشريسي (ت914هـ/1508م) بـ " المحدث الحافظ " ⁽⁷⁾ . و محمد ابن مرزوق أبي عبد الله الجدّ الخطيب (ت781هـ/1379م) : المحدث ⁽⁸⁾ الحافظ الراوية ⁽⁹⁾ ، ذكر المؤرِّخ ابن القنفذ القسنطيني (ت810هـ/1408م) بأنه سمع منه صحيح البخاري في مجالسه ⁽¹⁰⁾ ، وقال عنه الفقيه أبو عبد الله بن العباس التلمساني (ت871هـ/1467م) أنه : " حائز على قصب السبق في علم الحديث ... صدر الحفاظ المبرزين ، وإمام الجهابذة النقاد المتقنين " ⁽¹¹⁾ . وعبد الله بن محمد بن أحمد الشريف الحسن التلمساني ⁽¹²⁾ (ت792هـ/1390م) : العلامة الحافظ الراوية ⁽¹³⁾ ، وإبراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن الإمام التلمساني ⁽¹⁴⁾ (ت797هـ/1395م) : وصفه صاحب جذوة الإقتباس بـ " الحافظ

(1) - المقرئ : نفح الطيب ، ج5 ، ص 395 .

(2) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص33 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 223 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص231 .

(4) - كان متوليا إمامة الجامع الأعظم بتلمسان في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول (769-777هـ/1367-1375م) .

انظر : - نفسه : ج01 ، ص 52 .

(5) - نفسه : ج01 ، ص 52 .

(6) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص234 .

(7) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص227 .

(8) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 50 .

(9) - ثبت البلوي : ص 201 .

(10) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 187 .

(11) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص274 .

(12) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص117 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص162،163 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص234 .

(13) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص162 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص117 .

(14) - انظر ترجمته : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص95 / نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص41 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 93 .

- ابن مريم : المصدر السابق ، ص63،64 .

الحجة " (1) ، و سعيد بن محمد أبي عثمان العقباني (ت811هـ/1408م) : ذا دراية (2) بعلم الحديث ، و محمد بن مرزوق أبي عبد الله الحفيد التلمساني (ت842هـ/1439م) " المحدث الحافظ المسند الراوية " (3) ، محيط بالحديث وفنونه (4) ، وأحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن زاغو أبو العباس التلمساني (ت845هـ/1441م) : الراوية المحدث (5) ، ذكره تلميذه الرحالة أبو الحسن القلصادي (ت891هـ/1486م) بأنّ : "... له سبق في الحديث " (6) ، و قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني (ت854هـ/1450م) : العلامة الحافظ (7) ، و الحسن بن مخلوف الراشدي المعروف بأبركان (ت868هـ/1464م) : الحافظ (8) ، و محمد بن العباس التلمساني (9) (ت871هـ/1467م) : " الحافظ المتقن " (10) ، و محمد بن أحمد بن عيسى أبو عبد الله الجلاب التلمساني (11) (ت875هـ/1471م) : الحافظ (12) ، وإبراهيم ابن قاسم العقباني التلمساني (ت880هـ/1475م) : الإمام الحافظ (13) ، و محمد بن يوسف السنوسي أبي عبد الله التلمساني (ت895هـ/1490م) : المحدث (14) ، وأحمد بن محمد بن زكري أبي العباس التلمساني (ت899هـ/1494م) : الحافظ المتقن (15) ، وصفه تلميذه الفقيه أبو جعفر البلوي (ت938هـ/1532م) بـ " الحافظ الراوية المحدث " (16) ، و محمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1494م) : بقية الحفاظ ، انتهت إليه رئاسة الحديث في القرن التاسع

-
- (1) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص93 . انظر أيضا : - الكتاني : المرجع السابق ، ج02 ، ص135 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص63 .
(2) - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص60 .
(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص201 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص252 .
(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص204 .
(5) - ثبت البلوي : ص105 .
(6) - رحلة القلصادي : ص103 .
(7) - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص12 .
(8) - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص428 .
(9) - انظر ترجمته : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص295 . - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص231،232 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص223،224 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص264 .
(10) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص223 . انظر أيضا : التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص231 .
(11) - انظر ترجمته : - التنبكي : كفاية المحتاج ، ص435 . / نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص238 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص236 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص264 .
(12) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص236 . انظر أيضا : التنبكي : كفاية المحتاج ، ص435 .
(13) - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص56 .
(14) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص141 .
(15) - ثبت البلوي : ص415 . انظر أيضا : - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص136 .
(16) - ثبت البلوي : ص419 .

الهجري⁽¹⁾ (15م) ، ومن عنايته بالحديث وعلومه قام بنسخ كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري⁽²⁾ بيده في ثمانية أجزاء⁽³⁾ ، ومحمد بن مرزوق أبي عبد الله الكفيف التلمساني⁽⁴⁾ (ت901هـ/1496م) : المحدث الحافظ⁽⁵⁾ ، المسند الراوية⁽⁶⁾ بقيّة المسنين⁽⁷⁾ وقوتهم⁽⁸⁾ ، ومحمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي أبو عبد الله التلمساني (ت909هـ/1504م) : " صدر الحقاظ المبرزين ، وإمام الجهابذة النقاد المتقنين " ⁽⁹⁾ ، وأحمد بن يحيى بن عبد الواحد الونشريسي (ت914هـ/1508م) : وصفه المؤرخ ابن القاضي الكناسي (ت1025هـ/1616م) بـ " الحافظ التلمساني " ⁽¹⁰⁾ .

وقد أمكننا البحث في المصادر التاريخية وكتب التراجم من إحصاء إثنين وعشرين عالما تلمسانيا نبغوا في علم الحديث ؛ منهم واحدٌ وعشرون محدثاً⁽¹¹⁾ ، بلغ تسعة عشر منهم درجة الحقاظ⁽¹²⁾ ، وعكس لنا هذا العدد عن اهتمام علماء تلمسان بعلم الحديث ، كما عكست الرتب الحديثية التي حصلوها على باعهم وتضلّعهم فيه .

03 - أصول الفقه : من أعظم العلوم الشرعية وأكثرها فائدة ، وهو علم يختص بالنظر في الأدلة الشرعية التي تؤخذ منها الأحكام والتكاليف ؛ وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس⁽¹³⁾ ، وبلغ عدد علماء تلمسان الذين كان لهم اهتمام بهذا العلم أربعة عشر عالماً ، وهم : محمد بن إبراهيم الأبلي التلمساني (ت757هـ/1356م) : كان أصولياً ؛ ودليل ذلك أخذ

(1) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 267 .
(2) - لمؤلفه شهاب الدين ابن حجر العسقلاني المصري الشافعي ، أمير المؤمنين في الحديث ، حافظ العصر ، توفي سنة 852هـ/1448م .
(3) - انظر : - الحنبلي (ابن عماد) : المصدر السابق ، ج 09 ، ص 395 - 399 .
(4) - كتب في نهاية المجلد الثامن ما نصّه : " وبتمام هذا السفر المبارك كمل جميع الديوان المذكور ... لنفسه بخطه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الجليل التنسي ... " انظر : - فهرس المخطوطات : خزانة جامع القرويين ، ج 01 ، ص 118 ، 119 .
(5) - انظر ترجمته : - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 262، 263 / كفاية المحتاج ، ص 454 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 249-251 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 144 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 268 .
(6) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 144 .
(7) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 268 .
(8) - ثبت البلوي : ص 218 .
(9) - نفسه : ص 246 .
(10) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 258 .
(11) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 80 . انظر أيضا : - الكتاني : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 172 .
(12) - المحدث : هو الذي تعمق في دراسة الحديث وحفظه متنا وسندا ، ومن تجمّع في ذاكرته ما ضمت كتب الحديث الستة ، وأشهر الكتب الأخرى ، مع حفظ ألف جزء من الأجزاء الحديثية .
(13) - انظر : - بكرى شيخ أمين : أدب الحديث النبوي ، ط 4 ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، 1399هـ/1979م ، ص 28 .
(12) - الحافظ : أعلى رتبة من المحدث ، وهو الذي أحاط بما لا يقل عن مائة ألف حديث متنا وسندا . انظر : - نفسه : ص 28 .
(13) - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 378 .

الفقيه المفسر أبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) الأصول عنه (1) ، ومحمد بن أبي بكر المقرري التلمساني (ت758هـ/1357م) : الفقيه الأصولي ، أحد محققي المذهب المالكي (2) مشار إليه بالاجتهاد (3) ، ومحمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) : بلغ درجة الاجتهاد (4) ، وصفه المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) بـ " صاحب الفروع والأصول " (5) ، و محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني (ت781هـ/1379م) : المشارك في الأصول (6) ، و علي بن الأشهب الخزاعي أبو الحسن التلمساني (ت791هـ/1389م) : الأصولي (7) ، و أبو إسحاق إبراهيم المصمودي (ت805هـ/1403م) : وصفه تلميذه الرحالة أبو الحسن المجاري (ت862هـ/1458م) بـ " تجرّه في أصول الفقه " (8) ، و عبد الرحمان بن أبي عبد الله الشريف أبي يحيى التلمساني (9) (ت826هـ/1423م) : الأصولي (11) . وأحمد بن زاغو أبو العباس التلمساني (ت845هـ/1441م) : وصفه الرحالة أبو الحسن القلصادي (ت891هـ/148م) بأنّ : "... له سبق في الأصول " (12) ، و محمد بن أحمد بن النجار أبي عبد الله التلمساني (ت846هـ/1442م) : الأصولي (13) ، و قاسم بن سعيد العقباني (ت854هـ/1450م) : بلغ درجة الاجتهاد في الأصول (14) ، ومحمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) : جمع بين الفروع والأصول (15) ، و أحمد بن محمد بن زكري أبي العباس التلمساني (ت899هـ/

-
- (1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص106 .
(2) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 332 .
(3) - المقرري : نفح الطيب ، ج02 ، ص208 .
(4) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 337 .
(5) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص62،63 .
(6) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص141 .
(7) - برنامج المجاري : ص 125 .
(8) - نفسه : ص132 .
(9) - انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 127،128 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص184،185 .
- ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص89 .
(10) - ذكر المؤرخ ابن القاضي أنه توفي سنة 825هـ /1422م . انظر : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص89 .
(11) - نفسه : ج02 ، ص89 .
(12) - رحلة القلصادي : ص103 .
(13) - ثبت البلوي : ص312 ، 371 .
(14) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص281،282 . / نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص12 .
(15) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص164 .

1494م) : الأصولي النظار⁽¹⁾ ، ومحمد بن عبد الرحمان الحضرمي التلمساني(ت910هـ—
 /1504م) : الأصولي⁽²⁾ ، و محمد بن أبي العيش الخزرجي أبو عبد الله
 التلمساني(ت911هـ—/1505م) : الأصولي⁽³⁾ ، و أحمد بن يحيى بن عبد الواحد
 الونشريسي(ت914هـ—/1508م) : العارف بأصول مذهب الإمام مالك⁽⁴⁾ .
 مما سبق ندرك اهتمام علماء تلمسان بعلم الأصول ، وكان في طليعة هؤلاء العلماء
 الشريف أبو عبد الله محمد التلمساني(ت771هـ—/1370م) ، الذي كانت له إختيارات وتحقيقات
 أصولية انفرد بها ، كما رجّح مسائل أصولية أخرى⁽⁵⁾ .

04 – الفقه : وهو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين من الكتاب والسنة ، وما
 نصبه الشرع لمعرفة من الأدلة⁽⁶⁾ ، ويسمى أيضا علم الدراية⁽⁷⁾ .
 ويظهر لنا اهتمام علماء تلمسان بالفقه من خلال عددهم الكبير الذي أحصيناه من بحثنا
 في المصادر التاريخية وكتب التراجم ، وبلغ هذا العدد إثنان و خمسين عالما ، موزعين على
 القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14 و 15 م) .

وأحصيتُ خلال القرن الثامن الهجري(14م) تسعة وعشرين فقيها تلمسانيا ، وهم : أبو
 إسحاق إبراهيم التنسي⁽⁸⁾(ت مابين 689–703هـ/1290–1308م) ، وأخوه أبو الحسن علي
 التنسي⁽⁹⁾(ت مابين 700–706هـ/1300–1306م) ، أبو زيد عبد الرحمان بن يعقوب⁽¹⁰⁾
 (كان حيا سنة 711هـ—⁽¹¹⁾/1311م) ، أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية⁽¹²⁾

(1) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 267 .

(2) - نفسه : ص 274 .

(3) - نفسه : ص 274 .

(4) - الكتاني : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 172 .

(5) - محمد بن أحمد الحسني التلمساني : مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، دراسة وتحقيق : محمد علي فركوس ، دار تحصيل العلوم ، الجزائر ، ص ص 98-102 .

(6) - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 51 .

(7) - التهانوي(محمد علي الفاروقي) : كشف إصطلاح الفنون ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة ، 1963 م ، ص ص 41-44 .

(8) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 83 .

(9) - ابن مرزوق : المجموع ، ط 17 .

(10) - نفسه : و 43 .

(11) - هي سنة مولد الخطيب ابن مرزوق ، والذي تتلمذ عليه عندما كان صبيا . انظر ترجمته : - نفسه : و 43 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 431.

(12) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 51 .

(ت745هـ / 1344م) ، وابنه أبو الحسن علي منصور⁽¹⁾ ، أبو زكرياء يحيى بن عصفور⁽²⁾ (كان حيًا بعد سنة 710هـ/1310م) ، مروان بن محمد بن علي التلمساني⁽³⁾ ، أبو عبد الله بن عبد النور⁽⁴⁾ (ت749هـ/1349م) ، وأخوه أبو الحسن⁽⁵⁾ (كان حيًا سنة 731هـ/1330م) ، محمد بُرجس بن محمد اليحصبي المعروف بابن الباري التلمساني⁽⁶⁾ (ت734هـ/1333م) ، الأخوان أبي زيد عبد الرحمان (ت743هـ/1342م) وأبي موسى عيسى (ت749هـ/1348م) ابنا الإمام⁽⁷⁾ ، أبو العباس أحمد بن مرزوق⁽⁸⁾ (ت741هـ/1341م) ، أبو عبد الله محمد القرموني التلمساني⁽⁹⁾ (كان حيًا ما بين 681-741هـ/1282-1341م)⁽¹⁰⁾ ، أبو عبد الله محمد بن أبي عمرو التميمي⁽¹¹⁾ (ت745هـ/1344م) ، أبو عبد الله محمد بن يحيى بن النجّار⁽¹²⁾ (ت749هـ/1349م) ، محمد بن إبراهيم الأبلي⁽¹³⁾ (ت757هـ/1356م) ، محمد ابن أحمد المقرّي التلمساني⁽¹⁴⁾ (ت758هـ/1357م) ، وابن عمّه القاضي أبي الحسن علي المقرّي⁽¹⁵⁾ (كان حيًا ما بين 769-777هـ/⁽¹⁶⁾ 1367-1375م) ، أبو عبد الله المشوش⁽¹⁷⁾ (عاش ما بين 760-791هـ/1359-1390م) وأبوه أبو العباس أحمد⁽¹⁸⁾ (كان حيًا ما بين 734-780هـ/⁽¹⁹⁾ 1334-1378م) ، أبو العباس أحمد بن الحسن المديوني⁽²⁰⁾

(1) - ذكر ابن خلدون بأنه القاضي والخطيب بجامع أغادير ، ولم يشر إلى تاريخ وفاته . انظر : - نفسه : ج01 ، ص52 .

(2) - نفسه : ج01 ، ص58 .

(3) - لم يذكر ابن خلدون تاريخ وفاته ، واكتفى بالقول أنه توفي بمرسية . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص31 .

(4) - نفسه : ج01 ، ص58 . انظر أيضا : - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص190 .

(5) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص59 .

(6) - وصفه المؤرخ ابن القاضي بأنه " من صدور الفقهاء " . انظر : - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص186 .

(7) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص49 - 72 .

(8) - نفسه : ج01 ، ص50 .

(9) - ابن مرزوق : المجموع ، و27 .

(10) - ذكر الخطيب ابن مرزوق أنه كان معاشرًا لوالده أبي العباس في تلمسان . انظر : - نفسه : و27 .

(11) - نفسه : ظ19 . انظر أيضا : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص50 .

(12) - ذكره المؤرخ يحيى بن خلدون بـ " ابن الفخار " ، لكن الأصح " ابن النجار " كما ذكر ذلك المؤرخ ابن القاضي ، وابن مرزوق في مجموعه .

انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص55 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص190 . - ابن مرزوق : المجموع ، و17 .

(13) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص204 . انظر أيضا : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص57 .

(14) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص195 . انظر أيضا : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص58 .

- التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص326 / نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص76 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص232 .

(15) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص58 .

(16) - كان قاضيًا في فترة حكم السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني . انظر : - نفسه : ج01 ، ص58 .

(17) - قال عنه المؤرخ ابن خلدون أنه من أسرة فقهية ، اختاره السلطان الزياني أبي حمو موسى لكتب العلامة والإحاطة .

انظر : - نفسه : ج01 ، ص59 .

(18) - نفسه : ج01 ، ص59 .

(19) - وصفه المؤرخ ابن خلدون بـ " صاحبنا " ، فهو معاصر له . انظر : - نفسه : ج01 ، ص59 .

(20) - الحفناوي : المرجع السابق ، ج01 ، ص303 .

(ت768هـ/1330م) ، محمد بن أحمد الشريف التلمساني⁽¹⁾ (ت771هـ/1370م) ، وابنه عبد الله الشريف التلمساني⁽²⁾ (ت792هـ/1390م) ، أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب⁽³⁾ (ت781هـ/1379م) ، علي بن مسعود الخزاعي التلمساني⁽⁴⁾ (ت789هـ/1387م) ، علي بن محمد الصنهاجي أبو الحسن التلمساني⁽⁵⁾ (ت791هـ/1388م) ، إبراهيم بن عبد الرحمان بن الإمام⁽⁶⁾ (ت797هـ/1395م) .

وتواصل إهتمام علماء تلمسان بالفقه في القرن التاسع الهجري(15م) ، بإحصاء أربعة وعشرين فقيها ، وهم : أبو إسحاق إبراهيم المصمودي⁽⁷⁾ (ت805هـ/1403م) ، أبو عثمان سعيد العقباني⁽⁸⁾ (ت811هـ/1408م) ، محمد بن الفتوح التلمساني⁽⁹⁾ (ت818هـ/1415م) ، أبو يحيى عبد الرحمان الشريف التلمساني⁽¹⁰⁾ (ت826هـ/1423م) ، أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد⁽¹¹⁾ (ت842هـ/1439م) ، أبو العباس أحمد بن زاغو⁽¹²⁾ (ت845هـ/1441م) ، أبو عبد الله محمد بن النجار⁽¹³⁾ (ت846هـ/1442م) ، أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني⁽¹⁴⁾ (ت847هـ/1443م) ، أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني⁽¹⁵⁾ (ت854هـ/1450م) ، وابنه أبو سالم إبراهيم العقباني⁽¹⁷⁾ (ت880هـ/1475م) ، وحفيده محمد بن أحمد بن قاسم .

(1) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص62،63 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص164 .

- التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص232 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص232 .

(2) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص162 .

(3) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص50 .

(4) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج01 ، ص248 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص238 .

(5) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص311 .

(6) - نفسه : ص93 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص63 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص95 / نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص41 .

(7) - برنامج المجاري : ص132 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص249 .

(8) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص60 .

(9) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص201 / درة الحجال ، ج02 ، ص284 .

(10) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج03 ، ص89 . انظر أيضا : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص184 .

(11) - ذكر صاحب شجرة النور أن ما يدل على فقهه أن له أجوبة وفتاوى في أنواع العلوم . انظر : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص253 .

(12) - استدل المؤرخ ابن مخلوف على فقهه بأن " له فتاوى كثيرة في أنواع العلوم " . انظر : - نفسه : ص254 .

(13) - رحلة القلصادي : ص102 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص155 .

(14) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص252 .

(15) - ذكر صاحب شجرة النور أنه توفي سنة 833هـ/1430م ، في حين ذكر الرحالة القلصادي أنه توفي سنة 847هـ/1443م ؛ وهي الأصح لأن

القلصادي حل بتلمسان سنة 840هـ/1437م ، فالتقى به بعد هذه السنة . انظر : - نفسه : ص252 . - رحلة القلصادي ، ص100 .

(16) - رحلة القلصادي : ص106 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص13،12 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص282 .

- محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص255 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص148 .

(17) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص265 .

العقباني⁽¹⁾ (ت871هـ/1467م) ، محمد بن العباس التلمساني⁽²⁾ (ت871هـ/1467م) ، محمد ابن أحمد الجلاب التلمساني⁽³⁾ (ت875هـ/1471م) ، أبو زكرياء بن أبي البركات الغماري⁽⁴⁾ (كان حيا سنة882هـ/1477م) ، محمد بن يوسف السنوسي⁽⁵⁾ (ت895هـ/1490م) ، وأخوه⁽⁶⁾ أبو الحسن علي بن أحمد التالوتي التلمساني⁽⁷⁾ (ت895هـ/1490م) ، أحمد بن أبي يحيى الشريف أبو جعفر التلمساني⁽⁸⁾ (ت895هـ/1490م) ، أحمد بن زكري⁽⁹⁾ (ت899هـ/1494م) ، محمد بن عبد الجليل التنسي⁽¹⁰⁾ (ت899هـ/1494م) ، محمد بن سعد الأنصاري التلمساني⁽¹¹⁾ (ت901هـ/1496م) ، أبو عبد الله بن مرزوق الكفيف⁽¹²⁾ (ت901هـ/1496م) ، أبو عبد الله الحضرمي التلمساني⁽¹³⁾ (ت910هـ/1504م) ، أبو عبد الله بن أبي العيش التلمساني⁽¹⁴⁾ (ت911هـ/1505م) ، وأبو العباس أحمد بن يحيى الوئشريسي⁽¹⁵⁾ (ت914هـ/1508م) .

وكان من بين هؤلاء العلماء من كانت له اجتهادات في المذهب المالكي ؛ فقد وصف صاحب شجرة النور الفقيه أبا عبد الله المقرري (ت758هـ/1357م) بـ " أحد محققي المذهب الثقات ، وأكابر فحوله الأثبات "⁽¹⁶⁾ ، وهو " أحد أكابر مجتهدي المذهب " ⁽¹⁷⁾ . وكان الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) من بين أعيان علماء المذهب المالكي الذين ذكرهم القاضي ابن فرحون المالكي (ت799هـ/1397م) في كتابه⁽¹⁸⁾ . كما أن الفقيه أبا

-
- (1) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص295 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص223 .
(2) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص295 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص223 .
(3) - هو شيخ محمد بن يوسف السنوسي ، الذي قال عنه : "حافظ لمسائل الفقه" ، ووصف بـ " الفقيه العام " . انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص236 .
(4) - الوئشريسي : المعيار ، ج02 ، ص229 .
(5) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص141 .
(6) - هو أخ محمد السنوسي لأمه . انظر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص139-141 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص266 .
(7) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص266 .
(8) - نفسه : ص267 . انظر : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج01 ، ص89 .
(9) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص267 .
(10) - نفسه : ص267 .
(11) - ثبت البلوي : ص114 .
(12) - نفسه : ص447 ، 448 . انظر أيضا : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص144 .
(13) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص274 .
(14) - نفسه : ص274 .
(15) - نفسه : ص275 . انظر أيضا : - الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج02 ، ص172 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج01 ، ص92 .
(16) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص232 .
(17) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص326 .
(18) - انظر : - ابن فرحون : المصدر السابق ، ص396-399 .

العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت914هـ/1508م) وُصف بأنه : " حامل لواء المذهب باليمين "(1) و " العارف بأصوله " (2) .

5 – أصول الدين : يدخل في إطارها ما يطلق عليه التوحيد ، أو العقيدة ، أو علم الكلام ؛ وتتضمن الاستدلال على العقائد بالأدلة العقلية ، والردّ على من خالف طريقة السلف الصالح ومذهب أهل السنة فيها(3) .

ولم يكن اهتمام علماء تلمسان بهذا العلم بمستوى إهتمامهم بالعلوم الأخرى – التي ذكرناها – خاصة في القرن الثامن الهجري(14م) ، واقتصر الأمر على ثلاثة علماء هم : محمد بن إبراهيم الأبلي(4) (ت757هـ/1356م) ، وأبو عبد الله المقرّي(5) (ت758هـ / 1357م) ، وأبو عبد الله محمد الشريف التلمساني(6) (ت771هـ/1370م) .

وبرز في القرن التاسع الهجري(15م) خمسة علماء في هذا العلم ، وهم : أبو العبّاس أحمد بن أبي يحيى الشريف التلمساني (ت895هـ/1490م) ؛ الذي وصفه الفقيه أبو جعفر البلوي (ت938هـ/1532م) بـ " الخطيب المتكلم " (7) ، وأبو عبد الله بن مرزوق الكفيف(ت901هـ/1496م) ؛ الذي كانت " له مشاركة في علوم العقائد " (8) . واهتم الفقيه محمد بن سعد (ت901هـ/1496م) بعلم التوحيد ، ودعا إلى التفكير في آيات الله وتدبرها ، وأنكر التشبيه والتجسيم (9) ، كما كان أبو عبد الله محمد الحضرمي التلمساني (ت910هـ/1504م) متكلماً (10) . ويُعتبر محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) المتكلم المتقن(11) ، صاحب العقائد التي لم يأت أحدٌ بمثلها من المتأخرين(12) ، من أهم علماء تلمسان في العقيدة والتوحيد ؛

(1) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 275 .

(2) - الكتاني : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 172 .

(3) - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 382 .

(4) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 21 .

(5) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 195 .

(6) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 62 .

(7) - ثبت البلوي : ص 149 .

(8) - نفسه : ص 448 .

(9) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 274 .

(10) - انظر : - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 94 - 102 .

(11) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 266 .

(12) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 141 .

قال عنه تلميذه أبو عبد الله الملاي⁽¹⁾ (عاش في القرن 09هـ/15م) : " له أوفر نصيب في العلوم ، لا سيما علم التوحيد والمعقول ، وانفرد بالعلوم الباطنية ... وهو في علوم الباطن قطب رحاها وشمس ضحاها " (2) .

ودافع السنوسي على علم الكلام وردّ على الذين قالوا أنّ النظر فيه حرام⁽³⁾ ، ومن جهة أخرى كان لا يوافق المعتزلة الذين حكموا العقل على الشرع ، ورأى أنّ الشرع لا يتعارض مع العقل⁽⁴⁾ . وذكر سبب اهتمامه بالعقيدة في مقدّمة شرح عقيدته الوسطى بقوله : "... لِمَا رأيتُ من بعض الفساد في عقائدهم وإعراضهم عن النظر في أدلة التوحيد " (5) .

6 - التصوّف : اعتبر المؤرّخ ابن خلدون (ت808هـ/1406م) أنّ هذا العلم من علوم

الشريعة الحادثة في الإسلام ، وأصله مستمدّ من السلف ومن سبقهم من الصحابة والتابعين ، ويتلخّص في العكوف على العبادة والانقطاع عن زخرف الدنيا وزينتها⁽⁶⁾ .

ومن متصوّفة تلمسان الذين عاشوا في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م) :

أبو عبد الله المقرّي (ت758هـ/1357م) الذي كان " يتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال " (7) ، واشتغل أبو إسحاق إبراهيم المصمودي (ت805هـ/1403م) بكتب التصوّف⁽⁸⁾ ، وكان الفقيه أحمد بن زاغو (ت845هـ/1441م) صوفيًا⁽⁹⁾ ، وصفه تلميذه الرحّالة أبو الحسن القلصادي (ت891هـ/1486م) بأنّ : " له قدم راسخة في التصوّف " (10) ، كما كان محمّد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (ت871هـ/1467م) " ملكة في التصوّف " (11) .

(1) - لم نعثر على ترجمته ، ولا على تاريخ وفاته ، وجاء ذكره ملازما لشيخه السنوسي ، وشيوخه الآخرين .
انظر : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص252 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص138 ، 141 ، 239 ، 304 .
(2) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص252 .
(3) - السنوسي (محمد بن يوسف) : كتاب عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2007 ، و02 .
(4) - نفسه : و02 .
(5) - السنوسي (محمد بن يوسف) : شرح العقيدة الوسطى ، مخطوط مجموع ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2007 / 02 ، و99 .
(6) - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص390 .
(7) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص195 . انظر أيضا : - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص188 .
(8) - ابن مرزوق : المجموع ، و03 .
(9) - ثبت البلوي : ص105 .
(10) - رحلة القلصادي : ص103 .
(11) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص232 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص223 .

وكانت مساهمة علماء تلمسان في التصوّف ودراسته كمنهج ووضع أسس يسيرُ عليها أتباعه متواضعة ؛ فقد تركّزت مجهودات بعض العلماء والمؤرّخين التلمسانيين على إبراز سلوك التصوّف الذي أظهره الشيوخ والعلماء في تلمسان أو في بلاد المغرب عموماً (1) .

7 - التاريخ :

عرفت بلاد المغرب في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م) العديد من المؤرّخين (2) ، وبدورها عرفت تلمسان إهتماماً من طرف علمائها بعلم التاريخ ، وما يرتبط به من تراجم الأشخاص وسير الدول والسلاطين . ومن العلماء الذين كان لهم ولع بالتاريخ وحفظ أخباره الفقيه الأصولي أبو عبد الله المقرّي (ت758هـ/1357م) ؛ الذي كان يقوم أتمّ القيام على التاريخ (3) ويحفظ أخباره (4) ، وقام بتأليف تلخيص في أصل نسبه وقراءته وأسماء شيوخه (5) . كما وصف الفقيه أبو جعفر البلوي (ت938هـ/1532م) شيخه الفقيه محمّد بن سعد (ت901هـ/1496م) بـ " التاريخيّ المحصل " (6) .

وإذا كان المقرّي وابن سعد قد اعتبرتاهما المصادر التاريخية من المؤرّخين بحكم ما وصفتهما به ، فإنّ تلمسان أنجبت سواهما في علم التاريخ ؛ فرغم عدم ذكر هذه المصادر اهتمام بعض علماء تلمسان بالتاريخ ، فإنه من خلال المؤلّقات التي ألّفوها فيه ، أمكننا إلحاق عدد منهم بهذا العلم .

ألّف الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) كتاب " المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن " (7) ، إضافة إلى إقدامه على تأليف كتاب لتاريخ أسرته (8) قال في مقدّمته : " ورأيتُ بحولِ الله أن أمرّ بذكر الجدِّ رحمه الله ومن عاصره

(1) - كما فعل المؤرخ ابن سعد (ت901هـ/1496م) في كتابه " روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين " ، والخطيب ابن مرزوق في " المجموع " . انظر : - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 59 ، 60 ، ص ص 130-141 ، ص ص 187،180 .

- ابن مرزوق : المجموع ، و 03 ، ظ 06 - و 08 ، و 23 - ظ 27 ، ظ 43

(2) - يتقدّمهم المؤرّخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) وكتابه " العبر " ، ويحيى بن خلدون (ت780هـ/1378م) صاحب " بغية الرواد " ، وابن الأحمر (ت810هـ/1407م) الذي ألّف " النفحة النسرينية واللحة المرينية " ، وأبو عبد الله ابن الشّماع (كان حياً سنة 861هـ/1457م) صاحب " الأدلة البيّنة النورانية " .

(3) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 188 .

(4) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 195 .

(5) - محمّد مخلوف : المرجع السابق ، ص 232 .

(6) - ثبت البلوي : ص 414 .

(7) - ابن مرزوق : المسند ، ص 94 .

(8) - هو مخطوط بالخزانة الملكية المغربية بالرباط ، رقم 20 .

وعاشره من صلحاء وقته وعلماء زمانه ... وكذلك مولانا الوالد⁽¹⁾ ، ويظهر اهتمامه بالتاريخ أيضا من قوله : "... لأن معرفة المواليد والوفيات وتعيين الأسيخ وغير ذلك مما يجب ذكره"⁽²⁾ .
كما كان تأليف الفقيه أبو الحسن علي بن مسعود الخزاعي التلمساني (ت789هـ/—
1387م) لكتاب " تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية"⁽³⁾ ، كافيا لاعتباره من مؤرخي الحضارة
الإسلامية⁽⁴⁾ .

وألق الكتاب الذي ألقه العلامة محمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/—1494م)
وسماه " نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من
أسلافهم فيما مضى من الزمان"⁽⁵⁾ بمؤرخي تلمسان ، وجعل كتابه تاريخا مختصرا لأهم
مراحل الدولة الزيانية⁽⁶⁾ .

وذكر صاحب نفع الطيب أن الفقيه المفسر محمد بن مرزوق الحفيد (ت842هـ/—
1439 م) ألف كتابا في " مناقب شيخه المصمودي"⁽⁷⁾ ؛ ما يجعلنا نعتبره من مؤرخي
التراجم ، كما ألف الفقيه أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني (ت771هـ/—1370م) كتابا
تاريخيا سماه " روضة الأزهار في التعريف بأل محمد المختار"⁽⁸⁾ ، وهو ما يُوصِل عدد
العلماء التلمسانيين المؤرخين إلى سبعة . وكان هذا العدد مرشحا للإرتفاع لو أعلمنا الفقيه أبو
عبد الله محمد المقرّي (ت758هـ/—1357م) بمؤلف الكتاب الذي قال أن صاحبه : " من أكابر
علماء تلمسان ، ولم يُحضرني الآن اسمه ..."⁽⁹⁾ .

(1) - ابن مرزوق : المجموع ، ط01 .

(2) - نفسه : ط01 .

(3) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص238 .

(4) - محمد عادل عبد العزيز : المرجع السابق ، ص119 .

(5) - التنسي : المصدر السابق ، ص108 .

(6) - ابتدأ من تأسيس الدولة الزيانية سنة 633هـ/1236م إلى سنة 868هـ/1464 .

(7) - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص430 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص181 .

(8) - الشريف (محمد الحسني) : روضة الأزهار في التعريف بأل محمد المختار ، مخطوط ، المتبنة الوطنية الجزائرية ، رقم 2608 .

(9) - عرف صاحب الكتاب فيه بالشيخ العلامة أبي عبد الله الشريف التلمساني وابنيه أبي يحيى وعبد الله .

انظر : - المقرّي : نفع الطيب ، ج06 ، ص25 .

8 - علوم اللغة العربية : وتقوم على أربعة أركان هي : اللغة⁽¹⁾ ، النحو⁽²⁾ ، البيان⁽³⁾ ،

والأدب⁽⁴⁾ ، ومعرفتها ضرورية خاصة على أهل الشريعة ؛ لأن الأحكام الشرعية تأخذ كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب⁽⁵⁾ .

وبرز عدد من علماء تلمسان في علوم اللغة العربية بمختلف فروعها ، أحصينا منهم ثمانية عشر عالما ، هم : محمد بن عمر بن خميس أبي عبد الله التلمساني(ت708هـ/1309م) : شاعر المائة السابعة⁽⁶⁾ نقلت المصادر أشعاره⁽⁷⁾ ، وصفه المؤرخ لسان الدين بن الخطيب(ت776هـ/1374م) بأنه كان : " طبقة الوقت في الشعر وفحل الأوان في النظم المطول ، وأقدر الناس على اجتلاب الغريب ... ووضع الألفاظ البيانية مواضعها " ⁽⁸⁾ ، ومحمد بن منصور بن هدية القرشي أبو عبد الله التلمساني(ت745هـ/1344م) : من " أئمة اللسان والأدب " ⁽⁹⁾ ، ومحمد بن عبد النور أبي عبد الله التلمساني(ت749هـ/1349م) : ذكره الخطيب ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) في - المسند - بأنه كان : " أفصح الناس لسانا بالعربية ، يتصرف في لسان زناته وأشعارهم ، يضرب الأمثال ... ويحفظ " ⁽¹⁰⁾ ، و محمد ابن يحيى بن النجار أبي عبد الله التلمساني(ت749هـ/1349م) : كان ذا شعر نبيل وكتابة رائقة ⁽¹¹⁾ ، و محمد بن أحمد المقرري أبو عبد الله التلمساني(ت758هـ/1357م) : " حامل لواء المنثور والمنظوم " ⁽¹²⁾ ، يقوم أتم القيام على العربية كتابة وشعرا ⁽¹³⁾ ، كان ممن ذكره

(1) - هو علم يتناول بيان الموضوعات اللغوية والبحث في مفرداتها . انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص ص 481 - 483 .

(2) - النحو : تبيين بواسطته أصول المقاصد بالدلالة . انظر : - نفسه : ج01 ، ص ص 479 - 481

(3) - هو علم متعلق بالألفاظ وما تفيد ، ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني . انظر : - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص ص 483 - 486 .

(4) - يقصد به الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم ، وهو لا موضوع له ؛ إذ يتطلب الإجابة في مسائل اللغة والنحو والشعر .

انظر : - نفسه : ج01 ، ص ص 486 ، 487 .

(5) - نفسه : ج01 ، ص 479 .

(6) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 39 .

(7) انظر : - نفسه : ج01 ، ص ص 40 - 46 . - المقرري : نفح الطيب ، ج05 ، ص ص 362 - 376 . ج07 ، ص ص 131 - 133 .

- ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص ص 557 - 529 . انظر أيضا :

- عبد الوهاب بن منصور : المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس ، ط1 ، مطبعة ابن خلدون ، تلمسان ، 1365هـ/1946م ، ص ص 63-142 .

(8) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص 429 .

(9) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 51 .

(10) - ابن مرزوق : المسند ، ص 267 .

(11) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 55 .

(12) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 232 .

(13) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص 195 .

الحافظ المفسر جلال الدين السيوطي⁽¹⁾ (ت911هـ/1506م) في طبقات اللغويين والنحاة⁽²⁾ ،
و محمد بن مرزوق أبي عبد الله الخطيب (ت781هـ/1379م) : " قدوة البلغاء "⁽³⁾ ، يكتبُ نثرًا
وشعرًا⁽⁴⁾ ، ذكره صاحب بغية الوعاة بأنه " تمهّر في العربية...والأدب "⁽⁵⁾ ، ووصفه القاضي
ابن فرحون المالكي (ت799هـ/1397م) بأنه : "... يشعر فلا يعدوه السداد في ذلك ... "⁽⁶⁾ ،
وعلي بن مسعود الخزاعي أبو الحسن التلمساني (ت789هـ/1387م) : الأديب⁽⁷⁾ ، و محمد
ابن يوسف القيسي الثغري أبو عبد الله التلمساني (كان حيًا سنة 791هـ/1388م) : الأديب
الأريب الكاتب⁽⁸⁾ العارف بفنون الأدب نثرًا وشعرًا⁽⁹⁾ ، اشتهر بنظم القصائد وإلقائها في
الاحتفالات بالمولد النبويّ التي كان يقيمها السلطان الزياني أبي حمّو موسى الثاني وابنيه من
بعده⁽¹⁰⁾ ، و يحيى بن محمد التلمساني (ت809هـ/1407م) : وصفه المؤرّخ شمس الدين
السخاوي الشافعي (ت902هـ/1497م) بـ " المالكي النحوي " ⁽¹¹⁾ ، و قاسم بن سعيد العقباني
أبو الفضل العقباني (ت854هـ/1450م) : ذكر تلميذه الرحالة أبو الحسن
القلصادي (ت891هـ/1486م) أنّه : " اتّحد في علمي اللسان والبيان " ⁽¹²⁾ ، و محمد بن قاسم
ابن تومرت التلمساني⁽¹³⁾ (عاش في القرن 09هـ/15م) : وصفه تلميذه محمد بن يوسف

.

(1) - هو جلال الدين أبو الفضل السيوطي الشافعي ، أعلم أهل زمانه بعلم الحديث .

انظر : - ابن عماد الحنبلي : المصدر السابق ، ج10 ، ص ص74 - 77 .

(2) - ذكر له بيتين من شعره ، وهما : فأبدو تارة وأغيب أخرى مئثار الشوق مُنتني الحياء
أشمّ البرق من بين الثنايا وأستم العبير من الخباء

انظر : السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان) : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت
لبنان ، 1399هـ/1979 م ، ج01 ، ص 21 .

(3) - ثبت البلوي : ص 246 .

(4) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص 52 . انظر أيضا : - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 141 .
- عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ص546 - 555 .

(5) - السيوطي : المصدر السابق ، ج01 ، ص 46 .

(6) - ابن فرحون : المصدر السابق ، ص 396 .

(7) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص 247 .

(8) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 222 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 152 .

(9) - عمر فروخ : المرجع السابق ، ج06 ، ص 537 .

(10) - انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص 107 ، 108 من الدراسة .

(11) - السخاوي (شمس الدين) : وجيز الكلام في النيل على دول الإسلام ، تحقيق : بشار عواد ، عصام فارس ، أحمد الحطيمي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، لبنان ، 1416 هـ/1995 م ، ج01 ، ص 391 .

(12) - رحلة القلصادي : ص 106 .

(13) - ذكره المؤرّخ التنبكتي باسم " ابن تونرت " - بحرف النون - ولم تذكر كتب التراجم التي ترجمت له تاريخ وفاته ، لكن معاصرته للسنوسي ، تؤكد
لنا أنه عاش في القرن التاسع الهجري (15 م) . مصادر ترجمته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 237 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 239 .

السنوسي (ت895هـ/1490م) بأنه كان : " عالما ... بالنحو " (1) ، و محمد بن العباس التلمساني (ت871هـ/1467م) : " شيخ النحاة " (2) ، و أحمد بن محمد بن زكري أبي العباس التلمساني (ت899هـ/1494م) : الناظم الناثر (3) ، الشاعر المفلق (4) ، و محمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1494م) : الأديب المصنّف (5) ، بقية الأدباء (6) ، و محمد بن الحضرمي أبو عبد الله التلمساني (ت910هـ/1504م) : الشاعر (7) ، وأحمد بن يحيى الونشريسي أبو العباس التلمساني (ت914هـ/1508م) : كانت له براعة في النحو ، فصيح الكلام بليغا في التعبير ، وكان له أيضا شيء من النظم (8) .

ومن خلال استعراض المؤلفات الأدبية التي ألفها علماء تلمسان يمكننا إضافة عالمين آخرين هما : محمد بن مرزوق الحفيد (9) (ت842هـ/1439م) ، و محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1504م) ؛ وذلك لتصنيفهم مؤلفات أدبية (10) دأبت على باعهم في هذا العلم .

9 – العلوم العقلية : وهي التي تعتمد على العقل (11) ، وتشتمل على أربعة علوم هي : المنطق (12) ، العلوم الطبيعية (13) ، علم الإلهيات (14) ، والتعاليم (15) . و اهتم عدد من علماء تلمسان بالعلوم العقلية ، وهم : محمد بن النجار أبي عبد الله التلمساني (ت749هـ/1348م) : نبغ في العلوم العقلية خاصة التعاليم ؛ مما جعل المؤرخ ابن خلدون (ت808هـ/1406م) يصفه

-
- (1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 237 .
(2) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 232 .
(3) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 01 ، ص 89 . انظر أيضا : التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 136 .
(4) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 267 .
(5) - ثبت البلوي : ص 371 .
(6) - نفسه : ص 415 .
(7) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 274 .
(8) - عمر فروخ : المرجع السابق ، ج 06 ، ص 689 .
(9) - وصفه عمر فروخ في كتابه بأنه : " عارف بالغة والنحو والبلاغة والعروض " . انظر : - نفسه : ج 06 ، ص 635 ، 636 .
(10) - انظر : الملحق رقم 08 ، ص ص 263 - 270 من الدراسة .
(11) - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 399 .
(12) - هو العلم الذي يعصم الذهن عن الوقوع في الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة ؛ والهدف منه تمييز الخطأ من الصواب . انظر : - نفسه : ج 01 ، ص 399 .
(13) - هو العلم الذي ينظر في المحسوسات من الأجسام ، من معادن ، ونبات ، وحيوان ؛ ومن فروعها : علم الطب ، الفلاحة ، الكيمياء ، علم الفلك . انظر : - نفسه : ج 01 ، ص 399 . ص ص 410 - 412 .
(14) - هو علم ينظر في الوجود المطلق ؛ أي ما وراء الطبيعة . انظر : - نفسه : ج 01 ، ص 399 . ص 413 ، 414 .
(15) - هو العلم الذي ينظر في المقادير ؛ ويشتمل على أربعة علوم هي : الهندسة (هندسة الأشكال ، المساحة) ، الحساب (صناعة الحساب ، الجبر والمقابلة ، المعاملات ، الفرائض) ، الموسيقى (وهي معرفة نسب الأصوات والنغم) ، و علم الهيئة (وهو ينظر في حركات الكواكب والنجوم) . انظر : - نفسه : ج 01 ، ص ص 399 - 408 .

بـ " شيخ التعاليم " (1) ، وكان عالما بالنجوم وأحكامها وما يتعلق بها (2) ، ومحمد بن إبراهيم الأبلبي أبو عبد الله التلمساني (ت757هـ/1356م) : شيخ العلوم العقلية (3) ، برع في التعاليم ولازمه الناس في تعلمها (4) ، وصفه المؤرخ ابن القاضي المكناسي (ت1025هـ/1616م) بأنه : " أعلم أهل عصره بالفنون المعقولة [كذا] " (5) . و محمد بن أبي بكر المقرّي أبو عبد الله التلمساني (ت758هـ/1357م) : له مشاركة في الجدل والمنطق (6) ، وكان " رحلة الوقت في القيام على الفنون العقلية " (7) ، وعليّ بن أحمد أبي الحسن التلمساني ، المعروف بابن الفحّام (كان حيّاً سنة 758هـ/1357م) : " أعلم أهل عصره في التعاليم " (9) ، كان مؤقّتا للسلطان أبي عنان المريني (10) ، ومحمد بن أحمد الشريف أبو عبد الله التلمساني (ت771هـ/1370م) : حامل لواء المعقول (11) وفارسها (12) ، قال عنه المؤرخ يحي بن خلدون (ت780هـ/1378م) : " لا يعزب عن علمه فنّ عقلي إلا وقد أحاط به " (13) ، وأورد صاحب " البستان " أنه كان : " إماماً في العلوم العقلية كلّها منطقاً وحساباً وتنجيماً وهندسة وموسيقى وطبّاً وتشريحاً وفلاحة... " (14) ، ومحمد بن يوسف القيسي الثغري أبو عبد الله التلمساني (كان حيّاً سنة 791هـ/1388م) : وصفه تلميذه الإمام أبو عبد الله المجاري (ت862هـ/1458م) بـ " العددي الفرضي " (15) . ومحمد بن مرزوق أبي عبد الله الحفيد (ت842هـ/1439م) : جمع بين المعقول والمنقول (16) ألف في المنطق والحساب

(1) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 47 .

(2) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص190 . انظر أيضا : - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص236 .

(3) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 21 .

(4) - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 219 .

(5) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 191 .

(6) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص195 .

(7) - نفسه : ج02 ، ص202 .

(8) - الجزنائي : المصدر السابق ، ص 87 .

(9) - ابن مرزوق : المجموع ، و 17 .

(10) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 31 .

(11) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص234 .

(12) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 62 .

(13) - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج01 ، ص 57 .

(14) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 165 .

(15) - برنامج المجاري : ص 137 .

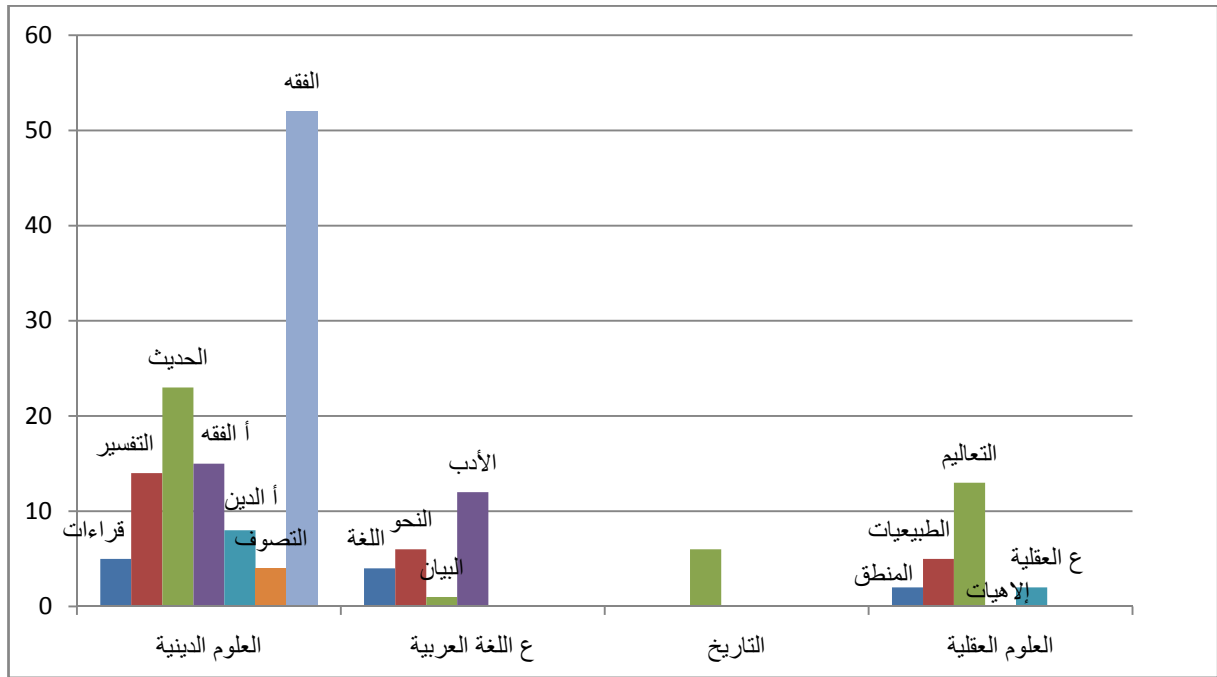
(16) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 202 .

والميفات⁽¹⁾ ، ويوسف بن إسماعيل الزيدوري أبو الحجاج التلمساني(ت845هـ/1442م) : كانت له قدم ومشاركة في علوم الرياضيات كالجبر والمقابلة⁽²⁾ ، ومحمد بن إبراهيم بن الإمام أبي الفضل التلمساني(ت845هـ/1442م) : كان عالما بالمعقول⁽³⁾ ، وله قدم راسخة في الطب⁽³⁾ ، وأحمد بن زاغو أبو العباس التلمساني(ت845هـ/1442م) : الفرضي الحسابي⁽⁴⁾ ، قرأ عليه تلميذه الرحالة أبو الحسن القلصادي(ت891هـ/1486م) الحساب ، والفرائض ، والهندسة⁽⁵⁾ ، ومحمد بن أحمد بن النجار أبي عبد الله التلمساني(ت846هـ/1442م) : مشارك في العلوم العقلية⁽⁶⁾ ، وقاسم العقباني أبو الفضل التلمساني(ت854هـ/1450م) : " الفرضي الحيسوبي"⁽⁷⁾ ، انفرد بفنّي المعقول والمنقول⁽⁸⁾ ، ومحمد بن أحمد الحباك أبي عبد الله التلمساني(ت867هـ/1463م) : العلامة المؤقت⁽⁹⁾ الفرضي العددي⁽¹⁰⁾ ، ومحمد بن قاسم ابن تومرت التلمساني(كان حيا في القرن 09هـ/15م) : كان "عالمًا بالمعقول والحساب والفرائض والخط والهندسة"⁽¹¹⁾ ، ومحمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) : " المعقولي ، الفرضي ، الحيسوبي"⁽¹²⁾ ، وأحمد بن زكري أبي العباس التلمساني(ت899هـ/1494م) : المعقولي⁽¹³⁾ ، الجامع بين المعقولات والمنقولات⁽¹⁴⁾ ، وأبو إسحاق المصمودي(ت913هـ/1507م) : " الإمام الفرضي النبيه الحيسوبي"⁽¹⁵⁾ .

(1) - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص429،430 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 211 .
(2) - رحلة القلصادي : ص 100،101 .
(3) - نفسه : ص 108 .
(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص199 .
(5) - ثبت البلوي : ص 313 .
(6) - رحلة القلصادي : ص 104 .
(7) - نفسه : ص102 .
(8) - ابن قاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص282 .
(9) - رحلة القلصادي : ص 106 .
(10) - ثبت البلوي : ص 415 .
(11) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 219 .
(12) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 239 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص237 .
(13) - ابن قاضي : درة الحجال ، ج02 ، ص 141 .
(14) - نفسه : ج01 ، ص 89 .
(15) - ثبت البلوي : ص419 .
(16) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 04 .

وقد أخصيتُ - ممّا سبق - سبعة عشر عالماً تلمسانياً اهتمّ بالعلوم العقلية ، وتركز إهتمام أغلبيتهم على الرياضيات (علم التعاليم) بمختلف فروعها ، مقابل قلة إهتمامهم بالعلوم الطبيعية خاصة الطب ، وهي سمة تلك الفترة في بلاد المغرب الإسلامي (1) .

ممّا سبق من تصنيف علماء تلمسان الذين عاشوا في القرنين الثامن والتاسع الهجريين حسب العلوم التي برعوا فيها ، أمكننا تمثيل ذلك باستخدام الأعمدة البيانية (2) ، والتي يظهرها الشكل التالي :



ومن خلال الشكل أمكننا الخروج بمجموعة من الملاحظات نذكرها :

- نبوغ علماء تلمسان والذين بلغ عددهم ثمانية وستين عالماً (3) في مختلف العلوم (الدينية ، اللغة العربية ، التاريخ ، و العلوم العقلية) .

- بروز عدد كبير من العلماء في العلوم الدينية أكثر من غيرها ، إذ أخصينا سبعة وخمسين عالماً كان لهم حضور في مختلف فروع هذا العلم ، بنسبة 83% من مجموع العلماء ، ويتقدم علم الفقه هذه الفروع من حيث عدد العلماء ؛ أي بنسبة : 77% من مجموع العلماء .

(1) - عبد السلام بن ميس : " مناهضة بعض الفقهاء للمنطق " ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ط1 ، الرباط ، المغرب ، 2001م ، ص34

(2) - قمنا بالرسم البياني اعتماداً على ما أخصيناه من علماء تلمسان ، وتصنيفهم في العلوم التي برعوا فيها ، وأجملناهم في جدول .

انظر : الملحق رقم09 ، ص 261 من الدراسة .

(3) انظر : الملحق رقم09 ، ص 261 من الدراسة .

أمّا بالنسبة للعلوم اللغوية فقد تصدر الأدب بفرعيه النثر والشعر اهتمام علماء تلمسان ،
فبرز إثنا عشر عالما فيه من مجموع ثمانية عشر عالما في علوم اللغة العربية ؛ أي بنسبة
%67 .

وجاء علم التعاليم (الرياضيات) متصدّرا لاهتمامات العلماء في العلوم العقلية ؛ حيث
نبح فيها ثلاثة عشر عالما من مجموع سبعة عشر ؛ أي بنسبة %76 ، في حين انعدم اهتمامهم
بفرع الإلهيات .

وما نلاحظه أيضا أنّ عددا من علماء تلمسان برعوا في أكثر من علم ؛ فهناك علماء
برعوا في أكثر من ثمانية علوم (1) وهم : أبو عبد الله المقرّي ، أبو عبد الله الشريف
التلمساني ، أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد ، أبو الفضل قاسم العقباني ، محمد بن يوسف
السنوسي . وبرع ستة علماء في أكثر من خمسة علوم (2) وهم : أبو عبد الله بن يحيى بن
التّجار ، محمد بن إبراهيم الأبلي ، أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب ، أبو العباس بن زاغو ،
أحمد بن زكري ، محمد بن عبد الجليل التنسي . كما أحصينا أحد عشر عالما جمعوا بين ثلاثة
علوم (3) ، وهو ما يعكس تضلع علماء تلمسان وسعة علمهم .

2 – عوامل التنشئة العلمية لعلماء تلمسان :

تميّز القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14و15م) بنبوغ عدد كبير من العلماء
التلمسانيين في مختلف العلوم ، فكان ذلك داعيا للبحث عن العوامل والظروف التي ساعدت
على تنشئة هؤلاء العلماء .

كان للبيئة الاجتماعية التي تربّى فيها علماء تلمسان دوراً كبيراً وقاعدة مكنتهم من طلب
العلم ، فكثيرا ما كانت الأسرة مشجّعة ومساعدة لهم في ذلك ، فكان الفقيه المفسّر أبو عبد الله
الشريف (ت771هـ/1370 م) قد تفرّغ للعلم ولم يمارس نشاطا آخر ، وكفاه والدُه نفقته (4) .
كما أنّ والدَ الفقيه أحمد بن محمد بن زكري (ت899 هـ/1494م) لم ترفض طلب الشيخ أبي

(1) انظر : الملحق رقم09 ص 356 .

(2) انظر : الملحق رقم09 ص 356 .

(3) انظر : الملحق رقم09 ص 356 .

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 174 .

العبّاس أحمد بن زاغو (ت 845 هـ/1441م) عندما طلب منها أن تتركه لطلب العلم بدل العمل في الحياكة (1) .

وحرصت الأسرة على تعليم أبنائها ؛ وذلك لمنزلة العلم والعلماء العالية في المجتمع ، فقد ذكر القاضي أبو عبد الله محمد الرّصاع (ت 894هـ/1489م) أنه عندما كان صغيرا بتلمسان ، كان والده يحثه على طلب العلم ويقول له : " يا ولدي رأينا من الدنيا كثيرا ورأينا مالها وتجاريتها وعمارتها وعمّالها...فما رأيت فيها العزّ الحقيقي إلا لأهل العلم..."(2) ، وقال أنّه كان كثيرا ما يبكي ويقول : " اللهم إنك حرمتني أن أكون من أهل العلم فلا تحرمني محبّتهم ، اللهم لا تحرم نسلي منهم "(3) ، كما كان أحد زهّاد تلمسان وهو أبو موسى عيسى بن عمران يوصي ابنه بطلب العلم ، وكتب في ذلك قصيدة طويلة جاء فيها :

فالعلم كونوا يا بنيّ من أهله فالعلم أفضل ما رأى أن يكسبا (4)

وأغلب الأسر التي أنجبت هؤلاء العلماء هي أسرٌ علمية كان أفرادها علماء ، فكثيرا ما نجد أنّ والد أو جدّ العالم هو عالم أيضا ؛ كما هو الأمر مع أسر ابن مرزوق ، التنسي ، ابن هدية ، أسرة الشريف التلمساني ، والعقباني ؛ والتي نبغ منها عدد كبير من العلماء . وكانت الرغبة في تحصيل العلم ونيل شرفه من العوامل التي دفعت علماء تلمسان على طلبه والصبر على مشاقه ، فقد وصف لنا الرحالة أبو الحسن القلصادي(ت 891هـ/1486م) عند نزوله تلمسان سنة 840 هـ/1437م ، الرغبة في طلب العلم بقوله أنّ : "... الهمم إلى تحصيله مشرفة ، وإلى الجدّ والاجتهاد فيه مرتقبة ... "(5) . ولم يكن العلماء يغفلون عن نصح تلاميذهم وأبنائهم وأقاربهم عن طلب العلم ، فقد كان الفقيه الأصولي محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/1490م) يحث على ذلك ، ويقول : "... والذي جرت به العادة وأمر به الشرع

(1) - نفسه : ص 39 .

(2) - فهرست الرّصاع : ص 18 .

(3) - نفسه : ص 18 .

(4) - ابن سعد : روضة النسرین ، ص 63 .

(5) - رحلة القلصادي : ص 95 .

تحصيل العلوم من طريقها المؤلف ؛ وهو اجتهاد في النظر ، والتعلم من العلماء ، والتزام التعب في الدرس ، والرحلة في طلب القوافل ... " (1) .

ومما ساعد على تكوين علماء تلمسان هو البيئة العلمية التي عاشوا فيها ، فقد عرفت تلمسان موطنهم وباقي المدن المغربية الأخرى قيام عدد كبير من المدارس التعليمية (2) ، إضافة إلى الرعاية الخاصة التي كان العلماء يحظون بها من طرف سلاطين الدول الحاكمة في المغرب (3) . ونقل لنا الرحالة أبو الحسن القلصادي(ت891هـ/1486م) الحالة العلمية في مدينتي تلمسان وتونس عند زيارته لهما ؛ ففي تلمسان كانت : " سوق العلم حينئذ نافقة .. وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة " (4) ، وعن تونس قال أنّ : " ينابيع العلوم على اختلافها مغدقة ، فلا عليك أن ترى مدرسة أو مسجداً إلا والعلم فيه يُبث وينشر " (5) .

ومارس علماء تلمسان الرحلة في طلب العلم ، سواء إلى المدن المغربية أو إلى المشرق الإسلامي ، وذلك رغبة في الاستزادة من العلوم . ولا يخفى أهمية الرحلة العلمية في حياة طالب العلم ؛ فقد اعتبرها المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون(ت808هـ/1406م) في غاية الأهمية وضرورية ، فقال : " لا بدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال " (6) ، كما اعتبرها العالم التلمساني محمد بن إبراهيم الأبلبي(ت757هـ/1356م) أصل جمع العلم ، وإدراكا منه لأهميتها عارض كثرة التأليف ؛ لأنها نسخت الرحلة في طلب العلم (7) ، وصنّفها محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) من طرق تحصيل العلم (8) ، وقد أحصينا من خلال بحثنا في المصادر التاريخية وكتب التراجم أربعة عشر عالما تلمسانيا مارسوا الرحلة العلمية (9) ، في مختلف مدن بلاد المغرب وخارجها .

(1) - السنوسي : كتاب عمدة أهل التوفيق والتسديد ، و 05 .

(2) - حول المدارس ، انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص 43 ، 48 من الدراسة

(3) - حول اهتمام السلاطين بالعلم ، انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص 38 وما بعدها من الدراسة .

(4) - رحلة القلصادي : ص 95 .

(5) - نفسه : ص 115 .

(6) - ابن خلدون : العبر ، ج 01 ، ص 376 .

(7) - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 275 .

(8) - السنوسي : كتاب عمدة أهل التوفيق والتسديد ، و 05 .

(9) - انظر : الملحق رقم 08 ، ص 262 من الدراسة .

وكانت وجهة أغلب تلك الرحلات العلمية إلى المشرق الإسلامي وهو ما يمكن ربطه بموافقة في خروج العلماء إلى الحج⁽¹⁾ واستغلاله في طلب العلم⁽²⁾ ، في حين لم يحظ المغرب الأوسط باستقبال عدد كبير من علماء تلمسان مقارنة بالمغرب الأقصى وإفريقية⁽³⁾ .

إلا أن عدد العلماء التلمسانيين الذين مارسوا الرحلة العلمية كان أكثر ممّا أحصيناه ، باعتبار أنّ بعض المصادر اكتفت بوصف الكثير من علماء تلمسان بـ " الرحلة " دون تحديدها وجهتهم في هذه الرحلات ، والذين وصفتهم المصادر بذلك : أبو العباس منصور بن هدية⁽⁴⁾ (ت745هـ/1344م) ، أبو الفضل بن الإمام⁽⁵⁾ (ت845هـ/1441م) ، أبو الفضل محمّد بن أحمد العقباني⁽⁶⁾ (ت871هـ/1467م) ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن الإمام⁽⁷⁾ (ت845هـ/1441م) ، أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني⁽⁸⁾ (ت845هـ/1441م) ، وأبو عبد الله الجلاب التلمساني⁽⁹⁾ (ت875هـ/1471م) .

وإذا أضفنا الشيخ ابن سعد التلمساني (ت901هـ/1496م) ؛ الذي ذكره تلميذه الفقيه أبو جعفر البلوي (ت933هـ/1532م) بأنّه كان : "... حريصا على الفوائد والغرائب من المصنّفات وغيرها ، مُستجلبا لها من أطراف البلاد ... " ⁽¹¹⁾ ، فإنّ عدد علماء تلمسان الذين مارسوا الرحلة في طلب العلم يرتفع إلى واحد وعشرين عالماً .

-
- (1) - وكان للخروج إلى الحج دوراً كبيراً في تطوير الحياة العلمية في بلاد المغرب عموماً ، انظر :
- بويوزان بن عيسى : " فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين " ، بحث مقدّم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية ، 1426هـ / 2005 م ، ص ص 233 - 310 .
- (2) - يمكن استثناء رحلة الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) إلى المشرق ، والتي لم يخرج فيها من المغرب بنية الحج ، بل رحل إلى الإسكندرية ، بعد سوء العلاقة مع الحفصيين ، وتوفي بالقاهرة سنة 781هـ/1379 م . انظر : ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 54 .
- (3) - أحصينا قيام سنة علماء برحلات علمية إلى المغرب الأقصى ، وخمسة رحلات إلى إفريقية ، ورحلتين إلى المغرب الأوسط .
- انظر : الملحق رقم 08 ، ص 262 من الدراسة .
- (4) - ذكر ابن مرزوق أنه : " رحل وروى " ، لكنه لم يحدّد وجهته . انظر : ابن مرزوق : المجموع ، ط 11 .
- (5) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 199 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 220 .
- (6) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 232 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 224 .
- (7) - محمّد مخلوف : المرجع السابق ، ص 254 .
- (8) - نفسه : ص 255 .
- (9) - نفسه : ص 264 .
- (11) - ثبت البلوي : ص 414 .

وما يعكس لنا أيضا اهتمام علماء تلمسان بالرحلة العلمية ، ما ذكره المؤرخ لسان الدين ابن الخطيب(ت776هـ/1374م) أنّ الشاعر أبا عبد الله بن خميس التلمساني (ت708هـ/1309م) : " كان يرومُ الرحلة وينوي السفر ، والقضاء يثبّطه " (1) .

كانت كلّ هذه العوامل متظافرة فيما بينها ، إضافة إلى بعض الخصوصيات والفروق بين بعض العلماء ، هي التي أدت بتلمسان إلى إنجاب هذا العدد الكبير من العلماء البارزين والمتضلعين في مختلف العلوم .

ثانيا : دور علماء تلمسان التعليمي في بلاد المغرب :

اهتمّ علماء تلمسان بطلب العلم والنهل والاستزادة منه وتحصيله ، وبذلوا في ذلك شتى الوسائل والسبل . ومثلما حرصوا على طلبه فإنهم لم يبخلوا بما نالوه من العلوم المختلفة ، واجتهدوا في نشره وتعليمه ، بل ذهب أحد هؤلاء العلماء إلى حدّ وجوب القيام بذلك ، فقد صرّح الفقيه الأصولي محمّد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) بالقول : " إنّما يجب بث العلم لمن سأله " (2) ، من هنا نودّ معرفة دور علماء تلمسان في التدريس والتعليم في بلاد المغرب وإسهاماتهم في ذلك .

1 – أماكن تدريس علماء تلمسان :

اكتسب قيام علماء تلمسان بالتدريس في بلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14و15م) طابعين : طابع حرّ كان فيه المدرّس يقوم بالتعليم بدوافع ذاتية ووفق رؤية شخصية ، وطابع نظامي يعتمد إشراف الدولة على الجهاز التعليمي وتعيين المدرّسين الذين تركز عليهم العملية التعليمية ، وبين الأداء الحرّ والنظامي للتعليم مارس علماء تلمسان التدريس في مختلف المرافق التعليمية ، وهي :

أ – الكتاب :

يُعتبر الكتاب أوّل مرحلة يمرُّ بها المتعلّم في حياته التعليمية ؛ فقد اتفق المسلمون في جميع أمصارهم على تعليم الصبيان : باعتبار أنّ تعليم الصغير أشدّ رسوخا ، وهو أصل لما

(1) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 529 .

(2) - السنوسي : كتاب عمدة أهل التوفيق والتسديد ، و05 .

بعده (1) . ورغم اتّفاقهم على ذلك اختلفوا حول ما يُدرّس في هذه المرحلة ، فقد اقتصر التعليم في المغرب على دراسة القرآن حفظا وكتابة ، بخلاف المشاركة والأندلسيين (2) .

كانت المصادر التاريخية التي اعتمدنا عليها في دراستنا شحيحة حول الكتاب في بلاد المغرب ، والعلماء التلمسانيون الذين أشرفوا من خلالها على تأديب الصبيان فيها ، فغاية ما حصلنا عليه ما ذكره الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) من حفظه القرآن الكريم بكتاب الفقيه أبي زيد عبد الرحمان بن يعقوب (كان حيا سنة711هـ/1311م) بتلمسان (3) ، وما أورده الفقيه أبو عبد الله محمد الرصّاع (ت894هـ/1489م) من أنه التحق في صباه بأحد الكتاب بدرب مسوفة (4) ، ثم انتقل إلى كتاب آخر عند سوق القبايين (5) .

إنّ الشيخين اللذان تتلمذ على يديهما الرصّاع لم يكونا من العلماء التلمسانيين المعروفين ، وإلا كان قد ذكرهما ولم يكتف بوصف الأوّل بـ : " المعلم الأوّل " (6) ، والثاني بقوله : "... رجل أظنه من جبل بني ورنيد " (7) . كما أنّ غلق الكتاب الأوّل بعد سفر المؤدّب ووفاته (8) ، يمكن أن نستنتج منه أنّ الإشراف على الكتاب كان من طرف أشخاص وبمبادرتهم الخاصة .

ب - المساجد :

إنّ المساجد هي المكان الأوّل الذي استخدم للتعليم عند المسلمين (9) ، فكان المدرّس يجلس في المسجد وينتصب لتعليم العلم وبثه ، فإن كان المسجد من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها (المساجد السلطانية) فلا بدّ من استئذانه ، وإن كان من مساجد العامّة فلا يتوقف ذلك على إذن (10) .

ومارس علماء تلمسان التدريس في مساجد بلاد المغرب ، ذكرت المصادر التاريخية عددا منهم ؛ فقد قام الفقيه أبو إسحاق التنسي (ت ما بين 689 - 703هـ/1290—1303م) ،

(1) - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص437 .

(2) - نفسه : ج01 ، ص473 .

(3) - ابن مرزوق : المجموع ، و48 .

(4) - فهرست الرصّاع : ص 14 .

(5) - نفسه : ص 19 .

(6) - نفسه : ص 19 .

(7) - نفسه : ص 19 .

(8) - نفسه : ص 19 .

(9) - حسين مؤنس : المساجد ، ص 364 ، 365 .

(10) - ابن خلدون : العبر ، ج01 ، ص183، 184 .

ومن بعده أخوه أبو الحسن علي التنسي (ت ما بين 700-706هـ / 1300-1303م) بالتدريس في الجامع الأعظم بتلمسان (1) ، كما يمكن أن نفهم من أحد أقوال الخطيب ابن مرزوق (ت 781هـ/1379م) أنه درّس في بعض مساجد تلمسان ؛ فبعد عودته إلى تلمسان سنة 737هـ/1337م ، قال : "... أقمت بتلمسان أخطب بالعباد وأدخل في داخل البلد بمسجد مرسي الطلبة... وبمسجد سويقة إسماعيل وغيرها وأتردد إلى مجلس السلطان" (2) . ونلمس من دخوله إلى هذه المساجد أنه درّس بها ، خاصّة وأنه قرن بينها وبين تردده على مجلس السلطان العلمي .

و درّس الشريف أبو عبد الله التلمساني (ت 771هـ/1370م) بالجامع الأعظم بتلمسان (3) ، كما ذكر الفقيه أبو جعفر البلوي (ت 938هـ/1532م) أنه سمع عن شيخه محمد بن عبد الجليل التنسي (ت 899هـ/1494م) بمسجده (4) ، وعن الحافظ أحمد بن زكري (ت 899هـ/1494م) بالجامع الأعظم ، وبمسجده الذي قرب داره بتلمسان (5) ، و حضر مجلس شيخه أبي عبد الله السنوسي (ت 895هـ/1490م) بمسجده الذي قرب داره (6) . كما أنّ الفقيه أبا الفضل قاسم العقباتي (ت 854هـ/1450م) كان يدرّس بمسجده القريب من سكنه بدرب الأندلس من تلمسان (7) .

وجلس بعض العلماء للتدريس في عدد من المساجد في المغرب الأقصى ، فقد كان أكثر جلوس الخطيب أحمد بن مرزوق (ت 781هـ/1379م) بجامع القرويين (8) ممّا يجعله مقصدًا لطلبة العلم والاجتماع به . ومن علماء تلمسان الذين كانت لهم سارية بهذا الجامع ، الفقيه أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني (ت 771هـ/1370م) يقصده الطلاب ويتحلقون حوله (9) . كما

(1) - ابن مرزوق المجموع ، و 41 ، ظ 44 .

(2) - نفسه : و 49 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 119 .

(4) - ثبت البلوي : ص 320 .

(5) - نفسه : ص 418، 419 .

(6) - كما حضر مجلسه هذا الفقيه أبو عبد الله الرصاع (ت 894هـ/1489م) . انظر : - نفسه : ص 436 . - فهرست الرصاع : ص 13 .

(7) - ثبت البلوي : ص 428 .

(8) - ابن مرزوق : المجموع ، و 28 .

(9) - كما يدرس في مجلس يمين الداخل من باب المعدة من جامع القرويين . انظر : - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 383 .

أقرأ الفقيه محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت818هـ/1415م) صحيح البخاري بالجامع الأعظم في مدينة مكناسة ، إلى غاية وفاته بطاعون عام 818هـ⁽¹⁾/1415م .

وإن كان جلوس عدد آخر من العلماء بالجامع الأعظم من مدينة فاس الجديدة – والذين سنذكرهم لاحقا – في المجلس العلمي للسلطان أبي عنان المريني⁽²⁾ يصتف من ضمن المجالس السلطانية ؛ فإن احتضان المسجد لها يجعل حضور الطلبة فيها أمرا واردا ، كما قد يكون لأحد هؤلاء العلماء مجلس علمي خاص في هذا المسجد أو في مساجد أخرى .

ولم تذكر لنا المصادر التاريخية علماء تلمسانيين درسوا في مساجد المغرب الأدنى ، وجاءت رواية أبي عبد الله الرصاع (ت894هـ/1489م) – عن تتلمذه على يد العالم الأديب أبي عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) في تونس – يكتنفها الغموض وعدم الإشارة إلى مكان إلقاء هذا الأخير لدروسه ، واكتفى بقوله : " أخذنا عنه وحضرنا مجلسه " ⁽³⁾ ، كما لم يذكر الفقيه المقرئ الجدّ (ت758هـ/1357م) أماكن تدريس المحدث أبي عبد الله الشريف (ت771هـ/1370م) والحافظ أبي زكرياء بن عصفور (كان حيا بعد سنة 710هـ/1310م) التلمسانيان اللذان أخذ عنهما الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) بمدينة تونس ⁽⁴⁾ .

ج – المدارس :

كان علماء تلمسان في طليعة المدرّسين بالمدارس التي أقيمت في بلاد المغرب ، ففي موطنهم تلمسان درس عدد منهم في مدارسها ، يتقدمهم الأخوان أبو زيد عبد الرحمان (ت743هـ/1342م) وأبو موسى عيسى (ت749هـ/1348م) ابنا الإمام ، اللذان درّسا بالمدرسة التي بناها لهما السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول⁽⁵⁾ ، كما قام الفقيه أبو عبد الله محمد الشريف الحسني (ت771هـ/1370م) بالتدريس في المدرسة اليعقوبية ، من سنة 765 هـ⁽⁶⁾ / 1364 م

(1) - ابن غازي : الروض الهتون ، ص 59 .

(2) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 369 .

(3) - فهرست الرصاع : ص 114 .

(4) - المقرئ : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 395 .

(5) - ثبت البلوي : ص 265 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 224 .

حول هذه المدرسة ، انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص 44 من الدراسة .

(6) - وهو تاريخ انتهاء بنائها . انظر : - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 136 .

إلى غاية وفاته (1) ، كما درّس فيها الفقيه المفسّر أبو العباس بن زاغو (ت845هـ/1441م) (2) .
 وذكر الرحالة الأندلسي أبو عبد الله محمد المجاري (ت862هـ/1458م) أنه درس على
 الشيخ أبي عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) بموضع إقرائه بمدرسته (3) التاشفينية
 بتلمسان (4) ، وعلى الفقيه أبي يحيى عبد الرحمان بن أحمد الشريف التلمساني (ت826هـ/
 1423م) بمدرسته أيضا (5) ، ورغم عدم تحديده للمدرسة التي درس فيها على هذا الأخير ؛
 فإنه أكد لنا على الأقل تدريسه في مدارس تلمسان .

وتولى بعض من علماء تلمسان التدريس في مدارس المغرب الأقصى ، فقد كان القاضي
 المفسّر أبو عبد الله محمد المقرّي (ت758هـ/1357م) أستاذا للتفسير والحديث في المدرسة
 المتوكلية بفاس (6) ، كما كان الفقيه المحدث محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت818هـ/
 1415م) يدرّس بنفس المدرسة (7) ، وعُرّضت عليه أيضا رئاسة التدريس بمدرسة العطارين
 فرفض ذلك (8) . وكان الفقيه المفسّر أبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) مدرّسا
 بالمدرسة المرينية بمدينة سلا (9) ، كما درّس الفقيه المفتي أبو العباس أحمد بن يحيى
 الونشريسي (ت914هـ/1508م) بالمدرسة المصباحية بفاس (10) .

واقصر تدريس علماء تلمسان بمدارس تونس على الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق
 (ت781هـ/1379م) ؛ الذي أسندت له مهمة التدريس بمدرسة الشّماعين سنة 765هـ (11)
 1364م . وتبقى دروس الفقيه أبي عثمان سعيد العقباني التي ألقاها بتونس مجهولة المكان الذي
 ألقيت فيه ؛ بسبب عدم إفصاح الفقيه أبي عبد الله الرصّاع (ت894هـ/1489م) عن ذلك (12) .

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 120 .

(2) - نفسه : ص 42، 43 .

(3) - برنامج المجاري : ص 129 .

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 65 .

(5) - برنامج المجاري : ص 134 .

(6) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 386 .

(7) - ابن غازي : الروض الهتون ، ص 58 .

(8) - استخار الله تعالى في ذلك ، فرأى في المنام عجوزا شمطاء سيقنت له بأنواع الملاهي فعلم أنها الدنيا فلم يقبلها . - انظر : - نفسه : ص 58، 59 .

(9) - محمّد بن علي الذكالي : المصدر السابق ، ص 52 .

(10) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 385 .

(11) - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 408 .

(12) - انظر : - فهرست الرصّاع ، ص 114 .

د - المجالس السلطانية :

لم يقتصر علماء تلمسان في أداء وظيفتهم التعليمية على الكتاتيب والمساجد والمدارس ، بل واصلوا عطاءهم العلمي في مجالس السلاطين التي كانت تحتضنها قصورهم ومساجدهم ومدارسهم و يدعى إليها العلماء ؛ ومن الذين كان لهم حضور في تلك المجالس : الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق(ت781هـ/1379م) ؛ الذي كان يدرّس بين يدي السلطان أبي عنان في مجلسه العلمي (1) . هذا المجلس الأخير كان يضم أيضا الفقيه المحدث أبا عبد الله الشريف التلمساني(2) (ت771هـ/1370م) ، وعلماء آخرين من تلمسان منهم : الفقيه التعاليمي أبو الحسن عليّ بن الفحّام (ت758هـ/1357م) ، والفقيه علي بن منصور بن هدية القرشي التلمساني(ت791هـ/1389م) ، والمدرّس المفتي أبو إسحاق إبراهيم بن الإمام(ت797هـ/1395م) ، والقاضي الخطيب أبو عثمان سعيد العقباني(3) (ت811هـ/1408م) ، كما كان العلامة أبو عبد الله المقرّي(ت758هـ/1357م) من المتردّدين على هذا المجلس (4) .

وحضر علماء آخرون مجلس السلطان المريني أبي الحسن للتعليم ، يتقدمهم شيخ التعاليم محمد بن إبراهيم الأبلي(ت757هـ/1356م) يعلم فيه العلوم العقلية وبيئتها بين أهل المغرب(5) . كما لازم هذا المجلس الأخوان أبو زيد عبد الرحمان(ت743هـ/1342م) وأبو موسى عيسى (ت749هـ/1348م) ابنا الإمام (6) ، إضافة إلى الفقيه أبي عبد الله محمّد بن عبد النور التلمساني(7) (ت749هـ/1349م) . كما دلّ سؤال السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني للشريف أبي عبد الله(ت771هـ/1370م) عن إشكالات تتعلق بأحد الأحاديث(8) ، عن حضور هذا الأخير في مجالس العلم بحضرة السلطان الزياني .

وإن كانت قصور السلاطين هي التي كان لها الحظ الأوفر في استقبال العلماء في تلك المجالس العلمية ، فإنّ المساجد والمدارس هي الأخرى احتضنتهم ؛ كما هو الحال بمجالس

(1) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 52 .

(2) - نفسه : ص 62 ، 63 .

(3) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 369 .

(4) - المقرّي : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 281 .

(5) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 22 .

(6) - ابن مرزوق : المسند ، ص 265 .

(7) - نفسه : ص 267 .

(8) - انظر : - الوشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص ص 170 - 183 .

العلم بمسجد فاس أو المدرسة العنانية ؛ التي جرت عادة السلطان المريني أبي عنان على إقامتها وحضرها الكثير من العلماء (1) .

هـ - بيوت العلماء :

دفعت رغبة علماء تلمسان في التعليم وبت العلم في طالبه ، إلى استقبال طلبتهم وقاصديهم للتعلم في منازلهم ، والتدريس فيها . ورغم شح المصادر التاريخية في هذا الجانب فإن ما استطعنا الحصول عليه من معلومات وإشارات في ثنايا بعض المصادر والرحلات ، تفيدنا على معرفة هذا السلوك العلمي من طرف العلماء .

ذكر المؤرخ لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م) أنّ الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) كان : " غاصّ المنزل بالطلبة " (2) ؛ الذين كان يدرّسهم فيه ، وكان الفقيه أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) يدرّس في بيته بمدينة تونس (3) . كما قام الفقيه الأصولي أبو إسحاق إبراهيم المصمودي (ت805هـ/1403م) بالتدريس في بيته رغم أنه كان في غاية الضيق (4) ، وأقدم الفقيه أبو يحيى عبد الرحمان الشريف التلمساني (ت826هـ/1423م) باستقبال طلبته في البيت المعدّ للخطيب بالجامع الأعظم بتلمسان (5) . وبدوره قام الشيخ محمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1494م) باستقبال طلبته بمنزله الواقع بباب الحديد من داخل تلمسان (6) ، كما درّس الفقيه المفسّر أبو عبد الله ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م) بمنزله في مدينة تونس عندما نزل بها (7) .

وذكر الرحالة الأندلسي أبو الحسن علي القلصادي (ت891هـ/1486م) أنه عندما عاد إلى تلمسان بعد رحلة الحج سنة 854هـ/1450م ، أقام عند الشيخ الحافظ الحسن أبركان (ت868هـ/1464م) في بيته بضعة أشهر (8) ، كما سعى شيخه المحدث أبو العباس أحمد بن

(1) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج02 ، ص370 .

(2) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص52 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص165 .

(4) - برنامج المجاري : ص129 .

(5) - نفسه : ص133 .

(6) - ثبت البلوي : ص370 .

(7) - المقرّي : نفح الطيب ، ج05 ، ص425 .

(8) - رحلة القلصادي : ص160 ، 161 .

زاغو(ت845هـ/1441م) عندما استقر بتلمسان في المرّة الأولى ، لإيجاد مكان له ليستقرّ فيه فأنزله في منزل أحد أصدقائه (1) ، وقد كانت إقامته هذه إشارة إلى تخصيص علماء تلمسان بيوتهم في أداء وظيفتهم التعليمية وإيواء طلبتهم .

مما سبق تتبيّن لنا المرافق المختلفة التي استغلها علماء تلمسان في تدريسهم ، وهي مرافق لم تقتصر على ما هو معروف من مدارس ومساجد وكتاتيب ، بل سخّروا لذلك بيوتهم ، كما وجدوا في المجالس السلطانية مجالاً لنشر العلم وتدريسه . وما يجب الإشارة إليه أيضاً هو عدم اقتصار تدريسهم على موطنهم تلمسان فحسب ، ولكن جعلوا من استقرارهم في المغرب الأقصى ، والمغرب الأدنى – بدرجة أقل – فرصة وميداناً للقيام بالتدريس . ومن جهة أخرى درّس بعض العلماء في مدن المغرب الأوسط ؛ كما فعل الشيخ محمد بن إبراهيم الأبلي (ت757هـ/1356م) عندما درّس في بجاية شهراً بعد عودته من تونس (2) .

2 – النشاط التعليمي لعلماء تلمسان :

إنّ انتصاب علماء تلمسان للتدريس في أقطار المغرب وفي مرافق مختلفة ، يطرح أمام الدارس عدّة تساؤلات حول نشاطهم التعليمي ، فما هي المناهج التي اعتمدها في التدريس ؟ وما هي المواد المدرّسة ؟ ومن هم الطلبة الذين قاموا بتدريسهم ؟

2 – 1 – طريقة التدريس :

تباينت طرق التدريس التي اعتمدها علماء تلمسان باختلاف الأماكن التي درّسوا فيها ، فمجالس التعليم في المساجد والمدارس تختلف عنها في القصور والمجالس السلطانية . كان اجتماع الطلبة بمدرّسيهم يتمّ في حلقات ومجالس ، فمن خلال تكرار كلمة " مجلس " أو عبارة " حضرت مجلسه " (3) في كلام الطلبة عن مدرّسيهم ، نستخلص أنّ العالم كان يجلس على الأرض ويقوم بإلقاء درسه على تلاميذه الجالسين حوله ، وما يحملنا على القول أنّ تلك الدروس كان يفتش فيها المدرّس وطلّبه الأرض هو أنّ عدداً من تلك المجالس كانت تحتضنها المساجد – كما ذكرنا – وإن انتشرت الكراسي العلمية في المغرب الأقصى ، فالإلى

(1) - نفسه : ص 103 .

(2) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 38 .

(3) - انظر : - ثبت البلوي : ص 449 . - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 55 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 217 ، 221 .

جانبا أيضا كان هناك عدد من السواري التي يقصدها الطلاب للتخليق حول أساتذتهم خاصّة في جامع القرويين⁽¹⁾ ، وأدّى انتشار التخليق بالمساجد للإفتاء ومذاكرة العلم ، إلى سؤال العلماء عن ذلك⁽²⁾ ؛ ممّا يؤكد لنا ما ذكرناه من تحلق علماء تلمسان في إلقاء الدروس .

وما تجدر إليه الإشارة أيضا أنّ هذه المجالس ، وإن كانت في معظمها تتمّ جماعيا ؛ أي باجتماع عدد من الطلبة حول أساتذتهم ، فإنها أحيانا كانت فردية يختلّي فيها طالب واحد مع الأستاذ في المسجد أو البيت ، من ذلك ما ذكره الرحّالة أبو الحسن علي القلصادي(ت891هـ/1486م) في تتلمذه عن شيخه أبي العباس أحمد بن زاغو(ت845هـ/1441م) بقوله : "... لازمته وتردّدت إليه ... ولازمته مع الجماعة في المدرسة اليعقوبية ..."⁽³⁾ ، وكان تخصيص بعض العلماء بيوتهم للتدريس فيه احتمال كبير أن تكون تلك الدروس فردية ، خاصّة مع ضيق بيوت بعضهم⁽⁴⁾ .

واختلفت طريقة إلقاء تلك الدروس من طرف علماء تلمسان ، وكان يغلب عليها طريقة السماع ؛ بقيام الأستاذ بإلقاء درسه انطلاقا من قراءته الكتاب أو المتن أو الموضوع المدرّس ، مقابل الاستماع من طرف الطلبة ، فقد ذكر الفقيه أبو عبد الله المقرّي(ت758هـ/1357م) أنه " سمع على أبي موسى ابن الإمام كتاب مسلم "⁽⁵⁾ ، كما نقل لنا الرحّالة أبو الحسن القلصادي(ت891هـ/1486م) الطريقة التي أخذ بها عن شيخه الفقيه أبي الفضل قاسم بن سعيد العقباني(ت854هـ/1450م) عندما قال : "... فسمعت منه وأخذت عنه "⁽⁶⁾ . وذكر الفقيه أبو جعفر البلوي(ت938هـ/1532م) أنه سمع من لفظ شيخه الفقيه الأصوليّ أبي عبد الله بن مرزوق الكفيف⁽⁷⁾(ت901هـ/1496م) .

(1) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج2 ، ص382 .
(2) - وقد أفنى العلماء بجواز ذلك . انظر : - الوشّريسي : المعيار ، ج9 ، ص27 ، 28 .
(3) - رحلة القلصادي : ص103 ، 104 .
(4) - مثل بيت الشيخ أبي إسحاق إبراهيم المصمودي(ت805هـ/1403م) . انظر : - برنامج المجاري : ص129 ، ص133 ، 134 .
(5) - المقرّي : نفع الطيب ، ج5 ، ص222 .
(6) - رحلة القلصادي : ص107 .
(7) - ثبت البلوي : ص449 .

وكان الأستاذ يلجأ في بعض الأحيان إلى إعادة الدرس عدّة مرّات ، لترسيخه في عقول الطلبة وتأكيد الفهم ، فقد كان الأصوليّ أحمد بن زكري (ت899هـ/1494م) يكرّر المسألة الواحدة ثلاثة أيّام أو أربعة ، حتى يفهمها العام والخاص (1) .

ولم يكن الطلبة يكتفون بالسمّاع من الأساتذة ، فقد كانوا يلجأون إلى تقييد ما سمعوه عن شيوخهم ومدرّسيهم ، من ذلك ما ذكره الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري (كان حيّاً سنة791هـ/1388م) أنّ شيخه أبا عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) أملى عليهم في مجلس تدريسه من جوابه على إحدى المسائل الفقهية (2) . كما ذكر الفقيه أبو عبد الله الرصّاع (ت894هـ/1489م) أنه قام بتقييد ما قرأه على شيخه أبي عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) إملاءً منه عليه (3) .

كما كان الطلبة يقومون بالقراءة على شيوخهم (4) ، فقد ذكر الرّحالة أبو الحسن القاصديّ (ت891هـ/1486م) طريقة أخرى تتلمذ بها عن شيخه الفقيه ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م) بقوله : " قرأت عليه ... بعض كتابه في الفرائض ... " (5) . وصرّح الفقيه أبو عبد الله الرصّاع عن ذلك أثناء جلوسه في مجلس أستاذه سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) عندما قال : " و قرأت عليه بلفظي ... " (6) ، وقد تردّدت كلمة " قرأت " على ألسن الطلبة كثيراً (7) ؛ ممّا يجعل هذه الطريقة واسعة الاستعمال في التدريس من طرف علماء تلمسان .

وينهي الطالب دراسته عن شيخه وأستاذه بالحصول على الإجازة منه ، يسمح له بواسطتها أن يروي ما تعلّمه على يده ؛ ومن الطلبة الذين ذكرت المصادر إجازتهم من طرف علماء تلمسان :

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 41 .
(2) - الوثنريسي : المعيار ، ج09 ، ص 321 .
(3) - فهرست الرصّاع : ص 114 ، 115 .
(4) - القراءة هي من طرق تحمّل العلم ، وهي أن يقوم الطالب بتلاوة من كتاب أو تسميع ما فيه أمام الأستاذ ، وليس الغرض هو مجرد القراءة بل المقصود القراءة وما يتبعها من شرح وتفهم . انظر : - ثبت البلوي : ص 79 .
(5) - رحلة القاصدي : ص 96 .
(6) - فهرست الرصّاع : ص 114 .
(7) - انظر : - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص425 . - ثبت البلوي : ص 115-119 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 206 ، 165 ، 217 .

محمد بن أحمد بن غازي⁽¹⁾ (ت919هـ/1513م) : أجازة الفقيه الأصولي ابن مرزوق الكفيف⁽²⁾ (ت901هـ/1496م) ، والإمام القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزّي⁽³⁾ (ت741هـ/1340م) : أجازة الفقيه المفسّر ابن مرزوق الحفيد⁽⁴⁾ (ت842هـ/1439م) وأبو القاسم البرزلي⁽⁵⁾ (ت842هـ/1439م) : أجازة الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق⁽⁶⁾ (ت781هـ/1379م) ، والإمام القاضي أبو محمد بن محمد بن إبراهيم بن عقاب التونسي⁽⁷⁾ (ت851هـ/1447م) : أجازة الفقيه أبو عثمان سعيد العقباني⁽⁸⁾ (ت811هـ/1408م) والفقيه أبو جعفر البلوي (938هـ/1532م) : أجازة ابن مرزوق الكفيف⁽⁹⁾ (ت901هـ/1496م) ومحمد بن عبد الجليل التنسي⁽¹⁰⁾ (ت899هـ/1494م) ، وأحمد بن محمد بن زكري⁽¹¹⁾ (ت899هـ/1494م) ، والفقيه أبو عبد المجاري الأندلسي (ت862هـ/1458م) : أجازة الفقيه أبو الحسن عليّ بن الأشهب التلمساني⁽¹²⁾ (ت791هـ/1389م) ، والفقيه أبو العباس أحمد السلاوي التونسي⁽¹³⁾ (ت873هـ/1469م) : أجازة الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق⁽¹⁴⁾ (ت781هـ/1379م) .

ولم تكن مدة التدريس محدّدة ، فقد كانت مرتبطة بإكمال الطالب للعلوم التي هو بصدد تلقّيها عن شيخه ، ولإبراز ذلك نعرض قولين ، أحدهما للمؤرّخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) قال فيه : "... ولزمتُ مجلس شيخنا أبي عبد الله الأبلي ، وعكفت على

(1) - مصادر ترجمته : - ابن غازي (محمد بن أحمد) : التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال السكان والناد ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1403هـ/1983م ، ص 471 ، 472 . - عمر فروخ : المرجع السابق ، ج06 ، ص ص695 -

(2) - المقرّي : نفح الطيب ، ج05 ، ص 420 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص262 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص268

(3) - ولد سنة 693هـ/1264م بغرناطة ، وتوفي في معركة طريف سنة 741هـ/1340م . مصادر ترجمته : - ابن القاضي : درّة الحجال ، ج02 ، ص 117 ، 118 . - المقرّي : نفح الطيب ، ج05 ، ص ص514-517 . - عمر فروخ : المرجع السابق ، ج06 ، ص ص420 - 426 .

(4) - المقرّي : نفح الطيب ، ج05 ، ص 540 .

(5) - هو أبو القاسم بن أحمد البلوي القيرواني ، الشهير بالبرزلي . مصادر ترجمته : - ابن القاضي : درّة الحجال ، ج03 ، ص282 .

- ابن مريم : المصدر السابق ، ص ص150 - 152 .

(6) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص150 .

(7) - هو قاضي الجماعة بتونس وإمامها وخطيبها بجامع الأعظم . انظر ترجمته : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص246 .

(8) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 206 ، 207 . ص 250 .

(9) - ثبت البلوي : ص ص315 - 318 .

(10) - نفسه : ص ص418 - 421 .

(11) - نفسه : ص ص423 ، 424 .

(12) - برنامج المجاري : ص 125 .

(13) - ذكره الرصاع من ضمن شيوخه ، تقدّم في العربية والفقّه . مصادر ترجمته : - فهرست الرصاع : ص ص122-124 .

- السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج02 ، ص263 .

(14) - برنامج المجاري : ص 126 .

القراءة عليه ثلاث سنين ... " (1) . أمّا القول الثاني فهو للفقير أبي عبد الله بن العباس (ت871 هـ/1467م) قال فيه : " ... لازمتم مجلس الشيخ الفقيه العالم الشهير سيدي التنسي عشرة أعوام ... " (2) .

2 - 2 - المواد المدرّسة :

قام علماء تلمسان الذين تصدّروا للتدريس بتعليم العلوم التي أتقنوها وبرزوا فيها ، فبينما شارك عدد من العلماء في تدريس عدّة علوم ، اختصّ بعضهم في علم يقصده الطلبة من أجل قراءته عليه . ومن العلماء الذين تتوّعت العلوم في مجالس دروسهم ، الحفيد أبو عبد الله محمّد بن مرزوق (ت842هـ/1439م) الذي قال عنه أحد تلاميذه⁽³⁾ بأنه استفاد " من بحار علومه " (4) ، وسرد العلوم التي أخذها عنه⁽⁵⁾ . وأورد تلميذه الرحالة أبو الحسن علي القلصادي (ت891هـ/1486م) ما أخذه عليه⁽⁶⁾ ، والتي عكست - حسبه - توغّله في فنون العلم واستغراقه فيه⁽⁷⁾ .

ومن جهته كان مجلس العالم المدرّس محمّد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1494م) مشتملا على عدّة علوم كال تفسير والحديث والفقّه والعربية⁽⁸⁾ ، كما درّس الفقيه المفسّر محمّد ابن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) التوحيد والأصول والبيان والمنطق والحساب والفرائض والنحو⁽⁹⁾ .

وما يُظهر لنا غنى مجالس علماء تلمسان التعليمية وتتوّعها ، أنّهم وزّعوا العلوم التي يقومون بتدريسها على أيّام السنة ؛ فقد كان الفقيه الحافظ عبد الله بن محمّد الشريف التلمساني .

(1) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 55 .

(2) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 249 .

(3) - هذا التلميذ هو أبي الفرج ابن أبي يحيى الشريف التلمساني ، والذي لم يذكر المؤرّخ ابن مريم تاريخ وفاته .

انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 205 .

(4) - نفسه : ص 205 .

(5) - انظر : - نفسه : ص 205 ، 206 .

(6) - انظر : - رحلة القلصادي : ص 97 .

(7) - نفسه : ص 96 .

(8) - ابن مريم : البستان ، ص 249 .

(9) - نفسه : ص 277 .

(ت792هـ/1390م) يخصّص فصل الصيف لتدريس العلوم العقلية والبيان والعربية (1) ؛ كما ذكر الرحالة علي القلصادي(ت891هـ/1486م) في معرض حديثه عما أخذه عن شيخه الفقيه المدرّس أحمد بن زاغو(ت845هـ/1441م) : "... ولازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية للتفسير والحديث والفقه في أزمّة الشتاء ، والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في زمن الصيف ، ويوم الخميس والجمعة لقراءة التصوّف وتصحيح تأليفه " (2) .

في مقابل ذلك اشتهر بعض العلماء بتدريس علم واحد ، على غرار شيخ العلوم العقلية أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي(ت757هـ/1356م) ؛ الذي عكف على تعليم العلوم العقلية وبثها بين أهل المغرب ، حتى حذق فيها الكثير منهم (3) ، لكنه إلى جانب ذلك درّس علوما أخرى (4) .

وكانت كتب العلماء القدماء أو المعاصرين لعلماء تلمسان هي المصدر الأساسي الذي يعتمدون عليه في تدريسهم ، قراءة وشرحا وتقيحا . ومن الكتب التي اعتمدوا عليها حسب فروع العلم المختلفة :

– في علوم الحديث : صحيح البخاري(5) ، صحيح مسلم(6) ، الكافية لابن الصلاح(7) ، الشمائيل

-
- (1) - نفسه : ص 119 .
 - (2) - رحلة القلصادي : ص 104 .
 - (3) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 22 .
 - (4) - مثل أصول الفقه . انظر : - نفسه : ص 38 .
 - (5) - هو " الجامع الصحيح " المشهور بصحيح البخاري ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري(ت256هـ/870م) وهو أول الكتب الستة في الحديث وأصحها . انظر : - حاجي خليفة(مصطفى) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق وتعليق : محمد شرف الدين بالتقايا ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1360هـ/1941م ، ج 01 ، ص ص 541 - 555 .
 - (6) - ذكر تدريسه بالمغرب : - ثبت البلوي : ص 219 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 123 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 117 ، 150 ، 208 .
 - (7) - هو " الجامع الصحيح " المشهور بصحيح مسلم ، للإمام الحافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري الشافعي(ت261هـ/875م) ، وهو ثاني الكتب الستة ، وأصحها بعد صحيح البخاري . انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ص 555 - 558 .
 - (8) - ذكر تدريسه بالمغرب : - ثبت البلوي : ص 218 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 123 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 150 ، 251 .
 - (9) - هي مقدّمة في علم الحديث للحافظ الفقيه تقي الدين عثمان بن الصلاح(ت643هـ/1245م) ، جمع فيها ما انتهت إليه جهود العلماء الذين سبقوه من المشارقة والمغاربة . انظر :
- الذهبي(شمس الدين) : سير أعلام النبلاء ، ، تحقيق : بشار عواد ، معروف ومحبي هلال السرحان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1412هـ/1992 م ، ج 23 ، ص 142، 143 .
وذكر تدريسه بالمغرب : - المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 427 . - ثبت البلوي : ص 219 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 208 .

المحمدية للترمذي⁽¹⁾ ، أربعينيات النووي⁽²⁾ ، موطأ الإمام مالك⁽³⁾ ، التذكرة لعمر بن علي الأنصاري⁽⁴⁾ ، الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض⁽⁵⁾ .

— في الفقه : مدونة الشيخ سحنون⁽⁶⁾ ، مختصر أبي زيد⁽⁷⁾ و خليل⁽⁸⁾ للمدونة ، الموطأ⁽⁹⁾ ، مختصر ابن الحاجب الفرعي⁽¹⁰⁾ ، و الترغيب والترهيب للحافظ المنذري⁽¹¹⁾ .

— في أصول الفقه : مختصر ابن الحاجب في الأصول⁽¹²⁾ ، مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول للشريف أبي عبد الله التلمساني⁽¹³⁾ .

- (1) - هي " الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية " ، لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي (ت279هـ/892م) ، لها عدة شروح .
انظر : حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج02 ، ص 1059 ، 1060 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - ثبت البلوي : ص 219 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص258 .
- (2) - صنف الكثير من العلماء في الأربعينيات ، منهم : الإمام المحدث محي الدين يحي بن شرف النووي الشافعي (ت646هـ/1248م) ، وهي أربعون حديثاً وكل حديث فيه قاعدة عظيمة ، وصف العلماء هذا الكتاب بأن مدار الإسلام عليه . انظر : حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص59 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - المقرئ : فنج الطيب ، ج05 ، ص 425 .
(3) - جمع فيه الإمام مالك بن أنس الحميري المدين إمام دار الهجرة (ت179هـ/795م) صحيح الحديث ، وللعلماء عدة شروح عليه .
انظر : حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج02 ، ص 1907 ، 1908 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - المقرئ : فنج الطيب ، ج05 ، ص 425 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص253 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص117 .
- (4) - " التذكرة في علوم الحديث " لسراج الدين عمر بن الملقن الشافعي (ت804هـ/1402م) . انظر : حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص292 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - ثبت البلوي : ص 370 .
- (5) - صاحب الكتاب هو الإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى القاضي البحصبي (ت455هـ/1063م) ، وهو كتاب عظيم الفائدة ، عليه عدة شروح .
انظر : حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج02 ، ص 1052 - 1055 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 150 ، 258 .
- (6) - هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي ، ولد سنة 206هـ/821م ، وتوفي 240هـ/854م .
مصادر ترجمته : الدبّاع (أبو زيد عبد الرحمان) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تكملة وتعليق : أبو الفضل التنوخي ، تحقيق : محمد الأحمدى ، محمد الماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1972م ، ج02 ، ص 104-77 .
- التميمي (محمد بن أحمد) : طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ج03 ، ص 101 - 104 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - المقرئ : فنج الطيب ، ج05 ، ص 427 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص264 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص236 .
- (7) - للفقيه ، المتكلم ، الأديب ، القيرواني ، عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمان ، إمام المالكية في وقته ، الملقب بمالك الصغير (ت310-386هـ/922-996م) .
انظر : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص96 . - محمد النيفر : عنوان الأريب عمّا نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب ، تذييل واستدراك : علي النيفر ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1996م ، ج01 ، ص 34 .
- محمد محفوظ : تراجم المؤلفين التونسيين ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982م ، ج01 ، ص 443 - 444 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 148 .
- (8) - هو " مختصر المدونة " لخليل بن إسحاق المالكي ، توفي 776 هـ / 1374 م . انظر : - محمد حجي : موسوعة أعلام المغرب ، تنسيق وتحقيق : محمد حجي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1417 هـ / 1996 م ، ج02 ، ص685 . انظر أيضا : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج02 ، ص 1628 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 148 .
- (9) - يعتبر كتاب الموطأ أيضاً كتاباً فقهياً . انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج02 ، ص1907 .
ذكر تدريسه بالمغرب : ابن مرزوق : المجموع ، ط19 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص253 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص117 .
- (10) - هو مختصر فقهي ، للفقيه المالكي عثمان بن عمر بن جمال الدين المصري ، المعروف بابن الحاجب (ت646هـ/1248م) .
انظر : - المقرئ : فنج الطيب ، ج05 ، ص 420 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص119 ، 208 ، 251 .
- (11) - هو كتاب في الحديث في مجلدين ، للشيخ الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري (ت656هـ/1258م) .
انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص 400 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - ثبت البلوي : ص 219 .
- (12) - هو مختصر في أصول الفقهه ، يسمّى " أصلي ابن الحاجب " .
انظر : - ابن خلدون ، العبر ، ج01 ، ص 102 . - المقرئ : فنج الطيب ، ج05 ، ص 291 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - المقرئ : فنج الطيب ، ج05 ، ص 427 . - برنامج المجاري : ص 145 . - ابن مريم : البستان ، ص 203 ، 217 ، 222 ، 251 .
- (13) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 222 .

- في علوم اللغة العربية : الألفية⁽¹⁾ والتسهيل لابن مالك⁽²⁾ ، جُمَل الزجّاجي⁽³⁾ ، إعراب القرآن⁽⁴⁾ ، وإيضاح الفارسي في النحو⁽⁵⁾ .
- في التصوّف : منهاج⁽⁶⁾ ومستصفى الغزالي⁽⁷⁾ ، رسالة القشيري⁽⁸⁾ ، رسالة الهروي⁽⁹⁾ .
- في المنطق : جُمَل الخونجي⁽¹⁰⁾ ، تلخيص كتاب أرسطو لابن رُشد⁽¹¹⁾ ، كتاب الإشارات⁽¹²⁾ والشفاء لابن سينا⁽¹³⁾ .

- (1) - الألفية في النحو للشيخ جمال الدين أبي عبد الله الطائي الجبّاني المعروف بابن مالك (ت672هـ/1274م) جمع فيها مقاصد العربية ، وسَمّاها الخلاصة وإنما اشتهر بالألفية لأنها ألف بيت في الرجز . انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص 151 - 155 .
ذكر تدريسها بالمغرب : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 222 ، 264 .
- (2) - هو " تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد " لابن مالك (ت672هـ/1274م) أيضا ، وهو كتاب جامع لمسائل النحو .
انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص 405 - 407 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - المقري : نفع الطيب ، ج05 ، ص 427 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 222 .
- (3) - هي جمل في النحو للشيخ أبي القاسم عبد الرحمان أبي إسحاق الزجّاجي النحوي (ت950هـ/950م) وعليه عدة شروح .
انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص 603 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 222 .
- (4) - هو من علوم النحو ، وألف فيه جماعة من العلماء ، منهم الشيخ الإمام مكي بن أبي طالب القيسي النحوي (ت437هـ/1046م) ، وأبو الحسن إبراهيم الحوفي النحوي (ت562هـ/1167م) ، وأبو البقاء عبد الله العكبري (ت616هـ/1219م) وغيرهم . ولم تذكر لنا المصادر من كان من بين هؤلاء كتابه يدرّس من طرف علماء تلمسان . انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص 121 ، 122 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 208 .
- (5) - الإيضاح في النحو للشيخ أبي علي حسن بن أحمد الفارسي النحوي (ت377هـ/987م) ، مشتمل على النحو والتصريف .
انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص 211 - 213 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - المقري : نفع الطيب ، ج05 ، ص 427 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 208 .
- (6) - هو " منهاج العابدين " للإمام حجّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت505هـ/1111م) .
انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج02 ، ص 1876 ، 1877 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - المقري : نفع الطيب ، ج05 ، ص 427 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 208 .
- (7) - هو " المستصفى في أصول الفقه " ، لحجة الإسلام الغزالي (ت505هـ/1111م) . انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج02 ، ص 1673 .
انظر أيضا : - باشا إسماعيل : المصدر السابق ، ج02 ، ص 477 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 203 .
- (8) - هي " الرسالة القشيرية في التصوّف " للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي (ت465هـ/1073م) .
انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص 882 ، 883 .
ذكر تدريسها بالمغرب : - ابن مرزوق : المجموع ، ج19 ، ص 44ظ .
- (9) - هي "كتاب المناقب " لأبي سعيد إبراهيم بن شعيب ، نزيل نيسابور ، ثم سافر إلى مكة ومات بها ، كان فقيها محدثا ، توفي سنة 163هـ/780م .
انظر : - إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1951م ، ج1 ، ص 01 .
ذكر تدريسها بالمغرب : - ابن مرزوق : المجموع ، ص 44ظ .
- (10) - هي " الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق " لأفضل الدين محمد بن عبد الملك الخونجي الشافعي (ت624هـ/1227م) ، ذكر فيه أنّ " هذه جمل تنضبط بها قواعد المنطق وأحكامه " . انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص 602 .
ذكر تدريسها بالمغرب : - برنامج المجاري ، ص 145 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 251 .
- (11) - لابن رُشد عدة شروح على كتب أرسطو في المنطق ، من بينها تلخيص كتاب العبارة . انظر :
- ابن رشد (أبو الوليد) : تلخيص كتاب العبارة ، تحقيق : محمود قاسم ، مراجعة : تشارلز بنزروت ، أحمد عبد المجيد هريدي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، 1981 م .
وذكر تدريسه بالمغرب : - رحلة القلصادي : ص 63 .
- (12) - " الإشارات والتنبيهات في المنطق والحكمة " ، للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله ، الشهير بابن سينا (ت428هـ/1037م) ، صغير الحجم كثير العلم مستصعب الفهم . انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج01 ، ص 94 ، 95 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - رحلة القلصادي ، ص 63 .
- (13) - هو كتاب في المنطق ، في ثمانية عشر مجلداً . انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج02 ، ص 1055 .
ذكر تدريسه بالمغرب : - رحلة القلصادي ، ص 63 .

— في العلوم الطبيعية : الحوفي في الفرائض⁽¹⁾ ، الياسمينية في الجبر و المقابلة⁽²⁾ ، كتاب بغية الطلاب في علم الإسطرلاب⁽³⁾ لمحمد بن أحمد الحباك التلمساني (ت867هـ/1463م) ، التلخيص⁽⁴⁾ لابن البناء المراكشي⁽⁵⁾ (ت721هـ/1321م) .

2 - 3 - مكانة علماء تلمسان في التدريس:

إن قيام علماء تلمسان بالتدريس في بلاد المغرب ، يجعلنا نتساءل عن المكانة التي حظوا بها نتيجة قيامهم بذلك ، وللتعرف على ذلك نقوم بتتبع ما وصفت المصادر التاريخية أعمالهم في مجال التدريس ، إضافة إلى التعرف على الطلبة الذين تتلمذوا على أيديهم ، ولإدراك ذلك نقوم بإجمالها في الجدول التالي :

طلبته		دوره في التدريس	اسم العالم
من خارج تلمسان	من تلمسان		
لسان الدين بن الخطيب ، ابن زمرك ، عبد الرحمان ابن خلدون ، أبو إسحاق الشاطبي ، ابن جزي ⁽⁷⁾		"مكبب على النظر والدرس والقراءة ... عاد إلى بلده فأقرأ به ..." ⁽⁶⁾	أبو عبد الله المقرّي التلمساني
	أبو العباس بن مرزوق ، الخطيب ابن مرزوق ، أبو عبد الله المقرّي ⁽⁹⁾	"... ذا مواظب حسنة وتدرّس للعلم ... " ⁽⁸⁾	أبو محمد المجاصي

(1) - كتاب في الفرائض لأبي القاسم أحمد بن محمد بن خلف الحوفي الكلاعي ، توفي سنة 585هـ / 1189م ، وقيل سنة 588هـ / 1193م ، له اليد

الطولي في الفرائض . وذكر الرصاع تدرّسه من طرف علماء تلمسان . انظر : - فهرست الرصاع ، ص 153 .

(2) - أرجوزة في الجبر والمقابلة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن حجاج ، المعروف بابن الياسمين ، من أهل مراكش ، وممن تميّزوا في الحساب ، توفي ذبيحاً بمنزله بمراكش سنة 601هـ/1204م ن وقيل في آخر سنة 600هـ/1204م .

انظر : - ثبت البلوي : ص 442 . - فهرست الرصاع : ص 118 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 219 .

(4) - هو " تلخيص أعمال الحساب ، وهو على ضربين الأول في المعلوم ، والثاني في المجهول . انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 472

(5) - هو أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي ، المعروف بابن البناء ، من أبرز علماء الجبر والهندسة ، ولتبرّزه في علم العدد عرف بالعدي ، توفي سنة 721هـ / 1321م ، وقيل سنة 723هـ/1323م . مصادر ترجمته : - الناصري : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 88 .

- فهرست الرصاع : ص 116، 117 . - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ج 01 ، ص 279 .

(6) - المقرّي : فتح الطيب ، ج 05 ، ص 208 .

(7) - انظر : - نفسه : ج 05 ، ص 458 ، ص 340، 341 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 198 . - محمد المخولف : المرجع السابق ، ص ص 230 - 232 ، ص 238 ، ص 247 .

(8) - يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 33 .

(9) - انظر : - نفسه : ج 01 ، ص 50 . - ابن مرزوق : المجموع ، و 19 ، و 48 . - المقرّي : أزهار الرياض ، ج 05 ، ص ص 41 - 44 .

أبو عبد الله بن عبد النور	"... من الفقهاء المدرّسين ... " (1) أبو العباس المديوني ، أبو عبد الله المقرّي (2)
أبو عبد الله التميمي	" مليح المحاضرة منصف في المناظرة " (3) أبو العباس بن مرزوق أبو عبد الله المقرّي (4)
محمد بن إبراهيم الأبلّي	" اجتمع عليه طلبية العلم فكثرت إفادته واستفادته...وانثال عليه طلبية العلم ... " (5) إبراهيم المصمودي ، أبو عبد الله الشريف ، سعيد العقباني، محمد المقرّي (6)
أبو عبد الله ابن النجار	" انتفع به جماعة من الطلبة ، فكل ساد وظهر له عليه مشيخة ... " (8) ابن الفحّام ، أبو عبد الله الشريف ، محمد المقرّي الخطيب ابن مرزوق (9)
أبو زيد عيسى ابن الإمام	" لا ينقطع مجلس من مجالس تدريسه إلا ويقضي العجب... " (11) أبو العباس بن مرزوق، سعيد العقباني ، أبو عبد الله الشريف ، محمد المقرّي ، ابن مرزوق الخطيب ، أبو عبد الله اليحصبي ، محمد الأبلّي محمد بن عبد النور (13)
أبو موسى بن الإمام	"... أعجب خلق الله في حسن الإلقاء والتقدير " (12)

(1) - يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 48 .

(2) - المقرّي : أزهار الرياض ، ج 05 ، ص 50 .

(3) - ابن مرزوق : المجموع ، ظ 19 .

(4) - انظر : - نفسه : ظ 19 . - المقرّي : أزهار الرياض ، ج 05 ، ص 49 .

(5) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 192 . - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 22 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 217 .

(6) - انظر : - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 202 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 03 ، ص 298 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 248 .

(7) - انظر : - فهرست الرصاع : ص 90 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 190 ، 245 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 128 .

- محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 238 ، 251 ، 258 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 190 ، 219 .

(8) - ابن مرزوق : المجموع ، و 17 .

(9) - انظر : - نفسه : و 17 . - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 236 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 155 .

(10) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 03 ، ص 229 ، 230 .

(11) - ابن مرزوق : المسند ، ص 266 .

(12) - نفسه : ص 266 .

(13) - انظر : - ابن مرزوق ، و 19 . - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 201 . - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 215 . - ثبت البلوي : ص 265 .

- التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 59 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 27، 106، 126، 155، 164، 190 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 234 .

(14) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 189 ، 190 .

	أبو العباس بن مرزوق الخطيب ابن مرزوق ⁽¹⁾		أبو زكرياء يحي ابن عصفور
الرحالة العبدري ، الحسن ابن بشر البلوي ، عبد المهيمن الحضرمي ⁽³⁾		"... قعد لإقراء العربية بحضرة غرناطة " ⁽²⁾	أبو عبد الله ابن خميس
	أبو العباس بن مرزوق محمد المقرّي ، الخطيب ابن مرزوق ⁽⁴⁾		أبو عبد الله ابن هدية
وفد عليه من الأندلس خاتمة أهل الآداب أبو بكر ابن داود بن الخطاب ⁽⁷⁾	أخذ عنه الطلبة من تلمسان عند زيارته لها ، وبعد استقراره بها ⁽⁶⁾	" كان يجتمع إليه فقهاء تلمسان يأخذون عنه العلم " ⁽⁵⁾	أبو إسحاق التنسي
	أبو العباس بن مرزوق محمد الأيلي ، أبو عبد الله ابن هدية ⁽⁹⁾	أجلسه أخوه أبو إسحاق في موضعه للتدريس بعدما كان يجلس إلى جانبه ويحضر تدريسه ⁽⁸⁾	أبو الحسن التنسي
	أبو عبد الله المقرّي ⁽¹⁰⁾		أبو العباس بن مرزوق وأخوه أبو عبد الله محمد بن مرزوق

- (1) - انظر : - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 395 . - ابن مرزوق : المجموع ، و 10 .
(2) - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 359 ، 360 .
(3) - انظر : - عبد الوهاب بن منصور : المرجع السابق ، ص 36 ، 37 .
(4) - انظر : - ابن مرزوق : المجموع ، و 11 . - المقرّي : أزهار الرياض ، ج 05 ، ص 48 ، 49 .
(5) - التنسي : المصدر السابق ، ص 126 .
(6) - نفسه : ص 126 ، 127 . انظر أيضا : - ابن مرزوق : المجموع ، و 43 .
(7) - التنسي : نفسه ، ص 127 ، 128 .
(8) - ابن مرزوق : المجموع ، ط 44 .
(9) - انظر : - نفسه : ط 44 ، 45 ، 47 . - ابن مرزوق : المسند ، ص 266 . - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 244 .
(10) - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 242 .

أبو عبد الله بن مرزوق	غاص المنزل بالطلبة ⁽¹⁾ ، درّس في مجلس السلطان أبي عنان ⁽²⁾ ، ودرّس بتلمسان طلبة البوادي ⁽³⁾ .	عبد الله الشريف ، ابن مرزوق الحفيد ⁽⁴⁾ .	ابن الخطيب ، البرزلي ، ابن زمرك ، الشاطبي ، الرصّاع ، وغيرهم ⁽⁵⁾
أبو عبد الله الشريف التلمساني	" انتصب لتدريس العلم وبثه ، إلى أن هلك سنة إحدى وسبعين " ⁽⁶⁾ .	الخطيب ابن مرزوق ، إبراهيم المصمودي ، محمد بن يوسف الثعري ابن مرزوق الحفيد ⁽⁷⁾	ابن زمرك ، عبد الرحمان ابن خلدون ، الشاطبي ، ابن السكاك ⁽⁸⁾
عبد الله بن أحمد الشريف التلمساني	"...لم يكن في المغرب أكثر إجتهدا منه في الإقراء وانتفاع الطلبة ، وارتحلوا إليه من الآفاق " ⁽⁹⁾ .	أبو يحيى عبد الرحمان الشريف ⁽¹⁰⁾	أبو العباس أحمد البجائي ، وأخذ عنه جماعة من الأندلسيين عند انتقاله إليها ⁽¹¹⁾
أبو إسحاق المصمودي	" المدرّس " ⁽¹²⁾ .	سعيد العقباني ، الحسن أبركان ، ابن مرزوق الحفيد ⁽¹³⁾	أبو عبد الله المجاري ⁽¹⁴⁾

(1) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص 52 .

(2) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 52 .

(3) - ابن مرزوق : المجموع ، و43 .

(4) - انظر : - المقرّي : فنج الطيب ، ج05 ، ص574 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 117 .

(5) - انظر : - المقرّي : فنج الطيب ، ج05 ، ص458 ، 459 ، ص200 ، 390 . - فهرست الرصّاع : ص 31 ، 90 ، 126 ، 189 . - ابن القاضي :

جدوة الإقتباس ، ص198 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص 45 ، 202 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص231 ، 236 ، 243 ، 247 .

(6) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 63 ، 64 .

(7) - انظر : - المقرّي : فنج الطيب ، ج05 ، ص395 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص152 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص234 .

- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 166 .

(8) - انظر : - فهرست الرصّاع : ص207 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص207 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 166 .

(9) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 119 .

(10) - انظر : - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 184 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 128 .

(11) - انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 128 .

(12) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص 42 .

(13) - انظر : - برنامج المجاري : ص133 . - ابن سعد : روضة النسرین ، ص126 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص 42 .

- محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 262 .

(14) - برنامج المجاري : ص 132 ، 133 .

أخذ عنه أهل فاس وانتفعوا به ، كما أخذ عنه جماعة من مكناسة (2)		درّس بمدرسة أبي عنان وعرضت عليه رئاسة درس الفقه بمدرسة العطارين (1) .	محمد بن عمر الفنوح
أبو زيد الجاديري ، أبو عبد الله القيسي ، أبو عبد الله المجاري (5)	أبو العباس بن زاغو (4)	أقرأ بمدينة فاس بحضرة سلطانها وفقهائها (3) .	أبو يحيى عبد الرحمان الشريف
أبو الحسن القلصادي ، أبو الحسن علي البلوي (7)		درّس الأصول والنحو (6)	أبو عبد الله أحمد الشريف
أبو الحسن القلصادي ، عبد الرحمان الثعالبي ، ابن جزى ، الورياجلي وغيرهم (10)	محمد التنسي ، أحمد بن زكري ، ابن مرزوق الكفيف (9)	المدرّس ، درّس في المدرسة اليعقوبية (8) .	أبو العباس بن زاغو
أبو الحسن القلصادي ، الورياجلي ، ابن جزى ، المجاري ، الثعالبي ، وغيرهم (13)	الحسن أبركان ، أحمد بن زكري ، ابن مرزوق الكفيف ، محمد التنسي السنوسي ، وغيرهم (12)	" الأستاذ المقرئ " (11)	أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد

- (1) - ابن غازي : الروض الهتون ، ص 58 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 170 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 264 .
- (2) - انظر أيضا : - ابن غازي : نفسه ، ص 58 - 60 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 251 .
- (3) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 277 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 129 .
- (4) - انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 129 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 277 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 254 .
- (5) - انظر : - برنامج المجاري : ص 134 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 277 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 129 .
- (6) - رحلة القلصادي : ص 100 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 222 .
- (7) - رحلة القلصادي : ص 99 ، 100 . انظر أيضا : - ثبت البلوي : ص 189 .
- (8) - رحلة القلصادي : ص 102 - 104 .
- (9) - انظر : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 122 - 136 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 254 ، 267 .
- (10) - انظر : - المقرئ : نفح الطيب ، ج 02 ، ص 692 . - رحلة القلصادي : ص 102 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 03 ، ص 252 . - ثبت البلوي : ص 105 ، 313 ، 425 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 254 ، 261 ، 263 ، 265 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 122 . / كفاية المحتاج ، ص 426 .
- (11) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 201 .
- (12) - انظر : - رحلة القلصادي : ص 96-99 . - ثبت البلوي : ص 415 ، 439 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 245 .
- (13) - انظر : - رحلة القلصادي : ص 96-99 . - ثبت البلوي : ص 415 ، 439 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 245 . / درة الحجال : ج 03 ، ص 84 ، 252 . - المقرئ : نفح الطيب ، ج 02 ، ص 692 ، 695 . ج 05 ، ص 425 ، 427 . - برنامج المجاري : ص 135 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 45 ، ج 02 ، ص 179 . / كفاية المحتاج ، ص 426 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 246 ، 248 ، 253 ، 259 ، 261 ، 262 ، 263 ، 265 ، 266 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 143 .

أبو عبد الله محمد ابن النجار	درّس الفقه والأصول والتفسير (1) . محمد التنسي ، ابن مرزوق الكفيف (2)	أبو الحسن القلصادي ، أبو القاسم المشدالي (3)
أبو الفضل قاسم العقباني	"... عكف على تعليم العلوم ، وعطف على تدريس المعدوم منها والتعليم" (4) .	القلصادي ، الرصاع ، أبو زكرياء المازوني ، أبو عبد الله الغرناطي (6)
محمد بن العباس التلمساني	أحمد الونشريسي ، ابن مرزوق الكفيف ، السنوسي ، محمد التنسي ابن زكري ، وغيرهم (7)	الحسن القلصادي ، أبو زكرياء المازوني (8)
أبو عبد الله الجلاب	أحمد الونشريسي ، محمد السنوسي (9)	
أبو سالم إبراهيم العقباني	أحمد الونشريسي (10)	
محمد بن أحمد ابن قاسم العقباني	أحمد الونشريسي (11)	

(1) - رحلة القلصادي : ص 102 .

(2) - انظر : - ثبت البلوي : ص 312 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 267 .

(3) - انظر : - رحلة القلصادي ، ص 102 . - التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 426 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 255 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 143 ، 222 .

(4) - رحلة القلصادي ، ص 102 .

(5) - انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 53 ، 147 . - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 419 . - ثبت البلوي : ص 312 ، 415 ، 425 .
التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 136 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 255 ، 264 ، 267 ، 268 ، 275 .

(6) - انظر : - المقرّي : نفع الطيب ، ج 02 ، ص 692 ، 694 ، 695 . - فهرست الرصاع : ص 42 . - رحلة القلصادي : ص 106 ، 107 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 82 ، 147 . التنبكتي : كفاية المحتاج ، ص 426 ، 442 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 248-265 .

(7) - انظر : - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 419 . - ثبت البلوي : ص 439 ، 448 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 03 ، ص 336 .
- التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 136 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 255 ، 264 ، 267 ، 268 ، 275 .

- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 53 ، 223 .

(8) - انظر : - رحلة القلصادي : ص 109 . - ابن مخلوف : المصدر السابق ، ص 265 .

(9) - انظر : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 238 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 264 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 53 ، 236 .

(10) - انظر : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 265 ، 275 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 53 .

(11) - انظر : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 275 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 53 .

أبو الحسن القلصادي ، أبو القاسم المشدالي ، نصر الزواوي ، ابن عبد الواحد الورياجلي ، أبو عبد الله الراعي الغرناطي (2)	محمد التنسي ، ابن مرزوق الكفيف (1)		أبو الفضل بن الإمام
نصر الزواوي (4)	أبو الحسن علي التالوتي ، محمد السنوسي (3)		الحسن أبركان
أحمد بن زروق الفاسي (6)	محمد السنوسي (5)		محمد الحباك
	إبراهيم بن الإمام ، أحمد ابن زاغو ، ابن مرزوق الحفيد (7)		أبو يحيى عبد الرحمان بن الإمام
أبو زكرياء المازوني (8)			أبو عبد الله حمّو الشريف
أحمد زروق ، أبو جعفر البلوي ، أبو العباس أحمد ابن الحاج (11)	أحمد بن محمد بن مرزوق ، محمد بن العباس ، ابن سعد (10)	" ... مشتغلا بالعلم والتدريس... انتفع به المسلمون كلهم " (9) .	أحمد بن زكري

- (1) - انظر : - ثبت البلوي : ص 306 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 200 ، 221 .
(2) - انظر : - المقري : نفع الطيب ، ج 02 ، ص 694 ، 695 . - رحلة القلصادي : ص 108 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 245 .
- التنبكي : كفاية المحتاج ، ص 426 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 263 .
(3) - انظر : - ثبت البلوي : ص 439 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 266 .
(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 83 .
(5) - انظر : - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 226 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 219 .
(6) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 64 .
(7) - محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص 251 .
(8) - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 165 .
(9) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 41 .
(10) - انظر : - نفسه : ص 52 . - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 137 ، 146 ، ج 02 ، ص 275 . - ثبت البلوي : ص 415 ، 448 .
- محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 276-275 .
(11) - انظر : - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 64 . - التنبكي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 137 ، - ثبت البلوي : ص 418 .
- محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 267، 277 .

محمد بن يوسف السنوسي	" مجلسه غاصّ بالمستفيدين من طلبية العلم " (1) . وقال : " إنّما يجب بث العلم لمن سأله ... " (2) .	محمد بن العباس ، ابن سعد ، أحمد بن محمد ابن مرزوق ، أبو عبد الله المغيلي ، وغيرهم (3)	أبو القاسم الزواوي ، أحمد زروق ، أبو جعفر البلوي ، ابن داود الأندلسي ، وغيرهم (4)
محمد بن عبد الجليل التنسي		محمد بن العباس ، ابن سعد ، أحمد بن محمد ابن مرزوق (5)	أبو القاسم الزواوي ، ابن داود الأندلسي ، أبو جعفر البلوي ، أحمد زروق (6)
ابن مرزوق الكفيف	" كان في مجلسه بحرًا في كل علم لا ساحل له " (7) .	أحمد الونشريسي ، محمد بن العباس ، أحمد ابن محمد بن مرزوق ، أحمد بن زكري ، محمد السنوسي (8)	أبو جعفر البلوي ، ابن غازي ، نصر الزواوي ، محمد بن أبي القاسم المشدالي ، ابن غازي (9)
ابن سعد التلمساني		محمد بن العباس ، محمد التنسي ، محمد السنوسي (10)	أبو جعفر البلوي (11)

- (1) - ثبت البلوي : ص 436 .
(2) - السنوسي : كتاب عمدة أهل التوفيق والتسديد ، و 05 .
(3) - انظر : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 146 . ج 02 ، ص 275 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 264 ، 274 ، 275 ، 276 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 247 .
(4) - انظر : - ثبت البلوي : ص 449 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 267 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 64 ، 81 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 247 ، 248 .
(5) - انظر : - ثبت البلوي : ص 415 ، 448 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 146 . ج 02 ، ص 275 .
- محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 276 .
(6) - انظر : - ثبت البلوي : ص 318 ، 319 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 267 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 64 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 249 .
(7) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 82 .
(8) - انظر : - نفسه : ص 53 ، 251 . - المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 419 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 136 . ج 02 ، ص 275 .
(9) - انظر : - ثبت البلوي : ص 218 - 254 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 81 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 263 ، 268 ، 277 .
- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 82 .
(10) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 252 .
(11) - ثبت البلوي : ص 414 - 417 .

محمد بن عبد الجبار الفجيجي ، وآخرين (1)		محمد بن عبد الكريم المغيلي
أبو زكرياء السوسي ، وآخرين (3)	قدّم للتدريس في بعض مدارس فاس سنة 876هـ / (2) 1472م .	أبو العباس أحمد الونشريسي

من خلال استعراضنا لنشاط علماء تلمسان التعليمي ، ودور كل واحد منهم في التدريس والطلبة الذين تتلمذوا عليهم ، يتبين لنا الدور الكبير الذي قام به علماء تلمسان على الصعيد التعليمي ؛ فمن مجموع ثمانية وستين عالما تلمسانيا⁽⁴⁾ عاشوا في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) ، مارس ثلاثة وأربعون منهم التدريس في تلمسان وفي المدن المغربية الأخرى ؛ أي بنسبة 63 % .

وأدى النشاط التعليمي لعلماء تلمسان إلى ملازمة عدد كبير من الطلبة لهم ولمجالسهم ، وامتدت ملازمتهم لهم أحيانا لسنوات ، كما هو الحال مع الفقيه النحوي أبي عبد الله محمد بن العباس (ت 871هـ / 1467م) ؛ الذي لازم مجلس أستاذه الفقيه محمد بن عبد الجليل التنسي (ت 899هـ / 1494م) عشرة أعوام⁽⁵⁾ . ولم يقتصر طلبتهم على أبناء موطنهم تلمسان ، فقد قصدهم الطلبة من مختلف أنحاء بلاد المغرب ؛ فأحصينا ثلاثين مدرّسا⁽⁶⁾ كان له طلبة من خارج تلمسان ؛ أي ما نسبته 70 % من مجموع المدرّسين .

وتظهر لنا مكانة علماء تلمسان في التعليم – أيضا – من خلال ثناء طلبتهم عليهم والإشادة بمجهوداتهم العلمية في مجالسهم ؛ من ذلك ما أتى به الفقيه أبو العباس أحمد البجائي (ت بعد 760هـ / 1359م) على شيخه الفقيه الحافظ عبد الله بن محمد الشريف التلمساني (ت 792هـ / 1390م) بأنه لم يشف غليله في العلم إلا عنده ، وقال : " لا يوجد اليوم

(1) - كان له طلبة بالسودان وتوات . انظر : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 256 .

(2) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 248 .

(3) - انظر : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 275 .

(4) - انظر : الملحق رقم 09 ، ص 261 من الدراسة .

(5) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 249 .

(6) - انظر الجدول السابق : ص 208 - 216 .

من يريد الرحلة عن هذا البلد مثل شيخنا أبي محمد في غزارة العلم وسهولة الإلقاء ... " (1) .
كما نقل لنا المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) إقبال طلبة مدينة تونس على
مجلس شيخ العلوم العقلية محمد بن إبراهيم الأبلي (ت757هـ/1356م) عندما زارها ، بقوله :
" ... وأقام الشيخ بتونس نحن وأهل بلدنا نتساجلُ في غشيان مجلسه والأخذ عنه " (2) .

وأبان لنا الرحالة الأندلسي أبو الحسن القلصادي (ت891هـ/1486م) عن منزلة
المجالس التعليمية لعلماء تلمسان ؛ فقد صرح بأنه كان يجد في مجالس شيخه الفقيه الإمام أبي
العبّاس أحمد بن زاغو (ت845هـ/1441م) " فوائد تنسي الأوطان " (3) . ومن جهته تأسف
الفقيه أبو جعفر أحمد البلوي (ت938هـ/1532م) على عدم تمكنه من الأخذ والقراءة عن شيخه
أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) ، بقوله : " ولم تقدّر لي القراءة
عليه ، مع رغبتني في ذلك وحرصني عليه ، لاستغراق طلبته أوقات قعوده " (4) .

ثالثا : مشاركة علماء تلمسان في الحياة العلمية :

شارك علماء تلمسان في الحياة العلمية في بلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع
الهجريين (14 و 15م) ، فإلى جانب مشاركتهم بالتدريس وبتّ العلم ، كان لهم وجود وإضافات
علمية من خلال مجالات علمية أخرى .

01 – المناظرات والمناقشات العلمية :

شارك عددٌ من علماء تلمسان في المناقشات العلمية التي جرت في موطنهم تلمسان وفي
مدن المغرب الأخرى ، والتي احتضنتها مجالسهم العلمية في المساجد والمدارس وقصور
السلطين ، كما كانت هذه المناقشات تتمّ عن طريق الرسائل بين علماء تلمسان فيما بينهم ، أو
مع علماء بلاد المغرب الآخرين .

نقل لنا الفقيه أبو عبد الله المقرّي (ت758هـ/1357م) إحدى المناقشات العلمية التي
كانت في مجلس السلطان الزياني أبي تاشفين عبد الرحمان بن أبي حمّو ، جرت بين الفقيهين

(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 119 ، 120 .

(2) - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ، ص 37 .

(3) - رحلة القلصادي : ص 103 .

(4) - ثبت البلوي : ص 437 .

أبي زيد بن الإمام (ت743هـ/1342م) وأبي موسى عمران بن موسى المشذالي⁽¹⁾ (ت745هـ/1344م) ، اختلفا فيها حول العالم الفقيه أبي عبد الله ابن القاسم⁽²⁾ (ت191هـ/807م) - تلميذ مالك بن أنس - فذهب ابن الإمام إلى القول بأنه مقلد مُقَيّد النظر بأصول مالك ، في حين ذهب الثاني إلى أنّه مطلق الاجتهاد ، وفي خضم المناقشة الحادّة بينهما وسوق كل طرف لأدلّته⁽³⁾ ، تدخّل في النقاش الفقيه أبو موسى ابن الإمام⁽⁴⁾ (ت749هـ/1348م) .

وكان المقرّي الجدّ - نفسه - مشاركاً في المناقشات العلمية التي يحضرها ، فقد ذكر أنّه عندما رحل إلى تونس وحضر درس فقيها وقاضي الجماعة بها أبا عبد الله ابن عبد السلام⁽⁵⁾ (ت749هـ/1348م) أكثر مباحثته⁽⁶⁾ ، ودلّت هذه المباحثات على الباع العلمي للمقرّي ممّا مكّنه من مراجعة أستاذه . كما قام الفقيه الأصولي أبو عبد الله الشريف (ت771هـ/1370م) بالاجتماع بهذا الأخير ومعارضته في إحدى المسائل ، أدّت بوقوع مذكرات علمية بينهما⁽⁷⁾ ، وقد قام الفقيه أبو عبد الله محمد بن لبّ الأندلسي⁽⁸⁾ (ت725هـ/1325م) بمراجعة الشريف التلمساني في بعض المسائل ؛ إلا أنّه اعترف له بفضلته⁽⁹⁾ .

وذكر الفقيه المحدث الحافظ ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م) مشاركته في تلك المناقشات عند نزوله بتونس ، فقال : "... حضرت مجلس شيخنا ثخبة الزمان ابن عرفة...أول

(1) - ولد سنة 670هـ/1272م ، له رسالة في اتخاذ الركاب من خاص الفضة وفتاوى كثيرة نقل الكثير منها الونشريسي في معياره .

انظر ترجمته : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص220 .

(2) - هو أبو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم ، لازم مالك بن أنس وطالت صحبته له ، حتى صار أثبت الناس في علم مالك . انظر ترجمته :

- ابن عمادالحنبلي : المصدر السابق ، ج02 ، ص 420 .

(3) - انظر هذه المناقشة : - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص218 . - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص 214 ، 215 .

(4) - المقرّي : نفسه ، ج05 ، ص 218 .

(5) - هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام التونسي ، قاضي الجماعة بها ، تولى القضاء سنة 734هـ/1334م ، توفي في الطاعون سنة749هـ/1348م .

انظر ترجمته : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 210 .

(6) - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص251 .

(7) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 234 .

(8) - من أهل المرية ، رحل إلى المشرق سنة 720هـ/1320م . انظر ترجمته : - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص 433 - 442 .

(9) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 234 .

مجلس حضرته ... فجرى بيننا مذكرات رائقة ، وأبحاث فائقة حسنة...⁽¹⁾ ، وقد أثبت فيها ابن مرزوق عن سعة علمه في النحو⁽²⁾ . كما رحل قاضي الجماعة أبو القاسم محمد بن سراج الغرناطي(ت848هـ/1444م) إلى تلمسان وإفريقية وناظر بها بعض العلماء ؛ كان من بينهم الفقيه ابن مرزوق الحفيد⁽³⁾(ت842هـ/1439م) .

ووقعت بين الفقيه أحمد بن أبي يحيى بن محمد الشريف(ت895هـ/1490م) وشيخه محمد بن مرزوق(ت842هـ/1439م) في تلمسان مراجعة وبحث في إحدى المسائل الفقهية⁽⁴⁾ ، إلى جانب منازعة ومخالفة هذا الأخير لمعاصره الفقيه المفسر أبي الفضل قاسم العقباني(ت854هـ/1450م) ؛ بسبب إختياراته الفقهية الخارجة عن المذهب المالكي⁽⁵⁾ .

وأكد الحفيد ابن مرزوق(ت842هـ/1439م) ولعه بالنقاش العلمي من خلال ثنائه على تلميذه محمد بن أحمد بن أبي القاسم المشذالي(ت865هـ/1461م) ؛ الذي حلّ بتلمسان سنة 840هـ/1437م ، بأن قال : " ما عرفتُ العلم حتى قدم إلينا هذا الشاب ، فقيل له : كيف ؟ فأجاب : " لأني كنتُ أقول يسلمُ لي قولي ، فلما جاء هذا شرع يُنازعني ، فشرعتُ أتحرّرُ ، وانفتحت لي أبواب المعارف " ⁽⁶⁾ . وجاء هذا القول ليُظهر سعة صدر ابن مرزوق وقبوله آراء تلاميذه ، بل واعتبارها وسيلة لزيادة علمه وتدرّجه في سلّمه.

و مثل الخلاف العلمي بين عالمي تلمسان الحافظ أحمد بن زكري(ت899هـ/1494م) والإمام محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) صورة أخرى للمناقشات العلمية التي دارت بين علماء تلمسان ؛ فقد وقع بينهما نزاعٌ ومشاحنة في عدّة مسائل أجبرت كلا منهما للردّ على صاحبه⁽⁷⁾ .

(1) - المقرئ : نفع الطيب ، ج5 ، ص 431 .

(2) - انظر : - نفسه : ج5 ، ص431 ، 432 .

(3) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج2 ، ص293 .

(4) - تتمثل في المتيمّم يدخل في الصلاة ثمّ يقطع عليه رجل بالماء . انظر :

- ابن مريم : المصدر السابق ، ص44 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص267 .

(5) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص147 .

(6) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج2 ، ص293 .

(7) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج1 ، ص137 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص41 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص267 .

وخالف الإمام المفسر أبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) الفقيه الحافظ أبا العباس أحمد القباب⁽¹⁾ (ت779هـ/1377م) - مفتي مدينة فاس - في عدد من المسائل وتناظرا فيها⁽²⁾ ، جمعها العقباني في مؤلف سماه " لباب اللباب في مناظرة القباب " (3) .

ولم تكن صلة القرابة لتمنع المناظرة العلمية والمناقشة بين علماء تلمسان ؛ من ذلك اختلاف الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم العقباني (ت871هـ/1467م) مع جدّه أبي الفضل قاسم العقباني (ت854هـ/1450م) في إحدى المسائل الفقهية⁽⁴⁾ ، والتي أبانت عن النقاش العلمي في الأسرة والبيوت خارج أوقات الدروس ومجالسها .

كما لم تقتصر المناقشات والمناظرات العلمية التي كان علماء تلمسان طرفا فيها على مجرد الاجتماع في مجلس واحد بين الطرفين ، فقد أدى الاختلاف في عدد من المسائل العلمية مع علماء المغرب الآخرين ، أو مع علماء تلمسان الذين فرقت بينهم المسافات ، إلى قيامهم بإرسال رسائل تحتوي على آرائهم في تلك المسائل ، والردّ على الطرف الآخر بمختلف الحجج والأدلة . فكتب الشيخ المفتي أبو عبد الله محمد بن عقاب (ت851هـ/1447م) إلى الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق (ت781هـ/1379م) يسأله عمّا عرض له من إشكال في إحدى مسائل البيوع ، فأجابه عن ذلك⁽⁵⁾ . ولما وصل الجواب للسائل ، كتب مُراجعا لابن مرزوق⁽⁶⁾ ، وعند ورود تلك المراجعة خشي هذا الأخير الخلاف مع العالم التونسي إن راجعه وما يصاحب ذلك من انتصار للنفس ، فاكتفى بمراسلته والثناء عليه والإشادة به⁽⁷⁾ .

(1) - انظر ترجمته : - ابن قنفذ : الوفيات ، ص 372 . - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 01 ، ص ص 187-193 .

(2) - من بين تلك المسائل ، مسألة الحاكة في مدينة سلا . انظر : - العقباني : المصدر السابق ، ص 96، 97 .
وأيضا : - المازوني (أبو زكرياء يحيى المغيلي) : الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، تحقيق : حساني مختار ، مخبر المخطوطات ، جامعة الجزائر ، 2004م ، ج 02 ، ص ص 662 - 695 .

(3) - نفسه : ص 97 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 235 .

(4) - تتعلق المسألة في الحرص على حقوق الناس . انظر : - العقباني : نفسه ، ص 91 .

(5) - محمد بن مرزوق : نوازل ، و 30 - 32 .

(6) - انظر : - نفسه : و 32 .

(7) - اكتفى ابن مرزوق في رسالته هذه بقوله : " الحمد لله يا أخي لقد كففتم ... اللجج التي غرق في بحارها ، وكففتم عندهن الأمواج التي اضطرب عليها تلاطم ... وعليكم المعول في كشف المعضلات أبقاكم الله لارتقاء المعالي والمفاخر يزهر بكم الدروس والمساجد والمنابر ... " انظر : - نفسه : و 32 - 36 .

وعندما استحسن الفقيه الإمام أبو الفضل قاسم العقباني (ت854هـ/1450م) إجتماع الفقراء في مجلس شيخ يختارونه للتسييح والتهيل والقراءة والأكل ، ردّ عليه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق بكتاب في ذلك (1) .

وحاور علماء تلمسان نظراءهم من تونس طويلا في مسألة فقهية تتعلق بالرجوع في الوصية ، فبعدها أفتى الفقيهان محمد بن أبي بكر المقرّي (ت758هـ/1357م) وأبو عبد الله الشريف التلمساني (2) (ت771هـ/1370م) ، عقب عليهما الفقيه أبو القاسم الغبريني (3) (ت772هـ/1371م) وخالفهما فيما ذهب إليه (4) ، ولما حلّ الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) بتونس ووقف على تعقيب الغبريني ، كتب عليه منتصراً لفقيهي تلمسان (5) ، وبدوره قام الشريف التلمساني بكتابة تعقيب على الغبريني وعلى ما كتبه ابن مرزوق (6) .

وأثارت قضية يهود توات نقاشا علميا وفقهيا حادا ، بدأ بين عالمين تلمسانيين يعيشان خارجها ؛ هما محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م) ، والقاضي عبد الله بن أبي بكر العصنوني (7) (كان حيا سنة875هـ/1471م) ، وتوسّع هذا النقاش والخلاف بمراسلة كلّ منهما لعلماء المغرب و من بينهم علماء تلمسان . فبعث الأخير برسالة إلى الفقيه المفتي أبي العباس أحمد بن زكري (8) (ت899هـ/1494م) ، فأجابه بدوره برسالة موجّهة إليه (9) ، كما بعث المغيلي برسالة إلى الشيخ محمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1494م) بعنوان " مصباح الأرواح في أصول الفلاح " والتي بعثها أيضا إلى علماء فاس وتلمسان (10) . وكان

-
- (1) - انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج11 ، ص ص 48 - 73 .
(2) - انظر : - نفسه : ج09 ، ص ص 269 ، 270 . وأيضا : - المازوني : المصدر السابق ، ج03 ، ص ص 261 - 263 .
(3) - هو أبو القاسم أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني ، قاضي الجماعة ، وفقيه تونس وعالمها وإمامها وخطيبها بجامع الزيتونة ، والده هو مؤلف " عنوان الدراية " . انظر ترجمته : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 224 .
(4) - انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج09 ، ص ص 270 - 279 . وأيضا : - المازوني : المصدر السابق ، ج03 ، ص ص 264 - 275 .
(5) - انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج09 ، ص ص 279 - 320 . وأيضا : - المازوني : المصدر السابق ، ج03 ، ص ص 275 - 327 .
(6) - انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج09 ، ص ص 321 - 354 . وأيضا : - المازوني : المصدر السابق ، ج03 ، ص ص 327 - 353 .
(7) - انظر خلافهما حول المسألة : المبحث الثالث من الفصل الثالث ص 160 - 165 من الدراسة .
(8) - انظر : الملحق رقم 06 ، ص ص 252 - 254 من الدراسة .
(9) - انظر : الملحق رقم 06 ، ص ص 252 - 254 من الدراسة .
(10) - انظر : - المغيلي (محمد بن عبد الكريم) : مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تقديم وتحقيق : راجح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1968 م ص ص 26 - 63 .

ممن أجابه من تلمسان الفقيه المفسر محمد بن عبد الجليل التنسي⁽¹⁾ (ت899هـ — 1494م) ،
والأصولي محمد بن يوسف السنوسي⁽²⁾ (ت895هـ / 1490م) .

ولم يتوقف الخلاف بين العلماء في هذه المسألة عن المراسلات ، فعندما اشتدّ الخلاف
بين المغيلي والفقهاء ، قدم إلى مدينة فاس بعد سنة 891هـ/1486م لمناظرة مخالفه ، وبعد
أن اتهم بحبّ الظهور والمُلك عاد إلى الصحراء⁽³⁾ .

إنّ مشاركة علماء تلمسان في النقاشات والمناظرات العلمية التي عرضوا فيها آراءهم
العلمية ، أضفت إسهاماتهم في الحياة العلمية ببلاد المغرب من جهة ، كما أنّها كشفت عن
المكانة التي حظوا بها ، وجعلتهم مقصد العلماء والطلبة بغرض الإجابة ومناقشة بعض المسائل
من جهة أخرى ، ومن المسائل التي وردت على علماء تلمسان :

— مسألة ثبوت الشرف المتصل بالرسول — صلى الله عليه وسلم — من قبل الأمّ ، والتي
اختلف فيها علماء تونس وبجاية سنة 726هـ/1326م ، وسئل عنها الفقيه المحدث ابن
مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م) ، فأجاب عنها ضمن كتاب سماه " إسماع الصم في إثبات
الشرف من قبل الأمّ " ⁽⁴⁾ ، بدأ بتأليفه سنة 781هـ⁽⁵⁾ /1379م . كما أجاب عن هذه المسألة
عدد آخر من علماء تلمسان ⁽⁶⁾ .

— مسألة في المواريث والفرائض ، اختلف فيها فقيها بجاية أبو عبد الله محمد بن القاسم
المشذالي وأبو العباس أحمد بن سعيد بن المشط (عاشا في القرن 09هـ/15⁽⁷⁾م) ، فكتب كل
منهما مع أتباعه بالمسألة لشيخ الجماعة بتلمسان أبي الفضل قاسم العقباني⁽⁸⁾ (ت854هـ —
1450م) .

(1) - انظر : - نفسه : ص 71 .

(2) - انظر : - نفسه : ص ص 71 - 73 .

(3) - نفسه : ص 17 ، 18 .

(4) - ابن مرزوق محمد : إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأمّ ، و 01 .

انظر هذه الفتوى أيضا : - الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص ص 225 - 231 . - المازوني : المصدر السابق ، ج 03 ، ص ص 211 - 226 .

(5) ابن مرزوق : إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأمّ ، و 02 .

(6) - من هؤلاء العلماء أبو عبد الله الشريف (ت771هـ/1370م) ، وابنيه أبي محمد عبد الله (ت792هـ/1390م) وأبي يحيى عبد الله الشريف

(ت826هـ/1423م) وأبي عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) ، وأبي الفضل قاسم العقباني (ت854هـ/1450م) .

انظر : - المازوني : المصدر السابق ، ج 03 ، ص ص 227 - 231 .

(7) - لم نعثر على تاريخ وفاتها ولا عن ترجمتها في كتب التراجم ، وكانت مراسلتها للفقيه قاسم العقباني (ت854هـ/1450م) دليلا على حياتها في
هذا القرن .

(8) - ابن مرزوق محمد : نوازل ، و 36 - 40 .

— مسألة الرجوع في الوصيّة (1) ، والتي سئل فيها الإمامان العالمان ، أبي عبد الله الشريف التلمساني(ت771هـ/1370م) وأبي عبد الله محمد المقرّي(ت758هـ/1357م) ، فأجابا عنها(2) .

ورغم ما أثارته هذه المسائل من خلاف بين علماء تلمسان فيما بينهم ، أو مع نظرائهم في بلاد المغرب ، فإنّها لم تخرج عن أدب الخلاف ، ولم تحدث فيها إساءة لفظية أو إهانة للطرف الآخر ؛ من ذلك الأدب الذي اتّصف به الخطيب ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) مع الفقيه أبي القاسم الغبريني (ت772هـ/1371م) ، فرغم اختلافه العلمي معه في مسألة الرجوع في الوصيّة — السابقة الذكر— فإنّه أثناء الردّ عليه ناداه بـ " سيّدنا " (3) ، و وصفه بـ " شرف القضاة ، وفخر العلماء ، وقدوة الفضلاء ، وواحد الوقت " (4) ، و أظهر ابن مرزوق تواضعه بقوله : "... وأقدمتُ بعد الاحجام ، والاعتراف بالقصور عن هذا المقام " (5) . كما يتجلى حسن خلقه مع مخالفيه في جوابه الأخير إلى المفتي التونسي أبي عبد الله محمد بن عقّاب(ت851هـ/1447م) بعد اختلافه معه (6) .

02 — المؤلفات العلمية لعلماء تلمسان :

يتجلى لنا الدور العلمي لعلماء تلمسان من خلال استعراض المؤلفات العلمية وما جادت به قريحتهم من إنتاج علمي ، ليعكس لنا مدى تمكنهم في مختلف العلوم التي رأيناها ، ويعطي لنا من جهة أخرى نظرة عامّة عن حركة التأليف وما ميّزها خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14 و 15م) .

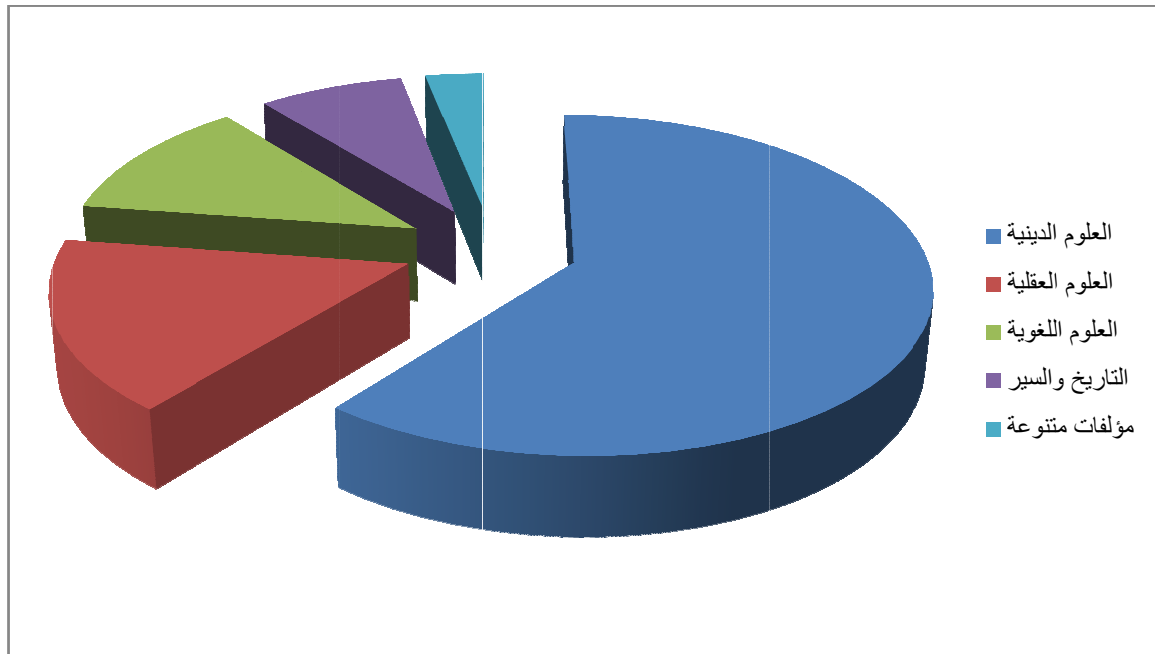
بإجراء عملية مسح وإحصاء لمؤلفات علماء تلمسان (7) ، التي تحدّثت عنها المصادر التاريخية وكتب التراجم ، إلى جانب ما وصل إلينا منها مخطوطة أو مطبوعة ، يتبيّن ما يلي :

(1) - انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج09 ، ص 268 . انظر أيضا : - المازوني : المصدر السابق ، ج03 ، ص ص261 .
(2) - انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج09 ، ص 269 ، 270 . انظر أيضا : - المازوني : المصدر السابق ، ج03 ، ص ص261 - 263 .
(3) - الونشريسي : المعيار ، ج09 ، ص 307 .
(4) - نفسه : ج09 ، ص 208 .
(5) - نفسه : ج09 ، ص 281 .
(6) - انظر : اختلاف العالمين : ص 220 من الدراسة .
(7) - انظر : الملحق رقم 08 ، ص ص263 - 270 من الدراسة .

— إنّ عدد علماء تلمسان الذين كانت لهم مؤلفات بلغ ستة وعشرين عالماً⁽¹⁾ ؛ أي ما نسبته 38% من مجموع العلماء الذين عاشوا في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) . وكان عددهم متبايناً بين القرنين ، فبينما أحصينا ثمانية علماء في الأوّل (القرن 08هـ/14م) ، بلغ عددهم ثمانية عشر في القرن التاسع الهجري (15م) ؛ أي أنّ 72% من المؤلفين عاشوا في القرن الأخير . وبلغ عدد مؤلفاتهم مائة وأربعة وتسعين مؤلفاً⁽²⁾ .

— ألف هؤلاء العلماء في مختلف العلوم⁽³⁾ (الدينية ، اللغوية ، العقلية ، والتاريخ) ، ونجد ستة علماء ألقوا في العلوم الأربعة مجتمعة ، وهم : أبو عبد الله المقرّي ، أبو عبد الله محمّد الشريف ، محمّد بن يوسف السنوسي ، محمّد بن عبد الجليل التنسي ، محمّد بن مرزوق الحفيد ، ومحمّد بن عبد الكريم المغيلي . كما ألف عالمان إثنين في ثلاثة علوم ، وهما : أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب ، ومحمّد بن العباس التلمساني .

— تباين عدد المؤلفات التي ألفت من طرف علماء تلمسان بين العلوم الأربعة ، فأحصينا 118 مؤلفاً في العلوم الدينية ، 32 مؤلفاً في العلوم العقلية ، 23 مؤلفاً في العلوم اللغوية ، 15 مؤلفاً في التاريخ والسير ، و 06 مؤلفات متنوعة المحتوى⁽⁴⁾ ، ويُظهر الشكل التالي هذا التباين :



(1) - انظر : الملحق رقم 08 ، ص ص 263 - 270 من الدراسة .

(2) - انظر : الملحق رقم 08 ، ص ص 263 - 270 من الدراسة .

(3) - انظر : الملحق رقم 08 ، ص ص 263 - 270 من الدراسة .

(4) - انظر : الملحق رقم 08 ، ص ص 263 - 270 من الدراسة .

وجاءت سيطرة المؤلفات الدينية على الإنتاج العلمي لعلماء تلمسان لتؤكد لنا اهتمامهم بالعلوم الدينية ، وكنتيجة للعدد الكبير من العلماء الذين نبغوا فيها .

وما يلاحظ على هذه المؤلفات أنّها في معظمها عبارة عن شروح أو مختصرات لكتب ألفت من قبل ، وقد أحصينا :

— ستون شرحاً ومختصراً في العلوم الدينية⁽¹⁾ ؛ أي ما نسبته 50% من مجموع الكتب المؤلفة في هذا العلم .

— أربعة عشر شرحاً ومختصراً في العلوم اللغوية⁽²⁾ ؛ أي ما نسبته 60% من مجموع الكتب المؤلفة في هذا العلم .

— عشرون شرحاً ومختصراً في العلوم العقلية⁽³⁾ ؛ أي ما نسبته 65% من مجموع الكتب المؤلفة في هذا العلم .

ومن أهم الكتب التي اهتمّ علماء تلمسان بشرحها واختصارها ، " فرعي " و " أصلي " ابن الحاجب في الفقه والعقيدة ، الذين لاقا اهتماماً بالغاً من طرفهم ، فأحصينا عشرة شروح واختصارات لهما⁽⁴⁾ ، إضافة إلى " مختصر الإمام خليل " في الفقه ، و " ألفية ابن مالك " في النحو ، و " تلخيص " ابن البناء المراكشي ، و " جمل الخونجي " ، و " التلمسانية " في الفرائض ، و " قصيدة ابن الياسمين " في الجبر والمقابلة⁽⁵⁾ .

إنّ اهتمام علماء تلمسان بالشروح والاختصارات للكتب المصنّفة من طرف علماء سبقوهم أو معاصرين لهم ، جعل أعمالهم وإنتاجهم العلمي يوصف بالتقليد وإعادة ما خلفه أسلافهم⁽⁶⁾ . ويبدو جلياً أنّ تلك الشروح والاختصارات هي ما قصده إمام التعاليم محمد بن إبراهيم الأبلي(ت757هـ/1356م) ، عندما أرجع فساد العلم في عصره إلى كثرة التأليف⁽⁷⁾ .

(1) - انظر: الملحق رقم 08 ، ص ص263 - 270 من الدراسة .

(2) - انظر: الملحق رقم 08 ، ص ص263 - 270 من الدراسة .

(3) - انظر: الملحق رقم 08 ، ص ص263 - 270 من الدراسة .

(4) - انظر: الملحق رقم 08 ، ص ص263 - 270 من الدراسة .

(5) - انظر: الملحق رقم 08 ، ص ص263 - 270 من الدراسة .

(6) - محود بوعياض : المرجع السابق ، ص 57 .

(7) - المقرئ : نفع الطيب ، ج05 ، ص 275 .

و شكلت الشروح والاختصارات والحواشي صعوبات كبيرة على طلبة العلم ؛ لإشكال فهم ما احتوته بسبب شدة اختصارها واقتضاها ؛ فقد ذكر أبو عبد الله الملاي (عاش في القرن 09هـ/15م) بعدما قرأ شرح شيخه محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) لمختصر ابن عرفة⁽¹⁾ : " إن كلامه صعب لاسيما هذا المختصر ، تعبت في حله لصعوبته إلى الغاية " (2) .

وتتجلى لنا قيمة مؤلفات علماء تلمسان ودورها في الحياة العلمية ببلاد المغرب ، من خلال تداولها في المجالس التعليمية ، والاهتمام بها من طرف أهل العلم ، والثناء الذي لحقها نظير ما احتوته من معارف علمية .

لقد تداول العلماء وطلبتهم في بلاد المغرب مؤلفات علماء تلمسان واعتمدوا عليها في دراستهم وبحثهم في مسائل العلم ، فذكر المؤرخ أبو العباس أحمد المقرري (ت1041هـ/1631م) أن الحاشية التي ألفها جدّه أبو عبد الله المقرري (ت758هـ/1357م) على مختصر ابن الحاجب الفقهي وقف عليها بالمغرب الأقصى⁽³⁾ ، وهي كثيرة في أيدي الناس بتلمسان⁽⁴⁾ ، وذكر أن جدّه : " اختصّ فيها بأبحاث لا توجد في غيرها " (5) . كما وجد كتاب جدّه " عمل من طبّ لمن حبّ " بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان ، وقال عنه : " أنه فوق ما يوصف " (6) .

واعتمد المدرّسون والطلاب على الكتب التي ألفها علماء تلمسان ، فرغم قلّة مؤلفات الفقيه أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) ؛ بسبب اعتناؤه بالتدريس ، فقد كان مؤلفه " شرح جمل الخونجي " من أجلّ الكتب التي انتفع بها العلماء وأكبّوا عليه قراءة ونسخا⁽⁷⁾ . وقام هو بتدريس العقيدة الصغرى والكبرى لمحمد بن يوسف السنوسي

(1) - هو مختصر الحوفي في الفرائض لأبي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت803هـ/1401م) .

انظر : - حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج02 ، ص 1626 .

(2) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 246 .

(3) - المقرري : نفح الطيب ، ج05 ، ص 310 .

(4) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 163 .

(5) - المقرري : نفح الطيب ، ج05 ، ص 310 .

(6) - نفسه : ج05 ، ص 285 .

(7) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 166 .

(ت895هـ/1490م) بجامع القرويين⁽¹⁾ ، كما قام الشيخ أبو العباس المنجور (ت995هـ/1587م) المدرّس بجامع القرويين ، بتدريس شرحه لقصيدة أحمد بن زكري في التوحيد⁽²⁾ بعد صلاة صبح كلّ خميس وجمعة⁽³⁾ . وقام بعده المدرّس أبو القاسم بن سودة (ت1004هـ/1596م) بتدريس العقيدة الصغرى للشيخ محمّد بن يوسف السنوسي في كرسي الإمام عبد العزيز الوريكلي (ت880هـ/1475م) بالجامع⁽⁴⁾ ؛ ممّا يعكس لنا الاهتمام بكتب علماء تلمسان في جامع القرويين .

وذكر الفقيه أبو عبد الله محمّد الرصّاع (ت894هـ/1489م) أنّه درس بمدينة تونس على الشيخ أبي عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) شرحه لكتابي ابن البّاء المراكشي ، والحوفي⁽⁵⁾ ، كما درس عليه " شرح الخزرجية "⁽⁶⁾ للفقيه أبي عبد الله الشريف⁽⁷⁾ (ت771هـ/1370م) ؛ ممّا يدفعنا إلى القول أنّ مؤلفات علماء تلمسان لاقت إقبالا عليها في المغرب الأدنى .

و تتجلى لنا قيمة ما ألفه التلمسانيون من خلال ما لحقها من تعليق وإضافة وتأليف عليها من طرف أهل العلم في بلاد المغرب ؛ نذكر منها :

— شرح الشيخ أحمد بن محمّد الفاسي الشهير بزروق (ت899هـ/1494م) لكتاب " الحقائق والرقائق " لأبي عبد الله المقرّي⁽⁸⁾ .

— شرح جمل الخونجي للشيخ محمّد بن أحمد بن إبراهيم التريكي التونسي (ت894هـ/1489م) جمع فيه شروح الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) ، وأبي عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) ، ومحمّد بن مرزوق الحفيد⁽⁹⁾ (ت842هـ/1439م) .

(1) - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 383 .
(2) - هي المعروفة بـ"محصّل المقاصد" ، وقد شرحها المنجور شرحين ، شرح كبير سمّاه " نظم الفرائد ومبدي الفوائد في شرح محصّل المقاصد " ، وشرح مختصر صغير . انظر : - نفسه : ج2 ، ص 377 .
(3) - نفسه : ج2 ، ص 377 .
(4) - نفسه : ج2 ، ص 373 .
(5) - فهرست الرصّاع : ص 114 .
(6) - القصيدة الخزرجية ، المسماة " الرامزة الشافية في علم العروض والقافية " ، لأبي محمّد عبد الله بن محمّد الأنصاري الخزرجي الأندلسي توفي نحو سنة 226 هـ / 841 م . انظر : - عمر فروخ : المرجع السابق ، ج6 ، ص 548 .
(7) - فهرست الرصّاع : ص 115 - 119 .
(8) - المقرّي : نفع الطيب ، ج5 ، ص 310 . انظر أيضا : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 46 .
(9) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج2 ، ص 246 .

— شرح الرحالة أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت891هـ/1486م) لمختصر شيخه أبي الفضل قاسم العقباني (ت854هـ/1450م) في أصول الدين لم يكمله (1) .

— إختصار الفقيه أبو عبد الله الراعي الأندلسي الغرناطي (ت853هـ/1449م) لشرح شيخه ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م) على مختصر الشيخ خليل من باب القضاء إلى آخره (2) .
— نظم عقيدة السنوسي لقاضي بجاية الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد ، المعروف بابن الحاج (3) (ت حوالي 930هـ/1524م) .

ولاقت مؤلفات علماء تلمسان ثناءً وإشادةً من طرف معاصريهم ومؤرخي فترتهم ، فقد وصف القاضي إبراهيم بن فرحون المالكي (ت799هـ/1397م) كتاب " القواعد " لأبي عبد الله المقرّي بأنه " كتاب عزيز مفيدٌ لم يسبق إليه " (4) ، وقال عن كتابه " الطرف والنُحف " بأنه " غاية في الحسن " (5) . كما ذكر المؤرّخ الأديب أبو العباس المقرّي (ت1041هـ/1631م) أنّ كتاب جدّه " الحقائق والرقائق " هو " من الحسن بمكان لا يُلحق " (6) ، ووصف كتابه " عمل من طبّ لمن حبّ " بأنه " فوق ما يوصف " (7) ، هذا الكتاب الأخير قال عنه مؤلفه أبو عبد الله المقرّي (ت758هـ/1357م) في مقدّمته :

هذا كتاب بديعٌ في محاسنه ضمّنته كلّ شيء خلّته حسنا
فكلّ ما فيه إن مرّ اللبيبُ به ولم يشمّ عبيراً شام منه سنا
فخذهُ واشدّد به كفّ الضنين وذد حتى تحصّله عن جفّك الوسنا (8)

ووصف القاضي ابن فرحون (ت799هـ/1397م) كتاب " المفتاح في أصول الفقه " للشريف أبي عبد الله التلمساني (ت771هـ/1370م) بأنه " حفيّل " (9) ، كما ذكر الفقيه أبو عبد الله محمد الرصاع (ت894هـ/1489م) أنه : " ما أحيا مختصر الشيخ ابن عرفة...إلا أبو عبد

(1) - رحلة القلصادي : ص107 . انظر أيضا : - المقرّي : نفع الطيب ، ج02 ، ص649 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص142، 143 .
(2) - المقرّي : نفع الطيب ، ج02 ، ص697 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص248 .
(3) - محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص277 .
(4) - ابن فرحون : المصدر السابق ، ص232 .
(5) - نفسه : ص232 .
(6) - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص310 .
(7) - نفسه : ج05 ، ص285 .
(8) - نفسه : ج05 ، ص285 .
(9) - ابن فرحون : المصدر السابق ، ص234 .

الله محمد بن مرزوق [الخطيب] ، وله فيه ختمات وأبحاث وتحقيقات" (1) ، وقد وُصفت مؤلفاته الأخرى بأنها " تصانيف بديعة مفيدة " (2) .

وذكر المؤرخ ابن سعد التلمساني (ت901هـ/1496م) أن شرح المفسر أبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) لكتاب الحوفي " لم يؤلف عليه مثله " (3) ، كما أن تفسيره لسورة الفتح (4) أتى فيه بالعجاب (5) والفوائد الجليلة (6) . كما كانت العقائد التي صنفها الأصولي الفقيه محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) " شاهدة على فضله ، ولا يعادلها شيء من العقائد " (7) . وبدوره أثنى الفقيه الرحالة أبو جعفر البلوي (ت938هـ/1532م) على شيخه عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1494م) وكتابه " الطراز في شرح ضبط الخراز " ، وقال أنه : " أجاد فيه وأفاد ، وأحسن ما شاء و أراد " (8) .

وألقت في علماء تلمسان وذكر مآثرهم والثناء عليهم عدّة مؤلفات ؛ من ذلك ما ذكره المؤرخ أبو العباس المقرئ (ت1041هـ/1631م) من أنه وقع بين يديه بفاس كتاباً لأحد علمائها ، ألقه في حق جدّه الفقيه أبو عبد الله المقرئ (ت758هـ/1357م) ، سمّاه " الزهر الباسم " أطال فيه مدحه والثناء عليه وذكر محاسنه (9) ، ونقل لنا ما جاء في أوّله من الأبيات :

إذا ذُكرت مفاخرُ أهل فاس ذكرنا من أتى من تلمسان

وقلنا هل رأيتم في قضاة شبيهاً للفقيه العدل ثاني

ونفسُ العلم إن شانتنا لشخص فما للمقرئ في العلم شاني (10)

وذكر المؤرخ لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1375م) أن الخطيب أبا عبد الله ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) لما شرح كتاب الشفاء للقاضي عياض بن موسى (ت455هـ/

(1) - فهرست الرصاع : ص 189 .

(2) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 236 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 106 .

(4) - سورة مدنية ، عدد آياتها 29 آية ، ترتيبها في المصحف 48 .

(5) - ابن القاضي : درة الحجال ، ج03 ، ص299 .

(6) - الداودي : المصدر السابق ، ج01 ، ص189 .

(7) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 245 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 266 .

(8) - ثبت البلوي : ص 372 .

(9) - المقرئ : نفع الطيب ، ج05 ، ص 340 .

(10) - نفسه : ج05 ، ص 340 .

1063م) واستبحر وأكثر النقل فيه ، طلب أهل العدوتين نظم قصائد تتضمن الثناء على الكتاب ومؤلفه " فانثال عليه من ذلك ... واختلفت في الإجادة وغيرها الأرزاق إيثاراً لغرضه ، ومبادرة من كل الجهات لإسعاف إربه ... " (1) ؛ وكان ابن الخطيب ممن نظم في ذلك قصيدة(2)

جاء فيها : سدّد الله ابن مرزو ق إلى تلك المراضى
زبدة العرفان معنى كل نسك وارتياض
فتولى بسط ما أجـ ملت من غير انقباض(3)

وألف بعض علماء تلمسان وطلبتها مؤلفات في الثناء والتعريف بعلماء موطنهم ؛ من ذلك تأليف أبو عبد الله الماللي(عاش في القرن 09هـ/15م) كتاباً ذكر فيه أحوال وسيرة وفوائد أستاذه محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) ، سمّاه " المواهبُ القدسية في المناقب السنوسية " (4) ، كما ألف الفقيه المفسر أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد(ت842هـ/1439م) كتاباً سمّاه " النور البدرى في التعريف بالفقيه المقرّي " ؛ عرف وأثنى فيه على الفقيه أبي عبد الله المقرّي(5) (ت758هـ/1357م) ، وذكر الفقيه المفتي أبو العباس أحمد الونشريسي (ت914هـ/1508م) أنه وقف على جزء من كتاب لأحد التلمسانيين ، يعرف فيه بالفقيه أبي عبد الله الشريف التلمساني(ت771هـ/1370م) ، فلخصه في جزء سمّاه " القولُ المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف " (6) .

03 – الإنجازات العلمية لعلماء تلمسان :

شارك علماء تلمسان في الحياة العلمية ببلاد المغرب وتركوا بصماتهم الخاصة ، نتيجة تضلّعهم في مختلف العلوم وسعة باعهم فيها ، وبغية إدراك أدوار علمية أخرى لهم نحاول التعرف على الإنجازات العلمية التي خدم بها علماء تلمسان العلم وأهله في بلاد المغرب .

(1) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص 52 .
(2) - انظر : - نفسه : ج03 ، ص ص 52-55 - المقرّي : نفح الطيب ، ج05 ، ص ص 409 - 412 .
(3) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج03 ، ص 52 . انظر أيضا : - المقرّي : نفح الطيب ، ج05 ، ص 410 .
(4) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 252 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 266 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 239 .
(5) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 164 . انظر أيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 84 .
(6) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 166 .

إنّ بحثنا في المصادر التاريخية وكتب التراجم التي أرخت لفترة القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15 م) لم تذكر لنا قيام علماء تلمسان ببناء وتجهيز المرافق العلمية ؛ كالمدارس والمكتبات . وغاية ما أفصحت عليه فيما يخصّ المدارس ، بناء بعض السلاطين لها وتخصيصها لعالم من العلماء للتدريس فيها و إطلاق اسمه عليها أحيانا ؛ كما فعل السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/1308-1318م) ببناء مدرسة للعالمين ابني الإمام ، أبي زيد عبد الرحمان (ت743هـ/1342م) وأخيه أبي موسى عيسى (ت749هـ/1348م) وكلفهما بالتدريس فيها ، وقد حملت اسميهما (1) .

وجاءت مبادرة الفقيه الأصولي محمد بن سعد التلمساني (ت901هـ/1495م) بتجهيزه لمكتبته الشخصية ، وحيدة فيما يخصّ اهتمام علماء تلمسان بإقامة المكتبات ؛ فقد ذكر الفقيه أبو جعفر البلوي (ت938هـ/1532م) أنّ حرصَ شيخه ابن سعد على الفوائد والغرائب من المصنّفات ، وجلبها من مختلف البلدان التي زارها ، سمحت له بإقامة خزانة مشتملة على أمّهات وأصول المصنّفات (2) . ورغم أنّ البلوي لم يُشر إلى أنّ شيخه سمح لطلبته باستعمال تلك المكتبة ؛ فإنّ وصفه لها وما تحتويه من نواذر الكتب ، إضافة لتصدّر الشيخ ابن سعد للتدريس (3) ، تجعلنا نميل إلى القول بسماحه لطلبته الاستفادة ممّا احتوته خزائنه .

وساهم علماء تلمسان في الحياة العلمية بإدخالهم كتبًا ومصنّفات إلى بلاد المغرب ، ليتعرّف عليها أهل المغرب لأول مرة ، فقد ذكر أبو عبد الرصّاع (ت894هـ/1489م) أنّ شيخه محمد بن إبراهيم الأبلي (ت757هـ/1356م) أدخل للمغرب اثني عشر علما (4) ، كما ذكر الفقيه العالم شيخ الجماعة محمد بن غازي (ت919هـ/1513م) أنّ الفقيه أبا عبد الله محمد ابن عمر بن الفتوح التلمساني (ت818هـ/1415م) كان أول من أدخل " مختصر خليل " في الفقه المالكي إلى مدينة فاس والمغرب الأقصى سنة 805هـ (5) /1403م ، كما أدخل المفسّر

(1) - انظر: المبحث الثالث من الفصل الأول ، ص44 من الدراسة .

(2) - ثبت البلوي : ص 414 .

(3) - نفسه : ص ص 414 - 417 .

(4) - فهرست الرصّاع : ص 136 .

(5) - ابن غازي : الروض الهتون ، ص59 . انظر أيضا: ابن القاضي : درة الحجال ، ج2 ، ص101 - الناصري : المرجع السابق ، ج4 ، ص 101 .

أبو الفضل التلمساني (ت845هـ/1441م) كتاب " شامل بهرام " (1) لأول مرة إلى بلاد المغرب (2) .

وقام الفقيه التعاليمي أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني - المعروف بابن الفحّام - (كان حيًا سنة 758هـ/1357م) موقت السلطان أبي عنان المريني (752-759هـ/1351-1359م) بتتصيب الساعة بمدرسة أبي عنان بمدينة فاس يوم 14 جمادى الأولى 758هـ (3) / 06 ماي 1357م (4) .

و رغم أن المؤرّخ أبي الحسن علي الجزنائي (ت749هـ/1349م) لم يُفصح لنا عن دور ابن الفحّام في صنع هذه الساعة ، واكتفى بالقول أنّه قام بتتصيبها (5) . إلا أن منصبه كموقت للسلطان أبي عنان إلى جانب تضرّعه في التعاليم ، تدعو الدارس إلى افتراض مشاركته في صناعتها ، أو الإشراف عليها على الأقل ؛ خاصّة أنّه كان هناك موظفون يقومون طيلة الوقت بمراقبة الساعة و عملها (6) .

04 - دعوة بعض علماء تلمسان للاجتهاد ورفض التقليد :

تعرّض علماء تلمسان لقضية التقليد والاجتهاد ، وهي من القضايا المهمة والمثيرة في عصرهم ، على اعتبار أن الفقيه الحافظ أبا عبد الله محمد المازري (7) (ت516هـ/1122م) ذهب إلى أن الاجتهاد معدوم في بلاد المغرب منذ القرن الخامس الهجري (8) (10م) ، وأكد ذلك الفقيه التونسي ابن عبد السلام (ت749هـ/1348م) في القرن السابع الهجري (9) (12م) .

(1) - هو " الكامل في شرح شامل " في الجبر والمقابلة لبرهان الدين ابن إسحاق إبراهيم بن عمر الحموي ثم الطرابلسي الشافعي (ت858هـ/1454م) .

انظر : - إسماعيل باشا : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، ج 02 ، ص 39 .

(2) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 221 . انظر أيضا : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 254 .

(3) - الجزنائي : المصدر السابق ، ص 87 .

(4) - عبد الهادي التازي : " ساعات من القرن الرابع عشر في فاس " ، مجلة المجتمع العلمي العراقي ، مجلد 13 ، 1385هـ/1966م ،

ص 344 ، 345 .

(5) - انظر : - الجزنائي : المصدر السابق ، ص 87 .

(6) - عبد الهادي التازي : " ساعات من القرن الرابع عشر في فاس " ، ص 349 .

(7) - هو أبو عبد الله محمد المازري الصقلي الأصل ، ولد بصقلية سنة 477هـ/1084م ، وتوفي سنة 516هـ/1122م .

انظر : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 125 .

(8) - المقرئ : نفح الطيب ، ج 09 ، ص 278 - 310 . ج 10 ، ص 384 .

(9) - نفسه : ج 10 ، ص 30 - 40 .

وجاءت المصادر التاريخية وكتب التراجم التي اهتمت بسير علماء تلمسان ملأى بوصفهم بالاجتهاد ؛ فقد وصف المؤرخ لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1375م) الفقيه أبا عبد الله المقرّي (ت758هـ/1357م) بأنه : "... مشارٌ إليه بالعدوة المغربية اجتهادًا " (1) .

واعترف الفقيه محمد بن غازي (ت919هـ/1513م) بقوة اجتهاد الفقيه أبي عبد الله بن مرزوق الخطيب (2) (ت781هـ/1379م) ، كما اعتبر الفقيه أبو عبد الله الشريف (ت771هـ/1370م) من أئمة المالكية ومجتهديهم (3) ، ووُصف الفقيه الأصولي ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م) بـ " المجتهد " (4) ، كما وُصف به الأصولي المفسر أبو الفضل قاسم العقباني (5) (ت854هـ/1450م) الذي كان أحد الجهابذة النقاد ، وله إختيارات خارجة عن المذهب المالكي (6) ، وبدورهما كان الفقيهان أبو زيد عبد الرحمان (ت743هـ/1342م) وأخوه أبو موسى عيسى (ت749هـ/1348م) ابنا الإمام يذهبان إلى الاجتهاد ويتركان التقليد (7) .

وامتاز الفقيه أبو عبد الله المقرّي (ت758هـ/1357م) بنبذه للتقليد ، ودعوته لفقهاء المغرب إلى الاجتهاد ، كما فعل مع أهل قرطبة عندما انتقدهم لاستعمالهم مصطلح " ما جرى به العمل " ؛ أي عملا بما جرى عليه أهل المدينة في الفقه (8) . وعلى الرغم أن المقرّي لقي معارضة شديدة من فقهاء المغرب بسبب ذلك ، فإنّ دعوته وجدت في النهاية آذانًا صاغية ، فقد أصبح لفاس عملها الخاص في الفقه ، فضلا عن لجوء القضاة إلى الأعراف المحلية في القضاء (9) .

وقد عارض المقرّي من جهة أخرى المختصرات والشروح التي انتشرت في عصره ، واعتبرها شكلا من أشكال التقليد ، فقال في ذلك : "... ثم كلّ أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشقّ الشروح والأصول الكبار ، فاقنصر على حفظ ما

(1) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج02 ، ص 194 .

(2) - المقرّي : نفع الطيب ، ج05 ، ص 427 .

(3) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 172 .

(4) - نفسه : ص 201 .

(5) - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 12 .

(6) - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 255 .

(7) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 124 .

(8) - انظر : - المقرّي : نفع الطيب ، ج02 ، ص 92 ، 93 .

(9) - إبراهيم حركات : " الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب " ، مجلة الأصالة ، عدد 26 ، 1975 ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، ص 188 .

قلّ لفظه ونزر حظه ، وأفنوا أعمارهم في فهم رموزه وحلّ لغوزه ، ولم يصلوا إلى ردّ ما فيه إلى أصوله بالتصحيح ، فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك و الصحيح ، بل هو حلّ مقفل ، وفهم أمر مجمل ، ومطالعة تقييدات زعموا أنّها تستهض النفوس " (1) .

وناقش الأصولي المحدث محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) قضية التقليد وردّ على المقلدين بالأدلة البيّنة وأدحض حججهم (2) ؛ ومما استدل به في وجوب الاجتهاد وترك التقليد قوله : " وكل آية في القرآن دأمة للتقليد والإمرة بالنظر والاعتبار دليل ذلك ، كقوله تعالى " قل انظر " (3) ، وقوله جلّ وعلا : " أولم يتفكروا " (4) ... وقوله : " أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم " (5) ، وإجماع الصحابة أيضا على وجوب النظر " (6) .

كما دعا الفقيه المؤرّخ محمد بن سعد(ت901هـ/1496م) إلى عدم تقليد العلماء ، خاصّة علماء الرئاسة والدنيا ، فقال : " واحذر أن تقلّد فيما اشتبه عليك بعض هؤلاء الفقهاء الذين نصبوا أنفسهم للفتوى طلبا للرياسة والظهور الدنيوي ... " (7) .

ورغم دعوة عدد من علماء تلمسان للاجتهاد ومعارضتهم للتقليد ، فإنّ ما ألفه علماء تلمسان في القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14 و15م) من كتب ومؤلفات غلب عليه الشروح والاختصارات والحواشي لكتب ألفت من قبل ، ممّا يجعل صاحب الشرح أو المختصر مضطرا للسير على طريقة ومنهج المؤلف الأصلي فيقع في التقليد ، فضلا عمّا تسيّبه من صعوبات في فهمها والإقتصار على حفظها دون استيعابها من طرف طلبة العلم ، وهو ما أكّده الفقيه أبو عبد الله المقرّي(ت758هـ/1357م) في قوله السابق (8) ، الذي وإن جاء معارضا

(1) - المقرّي : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 217 .

(2) - انظر : - السنوسي : كتاب عمدة أهل التوفيق والتسديد ، و06 - 09 .

(3) - الآية65 من سورة الأنعام ، وهي : " قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون " .

(4) - الآية 184 من سورة الأعراف ، وهي " أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إنّ هو إلا نذير مبين " .

(5) - الآية 185 من سورة الأعراف .

(6) - السنوسي : كتاب عمدة أهل التوفيق والتسديد ، و04 .

(7) - ابن سعد : روضة النسرين ، ص 62 .

(8) - انظر : ص 233 من الدراسة .

لتلك الشروح ، فإنّ إقدامه على تأليف العديد منها⁽¹⁾ يضعه في تناقض مع ما صرّح به .
وبذلك يتبيّن لنا الدور الكبير الذي قام به علماء تلمسان في الحياة العلمية ببلاد المغرب
الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) ، والذي لم يقتصر على جانب
واحد ، وإّما كان ذلك تدريسيّاً وتأليفاً ومناقشة للمسائل والقضايا العلمية التي أثيرت في
عصرهم ، وهو ما أكد إمامهم بمختلف العلوم وبوأهم تلك المكانة العالية بين أهل العلم في تلك
الفترة ، وفي فترات لاحقة بعد وفاتهم .

(1) - قام المقرئ باختصار المحصل ، حاشية على مختصر ابن الحاجب الفقهي ، شرح التسهيل ، شرح لغة قصاد المغرب ، شرح جمل الخونجي .
انظر : - انظر : الملحق رقم 08 ، ص 263 من الدراسة .

خاتمه

توصّلتُ من خلال الدراسة إلى جملة من النتائج التي كانت إجابة عن الإشكالية المطروحة في بدايتها ، وهي :

أنّ العوامل التي ساهمت في تنشئة وتكوين علماء تلمسان الذين برزوا خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14 و15م) كانت متنوّعة ؛ فقد اعتبرت الأسرة التلمسانية العلم هو السؤدد والطريق الذي يجب أن يسلكه أبنائها فحثتهم على طلبه ، كما كان للبيئة العلمية التي نشأ فيها هؤلاء العلماء ، وقيامهم بالرحلة العلمية وحرية تنقلهم في أقطار بلاد المغرب ، إضافة إلى عناية السلطة السياسية بالعلم وأهله ، كلّها عوامل تضافرت في نبوغ علماء تلمسان .

وأقام عدد من علماء تلمسان علاقات بالسلطة السياسية الحاكمة في بلاد المغرب ، كانت في أغلبها برغبة من هذه السلطة – الممثلة في الزيانية والمرينية والحفصية – التي أرادت باحتضانها للعلماء وتقريبها منهم منافسة جيرانها وكسب رضا الرعية عنها بذلك ، وما أكد تلك النية هو تقلب السلاطين على العلماء في أغلب الأحيان . كما لم يثبت العلماء في علاقاتهم السياسية على حال واحدة ؛ فكثيراً ما وجدنا علماء يتنقلون من بلاط إلى آخر ناقلين معهم ولاءهم وبيعتهم ؛ ممّا جعل ربط العلماء لتلك العلاقات يُفسّر في كثير من الأحيان في إطار المصلحة والجري وراء متاع الدنيا منها .

وأتضح في مقابل ذلك أنّ فريقاً آخر من علماء تلمسان اعتزل الحياة السياسية وفضّل عدم الاقتراب من ساحتها رغم ما عُرض عليه من أجل تقريبه إليها ، كما أفرزت مشاركة بعضهم فيها إلى الندم والحزن على ذلك ، وتطبيق التقلب في قصورها ومكائدها طلاقاً باتناً ، خاصّة أنّ هؤلاء العلماء لم يسلموا في أغلبهم من غضب السلاطين وسخطهم ؛ والذي أدّى في الكثير من الأحيان إلى مطاردتهم والإرسال في البحث عنهم ، والقبوع في سجونهم .

وأخذت مشاركة علماء تلمسان في الحياة السياسية عدّة مظاهر ؛ فقد كان تولي مختلف المناصب ، وقيادة الوفود والسفارات ، وتقديم البيعة للسلاطين ، والسعي لمدهم وبيان شرف أسرهم عند بعضهم ، وحضور مجالسهم واحتفالاتهم ، كلّها أدلة على تلك المشاركة .

أمّا عن الدور الذي قام به علماء تلمسان من خلال مشاركتهم في الحياة السياسية ببلاد المغرب ومدى تأثيرهم في أحداثها ، فإنّه لم يرق في الغالب إلى تغيير هذه الأخيرة ؛ فلقد كان احتلال مدينة تلمسان وحصارها — مثلا — عدّة مرّات واقعا عايشه علماء تلمسان دون أن يكون لهم دورٌ فعّال في رفعه ، بسبب تحوّلهم إلى صف المُحتل والمنتصر أحيانا ، أو بعدم تعاملهم مع هذه الأحداث بأكثر فعالية وإصرار أحيانا أخرى ، كما أنّ سعيهم في إيقاف الصراعات الخارجية والخلافات الداخلية لم يُكتب له التوفيق في الكثير من الأحيان .

وتبيّن لنا من جهة أخرى أنّ علماء تلمسان عاشوا حياة اجتماعية عادية ؛ فقد كانت الأسرة هي المنشأ والمكوّن الأوّل لهم ، ونظروا إليها ولأفرادها نظرة احترام وتقدير ورعاية ، كما كانت لهم مخالطة لأفراد مجتمعهم وربطتهم بهم علاقات وصلات وطيدة ، عاملوهم أثناءها بالاحترام والأخلاق الحسنة . ولم يكن انشغالهم بالعلم والسياسة ليُبعدهم عن الاهتمام بشؤون المجتمع ، فكثيرا ما سخر العلماء المناصب التي شغلوها و قربهم من السلطة السياسية لقضاء حاجيات أفراد المجتمع وتنفيس كُربهم من خلالها .

وقدّم علماء تلمسان خدمات جليلة لأفراد مجتمعهم ، لم تقتصر على مواطنهم تلمسان فحسب بل شملت بلاد المغرب كلها ؛ فانصبوا لعملية التعليم وسخّروا في ذلك بيوتهم وحوانيتهم وقاموا بإيواء طلبتهم وإكرامهم ، كما كان من أشكال تلك الخدمات إفتاء الأفراد في ما علق لهم في شؤون حياتهم ، والحكم في قضاياهم وخلافاتهم ، والعمل على إصلاح مجتمعهم بمحاربة الأخلاق السيئة والسلوكات المُنحرفة التي وقع فيها بعضهم .

وأكد وقوف العلماء مع أفراد مجتمعهم في المحن والشدائد التي تعرّضوا لها ، على الاندماج الذي عاشوه مع مختلف فئات المجتمع وقربهم منهم ، وكانت المجاعات والأوبئة التي كثيرا ما تكرّرت تُعتبر محكّا حقيقيا أبان فيها العالم عن شفقتة على أحوال مجتمعه والسعي لتجاوز مُلّماته ، حتى وإن كان ذلك بالتفريط في حاجته والإيثار بنفسه ، كما أكّد هذا العطف سعيهم لرفع المغارم والضرائب عنهم واستغلالهم لعلاقاتهم السياسية لتحقيق ذلك .

وإذا ما قارنّا بين دور علماء تلمسان في الحياة الاجتماعية مع ما سبقها من دورهم في الحياة السياسية أو ما يتبعها في الحياة العلمية فإنّنا نلاحظ تواضعا لهذا الدور ، ويمكن تفسيره

بالوضع الاجتماعي للعلماء أنفسهم ؛ فلقد كان الفقر والحاجة ملازمين لعدد كبير منهم ، كما أنّ تلك المجاعات والأوبئة التي أبانوا من خلالها على دور اجتماعي كبير ، قد حصدت أرواح الكثير منهم وأحقتهم بعدد الهلكى من أفراد المجتمع الآخرين .

وقابل أفراد المجتمع تلك الأخلاق التي عاملهم بها العلماء والأدوار والخدمات التي قدّموها لهم بالاحترام والتقدير وحفظ للجميل ، وتجلّى ذلك في إظهار مودّتهم وتمنّي رؤيتهم والاجتماع بهم ، والحزن على فراقهم الذي كان امتلاء الطرقات في جنازهم أحد مظاهره وصوّره ، كما كان حفظ ذكراهم وتوقير أسرهم بعدّهم يُعبّر أيضا عن المكانة التي حظي بها علماء تلمسان في أعين مجتمعهم .

وكان دور علماء تلمسان العلمي هو الأساسي بين تلك الأدوار التي قاموا بها في بلاد المغرب الإسلامي ؛ وذلك باعتبار تكوينهم العلمي الذي جعلهم يحتكون بهذا الجانب أكثر من غيره . وقد أبان علماء تلمسان عن تمكّنهم ونبوغهم في عدّة علوم خاصّة الدينيّة منها ؛ ممّا بوّأهم لأن تكون لهم مكانة علمية راقية جعلتهم نجوما في سماء العلم ببلاد المغرب الإسلامي ومقصدا لطلّبه والراغبين في الاستزادة منه . وقد أحصينا ثمانية وستين عالما تلمسانيا عاشوا خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 15 م) ، كان أغلبهم له إمامٌ بأكثر من علم .

وتجلّى الدور العلمي للعلماء من خلال بثّهم لمختلف العلوم التي انبرت لها مجالسهم العلمية في مدارس تلمسان وبلاد المغرب ومساجدها ، إضافة إلى بيوتهم والمجالس السلطانية . وقد بلغ عدد العلماء المدرّسين ثلاثة وأربعين مدرّسا ؛ ونتيجة ذلك عرفت مدينة تلمسان توافد عدد كبير من الطلبة ، كما كانت إقامة علماء تلمسان بمختلف المدن المغربية فرصة ثمينة أخرى للطلّبة للالتقاء بهم والنهل من علومهم .

كما عكس الإنتاج العلمي والتأليف في مختلف العلوم تلك المكانة العلمية لعلماء تلمسان ، بلغ عددها مائة وأربعة وتسعين مؤلّفا ، مائة وثمانية عشر منها في العلوم الدينيّة ، وكان انتشار هذه المؤلّفات وتدرّيسها واستعمالها من طرف طلبة العلم وأهله في بلاد المغرب

يدلنا على القيمة العلمية لها ؛ إلا أن ما يُؤخذ عنها هو سيطرة المختصرات والحواشي التي جاوز عددها التسعين ؛ مما جعل أعمالهم وإنتاجهم العلمي يوصف بالتقليد وإعادة ما ألف من قبل .

وأظهرت مشاركة علماء تلمسان في النقاشات والمناظرات العلمية فيما بينهم ومع علماء بلاد المغرب الآخرين عن مظهر ودور آخر لهم في الحياة العلمية ، فقد أثارت العديد من القضايا العلمية والفكرية نقاشا كانوا أحد طرفيه . واحتضنت تلك المناظرات مجالس علمية خاصة ، كما كانت المراسلات العلمية وسيلة أخرى لتبادل الآراء فيها ، وإضافة إلى إظهارها لسعة علم علماء تلمسان فإنها من جهة أخرى أبرزت أخلاقهم وحسن معاملة مخالفيهم .

ورغم معارضة عدد من العلماء للتقليد الذي طبع الفترة التي عاشوا فيها ، ووصف عدد آخر منهم بالاجتهاد والتميز ببعض الآراء العلمية ، فإن ذلك لم يرق إلى ما هو مطلوب منهم على الصعيد العملي ؛ فقد جاءت مؤلفاتهم العلمية لتؤكد التقليد الذي انطلى على عدد كبير منهم ونفى عنهم صفة الاجتهاد .

وخلصة الدراسة ، أن ما قمنا به في بحثنا قد كشف عن بعض الجوانب من حياة علماء تلمسان ، والأدوار التي قدّموها في الميادين السياسية والاجتماعية والعلمية ، إلا أن مواصلة البحث والسبر في أغوار بحر هؤلاء العلماء سيضيف معلومات واستنتاجات أخرى في هذا الجانب ، خاصة إذا توفرت موارد أخرى أمام الباحث لم تستفد منها هذه الدراسة .

المسألة رقم

سلاطين بنى حفص (1)

(634 - 981 هـ / 1237 - 1573 م)

السلطان	فترة حكمه
01 - أبو زكرياء يحيى	634 - 647 هـ / 1237 - 1249 م
02 - محمد المنتصر بالله	647 - 675 هـ / 1249 - 1277 م
03 - أبو زكريا يحيى الوائى	657 - 678 هـ / 1277 - 1279 م
04 - أبو إسحاق إبراهيم الأول	678 - 683 هـ / 1279 - 1284 م
05 - أبو حفص عمر الأول	683 - 694 هـ / 1284 - 1295 م
06 - أبو عبد الله محمد أبو عصىة	694 - 709 هـ / 1295 - 1309 م
07 - أبو بكر بن يحيى	709 - 709 هـ / 1309 - 1309 م
08 - أبو البقاء خالد الأول	709 - 711 هـ / 1309 - 1311 م
09 - أبو يحيى زكرياء الأول	711 - 717 هـ / 1311 - 1317 م
10 - محمد أبو ضربة	717 - 718 هـ / 1317 - 1318 م
11 - أبو بكر بن أبي زكرياء	718 - 747 هـ / 1318 - 1346 م
12 - أبو حفص عمر الثاني	747 - 748 هـ / 1346 - 1347 م
13 - أبو العباس الفضل	750 - 751 هـ / 1350 - 1350 م
14 - أبو إسحاق إبراهيم الثاني	751 - 770 هـ / 1350 - 1369 م
15 - أبو البقاء خالد الثاني	770 - 772 هـ / 1369 - 1370 م
16 - أبو العباس أحمد الأول	772 - 796 هـ / 1370 - 1394 م
17 - أبو فارس عبد العزيز	796 - 837 هـ / 1394 - 1433 م
18 - محمد المنتصر	837 - 839 هـ / 1433 - 1435 م
19 - أبو عمرو عثمان	839 - 893 هـ / 1435 - 1488 م
20 - أبو يحيى زكرياء الثاني	893 - 899 هـ / 1488 - 1493 م
21 - أبو عبد الله محمد	899 - 932 هـ / 1493 - 1526 م
22 - الحسن بن محمد	932 - 950 هـ / 1526 - 1543 م
23 - أبو العباس أحمد الثاني	950 - 977 هـ / 1543 - 1569 م
24 - محمد بن الحسن	977 - 981 هـ / 1569 - 1573 م

(1) - أحمد بن عامر : المرجع السابق ، ص 18 ، 19 . انظر أيضا : - إدوارد فون زامبارو : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى ، إخراج : محمد حسن بك ، وحسن أحمد محمود ، دار الرائد العربى ، بيروت ، لبنان ، 1400هـ/1980م ، ص ص 115-117 .

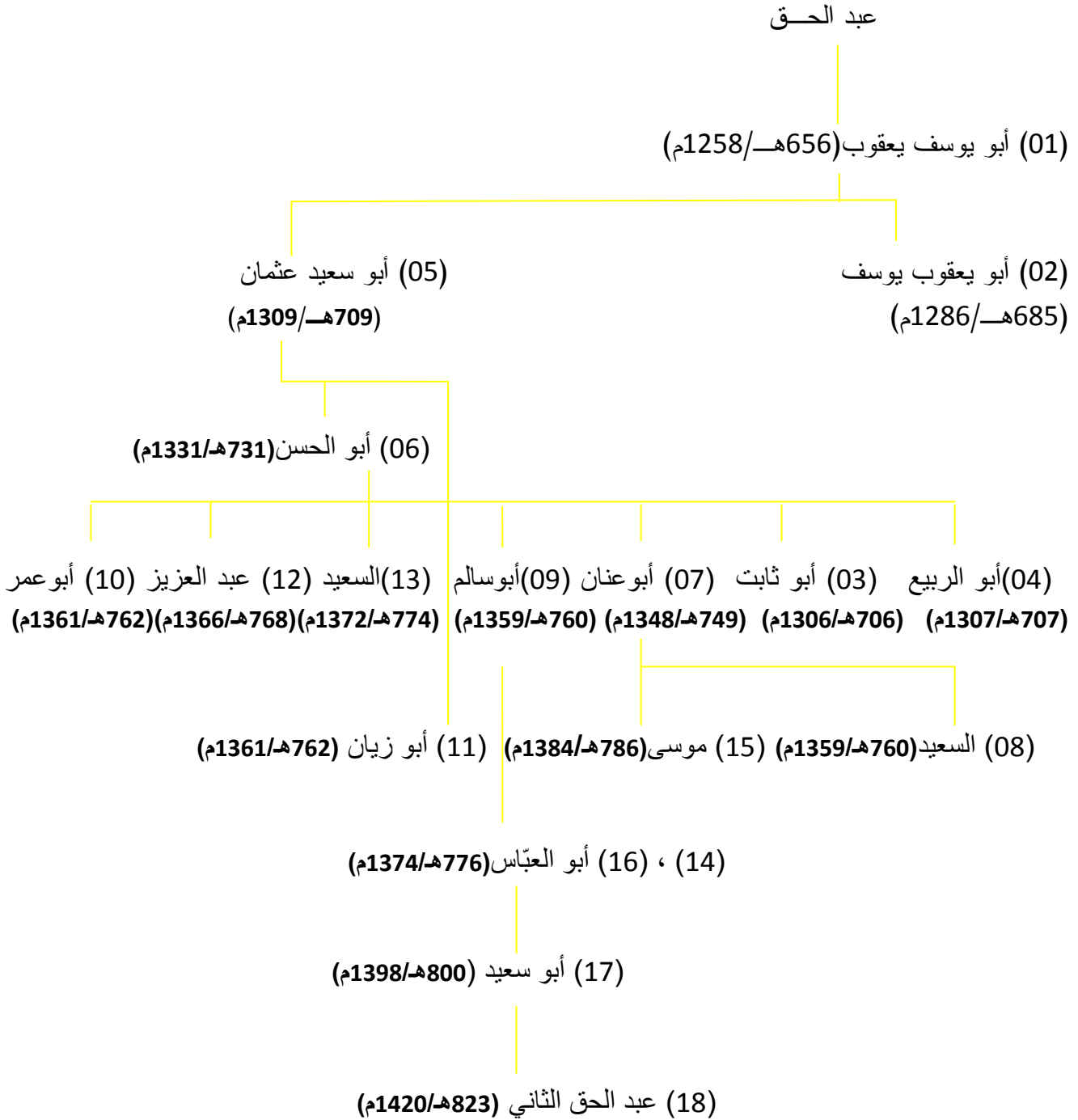
سلاطين بنى زيان (1)

(633 - 962 هـ / 1235 - 1554 م)

السلطان	فترة حكمه
01 - أبو يحيى يغمراسن بن زيان	633 - 681 هـ / 1235 - 1282 م
02 - أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن	681 - 703 هـ / 1282 - 1303 م
03 - أبو زيان محمد بن عثمان الأول	703 - 707 هـ / 1303 - 1307 م
04 - أبو حمو موسى بن عثمان الأول	707 - 718 هـ / 1307 - 1318 م
05 - أبو تاشفين الأول عبد الرحمان بن أبي حمو الأول	718 - 737 هـ / 1318 / 1337 م
06 - أبو سعيد عثمان الثاني	749 - 753 هـ / 1348 - 1352 م
07 - أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف	760 - 791 هـ / 1359 - 1389 م
08 - أبو تاشفين الثاني عبد الرحمان بن أبي حمو الثاني	791 - 795 هـ / 1389 - 1392 م
09 - أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني	795 - 796 هـ / 1392 - 1393 م
10 - أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو الثاني	796 - 797 هـ / 1393 - 1394 م
11 - أبو زيان الثاني عبد الرحمان بن أبي حمو الثاني	797 - 801 هـ / 1394 - 1399 م
12 - أبو محمد عبد الله الأول بن أبي حمو الثاني	801 - 804 هـ / 1399 - 1402 م
13 - أبو عبد الله محمد الأول المعروف بابن خولة	804 - 813 هـ / 1402 - 1412 م
14 - عبد الرحمان الثالث	813 - 814 هـ / 1411 - 1411 م
15 - السعيد بن أبي حمو الثاني	814 - 814 هـ / 1411 - 1411 م
16 - أبو مالك عبد الواحد بن حمو الثاني (المررة الأولى)	814 - 827 هـ / 1412 - 1424 م
17 - أبو عبد الله محمد الثاني المعروف بابن الحمراء (المررة الأولى)	827 - 831 هـ / 1424 - 1428 م
18 - أبو مالك عبد الواحد (المررة الثانية)	831 - 833 هـ / 1428 - 1430 م
19 - أبو عبد الله محمد الثاني (المررة الثانية)	833 - 834 هـ / 1430 - 1431 م
20 - أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الثاني	834 - 866 هـ / 1431 - 1462 م
21 - أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله	866 - 873 هـ / 1462 - 1468 م
22 - أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي	873 - 910 هـ / 1468 - 1505 م
23 - أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي	910 - 922 هـ / 1505 - 1516 م
24 - أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (المررة الأولى)	922 - 923 هـ / 1516 - 1517 م
25 - أبو زيان أحمد الثالث	923 - 924 هـ / 1520 - 1521 م
26 - أبو حمو الثالث محمد الثابتي (المررة الثانية)	924 - 934 هـ / 1521 - 1528 م
27 - عبد الله بن أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي	934 - 947 هـ / 1528 - 1540 م
28 - أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني	947 - 949 هـ / 1540 - 1542 م
29 - أبو عبد الله محمد بن أبي حمو	949 - 949 هـ / 1542 - 1542 م
30 - أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله (المررة الثانية)	949 - 957 هـ / 1542 - 1550 م
31 - الحسن بن عبد الله الثاني الزياني	957 - 962 هـ / 1550 - 1554 م

(1) - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 02، ص 500، 501. انظر: - إدوارد فون زامبارو: المرجع السابق، ص 118-121.

سلاطين بنى مرين (1)



(1) - الصديق بن العربي : كتاب المغرب ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1404هـ/1984م ، ص 255 .
انظر أيضا : - إدوارد فون زامبارو : المرجع السابق ، ص 122 ، 124 .

الحوار بين أبي العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1340م) والسلطان الزياني أبي
تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1336م)

قال أبو عبد الله ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ/1379م) : " رأيتُ يومًا
السلطان المرحوم أبا تاشفين رحمه الله بالعباد وقد قصد زيارة ضريح الشيخ سيدي أبي
مدين رضي الله عنه ، فلقني عمي فسأل عن والدي فقال له هو هنا في الجامع ، فلمَّا
دخل الجامع لقيه والدي رحمه الله فصافحه وقال له سألتك بالله لأي شيء تمنعنا من
رؤيتك والتبرك بك ، لا نُجيبنا ولا تزورنا وإنْ أذنت لنا أن نزورك زُرناك ، فشكر له
وقال له رؤيتي لك بظهر الغيب فلا تحمل لي على ما لا قدرة لي عليه ولا أصلح له ،
فقال له المقصود أن أكون في خاطرك ورغبتني أنْ أدفن في هذا الموضع الذي أعددتَه
للدفن إلى جانبك كما دُفن جدِّي مع أبيك فقال له رحمه الله أمَّا أنا فأرجو من ربِّي ألا
أدفن إلا حيث أطلب في أحد الحرمين الشريفين ... فتحدّث معه ساعة وانصرف " (1) .

(1) - ابن مرزوق : المجموع ، ط 28 .

شفاعة السلطان أبي الحجاج يوسف الأول ملك غرناطة للفقير الخطيب أبي عبد الله ابن مرزوق التلمساني عند السلطان المريني أبي عنان⁽¹⁾ ، ووردت هذه الرسالة مؤرخة : في 24 رجب 754هـ / 19 جويلية 1353م⁽²⁾

ذكر لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م) : " ... ولما تحصل ما تيسر من ذلك انصرف محفوا بعالمي القطر قاضي الجماعة أبي القاسم الحسني والشيخ الخطيب أبي البركات ابن الحاج ، مسلمين لوروده ، مشافهين بالشفاعة في غرضه ، فانقشعت الغمة وتنقست الكربة ، واستصحبنا من المخاطبة السلطانية في أمره من إملائي⁽³⁾ : " المقام الذي ظلال فضله ممدودة ، وينابيع جوده مورودة ، وأبواب مثابته مقصودة ، وحركات إقباله مرصودة ، وكتائب نصره مؤيدة معصودة ، وجواهر فخره على ترائب الأزمان ونحره مسوقة منضودة ، مقام محل أخينا الذي نصل الثناء على معاليه ، ونقتص نتيجة النصر من مقدمة وعده وتاليه ، ونردّد مفصل حمده ونواليه على استمرار الدهر وتواليه ، وتنوعّد الكافر به وبمن يواليه ، وننذره بطول الآثار العلوية عند شيم بوارق عواليه . السلطان الكذا أبو عنان ، ابن السلطان الكذا أبي الحسن علي ، ابن السلطان الكذا أبي سعيد المريني . أبقاه الله مقصود الجناب واصلا لمئين الأسباب ، تحيي أسنة كتائبه رسوم السنة والكتاب ، وتتكفل عزائمه للإسلام وأهله بنيل الطلاب وبلوغ الأراب ، ولا زال سعه مقبل الشباب مفتح الأبواب ، وصنع الله له أنيق الأثواب ، ومراقبته الله تعالى كفيلة بالزلفى وحسن المآب . معظم مثابته العالية ودرجاته السامية ، المعتد بعزائمه الماضية ، المثني على مكارمه الوافية وفواصله الكافية ، الداعي لملكه باتصال العزّ وتوالي العافية . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر .

سلام كريم ، برّ عميم ، يخصّ مقامكم الأعلى ، ومثابنتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

(1) - انظر : ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ص 123 - 125 . / الإحاطة : ج 02 ، ص 197 ، 200 .

انظر أيضا : - المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص ص 209 - 214 .

(2) - ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص 122 .

(3) - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 197 .

أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله ، والثناء عليه بمتواتر جوده و مترادف فضله ، الذي تمخّض الودّ الخالص من أجله ، وتصل اليد على دفاع من حاد عن سبيله ، ونخلص الضمائر لإعلاء دينه الحق وجمع شمله . والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد نبيّه ورسوله خيرة أنبيائه وخاتم رسله ، الذي نعول على جاهه في الأمر كله ، ونأوى في الدنيا والآخرة إلى ظله . ونجعل المودّة في ابتغاء مرضاته وسيلة إلى كريم محله . والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه وأهله ، المقترنين به في قوله الكريم وفعله المهتدين بهديه في ظعنه وحله ، وعقده وحله ، المستمسكين بمتين حبله . والدعاء لمقامكم الأعلى بنصر يمضي في الأعداء شبا نصله ، وصنع يتكفل للإسلام ببسوق فرعه وثبات أصله . فإنّا كتبنا إليكم — كتب الله لكم سعدًا تطلع به في أفق الإسلام كواكبه ، ونصرًا تسطر في صحف الأيام عجائبه ، وصنعا إلهيا يعرف بالحاضر منه غائبه ، واعتناء تنيسر به آمال الدين الحنيف ومطالبه — من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وعندنا من التشيع لمقامكم عقائد بمواطنها بالظواهر معضودة ، وأوقاتها بما يرضى الله — عزوجل — مشهودة ، وآماننا بالإعتداد بكم ظلّالها ممدودة ، وجهاتنا بتأميل مقامكم أبواب المخاوف عنها مسدودة . أبقاكم الله بقاء يشرح صدر الإسلام ، وتتهلل له وجوه الأيام ، وحكم لمكم على أعدائه بثبات الأقدام ونصر الأعلام .

وإلى هذا ، فإنّنا — بعد أن نقدم الواجب الأوّل ، والمهم الذي لا نوثر على تقديمه قولا ، من الاسؤال على أحوال ذاتكم السنية ، وتقرير التشيع إلى تلك المثابة السلطانية ، وبث ما عندنا من خلوص الضمير وأماض النيّة — نعرفكم — عرفكم الله أسباب السعادة الأبدية ، ونصر بعزماكم طائفة الأمة المحمّدية ، ونفع المسلمين بما لنا فيكم من المقاصد الودية — أنّ الشيخ الفقيه الحاج أبا عبد الله بن مرزوق — وصل الله عزّته ، ويسر وجهته — لما ورد علينا ، واستقر لدينا — وهو جملة من جمل الفضل ، والمستولى على أمر الحصل ، وفارس المنابر يروض صعابها ، ويفرع هضابها — قمنا جهد امكاننا بحقه ، وعرفنا له مزية سبقه ، واقتدينا بكم وبيابكم الكريم في ترفيع قدره ، والمثابرة على برّه ، وسوغنا لمستفيد العلم مورد إفادته ، وشددنا عليه يد الإغتباط في إبدائه وإعادته ، إذ هذا القطر المنقطع يتوفر فيه الإغتباط بحملة السيوف وحملة العلوم ، هو لآلاء قامّة الجهاد

محتوم ، وهو لألاء قامة ما للدين من الرسوم ، ومع ذلك فلم يقر له بتفريق شمله قرار ، ولا فارقه إليهم حنين ولا ادكار ، والأوطان لا تفارقها الأفكار ، والأولاد ثمرة الفؤاد وأفلاذ الأكياد .

ولمّا صدر فيما تقدّم من التماس وصولهم ما لم يهيئه المقدار ولا صحبه الاختيار ، عزم الآن — والله يسني توفيقه ، ويسهل طريقه — على قصد بابكم الكفيل بالأمل ، الضمين لنجاح العمل ، ليجدّد العهد بتعظيم مثابته ، ويبث ما يعانيه بسبب تشتت شمله من كاتبه ، ويباشر الرعية بنفسه ، واثقا بتلبية المقام الكريم وإجابته . ولم يزل منه هذا العزم معمل الركائب مفتح الأبواب ، لا سيما مع ما تقدّم في شأنه من مخاطبة ذلك الجنب ، وكنا نكل الأمر إلى اختياره عند ورود الخطاب ، فيعتذر بما قرّر من الأمور الخاصّة والأسباب . والآن أفصح بتغلب شوقه ووجده ، وارتفاع عذره واستقامة قصده ، وشرع في اللحاق بباكم الأعلى بغاية جدّه ، وطلب منا أن نخاطبكم في شأنه ، ونستمطر له من مقامكم سحائب إحسانه . ونرغب منكم في تيسير أمّله ورغبته ، وإسعاف قصده ونيل طلبته . ومقامكم غني عن التنبيه على ما أشهر بالخلوص له ولسلفه ، والدعاء الصالح في دياجي الليل وسدّفه ، والثناء الكريم الذي يخجل الزهر حين مقتطفه .

فبادرنا إلى إسعاف سؤله ، وتيسير مأموله ، وتسهيل سبيله ، وترجيح دليله ، إذ هذه الجهات الودية لا يختلف — كما ذكرنا — حكمها ، ولا يعفو في المودّة رسمها . وعرفنا مقامكم بذلك ليكون منه على علم مقرّر ، وأصل محرّر . ونحن — على ما يعلمه مقامكم من التعظيم الذي أسبابه مبرمة ، من التشيّع الذي آيته محكمة ، والودّ الذي حلله مطرزة معلمة — لا يمر يوم إلا ولدينا عن مقامكم العلى سؤال ، وفي تسني أماله — بحول الله — آمال . وهو سبحانه يصل سعودكم ، ويحرس وجودكم . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب في الرابع وعشرين لرجب الفرد من عام أربعة وخمسين وسبعمئة ، عرف الله ببركته .

اسم الخطيب	الجامع	الفترة الزمنية	السلطان	المصدر
أبو عبد الله بن عثمان بن عامر	الجامع الأعظم	(689-703هـ ⁽¹⁾)	أبوسعيد الأول	-المجموع : و 44
أبو سعيد عثمان بن عامر	الجامع الأعظم	نائباً عن ابنه في سفارته ⁽²⁾	أبوسعيد الأول	-المجموع : و 44
أبو زيد بن أبي العيش	الجامع الأعظم	بعد أبي عبد الله بن عثمان بن عامر .	أبوسعيد الأول	-المجموع : و 44
أبو عبد الله بن أبي العيش	الجامع الأعظم	بعد والده	أبو تاشفين الأول	-المجموع : و 15
محمد بن أبي عبد الله بن أبي العيش	الجامع الأعظم	بعد والده	أبو تاشفين الأول	-المجموع : و 15
عبد الرحيم بن أبي العيش	؟ ⁽³⁾	بعد ابن أخيه محمد	أبو تاشفين الأول	-المجموع : و 15
محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش	؟	بعد والده	أبو تاشفين الأول	-المجموع : و 15
عثمان بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي العيش	؟	بعد ابن عمه محمد	أبو تاشفين الأول	-المجموع : و 15
يحيى بن عثمان بن أبي العيش	؟	بعد والده	أبو تاشفين الأول	-المجموع : و 15
أبو زيد بن أبي زاغ	؟	؟	أبو تاشفين الأول	-المجموع : و 23
أبو عبد الله بن هدية	الجامع الأعظم	؟	أبو تاشفين الأول	-المجموع : و 11 -بغية الرواد: 51/1
أبو محمد المجاصي	؟	قبل سنة 741هـ ⁽⁴⁾ /1340م	أبو تاشفين الأول	-المجموع : و 15

(1) - فترة حكم السلطان أبي سعيد الأول الذي ولاه الخطابة .

(2) - أرسله السلطان في شأن الصلح بين السلطانين أبي عثمان بن يغمراسن ، والسلطان أبي يعقوب . انظر : ابن مرزوق : المجموع ، و 44 .

(3) - قد يكون بالجامع الأعظم لتعاقب أبيه وجدّه به .

(4) - وهي سنة وفاته ، انظر : الونشريسي : الوفيات ، ص 111 .

أبو عثمان بن سعيد العقباني	الجامع الأعظم	ما بين 769-777 هـ/ 1367-1375 م	أبو حمو موسى الأول	-بغية الرواد: 60/1
أبو الحسن علي بن هدية	الجامع الأعظم	ما بين 769-777 هـ/ 1367-1375 م	أبو حمو موسى الأول	-بغية الرواد: 52/1
محمد بن مرزوق	جامع العباد	قبل سنة 737 هـ/1337 م	أبو الحسن المريني	-ثبت البلوي : ص 247 -التعريف : ص 50
أبو عبد الله ابن مرزوق	جامع العباد	سنة 737 هـ/1337 م	أبو الحسن المريني ⁽¹⁾	-المجموع : و 33 -نفح الطيب : 5/392 -الإحاطة : 3/53
أبو عثمان بن الخياط	؟	؟	؟	-بغية الرواد: 53/1
أبو عبد الله محمد بن الحمال	؟	بالتناوب مع أبي عثمان بن الخياط	؟	-بغية الرواد: 53/1
أبو عبد الله محمد بن العباس	جامع العباد	سنة 869 هـ/1465 م	؟	-رحلة عبد الباسط بن خليل : ص 43
أبو سالم إبراهيم العقباني	الجامع الأعظم	سنة 869 هـ/1465 م	؟	-رحلة عبد الباسط بن خليل : ص 44
أبو عبد الله ابن مرزوق الحفيد	جامع العباد	سنة 798 هـ/1396 م	؟	- برنامج المجاري : ص 135 .
21 خطيبا	→ المجموع			

(1) - ذكر صاحب " زهر البستان " (ظ93) : أن ابن مرزوق خطب بجامع العباد للسلطان أبي حمو موسى الثاني سنة 764 هـ/1362 م .
انظر : - صابرة خطيف : " فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية " ، رسالة ماجستير سابقة ، ملحق 13 ، ص 322 .

نص وثيقة تحبب كتبها ابن مرزوق الحفيد⁽¹⁾

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أشهد على نفسه فلان بن فلان شهيداً هذا العقد في صحته وجواز أمره ، لما رغب فيه من الأجر والثواب ، إنّه حبس جميع جنانه الكائن له بخارج بلدة توزر المسمّى كذا ، وغرباً كذا ، وجوفاً كذا — بجميع منافع الجنان المذكور ومرافقه وحقوقه الداخلة فيه والخارجة عنه وما عدّ منه ونسب إليه قديماً وحديثاً ، وشربه المعلوم له ، لم يستثن المحبس المذكور في الجنان المذكور لنفسه منه شيئاً إلا أدخله في التحبب المذكور على ولده فلان الصغير الكائن في حجره وتحت ولاية نظره ، وعلى كل ولد ذكر يولد له بعد هذا التاريخ إن قدر الله سبحانه وتعالى به ، وعلى بناته شقيقات فلان المذكور ، وعلى كل من سيولد له من البنات أيضاً .

يقتسم المحبس عليهم المذكورون غلة الحبس المذكور على فرائض الله تعالى ، إلا أنّ البنات من وجد منهنّ ومن لم يوجد لا حق لهنّ إلا إذا كنّ أيامى محتاجات ومن تزوجت منهنّ أو استغنت فلا حق لها مع الذكور المذكورين . ومن مات من الذكور المحبس عليهم فنصيبه للذكور والإناث من أولاده الذكور على الشرط المذكور . فإذا انقرض أولاد صلب المحبس المذكور رجع ذلك إلى ولده على الوصف المذكور . وهكذا يكون الحبس على بنيه الذكور والإناث على الشرط المذكور بطناً بعد بطن ما تتاسلوا وامتدت فرووعهم .

فإن انقطع عقبه رجع الحبس المذكور إلى أقرب الناس به من العصابة ، ثمّ إلى الأقرب فالأقرب منهم ، فإذا انقرضوا رجع الجنان حبساً على مدرّس العلم الشريف بالمسجد الجامع من بلد توزر تحبباً تاماً مؤبداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ومن سعى في تبديله أو تغييره فالله تعالى حسيبه ومتولى الإنتقام منه ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

عرف المحبس المذكور قدر الحبس المذكور ومنتهى خطره ، ورجاء ثوابه الجسيم والله لا يضيع أجر المحسنين . شهد على المحبس المذكور بما فيه عنه ، وهو بحال صحة وطوع وجواز أمر . وعرفه في تاسع جمادى الآخرة عام ثمانية وعشرين وثمانمائة ، محمّد بن أحمد بن محمّد بن مرزوق العجيسي وعمر بن محمّد بن عبد الله القلشاني .

انتهى وصلى الله على سيدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

(1) - سعد الله : " وثيقة تونسية لابن مرزوق التلمساني " ، المقال السابق ، ص 130 .

رسالة الفقيه أبو محمد عبد الله العصنوني إلى فقهاء تلمسان وفاس⁽¹⁾

كتب ... الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني من توات لفقهاء تلمسان وفاس ما نصّه :

سيدي رضي الله تعالى عنكم ، وأدام بمنّه عافيتكم ، ومتع المسلمين بطول حياتكم . جوابكم الكريم في مسألة وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء ، وهي كنائس اليهود الكائنين بتوات وغيرها من قصور الصحراء ، فقد شغب علينا فيها المغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيباً كاد أن يوقع في فتنة . وذلك أنّي أفنيت بتقريرها ، إذ سألتني الفجيجي عنها وعن فصول آخر في شأنهم ممّا أنكره عليهم وعلى الغلائف ، وسأشير لكم إلى بعض جوابي وهو ما يخصّ الكنائس وما اعترض به علي لتتظروا فيه . وذلك أنّي طالعتُ ابن عرفة فوجدته حصل في بلد العنوة والذي اختطه المسلمون ثلاثة أقوال ، ثمّ تكلم على حكم بلاد الصلح . ثمّ طالعتُ ابن يونس فوجدته تكلم على تلك الأقسام الثلاثة وأتى بقول مالك في بلد الإسلام دليلاً على الحكم الذي أسّسه في البلد الذي اختطه المسلمون وذكر خلاف الغير في بلد العنوة خاصّة ، ثمّ طالعتُ البرزلي فوجدته ذكر ما ذكر ابن يونس بعد ذكره نازلة ابن الحاج في ذلك ، وذكر نوازل آخر في الكنائس بعد ذلك ، وسأثبت منها شيئاً بعد إنّ شاء الله . فتأملتُ ما في الكتب المذكورة إذ هي جملة ما حضرني ، فسبق منها إلى فهمي من كلام ابن عرفة أنّ المدوّنة محمولة على أنّ الغير يخالف في بلد العنوة وفي البلد الذي اختطه المسلمون لتصريحه بخلافه فيهما عن اللخمي ...

ولمّا حصل عندي هذا الفهم الذي قرّرتُه لكم ، وسبق أيضاً إلى فهمي أنّ المسألة المسؤول عنها هي مندرجة في البلد الذي اختطه المسلمون ، إذ معنى الإختطاط عندي البناء والتأسيس ، أثبتتُ الأقوال الثلاثة وعزّوتها كعزوه . وقد كنتُ وفقكم الله رأيت في البرزلي ما نصّه : شرط المأمور به أن يكون واجباً بالإجماع ، وشرط التغيير أن يكون المنهي عنه محرماً بالإجماع ، فقلتُ لهذا أثر ذكرني الأقوال الثلاثة ، والصواب عندي تقريرها اتباعاً لقول الغير لجري العمل به في كثير من مدن المغرب ، وهي لما اختطه المسلمون في صدر الإسلام وبعده ، وفيها العلماء

(1) – انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج02 ، ص ص 215 - 217 .

متوافرون في كل وقت ، وفيهم من لا يسكت على باطل . وكذلك قواعد هذه الصحراء قد حلّ بها علماء فضلاء ، وقد شاهدوا الكنائس فيها وهم ممّن يمتثل قولهم في الأحيان ، وقد أنكروا أشياء على أهل الذمّة وعلى غلايفهم ، ولم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروه .

ثمّ قلتُ : ولعل ما ذكرته في مدن المغرب من المسامحة لهم فيها إنّما كان لأمر أعطوه أو لغلبة الولاة أو أنكر العلماء فلم يسعفوا ، أو علموا أنهم لا يسعفون فتركوا التغيير .

فقلتُ : هذا بعيد ، إذ لو كان شيء من ذلك لعلم وسمع . ثمّ قلت ولعل إذن الغلائف منذ قديم الزمان لهم يتنزل منزلة العهد الذي ذكره ابن القاسم في قوله إلا أن يكون لهم عهد فيوفى به . وفي لفظ آخر أمر أعطوه ...

وخالفني المغيلي وقال إنّ هدمها واجب ، وقال : لا يعلم فيها خلافا ، وقال لا يفتي بتقريرها إلا دجال . وكان هذا الجواب هو رأي السائل الفجيجي ، ونفياً للخلاف الذي نقلته وقالاً إنّه ليس بموجود في النازلة . والمغيلي في بعض الأوقات على رؤوس الأشهاد يدّعي الإجماع ويقول لمن يدعوه إلى هدمها تهدم وإن أدّى إلى قطع الرؤوس ، ومن مات ممّن يريد هدمها فهو من أهل الجنة ، ومن الآخرين فهو من أهل النار . وحكم على من منع من هدمها بالنار لأنّه رفع دين الكفر ونصره وقرّر بيتا يسبّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو هذا من التخليط . وقال مرّة لمن يخاطبه وهم كثيرون : هذه الجنّة وهذه النار يشير إلى مكانين من الأرض ، من هدمها فله الجنّة ، ومن حماها فله النار . وقال في ذلك الموطن وفي غيره : هذه محبّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه محبّة اليهود ، فاخترأوا أيها شتمتم ، يشير إلى أنّ تقريرها محبّة لهم ولما هم عليه من الكفر ، أعادنا الله وإياكم من ذلك ، ونحو هذا من الأمثلة وضرب الأمثال بآيات قرآنية وأحاديث نبويّة ينفر بها من تقريرها استنزل بها أكثر البلد بنسبتهم إلى الكفر وأهله ، والمسلمون براء من ذلك بحمد الله تعالى .

.... واعلم سيّدي أنّ الفجيجي وصف في سؤاله أهل الذمّة بأوصاف توجب أن يكونوا ناقضين للعهد ، ونحن يا سيّدي لا نعرفها ، لا سيما يهود مدينة توات . وغاية ما وقع منهم عند إهمال الغلائف لهم ما يوجب الزجر أو الأدب بل هم عند تقطنهم وزجرهم في غاية الذلة والصغار . وأمّا الجزية فلهم عوائد من قديم الزمان مع الأشياخ في الأعياد وسائر النوائب من الفتن وغيرها

من ضيافات العرب وغيرهم . ومرة لو فض ذلك زاد على القدر الواجب ومرة ينقص ومرة
يساوي . ويظلمون كثيرا ، ولو وحدوا العدل لهان عليهم القدر الواجب وأكثر منه . وكل ما قلناه
من وصف أهل الذمة يتحققه كل تاجر قدم توات من أهل بلدكم . بل ضعفوا في هذا الزمان وأضرّ
بهم العدم . واعلم سيدي أنّ يهود توات لهم درب اختصوا به وليس في خارجه إلا قليل منهم ،
وكنيستهم بين دورهم لا تلاصق دار مسلم . جوابكم ولكم الأجر والسلام عليكم والرحمة
والبركة .

جواب الفقيه المفتي أبو العباس أحمد بن زكري على رسالة العصنوني⁽¹⁾

الحمد لله ، الجواب عن السؤال المكتتب ... هو أن نقول : هدم الكنائس المسؤول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأي المحققين في الفقه المالكي الناظرين به في القضية ، والتشغيب فيها من عدم التحقيق في أصول المسائل العلمية ، فيغتر المشغّب في المسألة بظاهر عمومات هي مخصوصة ، وكذلك المطلقات من النصوص وهي مقيدات ، عل أن موضوعها إحداث الذمي كنيسة في بلد الإسلام ، وموضوع قضية النزاع هدم ما وجد من الكنائس مبنياً محوزاً بيد الذميين دهرًا طويلاً ولم ينكر عليه أحد من المسلمين . ولا يدل منع الإحداث على وجوب هدم المبني المحوز على الوجه الموصوف بشيء من الدلالة الثلاث . ولهذ الشيخ أبو الحسن اللخمي بأن الظاهر من قول ابن القاسم وغيره أن القديم من الكنائس يترك ولا يهدم . وكذا قول صاحب الجواهر لا نتعرض لكنائسهم ، مع قوله بعد هذا : فإن كانوا في بلدة بناها المسلمون فلا يمكنون من بناء كنيسة . ولا فرق إلا ما قلناه من أن المبني من الكنائس القديمة لا يتعرض لها وإن كان في موضع يمنع فيه الإحداث ، فلا يستقيم الاستدلال على وجوب الهدم بمنع الإحداث . على أن نقول : ما دل منها بعمومه وإطلاقه مخصوص ومقيد بغير المعاهدين والذميين إذا انتقلوا في بلد الإسلام من موضع إلى موضع ، ولم يخرجوا عن العهد والذمة فسكنوا فيه وأرادوا إحداث كنيسة لإقامة دينهم ، فإنهم يمكنون من بنائها ولا يمنعون منها . وإنما يمنعون من إظهار ما لا يجوز إظهاره كقراءة وضرب النواقيس . وعلى هذا بنى ابن الحاج في مسألة النصارى الراحلين من الغدوة بأمر أمير المسلمين إلى موضع استقروا فيه وطلبوا بناء كنائس في موضع استقرارهم ، فقال هؤلاء النصارى وصفوا بالعهد وذلك يقتضي ثبوتهم على ما سلف من العهد والعقد من الذمة ، والوفاء لهم واجب ، فيباح لكل طائفة منهم بناء بيعة واحدة لإقامة شريعتهم ، ويمنعون من ضرب النواقيس لأن أمير المؤمنين أمر بنقلهم للخوف والحذر للمسلمين قال : ورأيت لبعض المالكيين نحوه ، وهو الصحيح عندي ثم قال وتميّزت هذه المسألة عما اختلف العلماء فيه قديماً وحديثاً من المالكية وغيرهم لم أرَ لذكر اختلافهم هنا وجهًا .

قلتُ : وأنا لا أرى لهدم الكنائس المسؤول عنها وجهًا . أمّا أولاً فلأنّ الذميين المذكورين لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حين نزلوا فيه لساغ لهم ذلك ، ولا يسوغ منعهم على أيّ

(1) - الوثنريسي : المعيار ، ج 02 ، ص 218 ، 219 .

وجه فرضت من اختطاط أو إحياء ، إذ هم أهل ذمّة على ما علم من حال اليهود في بلد المسلمين ، إذ لا يعلم لهم فيها حربٌ ، فعقد الذمّة لهم قديم . فقد نصّ مشائخ المالكية على جواز نقل الذميّ جزيته من بلد لغيره من بلد الإسلام ، وذمّة المسلمين واحدة في كل بلد من بلادهم ، فلا يتوقف في أمرهم ، وإنما ينظر فيهم لو كانوا نصارى كما أشار إليه ابن الحاج في نازلته . ولعمري لو اتفق مثل ذلك لليهود لم يحتج إلى مثل ما احتج إليه من قوله هؤلاء قد وصفوا بالعهد إلى آخر ما ذكره فقضية النزاع ابتداء مندرجة في جوابه اندرجا أحرورياً لما علم من أنّ عقد الذمّة أقوى من العهد . فكيف يستقيم هدم ما وُجد مبنياً محوزاً بيد الذميين المذكورين في الكنائس ، لها بأيديهم أمداً طويلاً لا يعلم تاريخه ، ولا مانع من الإنكار عليهم عادة في تلك المواضع ولا في غيرها لما قد علم من حال اليهود في غالب أحوالهم ، فيجب القضاء بالملك لهم .

جواب الفقيه محمد بن عبد الجليل التنسي على رسالة العصنوني⁽¹⁾

الحمد لله الذي لا يستحق الحمد المطلق سواه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مختاره من الخلق ومصطفاه ، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا منهاجه القويم واهتدوا بهُداه ، ومن تبعهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله . من عبد الله تعالى المعترف بذنبه ، الراجي غفران ربّه ، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي لطف الله به إلى جماعة أهل تمنطيط ، وفقهم الله وسددهم وهداهم لقبول الحق وأرشدتهم . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد فقد ورد علينا من ناحيتكم سؤال نصّه بعد الإفتتاح : ما تقولون وفقكم الله في مسألة تمنطيط مدينة توات أحيى المسلمون أرضها بإخراج مياهها وغرس نخلها وبناء قصورها مدة ، ثمّ قدم عليهم اليهود ونزلوا عليهم في المدينة المذكورة وأحدثوا فيها كنيسة لإقامة دينهم وأقاموا على ذلك مدة إلى الآن ، فهل تُهدم تلك الكنيسة وإن كانوا ملكوا أرضها قبل بنائها بشراء من المسلمين أو غيره ؟ أو لا تُهدم ؟ أفوتونا في ذلك بجواب صريح ولكم الأجر فإنّ المسلمين في حيرة من هذه المسألة ، فإن كان الحق هدمها بدموها بلا فتنة ولا اختلاف ، وإن كان الحق إبقائها أبوقها بلا فتنة . والله الموفق ، والسلام عليكم والرحمة والبركة .

فاعلموا ، نور الله بصائرکم ، وطهر من اثباع الهوى سرائرکم ، أنّ الشريعة المحمّدية نسخت كل ملة ، وشفقت القلوب السقيمة من كل علة ، إذ برزت شمسها ساطعة ، وبدت براهينها قاطعة ، وقام بحفظها العلماء الأعلام ، مكلفين بحراستها على مرور الأيام ، واعتنوا ببيان حكم مسألة السؤال عصراً فعصراً من زمن الصحابة إلى هلم جراً . وسنورد عليكم من كلامهم ما لا يبقى معه لبس ، ولا تتشوّف إلى غيره نفس . وأصل ذلك أحاديث مروية من خير المرسلين ، وآثار وردت على وفقها عن الصحابة والتابعين ، اعتمد عليها قديماً وحديثاً علماء المسلمين . فقد روى أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **اهدموا الصوامع واهدموا البيع** ، وروى عمر بن الخطاب رضي الله أنّه صلى الله عليه وسلم قال : **لا تحدث كنيسة في الإسلام ولا يجدد ما هدم منها** . وروى ابن عباس رضي الله عنه أنّه صلى الله عليه وسلم قال : **لا خصاء في الإسلام ولا بُنيان كنيسة** . ذكر هذه الأحاديث ابن حبان في كتابه الذي ألفه في

(1) - انظر : - الونشريسي : المعيار ، ج02 ، ص ص 235 - 252 . انظر أيضا :
- مؤلف مجهول : مخطوط مجموع ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2161 ، و 79 .

شروط أهل الذمة وأبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال ، وكلّ من هذين الإمامين في طبقة أئمة الحديث الخمسة المشهورين . وروى ابن عباس أيضاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تكون قِبَلتان في بلدة واحدة ذكره أبو داود . وأخرج البغوي نحوه بلفظ : لا تصلح قِبَلتان في أرض واحدة ، وساقه ابن المناصف في كتابه الإنجاد في آداب الجهاد محتجاً به على مسألة السؤال . وروى ابن حبيب عن ابن الماجشون قال : سمعتُ مالكا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُرفعُ فيكم يهودية ولا نصرانية ، وقال يعني الكنائس والبيع ... وأمّا الآثار فقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا كنيسة في دار الإسلام . ذكره أبو عبيد . وروى سالم بن عبد الله عن أبيه أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمرَ أن تُهدمُ كلّ كنيسة لم تكن قبل الإسلام ، ومنع أن تُحدث كنيسة ذكره ابن بدران وهو من أقران الباجي ...

... وأمّا ما جاء عن علماء الأمة ممّن بعد الصحابة والتابعين في شأن الكنائس فكثير جداً ، وها نحن ذاكرون ما جاء من ذلك في مذهب مالك وما جاء في غيره من المذاهب ممّا يعلم منه اعتماد الجميع على الآثار والأحاديث المتقدّمة ، ففي كتاب الجعل والإجارة من المدونة : قال مالك وليس لأهل الذمة أن يحدثوا ببلد الإسلام كنائس إلا أن يكون لهم أمر أعطوه ، قال ابن القاسم ولهم أن يحدثوا ببلد صولحوا عليه ، وليس لهم ذلك في بلد العنوة . ثمّ قال وما اختطه المسلمون كالفسطاط والبصرة فليس لهم أحداث ذلك فيه ، إلا أن يكون لهم عهد فيوفى به ، وقال غيره كل بلد فتحت عنوة فأقروا فيها فليس لهم فيها إحداث الكنائس ... ومسألة السؤال هي ما اختطه المسلمون فلا خلاف في منعها ؛ إذ قول الغير إنّما هو في بلد العنوة التي أقرّوا فيها خاصّة ...

... وبالجملة إنّ العلماء رضي الله عنهم تكلموا على المسألة قديماً وحديثاً ، وليس عندهم في ذلك إلا ما قدمناه ... وآخر من تكلم عليها القاضي العقباني في كتابه تحفة الناظر في تغيير المناكر ، جلب فيها نصوص المتقدّمين والمتأخرين ، وهي كلّها غير خارجة عمّا ذكرنا ، وذكر فيه أنّ الشيخ أبا الفضل قاسم بن سعيد العقباني سئل عن يهود توات هل تسقط عنهم الضيافة والأرزاق التي كان عمر فرضها ، وجاء عن مالك إسقاطها عن أهل الذمة لكونهم لم يوف لهم ، فقال بما تجب على يهود توات الجزية والضيافة والأرزاق لأتّهم خرجوا عن حدّ ما وجب لهم من الإذلال ، ولم يمنعهم من ذلك مؤاخذه عظيمة يوم الحشر والجزاء وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ...

ورحم الله الشيخ الإمام حافظ المغرب أبا القاسم العبدوسي مستوطن تونس ، فقد أفتى مسألة
مسألة من معنى السؤال بما يشفي لصدور ، لما عليه من الضياء والنور ... ونص الجواب :
الحمد لله ، ليس لهم إحداث ولا إصلاح في شيء من بلاد المسلمين ...

... فالواجب على كل من له قدرة من المسلمين أن يسعى في هدم الكنيسة المسؤول عنها قدر
طاقته ويبذل جهده في ذلك ما استطاع ، إذ ذلك من أكبر الجهاد ومن تعرّض للمنع من ذلك
فجواب إمام المغرب أبي القاسم العبدوسي شامل له ، حيث جعله دائرا بين الكفر والفسق الموجب
للعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... ولا حجة لهم في طول الحيازة إذ غايتها أن تدل على ملك
رقبة المحوز... أعادنا الله من الخذلان ، والمروق عن دين المبعوث من خير بيت معد بن
عدنان ، سيّد النبياء والرسل ، وموضّح المناهج والسبل ... وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله
وصحبه ما دامت الدنيا . وكانت كلمة الله هي العليا ، وسلم عليه وعليهم أجمعين ، والحمد لله ربّ
العالمين .

جواب الفقيه محمد بن يوسف السنوسي إلى أبي عبد الله محمد المغيلي⁽¹⁾

إلى الأخ في الله تعالى ، القائم بما اندرس في فساد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي قام - لاسيما في هذا الوقت - علامة الإلتسام بالذكورة العلمية ، والغيرة الإسلامية وعمارة القلب بشريف الإيمان السيّد أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي ، حفظ الله تعالى حياته وبورك في دينه ودنياه ، وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة ... فقد بلغنا أيها السيّد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية ، والشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود - أذلهم الله تعالى وأخذ كفرهم - للكنيسة في بلاد المسلمين ، وأنكم حرّضتم أهل تمنطيطت على هدم الكنائس التي لليهود ببلادهم ، فتوقفوا من جهة من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء ، فبعثتم من أجل ذلك إلى بلدنا أسئلة ومكتوبات تستهضون بها هم أهل العلم ، لينظروا في المسألة نظر أهل العدل والإنصاف ، ويبينوا الحق فيها بيانا شافيا قاطعا لكل تخطيط وتشغيب يرد من أهل الهوى والانحراف ... فاعلم يا أخي ، أيّ لم أرَ من وُقّق لإجابة هذا المقصد ، وبذل وسعه في تحقيق الحق ، وشفى غليل أهل الإيمان في هذه المسألة ، ولم يلتفت لأجل قوّة إيمانه ، ونصوح إيقانه إلى ما يشير به الوهم الشيطاني من مداهنة بعض من تتقى شوكته ، ويُخشى أن يقع على يده إضرار أو حط في المنزلة سوى الشيخ الإمام القدوة علم الأعلام الحافظ المحقق أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي ، بارك الله تعالى له ومتعته ومثع المسلمين ببقائه ، وأمده بطول الصحة والعافية ، فإنّه جزاه الله خيرا ، قد مدّ في إبانة الحق ونشر أعلامه النفس ، وحقق نقلا وفهما ، وبالغ في ذلك حتى أبدى من نور إيمانه الماحي لظلمات الفكر وآثاره ، أعظم قبس على ما تقفون عليه في جوابه المكتوب ، هذا بأخره فليعوّل أهل تمنطيطت وغيرهم من أهل الإسلام على ما أبداه من الحق في ذلك الجواب ، ولينبذوا ما خالفه إن أرادوا الفوز بشرف الإسلام وإعزازة وإصابة وجه الصواب ، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بالحق ...

(1) - الوثنريسي : المعيار ، ج 02 ، ص 252 ، 253 . انظر أيضا : - المغيلي : مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، ص 71 - 73 .

جدول لعلماء تلمسان والعلوم التي نبغوا فيها

العلوم العقلية					العلوم اللغوية					العلوم الدينية					العلوم العلماء		
ع.العقلية ⁽¹⁾	الإلهيات	التعاليم	الطبيعات	المنطق	التاريخ	الأدب	النحو	البيان	اللغة	الفقه	التصوّف	أ.الدين	ع.الحديث	أ.الفقه		التفسير	القراءات
						×											أبو عبد الله ابن خميس
																×	أبو محمد المجاصي
										×							أبو إسحاق التنسي
										×							أبو الحسن التنسي
										×							أبو زكرياء بن عصفور
						×			×	×							أبو عبد الله بن هدية
										×							أبو الحسن بن هدية
										×							أبو عبد الله التميمي
						×				×							أبو عبد الله بن عبد النور
										×							أبو الحسن بن عبد النور
			×	×		×				×					×		أبو عبد الله بن النجار
										×							أبو العباس بن مرزوق
										×							أبو عبد الله القرموني
			×							×		×					محمد بن ابراهيم الأيلي
				×	×	×		×	×	×	×	×		×			أبو عبد الله المقرّي
										×							أبو الحسن المقرّي
										×							أبو زيد بن الإمام
										×							أبو موسى بن الإمام
			×	×	×					×		×	×	×	×		أبو عبد الله الشريف
					×	×			×	×			×	×	×		أبو عبد الله بن مرزوق
										×							أبو عبد الله المشوش
										×							أبو العباس المشوش
										×							مروان بن محمد
			×			×											أبو عبد الله الثغري
										×				×			أبو الحسن الصنهاجي
										×							أبو العباس المديوني
										×			×				ابراهيم بن الإمام
					×	×				×							أبو الحسن الخزاعي
			×														أبو الحسن الفحام
										×				×			عبد الله بن الشريف
										×							ابن باري التلمساني
										×							أبو زيد بن يعقوب
										×	×			×			أبو إسحاق المصمودي
										×							محمد بن الفتوح
										×				×	×		أبو يحيى الشريف

										×						أبو عبد الله محمد الشريف	
		×	×		×			×		×			×	×	×	ابن مرزوق الحفيد	
		×								×	×		×	×		أبو العباس بن زاغو	
×										×			×			أبو عبد الله محمد بن النجار	
		×					×		×	×			×	×	×	أبو الفضل العقباني	
										×				×		أبو سالم العقباني	
										×	×					محمد بن أحمد العقباني	
										×						محمد الجلاب	
										×				×		أبو جعفر الشريف	
		×								×		×	×	×	×	محمد السنوسي	
										×						أبو الحسن التالوتي	
×						×				×			×	×	×	أحمد بن زكري	
					×	×				×				×	×	محمد التنسي	
					×					×		×				محمد بن سعد	
										×			×			ابن مرزوق الكفيف	
						×								×	×	أبو عبد الله المغيلي	
						×				×		×	×			أبو عبد الله الحضرمي	
										×			×			أبو عبد الله بن أبي العيش	
									×	×			×	×		أبو العباس الونشريسي	
																أبو عثمان العقباني	
															×	الحسن أبركان	
																أبو عبد الله الجلاب	
												×				أبو العباس الشريف	
									×							يحي بن محمد التلمساني	
									×	×					×	محمد بن العباس	
		×														أبو الحجاج الزيدوري	
		×	×													أبو عبد الله الحباك	
		×							×							محمد بن تومرت	
										×				×	×	أبو عثمان سعيد العقباني	
				×											×	أبو الفضل بن الإمام	
																أحمد بن الحسن الغماري	
		×														أبو إسحاق المصمودي	
										×						أبو زكرياء بن أبي البركات	
عالمين اثنين	00	13 عالما	05 علماء	عالمين اثنين	07 علماء	12 عالما	عالم واحد	06 علماء	04 علماء	52 عالما	04 علماء	08 علماء	15 عالما	22 عالما	14 عالما	05 علماء	المجموع 68 عالما

(1) - خصصنا هذا العمود إلى العلماء الذين اكتفت المصادر بذكر نبوغهم في العلوم العقلية دون تحديدها إلى أي فرع منها .

المصادر	المشرق	الأندلس	المغرب الأدنى	المغرب الأقصى	المغرب الأوسط	الوجهة العلماء
(1)- ابن مرزوق : المسند ، ص 390 ، 391 . - المقرئ : أزهار الرياض ، ج 05 ، ص 41	(1) x					أبو عبد الله المجاصي
(1)- المقرئ : أزهار الرياض ، ج 05 ، ص 41 .	(1) x					أبو عبد الله بن عبد النور
(1)- ابن مرزوق : المجموع ، و 19 . (2)- نفسه : ظ 20 ، و 24 ، ظ 24 . (3)- نفسه : ظ 19 .	(3) x		(2) x	(1) x		أبو العباس أحمد بن مرزوق
(1)- ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 190 - ابن خلدون : التعريف ، ص 47 .				(1) x		أبو عبد الله ابن التّجار
(1)- ابن مرزوق : المسند ، ص 266 . - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 191 . (2)- ابن مرزوق : المسند ، ص 266 . - ابن خلدون : التعريف ، ص 21 ، 22 .	(2) x			(1) x		محمد بن إبراهيم الأبلي
(1)- ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 203 . (2)- المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 253 . (3)- نفسه : ج 05 ، ص 253 . - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 203 . (4)- المقرئ : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 254 . (5)- نفسه : ج 05 ، ص 253 .	(5) x	(4) x	(3) x	(2) x	(1) x	أبو عبد الله المقرئ
(1) - ابن خلدون : التعريف ، ص 63 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 165 .			(1) x			أبو عبد الله الشريف التلمساني
(1)- ابن مرزوق : المجموع ، ظ 48 . (2)- نفسه : ظ 48 / المسند ، ص 153 . (3)- ابن مرزوق : المجموع ، ظ 48 . (4)- نفسه : و 18 ، ظ 18 . / المسند ، ص 271 . - ابن خلدون : التعريف ، ص 54 .	(4) x		(3) x	(2) x	(1) x	ابن مرزوق الخطيب
(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 117 .		(1) x				محمد بن أحمد الشريف
(1) - ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ص 311 . / درّة الحجال ، ج 03 ، ص 247 .				(1) x		علي الصنهاجي التلمساني
(1) - ابن غازي : الروض الهتون ، ص 59 .				(1) x		محمد بن عمر الفتوح
(1) - ثبت البلوي : ص 292 . - رحلة القلصادي : ص 96 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 202 .	(1) x					ابن مرزوق الحفيد
(1) - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 85، 86 .	(1) x					الحسن أبركان
(1) - ثبت البلوي : ص 308 ، 309 . (2) - التبتكتي : كفاية المحتاج ، ص 454 .			(2) x		(1) x	ابن مرزوق الكفيف
→ مجموع الرحلات لكل وجهة	08	02	05	07	03	المجموع الكلي للعلماء
→ المجموع الكلي للرحلات	25 رحلة					14 عالمًا

المؤلفات	في العلوم الدينية	في العلوم الأدبية	في العلوم العقلية	في التاريخ والسير	مؤلفات مختلفة
محمد بن أبي عمرو التميمي ⁽¹⁾	- ترتيب كتاب اللخمي على كتاب المدونة				
أبو زيد عبد الرحمان بن الإمام ⁽²⁾	- شرح على ابن الحاجب الفرعي				
أبو عبد الله المقرئ ⁽³⁾	- كتاب القواعد ⁽⁴⁾ . - اختصار المحصل . - إقامة المرید - رحلة المتبتل - حاشية على مختصر ابن الحاجب الفقهي .	- شرح لغة قصائد المغربي . - شرح التسهيل لابن مالك .	- شرح جمل الخونجي .	- تلخيص في أصل نسبه وقراءته وأسماء شيوخه .	- الطرف والتحف . - المحاضرات . - مقالة في الطلعة المملكة . - كتاب المحرك لدعوى الشر من أبي عنان .
أبو عبد الله الشريف ⁽⁵⁾	- المفاتيح في أصول الفقه ⁽⁶⁾ . - كتاب في القضاء والقدر . - فتاوى ⁽⁷⁾ .	- شرح الخرزجية .	- شرح جمل الخونجي .	- روضة الأزهار في التعريف بأل محمد المختار ⁽⁸⁾ .	
أبو عبد الله ابن مرزوق الخطيب ⁽⁹⁾	- شرح العمدة في الحديث - شرح الشفاء . - شرح الأحكام الصغرى - إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب - نوازل فقهية ⁽¹⁰⁾ - شرح كتاب أبي زيد القيرواني ⁽¹¹⁾ .	- ديوان خطب . - رجز اختصار ألفية ابن مالك		- عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من استجازني من المشائخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز . - المجموع ⁽¹²⁾ .	

(1) - انظر مؤلفه : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 291 .

(2) - انظر : - نفسه : ص 126 .

(3) - انظر مؤلفاته : - المقرئ : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 284 ، 285 . ص 309 ، 310 . - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 02 ، ص 203 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 163 ، 164 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 83 .

(4) - هو مطبوع ، انظر : - المقرئ (أبو عبد الله محمد) : القواعد ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، (د . ت) .

(5) - انظر مؤلفاته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 166 ، ص 172، 173 . - فهرست الرصاع : ص 115 - 119 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 234 .

(6) - هو كتاب " مفاتيح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، حققه محمد علي فركوس . انظر : - الشريف التلمساني : المصدر السابق .

(7) - هي مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 03 / 2326 (اطلعت عليه) .

(8) - هو مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 2608 ، و 04 (اطلعت عليه) .

(9) - انظر مؤلفاته : - ابن مرزوق : المجموع ، و 01 ، و 26 . - المقرئ : نفح الطيب ، ج 05 ، ص 392 ، ص 430 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 187، ص 419 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 275 . - ابن مخلوف : المصدر السابق ، ص 236 .

(10) - هي مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 1342 (اطلعت عليه) .

(11) - هو بعنوان " موضوع في الدين الإسلامي " ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2576 .

(12) - هو مخطوط بالخزانة الملكية المغربية بالرباط ، رقم 20 (تحصلت على نسخة مصورة منه) .

				أبو الحسن محمد الخزاعي التلمساني ⁽¹⁾
				أبو يحيى عبد الرحمان الشريف التلمساني ⁽²⁾
				أبو عثمان سعيد العقباتي ⁽³⁾
				أبو الفضل قاسم العقباتي ⁽⁵⁾
				أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الإمام ⁽⁶⁾
				أبو عبدالله محمد العقباتي
				محمد بن أحمد الحباك ⁽⁸⁾

– تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية .

– شرح الحوفي .
– شرح جمل الخونجي .
– شرح التخليص لابن البناء
– شرح قصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة .

– بقية الطلاب في علم الإسطرلاب⁽⁹⁾ .
– شرح تلخيص ابن البناء .
– نظم رسالة الصفار في الإسطرلاب .

– تفسير سورة الفتح .
– تأليف على المغفرة .

– العقيدة البرهانية في أ. الدين
– شرح العقيدة البرهانية⁽⁴⁾ .
– تفسير سورة الفاتحة ، الفتح ، الأنعام .
– شرح ابن الحاجب الأصلي .
– شرح المونية .

– تعليق على ابن الحاجب .
– أرجوزة في اجتماع الصوفية على الذكر .

– شرح للمختصر وحواشي التفتازاني على العضد .
– شرح ابن الهلال على ابن الحاجب الفرعي .

– تحفة الناظر⁽⁷⁾ .

(1) - انظر مؤلفه : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص238 .

(2) - انظر مؤلفاته : - نفسه : ص236 . وأيضا : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص123 .

(3) - انظر مؤلفاته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص105،106 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج03 ، ص299 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص250 .

(4) - هو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم : 06/2761 . (اطلعت عليه)

(5) - انظر مؤلفاته : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص123 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص148 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص255 .

(6) - انظر مؤلفاته : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص254 .

(7) - هو كتاب مطبوع ، انظر : - العقباتي : المصدر السابق .

(8) - انظر مؤلفاته : - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص254 .

(9) - أرجوزة عدد أبياتها 171 بيت ، وهي مخطوطة بالخرانة العامة بالرباط ، تحت رقم 1425 د ، 208 د . انظر : - محمد العربي خطابي ، فهارس الخزانة الحسينية ، الرباط ، 1403هـ/1983م ، مجلد 03 ، صص 144 - 146 .

		<p>- شرح على التلمسانية</p> <p>- المقنع الشافي في الميقات (3)</p> <p>- نظم تلخيص ابن البناء .</p> <p>- شرح جمل الخونجي .</p> <p>- أرجوزة نظم جمل الخونجي .</p> <p>- منتهى الأمانى في اختصار أرجوزة التلمساني .</p> <p>- الذخائر القراطيسية في شرح الشقراطيسية .</p> <p>- المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن السراج في مسائل نحوية ومنطقية .</p>	<p>- إيضاح السالك على ألفية ابن مالك .</p> <p>- شرح شواهد شرّاح الألفية إلى باب " كان " .</p> <p>- مجموعة خطب .</p> <p>- شروح ثلاثة على البردة .</p> <p>- أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك .</p> <p>- الإستيعاب لما في البردة من البديع والإعراب .</p> <p>- منتهى أهل اللبيب في شرح التهذيب .</p> <p>- المفاتيح المرزوقية في شرح الخزرجية (2) .</p>	<p>- نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين .</p> <p>- النصح الخالص في الردّ على مدعي رتبة الكامل للناقص .</p> <p>- شرح البردة .</p> <p>- رجزان في علوم الحديث .</p> <p>- الألفية في محاذاة الشاطبية</p> <p>- أرجوزة نظم تلخيص المفتاح</p> <p>- اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة .</p> <p>- الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي .</p> <p>- مختصر الحاوي في الفتاوى</p> <p>- الروض البهيج في مسألة الخليج .</p> <p>- تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء .</p> <p>- أنوار الدراري في مكررات البخاري .</p> <p>- عقيدة أهل التوحيد .</p> <p>- الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات .</p> <p>- المنزع النبيل في شرح مختصر خليل .</p> <p>- المتجر الربيع في شرح الجامع الصحيح .</p> <p>- نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين .</p> <p>- شرح ابن الحاجب الفرعي .</p> <p>- إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم .</p>	<p>ابن مرزوق الحفيد (1)</p>
--	--	---	--	---	-----------------------------

(1) - انظر مؤلفه : - المقري : نفع الطيب ، ج 05 ، ص 429 ، 430 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 180 ، 182 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 23 ، 44 ، 164 ، 210 ، 211 . - ثبت البلوي : ص 293 ، 294 .

(2) - عنوانه الكامل " المفاتيح المرزوقية لحلّ الأفعال واستخراج خبايا الخزرجية " ، وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم : 2544 . (اطلعت عليه) .

(3) - هي مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 340 . وجاءت بعنوان " أرجوزة في الميقات " . (اطلعت عليها) .

			- مختصر شرح التسهيل لأبي حيان .	أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني ⁽¹⁾
		- شرح جمل الخونجي .	- تحقيق المقال في شرح لامية الأفعال .	محمد بن العباس ⁽²⁾
	- اختصار الروض الآف في شرح السير للتسهيلي (لم يكمل)	- شرح كبير على الحوفية . - نظم في الفرائض . - شرح إيساغوجي في الفلسفة - شرح ابن الياصمين في الجبر والمقابلة . - شرح رجز ابن سينا في الطب - شرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب . - شرح جمل الخونجي . - تفسير حديث المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء ⁽⁷⁾ . - فوائد طبية ⁽⁸⁾ .	- العقيدة الكبرى (عقيدة التوحيد) - شرح العقيدة الكبرى ⁽⁴⁾ . - العقيدة الوسطى وشرحها ⁽⁵⁾ . - العقيدة الصغرى وشرحها ⁽⁶⁾ . - العقيدة المختصرة وشرحها . - القواعد المبيّنة للعقيدة الصغرى وشرحها . - شرح الأسماء الحسنی . - شرح التسبيح عند الصلاة . - شرح عقيدة الحوضي . - مختصر الأبي على مسلم . - مكمل إكمال الإكمال على مسلم - عقيدة الدلائل القطعية . - شرح صحيح البخاري . - مختصر الزركشي على البخاري . - شرح مختصر ابن عرفة .	محمد بن يوسف السنوسي ⁽³⁾

(1) - انظر مؤلفاته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 222 .

(2) - انظر مؤلفاته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 214 ، ص 223 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 232 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 295 .

(3) - انظر مؤلفاته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 245-247 . - ثبت البلوي : ص 428 . - ابن القاضي : درة الحجال ، ج 02 ، ص 142 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 02 ، ص 259 ، ص 265 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 265 ، ص 266 .

انظر أيضا : - عمر الجدي : " الشروح المغربية على صحيح مسلم " ، مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، العدد 27 ، محرّم 1409هـ/سبتمبر 1988م ، ص 120 .

(4) - سماه " كتاب عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد " ، انظر : - السنوسي : كتاب عمدة أهل التوفيق والتسديد ، و 01 .

(5) - " شرح العقيدة الوسطى " ، هو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 02/2007 .

(6) - " شرح القيدة الوسطى " ، هو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، مجموع رقم 03/2007 . وهو مطبوع أيضا ، انظر : - السنوسي (أبو عبد الله) : شرح أم الرباهين في علم الكلام ، تحقيق وتعليق : مصطفى محمد الغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1989م .

(7) - مخطوط بالخرانة الملكية بالرباط ، مجموع رقم 7248 . انظر : - محمد العربي خطابي : المرجع السابق ، ج 02 ، ص 185 .

(8) - وهي رسالة في العلاج الروحاني ، وهي مخطوط بالخرانة الملكية بالرباط ، مجموع رقم 1941 . انظر : - نفسه : ج 02 ، ص 172 ، ص 173 .

(2) - انظر مؤلفاته : - محمد بن مخلوف : المصدر السابق ، ص 254 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 123 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص .

(2) - انظر مؤلفاته : - محمد بن مخلوف : المصدر السابق ، ص 254 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج 01 ، ص 123 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 42 .

				<p>-مختصر حاشية التافتاواني على الكشاف .</p> <p>-مختصر في القراءات السبع .</p> <p>-شرح الشاطبية الكبرى(لم يكمل) .</p> <p>-شرح الوغليسية في الفقه .</p> <p>-اختصار رعاية المحاسبي .</p> <p>-مختصر روض الأنف للسهيلي (لم يكمل) .</p> <p>-شرح المرشدة .</p> <p>-شرح جواهر العلوم للعضد في علم الكلام .</p> <p>-تفسير القرآن(لم يكمل) .</p> <p>-شرح لامية العقائد للجزائري .</p> <p>-شرح الأبيات المنسوبة للإبييري في التصوّف⁽¹⁾ .</p> <p>-رسالة في الأذكار .</p>	
		<p>- شرح التلمسانية في الفرائض</p> <p>- منتهى التوضيح في الفرائض</p>		<p>- تفسير سورة الفاتحة .</p> <p>- شرح حكم ابن عطاء الله .</p>	أبو العباس أحمد بن زاغو
		<p>- فرائض الحوفي .</p>	<p>- الثاقب في لغة ابن الحاجب .</p>	<p>- شرح الشفا(03 شروح) .</p>	الحسن أبركان
				<p>- تأليف في مسائل القضاء والفتيا .</p> <p>- بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب .</p> <p>- محصل القصائد في ع. الكلام</p>	أحمد بن زكري

(1) - له شرح آخر لأبيات في التصوّف تنسب للإمام أحمد بن حنبل . انظر : - السنوسي(محمد بن يوسف) : شرح أبيات في التصوّف ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 0/2761

				<p>- شرح الورقات لإمام الحرمين⁽¹⁾ .</p> <p>- نظم العقيدة الكبرى .</p> <p>- أرجوزة في علم الحديث .</p>	
	<p>- نظم الدرّ والعقيان في دولة بني زيان .</p> <p>- فهرسة⁽⁴⁾ .</p>	<p>- مختصر التلمسانية .</p>	<p>- راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الإقتراح .</p>	<p>- الطراز في شرح ضبط الخرز⁽³⁾ .</p> <p>- تعليق على ابن الحاجب الفرعي .</p> <p>- جواب مطول عن مسألة يهود توات .</p>	<p>محمد بن عبد الجليل التنسي⁽²⁾</p>
<p>- السلام " موضوع حافل جليل " .</p>	<p>- روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين .</p> <p>- النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب .</p> <p>- تأليف للتعريف برجال مختصر الإمام ابن عرفة في فقه مذهب مالك (لم يكمل) .</p>			<p>- مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم .</p>	<p>ابن سعد التلمساني⁽⁵⁾</p>
				<p>- تأليف في الأسماء الحسنى .</p>	<p>محمد بن أبي العيش الخزرجي⁽⁶⁾</p>
				<p>- نظم في العقائد .</p>	<p>أبو عبد الله محمد الحضرمي⁽⁷⁾</p>

(1) - عنوانه الكامل " غاية المرام في شرح مقمّة الإمام " ، وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم : 2242 .

(2) - انظر مؤلفاته : - المقري : نفع الطيب ، ج05 ، ص 513 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص261 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص248 . - ابن القاضي : درّة الحجال ، ج01 ، ص143 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص267 . - ثبت البلوي : ص 372 .

(3) - هو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 02/2448 . (اطلعت عليه) .

(4) - انفراد بذكره محمد بن مخلوف في شجرة النور . انظر : محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص267 .

(5) - انظر مؤلفاته : - محمد بن مخلوف : المصدر السابق ، ص268 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص263 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص251 ، 252 . - ابن القاضي : درّة الحجال ، ج01 ، ص144 . - ثبت البلوي : ص 416 .

- ثبت البلوي : ص 372 .

(6) - انظر مؤلفاته : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص268 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص253 .

(7) - انظر مؤلفاته : - ابن مريم : المصدر السابق ، ص252 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص274 .

<p>- رسالة في أمور السلطنة .</p>	<p>- فهرسة .</p>	<p>- شرح جمل الخونجي ومقدمات فيه . - منظومة منح الوهاب في جمل الخونجي ، وثلاثة شروح عليها .</p>	<p>- منظومة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود . - شرح خطبة المختصر . - مقدمة في العربية وفهرسة مروياته . - عدة قصائد منها الميمية على وزن البردة .</p>	<p>- البدر المنير في علوم التفسير -تفسير الفاتحة . -مصباح الأرواح في أصول الفلاح . -مغني النبيل في شرح مختصر خليل . -إكليل مغني النبيل(حاشية) . -إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل . -شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب . -تأليف في المنهيات . -مختصر تلخيص المفتاح وشرحه . -مفتاح النظر في علم الحديث . -كتاب الفتح المبين . - إجابة مسائل أسكيا الحاج سلطان بلاد كاغو(2) . -تنبيه الغافلين عن فكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين . -أحكام أهل الذمة .</p>	<p>محمد بن عبد الكريم المغيلي (1)</p>
	<p>- الوفيات . - القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشرف .</p>			<p>-المعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب . - تعليق على ابن الحاجب الفرعي</p>	<p>أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (3)</p>

(1) - انظر مؤلفاته :.. - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص266 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص255 ، 256 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص274

(2) - هو كتاب مطبوع ، انظر : - المغيلي (محمد بن عبد الكريم) : أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي ، تقديم وتحقيق : عبد القادر زبابدية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974م .

(3) - انظر مؤلفاته :.. - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص145 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص54 ، ص166 . - محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص275 .

				-غنية المعاصر . التالي في شرح وثائق الفشتالي -القواعد في الفقه . -الفائق في أحكام الوثائق ⁽¹⁾ . -الفروق في مسائل الفقه .	
06 مؤلفات	15 مؤلفا	32 مؤلفا	23 مؤلفا	118 مؤلفا	المجموع
194 مؤلفا					المجموع الكلي

⁽¹⁾ - هذا الكتاب مطبوع ، انظر : - الونشريسي(أبو العباس أحمد) : المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق ، دراسة وتحقيق : لطيفة الحسني ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1418هـ ، 1997م .

				<p>-مختصر حاشية التافازاني على الكشاف .</p> <p>-مختصر في القراءات السبع .</p> <p>-شرح الشاطبية الكبرى(لم يكمل) .</p> <p>-شرح الوغليسية في الفقه .</p> <p>-اختصار رعاية المحاسبي .</p> <p>-مختصر روض الأنف للسهيلي (لم يكمل) .</p> <p>-شرح المرشدة .</p> <p>-شرح جواهر العلوم للعضد في علم الكلام .</p> <p>-تفسير القرآن(لم يكمل) .</p> <p>-شرح لامية العقائد للجزائري .</p> <p>-شرح الأبيات المنسوبة للإبييري في التصوّف⁽¹⁾ .</p> <p>-رسالة في الأذكار .</p>	
		<p>- شرح التلمسانية في الفرائض</p> <p>- منتهى التوضيح في الفرائض</p>		<p>- تفسير سورة الفاتحة .</p> <p>- شرح حكم ابن عطاء الله .</p>	<p>أبو العباس أحمد بن زاغو⁽²⁾</p>
		<p>- فرائض الحوفي .</p>	<p>- الثاقب في لغة ابن الحاجب .</p>	<p>- شرح الشفا(03 شروح) .</p>	<p>الحسن أبركان⁽³⁾</p>
				<p>- تأليف في مسائل القضاء والفتيا .</p> <p>- بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب .</p> <p>- محصل القصائد في ع. الكلام</p>	<p>أحمد بن زكري⁽⁴⁾</p>

(1) - له شرح آخر لأبيات في التصوّف تنسب للإمام أحمد بن حنبل . انظر : - السنوسي(محمّد بن يوسف) : شرح أبيات في التصوّف ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 04/2761 .

(2) - انظر مؤلفاته : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج01 ، ص 123 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 42 . - محمّد مخلوف : المرجع اليابق ، ص 254 .

(3) - انظر مؤلفاته : - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 227 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 86 ، ص 220 . - محمّد مخلوف : المرجع اليابق ، ص 262 .

(4) - انظر مؤلفاته : - ابن القاضي : درة الحجال ، ج01 ، ص 90 . - ثبت البلوي : ص 428 . - التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ج02 ، ص 227 . - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 86 ، ص 220 . - محمّد مخلوف : المرجع اليابق ، ص 262 .

قائمة المصادر

والمراجع

أولاً : قائمة المصادر المخطوطة :

- ابن الحاج العبدري الفاسي أبو عبد الله محمد (ت737هـ/1336م) :
* مدخل الشرع الشريف ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2275 ، ج01 ،
ج02 .
- ابن سعد (ت901هـ/1496م):
* النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب ، مخطوط ، الخزانة العامة ، الرباط ،
المملكة المغربية ، رقم ك/1292 ، (نسخة مصورة) .
- ابن زكري أحمد (ت899هـ/1494م):
* غاية المُرَام في شرح مقدّمة الإمام ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم2224
- ابن مرزوق الحفيد أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت842هـ/1438م) :
* نوازل ابن مرزوق الحفيد ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 1342 .
* المفاتيح المرزوقية لحل الأفعال واستخراج خبايا الخرجية ، مخطوط ، المكتبة الوطنية
الجزائرية ، رقم 2544 .
- * أرجوزة في الميقات ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 340 .
- ابن مرزوق الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت781هـ/1371م) :
* إسماع الصّم في إثبات الشرف من جهة الأم ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ،
رقم 2067 .
- * المجموع ، مخطوط ، الخزانة العامة بالرباط ، المملكة المغربية ، رقم 20 ، (نسخة
مصورة) .
- * موضوع في الدين الإسلامي ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2576 .
- أبو حمو موسى الزياني بن يوسف بن عبد الرحمان (ت791هـ/1390م) :
* واسطة السلوك في سياسة الملوك ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم1374 .

— التنسي محمد بن عبد الجليل (ت899هـ/1494م) :

* الطراز في شرح ضبط الخراز ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2242 .

— السنوسي محمد بن يوسف (ت895هـ/1490م) :

* كتاب عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2007 .

* شرح العقيدة الوسطى ، مخطوط مجموع ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 02/2007

* شرح العقيدة الصغرى ، مخطوط مجموع ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 03/2007

* شرح أبيات في التصوّف ، مخطوط مجموع ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 04/2761 .

— الشريف محمد أبو عبد الله الحسني التلمساني (ت771هـ/1370م) :

* روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2608 .

— الصفاقسي محمود بن سعيد مقيدش (ت1228هـ/1813م) :

* نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 268496 .

— العقباني أبو عثمان سعيد بن محمد (ت811هـ/1408م) :

* شرح العقيدة البرهانية ، مخطوط مجموع ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 06/2761

— المازوني أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي (ت883هـ/1478م) :

* الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 1336 ، ج 02 .

— المغيلي محمد بن عبد الكريم (ت909هـ/1503م) :

* رسالة في أحكام أهل الذمة ، مخطوط ، مكتبة جامع الأزهر ، مصر ، رقم 1312349 .

— مؤلف مجهول :

* مخطوط مجموع ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2161 .

ثانياً : المصادر المطبوعة

— ابن أبي دينار محمد الرغمي القيرواني (1109هـ/1698م) :

* المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق وتعليق : محمد الشمّام ، ط3 ، المكتبة العتيقة تونس ، 1387هـ/1967م .

— ابن أبي زرع علي الفاسي (كان حيًا سنة 726هـ/1326م) :

* الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، مراجعة : عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب الأقصى ، 1420هـ/1999م .
* الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972م .

— ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف (ت 807هـ/1404م) :

* تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تقديم وتحقيق وتعليق : هاني سلامة ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 1421هـ/2001م .

— ابن الأزرق أبي عبد الله محمد الأندلسي (ت 869هـ/1465م) :

* بدائع السلك في طبائع الملك ، دراسة وتحقيق : محمد بن عبد الكريم ، الدار العربية للكتاب تونس ، 1397هـ/1977م ، ج 01 .

— ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م) :

* الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، ط2 ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1393هـ/1973م ، ج 02 ، ج 03 .

* كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق : كمال شبّانة ، حسن محمود ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، مصر ، (د . ت) .

* مثلى الطريقة في ذم الوثيقة ، تحقيق وتقديم : عبد المجيد التركي ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983م .

* معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، دراسة وترجمة : كمال شبّانة ، مطبعة أندال ، المغرب ، 1397هـ/1977م .

* نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، نشر وتعليق : أحمد مختار العبّادي ، مراجعة : عبد العزيز الأهواني ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، (د . ت) .

— ابن القاضي أبي العباس أحمد المكناسي (ت1025هـ/1616م) :

* جذوة الإقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 274 .

* درّة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق : محمد الحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 1392هـ/1972م .

— ابن الشمّاع أبي عبد الله محمّد (كان حيّاً سنة861هـ/1456م) :

* الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق : الطاهر بن محمّد العمّوري ، مطبعة الشركة التونسية ، تونس ، 1984م .

— ابن القنفذ أبو العباس أحمد(ت810هـ/1407م) :

* أنس الفقير وعزّ الحقير، نشر وتصحيح : محمّد الفاسي ، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، المملكة المغربية ، 1965 م .

* الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق : محمّد الشاذلي النيفر ، عبد المجيد التركي ، دار التونسية النشر ، تونس ، 1968 م .

* الوفيات ، تحقيق وتعليق ، عادل نويهض ، ط4 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 1403هـ/1983م .

— ابن بطوطة أبو عبد الله (ت779هـ/1377م) :

* تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط1 ، المطبعة الخيرية ، 1322هـ/1904م ، المغرب .

— ابن تيمية أبو العباس تقي الدين (ت728هـ/1328م) :

* إقتضاء الصراط المستقيم مُخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق : خالد عبد اللطيف السبع

العلمي ، ط3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1422هـ/2001م

* السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعيّة ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 1403هـ/1983م .

— ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي(ت852هـ/1442م) :

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ج01 ،

— ابن حوقل أبو القاسم (ت367هـ/978م) :

* صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992 م .

— ابن خرداذبة أبا القاسم (ت280هـ/912م) :

* المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ألمانيا ، 1889 م .

— ابن خلدون عبد الرحمان (ت808هـ/1406م) :

* التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، تعليق : محمد بن تاويت الطنجي ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 م .

* كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تقديم : عبادة كحيل ، ط1 ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2007 م ، ج 01 ، ج 07 .

— ابن خلدون أبي زكرياء يحيى (ت780هـ/1378م) :

* بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة فونطانة ، الجزائر ، 1338هـ/1910 م ، ج 01 ، ج 02 .

— ابن رشد أبو الوليد محمد (ت520هـ/1126م) :

* تلخيص كتاب العبارة ، تحقيق : محمود قاسم ، مراجعة : تشارلس بنزروت ، أحمد عبد المجيد هريدي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، 1981 م .

* فتاوى ابن رشد ، تقديم وتحقيق : المختار التليبي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ/1987م ، ج 01 .

— ابن رشيد أبو عبد الله محمد (ت721هـ/1321م) :

* ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيعة إلى الحرمين مكة وطيبة ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن خوجة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1402 هـ ، 1982 م .

— ابن سعد محمد الأنصاري التلمساني (ت901هـ/1496م) :

* روضة النسر في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين ، مراجعة وتحقيق : يحيى بوعزيز ، ط01 ، المؤسسة الوطنية للطبع والإشهار ، الجزائر ، 2004 م .

— ابن رضوان أبو القاسم المالقي (ت783هـ/1381م) :

* الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، تحقيق : علي سامي النشار ، ط1 ، دار الثقافة ،
الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، 1404هـ/1984م .

— ابن عُداری المراكشي (كان حيًّا بعد 712هـ/1312م) :

* البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : ج . س . كولان ، ليفي
بروفنسال ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ج 01

— ابن عماد شهاب الدين الحنبلي (ت1089هـ/1678م) :

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرنؤوط ،
ط1 ، دار ابن كثير ، دمشق ، سوريا ، 1414هـ/1993م ، ج 05 .

— ابن غازي محمد بن أحمد العثماني (ت919هـ/1413م) :

* التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال السكان والناد ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،
لبنان ، 1403هـ/1983م .

* روض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، ط3 ،
المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ، 1420هـ/1999م .

— ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين (ت799هـ/1397هـ) :

* الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دراسة وتحقيق : مأمون الجنان ، ط1 ،
دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1417هـ/1996م .

— ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت751هـ/1350م) :

* أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق : المعتصم بالله البغدادي ، ط1 ، دار الكتاب
العربي ، بيروت ، لبنان ، 1425هـ/2004م .

— ابن مريم التلمساني الشريف التلمساني (ت1014هـ/1605م) :

* البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان ، عناية وطبع : محمد بن أبي شنب ، المطبعة
الثعالبية ، الجزائر ، 1326هـ/1986م .

- ابن مرزوق الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت781هـ/1371م) :
- * المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة وتحقيق : ماريّا خيسوس بيغيرا ، تقديم : محمود بوعياذ ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 م .
- ابن منظور أبو عبد الله محمد الإفريقي المصري (ت711هـ/1313م) :
- * لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .
- أبو الفدا عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1332م) :
- * تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1830 م .
- الأنصاري محمد بن قاسم السبتي :
- * اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، الرباط ، المغرب ، 1403هـ ، 1983 م .
- الأدنوي أحمد بن محمد (عاش في القرن 11هـ/16م) :
- * طبقات المفسرين ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، 1417 هـ/1997 م .
- الإدريسي الشريف (عاش في القرن 10هـ/12م) :
- * المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ، مطبعة بريل ، ليدن ، ألمانيا ، 1863 م .
- الإصطخري إبراهيم بن إسحاق (ت منتصف القرن 10هـ/10م) :
- * المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العالي الحيني ، مراجعة : شفيق غربال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الجمهورية العربية المتحدة ، 1381 هـ ، 1961 م .
- باشا إسماعيل بن محمد :
- * إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .
- * هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1951 م .

— البغدادي صفي الدين (ت739هـ/1339م) :

* مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق : علي محمد البجاوي ، ط1 دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، 1412هـ/1992م ، ج01 .

— البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـ/1037م) :

* الفرق بين الفرق ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1424هـ/2004م .

— البلوي أبو جعفر أحمد (ت938هـ/1532م) :

* ثبت البلوي ، دراسة وتحقيق : عبد الله العمراني ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1403هـ ، 1983م .

— التميمي محمد بن أحمد (ت333هـ/945م) :

* طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ج03 .

— التتبيكتي أحمد بابا (ت1036هـ/1627م) :

* نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق : علي عمر ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، 1423هـ ، 2004م .

* كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، ضبط وتعليق : عبد الله الكندري ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، 1422هـ/2002م .

— التنسي محمد بن عبد الجليل (ت899هـ/1494م) :

* تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان تحقيق وتعليق : محمود بوعياض ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م .

— التهانوي محمد علي الفاروق (ت في القرن 12هـ/18م) :

* كشف اصطلاح الفنون ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة ، 1963م .

— الجزنائي أبو الحسن علي (ت780هـ/1316م) :

* زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، دراسة وتحقيق وتعليق : مديحة الشرقاوي ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 2001م/1422هـ .

— حاجي خليفة مصطفى (ت1067هـ/1656م) :

* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق وتعليق : محمد شرف الدين يالتقايا ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1360هـ/1941م .

— الحموي ياقوت (ت626هـ/1229م)

* معجم البلدان ، تصحيح وترتيب : محمد أمين الخانجي ، ط1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1323هـ ، 1906م .

— الداودي شمس الدين محمد بن أحمد (ت945هـ/1538م) :

* طبقات المفسرين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1403هـ/1983م ، ج 01 .

— الدبّاع أبو زيد عبد الرحمان القيرواني (ت699هـ/1299م) :

* معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تكملة وتعليق : أبو الفضل التتوخي ، تحقيق : محمد الأحمد ، محمد الماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1972م ، ج 02

— الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م) :

* سير أعلام النبلاء ، تحقيق : بشار عواد ، معروف ومحبي هلال السرحان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1412هـ/1992م ، ج 23 .

— الرازي محمد بن أبي بكر (ت بعد 666هـ/1267م) :

* مختار الصحاح ، تحقيق : محمد خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، 1415هـ/1995م .

— الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت894هـ/1488م) :

* فهرست الرصاع ، تحقيق وتعليق : محمد العناب ، المكتبة العتيقة ، تونس ، (د . ت) .

— الزركشي أبو عبد الله محمد (ت894هـ/1488م) :

* تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية ، تحقيق وتعليق : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، (د . ت) .

— الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله (ت794هـ/1391م) :

* البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1391هـ/1971م ، ج 02 .

— الزباني محمد بن يوسف :

* دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتعليق : المهدي بوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1399هـ ، 1979 م .

— السخاوي شمس الدين محمد (ت902هـ/1497م) :

* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ط1 ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، 1412هـ/1992 م ، ج09 .

* وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام ، تحقيق : بشار عواد ، عصام فارس ، أحمد الحطيمي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1416هـ/1995 م ، ج01 .

— السنوسي أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت895هـ/1490م) :

* شرح أمّ البراهين في علم الكلام ، تحقيق وتعليق : مصطفى محمد الغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 م .

— السيوطي جلال الدين عبد الرحمان (ت911هـ/1505م) :

* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1399هـ/1979 م ، ج01 .

— الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت790هـ/1388م) :

* الموافقات في أصول الفقه ، تحقيق : عبد العزيز دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ج01 .

— الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني التلمساني (ت771هـ/1370م) :

* مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، دراسة وتحقيق : محمد علي فركوس ، دار تحصيل العلوم ، الجزائر ، (د . ت) .

— عبد الواحد أبو محمد المراكشي (ولد 581هـ/1185م ، ت منتصف القرن 07هـ/13م) :

* المُعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد زينهم ، محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، طرابلس ، لبنان ، 1994 م .

— العقباني أبو عبد الله محمد بن القاسم (ت871هـ/1466م) :

* تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق : علي الشنوفي ، مستخرج من مجلة الدراسات الشرقية ، (الجزء14) ، دمشق ، سوريا ، 1967م .

— الغبريني أبو العباس أحمد (ت704هـ/1304م) :

* عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : رابح بونار ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م .

— الفكون عبد الكريم (ت1073هـ/1662م) :

* منشور الهداية ، تحقيق : أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1989 م .

— القلصادي أبو الحسن علي الأندلسي (ت891هـ/1486م) :

* رحلة القلصادي ، دراسة وتحقيق : محمد أبو الأجان ، الشركة التونسية للنشر ، تونس ، 1398هـ ، 1978 م .

— مارمول كربخال (ت أواخر 10هـ/16م) :

* إفريقيا ، تر: محمد حجّي ، محمد زنيبر، وآخرون ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط المغرب ، 1984 م .

— المازوني أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي (ت883هـ/1478م) :

* الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، تحقيق : حساني مختار ، نشر مخبر المخطوطات ، جامعة الجزائر ، (د.ت) .

— الماوردي أبو الحسن علي بن محمد (ت450هـ/1058هـ) :

* الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق : أحمد مبارك البغدادي ، ط1 ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، 1409هـ/1989 م .

— المجاري أبو عبد الله محمد الأندلسي (ت862هـ/1458م) :

* برنامج المجاري ، تحقيق : محمد أبو الأجان ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1982 م .

— المغيلي محمد بن عبد الكريم (ت909هـ/1503م) :

* أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي ، تقديم وتحقيق : عبد القادر زبابدية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974 م .

* مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تقديم وتحقيق : رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1968 م .

— المقدسي بهاء الدين عبد الرحمان الحنبلي (ت624هـ/1272م) :

* العدة في شرح العمدة ، ط1 ، مطبعة المدني ، مصر ، 1412هـ/1991م ، ج01 .

— المقرّي أبو العباس أحمد (ت1041هـ/1631م) :

* أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق : أحمد أعراب ، وعبد السلام الهراس ، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي ، المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة ، 1978 م .

* نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت لبنان ، 1408 هـ ، 1988 م .

— المقرّي أبو عبد الله محمد (ت758هـ/1357م) :

* القواعد : مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، السعودية ، (د.ت) .

— المقرّيزي تقي الدين أبي العباس أحمد (ت 845هـ/1441م) :

* المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار التحرير للطبع والنشر ، بيروت ، لبنان 1968 م .

— الثميري أبو القاسم برهان الدين ابن الحاج (ت بعد 774هـ/1372م) :

* فيض العباب وإفاضة القداح في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، دراسة وإعداد : محمد بن شقرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م .

— الوزان حسن المدعو ليون الإفريقي (توفي بعد سنة 957هـ/1550م) :

* وصف إفريقيا ، تعريب : محمد حجي ، محمد الأخضر ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983 م .

— الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني (ت914هـ/1509م) :

* أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج ، تحقيق : حسين مؤنس ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 1406هـ— 1986/ م .

* المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، إشراف : محمد حجي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1401 هـ ، 1981 م .

- * المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق ، دراسة وتحقيق : لطيفة الحسني ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1418هـ ، 1997م .
- * كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية ، نشر وتعليق : محمّد الأمين بلغيث ، مطبعة لافوميك ، الجزائر ، (د.ت) .

ثالثاً : قائمة المراجع :

01 – باللغة العربية :

- ابن أبي ضياف أحمد : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1999م ، ج01 .
- ابن شقرون محمّد بن أحمد : مظاهر الثقافة المغربية من القرن 13 إلى القرن 15م ، الخزّانة العامّة للكتب والوثائق ، الرباط ، المغرب ، (د . ت) .
- ابن عاشور محمّد عبد العزيز : جامع الزيتونة المعلم ورجاله ، دار سراس للنشر ، المطابع الموحّدة ، تونس ، 1991م .
- ابن عامر أحمد : الدولة الحفصية ، دار الكتب الشرقية ، مطبعة الإتحاد العام للشغل ، تونس ، 1974م .
- ابن عبد الله عبد العزيز : تاريخ المغرب ، مكتبة السلام ، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، (د . ت) .
- ابن العربي الصديق : كتاب المغرب ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1404هـ/1984م .
- ابن منصور عبد الوهاب : المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس ، ط1 ، مطبعة ابن خلدون ، تلمسان ، 1365هـ/1946م .
- أبو ضيف أحمد عمر مصطفى : القبائل العربية في المغرب في عصري الموحّدين وبنو مرين ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م .
- أدي شير إبراهيم : الألفاظ الفارسية المعرّبة ، ط2 ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ، مصر ، 1987، 1988م .
- أسد حيدر : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1390هـ/1969م .

- ألفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، تعريب : عبد الرحمان بدوي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1987م .
- البدرى عبد العزيز : الإسلام بين العلماء والحكام ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، السعودية ، 1385هـ/1965م .
- برنشفيك روبر : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 م إلى القرن 15 م ، تعريب : حمّادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1988 م .
- بك محمّد الخضري : تاريخ التشريع الإسلامي ، دار شريفة للطباعة والنشر ، الجزائر ، (د . ت) .
- بكري شيخ أمين : أدب الحديث النبوي ، ط4 ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، 1399هـ/1979م .
- بكري عبد الحميد : النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري ، ط2 ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، 2007م .
- بوداود عبيد : ظاهرة التصوّف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين(13 و15م) ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د.ت)
- بوزياني الدرّاجي : نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د . ت) .
- بوعزيز يحي : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2004 م .
- بوعيايد محمود : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09 هـ / 15 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م .
- بنين أحمد شوقي : تاريخ خزائن الكتب بالمغرب ، تر: مصطفى طوبي ، ط1 ، المطبعة والوراقة الوطنية ، مراكش ، 1424هـ ، 2003م .
- التازي عبد الهادي : جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، 1972 م .
- التليسي بشير رمضان : الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري(10م) ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 م .
- توات محمّد الطاهر : أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 م .

- جوليان شارل أندري : تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب: البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1398هـ ، 1978 م .
- حاجيات عبد الحميد : أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م .
- حجّي محمّد : موسوعة أعلام المغرب ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1417هـ / 1996 م .
- حركات إبراهيم : النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1996 م .
- الحريري محمّد عيسى : المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610 — 869هـ) / (1213 — 1365م) ، ط1 ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1405هـ ، 1985 م .
- الحفناوي أبو القاسم محمّد : تعريف الخلف برجال السلف ، تقديم : محمد رؤوف القاسمي الحسني ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2007 م .
- حلمي محمّد مصطفى : منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ، ط1 ، دار ابن الجوزي القاهرة ، مصر ، 2005 م .
- حمّادي الساحلي : فصل في التاريخ والحضارة ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992 م .
- خطّابي محمّد العربي : محمّد العربي خطّابي ، فهارس الخزّانة الحسنية ، الرباط ، المغرب ، 1403هـ/ 1983 م .
- دهينة عطاء الله ، رشيد بورويبة ، وآخرون : الجزائر في التاريخ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 م .
- الدولاتي عبد العزيز : مدينة تونس في العهد الحفصي ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1981 م .
- رزوق محمّد : دراسات في تاريخ المغرب ، ط1 ، مطبعة إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1991 م .
- روجي لوتورنو :
- * فاس في عصر بني مرين ، تعريب : نقولا زيادة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1967 م .

* فاس قبل الحماية ، تعريب : محمد حجّي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1412هـ/1992م .

— سالم عبد العزيز : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، (د . ت) .

— سعد الدين محمد منير : العلماء عند المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع ، ط1 ، دار المناهل للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1992 م .

— سعيدوني ناصر الدين : دراسات أندلسية ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1426 هـ ، 2003 م .

— السيّد سابق : فقه السنّة ، ط3 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1401هـ/1981م ، ج03 .

— الشريف محمد الهادي : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال ، ترجمة : محمد شاوش ، محمد عجينة ، ط2 ، سراس للنشر ، تونس ، 1985 م .

— شقير محمد : تطوّر الدولة في المغرب من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن العشرين ، مطبعة إفريقية الشرق ، بيروت ، لبنان ، 2002 م .

— الصقيلي العربي : مذكرات من التراث المغربي ، الخزانة العامّة والأرشيف ، الرباط ، المغرب ، 1985 م ، ج03 .

— الطّمّار محمد بن عمرو : تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر (د . ت) .

— العبّادي أحمد مختار : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، مصر ، (د . ت) .

— عبد العزيز محمد عادل : التربية الإسلامية في المغرب ، أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، 1987 م .

— العامري محمد الهادي : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1974 م .

— العروي عبد الله : مجمل تاريخ المغرب ، ط04 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م .

— عزاوي أحمد : الغرب الإسلامي خلال القرنين 07 و 08 هـ (دراسة وتحليل لرسائله) ، مطبعة الرباط نيت ، المغرب الأقصى ، 1427 هـ ، 2006 م ، (أربعة أجزاء) .

- علام عبد الله علي : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، المطبعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 م .
- الغنيمي عبد الفتاح : موسوعة تاريخ المغرب العربي ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر 1414هـ ، 1994 م ، ج05 .
- غلاب عبد الكريم : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، ط01 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1426 هـ ، 2005 م .
- غوستاف لوبون : حضارة العرب ، تر: عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه ، (دون مكان الطبع) ، 1969 م .
- فروخ عمر : تاريخ الأدب العربي ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ج 06 .
- فيلاي عبد العزيز : تلمسان في العصر الزياني ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2002 م .
- القبلي محمد : مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط ، ط1 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1987 م .
- الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق : حمزة الكتاني ، المغرب ، (د . ت)
- الكعّاك عثمان : موجز التاريخ العام للجزائر ، تقديم ومراجعة : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، وآخرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 م .
- مؤنس حسين : المساجد ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1981 م .
- محفوظ محمد : تراجم المؤلفين التونسيين ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982م ، ج01 .
- مخلوف محمد بن محمد : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، مصر ، 1349هـ/1930م .
- المنوني محمد : ورقات عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ط3 الرباط ، المغرب ، 1420هـ ، 2000م .
- الميلّي مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم : محمد الميلّي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1396هـ ، 1976 م .

– الناصري أبو العباس أحمد : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، 1954 م ، ج 03 ، ج 04 .

– النجار عبد الحميد عمر : فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992 م .

- النيفر محمد : عنوان الأريب عمّا نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب ، تذييل واستدراك : علي النيفر ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1996 م ، ج 01 .

02 – باللغة الفرنسية :

- Barges(Abbé): Tlemcen Ancienne capitale de royaume de ce nom , Edition Dupart et Challamel ,Paris ,1859 .

_ Bel(Alfred) :

* La population Musulmane de Tlemcen , laibrairie Paul Geuthner , Paris , 1908 .

* Fête des Sacrifices en Berbérie , Imprimerie Julie Carbonel , Alger , 1932 .

_ Ben Khalil(Abd el Basit) : Deux Récits de Voyage inédits en Afrique du Nord au 15^e siècle ,présentée : Robert Brunshvig , Larose Editeurs , Paris , 1936 .

_ Dhina(ATallah) :

* Le Royaume Abdelouadide a l'époque d'Abou Hamou Moussa 1^{er} , et d'abou Tachfin 1^{er} , Office de Publications Universitaires , Alger .

* Atallah Dhina : Les Etats de L'occident Musulman aux 13^{ème} , 14 , 15siécls , Office des Publications-

_ Djait(Hicham) , Dachraoui(Farhat) : Histoire de la Tunisie le Moyen Age , Societe Tunisienne de Diffusion , Tunis , (s . d) .

_ Labbé(M),Berges(L) : Complément de l'histoire des Beni _ Zeyan Roi de Tlemcen ,Ernest Laroux , Laibraire- Editeur , Paris ,1887 .

_ Marçais(William) , Marçais(Georges) : Les Monuments de Tlemcen ,
Ancienne Laibrairie thorin et Fils , Paris , 1903 .

_ Terrasse(Henri) : Histoire du Maroc , Editions Atlantides ,
Casablanca , (S.D) .

رابعًا : قائمة المقالات والمنشورات :

01 - باللغة العربية :

— ابن خياط نزهة : " مكتبة جامع القرويين عبر التاريخ " ، المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات ،
منشورات مركز البحوث في علم المكتبات والمعلومات ، تونس ، العدد 03 ، مارس 1985م ،
(09 ، 25) .

— ابن شريفة محمّد : " المغرب مهاجر الأندلسيين " ، مجلة الأكاديمية ، عدد 15 ، مطبعة
المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1982 م .

— ابن عيسى بويوزان : " فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من
القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين " ، بحث مقدّم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية
1426هـ/2005 م .

— ابن ميس عبد السلام : " مناهضة بعض الفقهاء للمنطق " ، منشورات كلية الآداب والعلوم
الإنسانية ، ط1 ، الرباط ، المغرب ، 2001 م .

— أبو صفية فخري : " مكانة القضاء في الإسلام " ، مجلة العلوم الإسلامية ، جامعة الأمير عبد
القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، العدد 02 ، رمضان 1407هـ / ماي 1987 م .

— باحو مصطفى : " علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوّف والقبورية والمواسم " ، ط1 ، نشر
جريدة السبيل ، المغرب الأقصى ، 1428هـ/2007 م .

— بوبة مجاني : " تحفة الرواد في اختصاص الشرف من الوالد لأبي العباس أحمد بن علي بن حسن
بن الخطيب ، المعروف بابن القنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1407م) ، مقاربة أولية " ، مجلة سيرتا ،
قسنطينة ، العدد 11 ، 1418هـ ، 1998 م .

— بورويبة رشيد : " جولة عبر مساجد تلمسان " ، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي
والشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 26 ، 1975 م .

— بو عبدلي المهدي :

* " البيعة والشورى في الإسلام وتطورها عبر التاريخ " ، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 28 ، ذوالقعدة 1397هـ ، نوفمبر 1975 م .

* " تاريخ مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات " ، مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر ، العدد 94 ، ذوالقعدة 1406هـ ، جويلية 1986 م .

— بو عياد محمود :

* " زهر البستان في دولة بني زيان " ، مجلة الثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، العدد 13 ، محرّم 1393هـ ، فيفري 1973 م .

* " رحالة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع " ، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 24 ، ربيع الأول 1395هـ ، مارس 1975 م .

* " نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان لمحمد التنسي " ، مجلة الثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، العدد 49 ، جانفي 1979 م .

— التازي عبد العزيز : " ساعات من القرن الرابع عشر في فاس " ، مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد 13 ، 1385هـ/1966 م .

— التميمي عبد الجليل : " كتاب "نيل الإبنهاج بتطريز الديباج" معلمة بيبليوغرافية للأعلام المغاربة " ، المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات ، منشورات مركز البحوث في علم المكتبات والمعلومات ، تونس ، العدد 03 ، مارس 1985 م .

— الجيدي عمر : " الشروح المغربية على صحيح مسلم " ، مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، العدد 27 ، محرّم 1409هـ ، سبتمبر 1988 م .

— الحاج قاسم محمود : " رحلات الأطباء من الأندلس وإليها " ، مجلة المورد ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، العدد 01 ، 1418هـ/1998م ، (75،65) .

— حاجيات عبد الحميد : " تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط " ، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، العدد 10 ، 1997 م .

— حركات إبراهيم :

* " معالم من التاريخ الإجتماعي للمغرب على عهد بني مرين " ، مجلة كليات الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، العدد 02 ، 1977 م .

* " الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب " ، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، عدد 26 ، 1975 .

— رزوق محمد : " الجالية الأندلسية بالمغرب العربي " ، المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، العدد 3 — 4 ، السنة 13 ، نوفمبر 1986 م .

— سعد الله أبو القاسم : " وثيقة تونسية لابن مرزوق التلمساني " ، المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، العدد 17 ، 18 ، جانفي 1980 م .

— صدقي علي : " النسب والتاريخ وابن خلدون " ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، عدد 11 ، 1985 م .

— الصغير عبد المجيد : " تقويم ابن خلدون للحالة العلمية في الغرب الإسلامي " ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ط1 ، الرباط ، 2001 م .

— طالب محمد : " الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين " ، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 26 ، 1975 ، (53-64) .

— العمراني عبد الله : " جامعة القرويين " ، مجلة البحث العلمي ، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، العدد 11 ، 12 ، 1387هـ ، 1967م ،

— لعرج عبد العزيز :

* " مدرسة العباد ، سيدي أبي مدين " ، مجلة دراسات إنسانية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، العدد 02 ، 1423 هـ ، 2002 م .

* " المدارس الإسلامية ، دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها " ، مجلة الدراسات الإنسانية ، العدد 01 ، 1421هـ ، 2001 م .

— مكّي محمود : " تاريخ الأندلس السياسي (92-897هـ/711-1492م) " ، (ضمن مجموعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1998م ، ج 01 .

02 — باللغة الفرنسية :

_ Benabdelaziz Benabdellah : Aspect andalou- maghrébin de la Civilisation Arabe , (Colloque Culturel de Florence , 14, 15 et 16 décembre 1972 , alicen arabi , tome 10 .

_ Brosslard (ch) : " Les inscriptions arabes de Tlemcen " , Revue Africaine , 3^{ème} année , N° 14 , Novembre , 1858 .

خامسا : الرسائل الجامعية :

- بوحلاسة نوار : " الشعر الزياني (633-962هـ/1235-1554م) " ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، إشراف : جودة الركاب ، معهد الآداب واللغة العربية ، جامعة قسنطينة ، 1989م
- بوشامة عاشور : " علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (626 - 981هـ / 1228 - 1573م) " ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، إشراف : حسن أحمد محمود ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1411 هـ ، 1991 م .
- بوزياني الدراجي : " العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي (من القرن 06 إلى القرن 09 هـ) " ، إشراف : موسى لقبال ، ماجستير في التاريخ الإسلامي ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1987/1988 م .
- حساني نبيلة : " القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م) " ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، إشراف : عبد الحميد حاجيات ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1998م .
- خطيف صابرة : " فقهائ تلمسان والسلطة الزيانية (633-791هـ/1235-1388م) " ، إشراف : محمد فرقاني ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 2003/2004 م .
- خليل فاطمة : " الرحلة في الأدب المغربي " ، رسالة دكتوراه دولة (منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس ، المغرب ، 1988 م .
- عبد المنعم السيد منال : " أثر الطريقة الصوفية في الحياة الاجتماعية لأعضائها ، دراسة أنثربولوجية في مصر والمغرب " ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، إشراف محمد علي أبو ريّان ، فاروق أحمد مصطفى ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، 1990 م .
- فتحة محمد : " النوازل الفقهية والمجتمع ، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 06 إلى 09هـ/12-15 م) " ، رسالة دكتوراه (منشورة) ، جامعة الحسن الثاني ، 1996م ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1999م .
- قريش أحمد عبد القادر : " الحياة الأدبية في تلمسان في القرن الثامن الهجري " ، رسالة ماجستير ، إشراف : عبد الكريم خليفة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الأردنية ، 1408هـ/1988م .
- لدرع آمال : " الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال العصر الزياني " ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، إشراف : بوبة مجاني ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 1427هـ/2006 م .

سادسا : القواميس والمعاجم :

- أبو حرب محمد خير : المعجم المدرسي ، تدقيق : ندوة النوري ، ط01 ، المؤسسة العامّة للمطبوعات والكتب المدرسية ، الجمهورية العربية السورية ، 1406هـ/1985م ،
- رينهارت دوزي : تكملة المعاجم العربية ، تعريب : جمال الخياط ، ط01 ، دار الشؤون الثقافية العامّة ، بغداد ، 2000 م ، ج10 .
- إدوارد فون زامبارو : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، إخراج : محمد حسن بك ، وحسن أحمد محمود ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1400هـ/1980م

الفهارس

أولاً : فهرس الأعلام .

ثانياً : فهرس الأماكن والقبائل .

ثالثاً : فهرس المؤلفات .

رابعاً : فهرس الجداول والخرائط والأشكال البيانية .

خامساً : فهرس الملاحق .

سادساً : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الأعلام

الترجمة	الصفحة
- أ -	
إبراهيم بن عبد الرحمان بن الإمام	171 - 177 - 198 - 214
إبراهيم بن فرحون	178 - 184 - 228
إبراهيم بن قاسم العقباني	82 - 92 - 93 - 95 - 172 - 177 - 213
إبراهيم أبو إسحاق التنسي	54 - 55 - 59 - 62 - 66 - 91 - 121 - 128 - 129 - 139 - 175 - 194 - 210
إبراهيم التازي	132 - 158
إبراهيم أبو إسحاق الشاطبي	208 - 211
إبراهيم أبو إسحاق الحفصي	68 - 102
إبراهيم أبو إسحاق المصمودي	59 - 126 - 128 - 129 - 132 - 137 - 164 - 168 - 174 - 177 - 180 - 199 - 209 - 211
إبراهيم بن اللجّام	84
أبو إسحاق بن أبي يحيى	117
أبو إسحاق المصمودي	187
أبو العباس التميمي	89
أبو العباس بن القطان	150
أبو القاسم البرزلي	203 - 211
أبو القاسم الزواوي	215
أبو القاسم المشذالي	213 - 214
أبو بكر بن أبي زكرياء الحفصي	153
أبو بكر بن داود بن الخطاب	210 - 215
أبو القاسم بن سودة	227
أبو بكر بن عريف	110
أبو بكر بن يحيى	18
أبو ثابت بن يعقوب الزياتي	60 - 82 - 83 - 84 - 117
أبو سالم المريني	66 - 67 - 110 - 117 - 118 - 139
أبو زكرياء السوسي	216
أبو زكرياء بن أبي البركات الغماري	163
أبو زيد الجاديري	212
أبو عبد الله الغرناطي	213 - 214 - 228
أبو عبد الله القيسي	212
أبو عبد الله الماللي	180 - 226 - 230

209	أبو عبد الله اليحصبي
94	أبو عبد الله بن عثمان بن عامر
145	أبو عبد الله بن منصور الصوفي
147 - 116 - 112 - 111	أبو فارس المريني
102 - 24	أبو فارس بن عبد العزيز
91	أبو محمد بن عبد النور
139 - 68 - 18	أبو محمد بن تافراجين
208	ابن البناء المراكشي
76	ابن الحكيم الوزير
148 - 111	ابن عبد العزيز التلمساني
169 - 152 - 134 - 123 - 93 - 76	ابن مريم الشريف التلمساني
229 - 228 - 226 - 77	أحمد أبو العباس المقرئ
- 179 - 172 - 170 - 158 - 135 - 125 - 92 - 215 - 214 - 203 - 201 - 195 - 192 - 181 231 - 229 - 217	أحمد أبو جعفر البلوي
61	أحمد الحصيني
203	أحمد السلاوي التونسي
101 - 59 - 44	أحمد العاقل أبو العباس
220	أحمد القباب أبو العباس
227	أحمد المنجور أبو العباس
169	أحمد بابا التنبكتي
179 - 170	أحمد بن أبي يحيى الشريف التلمساني
223 - 221	أحمد بن أحمد الغبريني أبو القاسم
214	أحمد بن الحاج أبو العباس
142 - 131	أحمد بن الحاج الصوفي
209 - 176 - 91 - 89 - 85 - 84 - 81 - 70 - 64	أحمد بن الحسن أبو العباس المديوني
- 147 - 145 - 143 - 142 - 141 - 124 - 59 168 - 158 - 157 - 155 - 150	أحمد بن الحسن الغماري
186 - 173 - 149 - 130 - 127	أحمد بن القاضي أبو العباس
176 - 83	أحمد بن المشوش أبو العباس
111 - 106 - 69 - 18	أحمد بن المنتصر أبو العباس
83	أحمد بن رحمون أبو العباس
- 180 - 177 - 174 - 172 - 169 - 154 - 146 - 205 - 201 - 199 - 197 - 190 - 189 - 187 217 - 214 - 212	أحمد بن زاغو أبو العباس
227 - 215 - 214	أحمد بن زروق الفاسي

92 - 112 - 122 - 124 - 126 - 130 - 158 - 162 - 170 - 172 - 174 - 185 - 187 - 189 - 195 - 202 - 203 - 212 - 213 - 214 - 219 - 221 - 227	أحمد بن زكري أبو العباس
222	أحمد بن سعيد بن المشط أبو العباس
67	أحمد بن صالح بن إبراهيم
145 - 211 - 216	أحمد بن عمران البجائي أبو العباس
84	أحمد بن عيسى البطوي التلمساني
83	أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني
158 - 171	أحمد بن قنفذ القسنطيني
228	أحمد بن محمد بن الحاج التونسي
35	أحمد بن محمد الجويني
214 - 215	أحمد بن محمد بن مرزوق
58 - 62 - 67 - 70 - 73 - 74 - 89 - 98 - 113 - 121 - 122 - 123 - 124 - 125 - 126 - 128 - 129 - 130 - 131 - 132 - 139 - 140 - 141 - 142 - 143 - 150 - 157 - 176 - 208 - 209 - 210	أحمد بن مرزوق أبو العباس
60 - 137 - 151 - 152 - 158 - 159 - 163 - 171 - 173 - 175 - 178 - 179 - 185 - 197 - 213 - 215 - 216 - 230	أحمد بن يحيى الونشريسي
82 - 178 - 212 - 219	أحمد بن يحيى بن الشريف
104	إسماعيل بن يوسف بن الأحمر
105	الأمين بن الرشيد
- ج -	
184	جلال الدين السيوطي
- ح -	
59 - 61 - 74 - 111 - 112 - 116 - 121 - 126 - 127 - 128 - 131 - 132 - 133 - 134 - 137 - 141 - 143 - 148 - 150 - 152 - 157 - 172 - 199 - 211 - 212 - 214	الحسن أبركان
81 - 87	حسن الحسيني السبتي
210	الحسن بن بشر البلوي
43	الحسن بن محمد الوزان

- خ -	
69	خالد الثاني أبو البقاء الحفصي
110	خالد بن عامر
- ز -	
67	زكرياء الأول أبو يحيى الحفصي
117	زيري بن حمّاد
- س -	
81 - 83 - 86 - 87 - 95 - 123 - 138 - 140 - 154 - 169 - 172 - 174 - 177 - 196 - 197 - 198 - 202 - 203 - 209 - 211 - 220 - 227 - 229	سعيد العقباني أبو عثمان
144	سليمان أبو الربيع الصوفي
- ش -	
80	شمس الدين بن قيم الجوزية
169	شمس الدين الداودي
184	شمس الدين السخاوي
- ع -	
87 - 92 - 136	عبد الباسط بن خليل
83	عبد الحق المليتي المسناوي
20 - 56 - 58 - 76 - 81 - 83 - 84 - 92 - 93 - 142 - 143 - 145	عبد الرحمان أبو تاشفين الأول
21 - 43 - 48 - 107 - 108 - 218	عبد الرحمان أبو تاشفين الثاني
175 - 194	عبد الرحمان أبو زيد بن يعقوب
134 - 212	عبد الرحمان الثعالبي أبو زيد
111 - 148	عبد الرحمان السنوسي
55 - 62 - 63 - 86 - 91 - 98 - 111 - 114 - 117 - 145 - 176 - 196 - 198 - 209 - 218 - 231 - 233	عبد الرحمان بن الإمام أبو زيد
214	عبد الرحمان بن الإمام أبو يحيى
218	عبد الرحمان بن القاسم أبو عبد الله
55 - 68 - 105 - 115 - 120 - 146 - 154 - 156 - 167 - 174 - 180 - 186 - 191 - 203 - 208 - 216	عبد الرحمان بن خلدون
83 - 93	عبد الرحمان بن زاغ أبو زيد
136	عبد الرحمان بن علي أبو زيد

212 - 211 - 199 - 197 - 177 - 174 - 169 139 - 137 - 124 - 94 - 93	عبد الرحمن بن محمّد بن الشريف عبد الرحيم بن أبي العيش أبو زيد
102 - 79 - 78 - 71 - 69 - 49 - 29 - 18	عبد العزيز أبو فارس الحفصي
227	عبد العزيز الورياكلي
101	عبد الله بن أبي البركات العُمّاري
221 - 162 - 161 - 87	عبد الله بن أبي بكر العصنوني
212 - 211 - 208 - 203	عبد الله بن جُزّي أبو محمّد
208 - 171 - 168 - 93 - 89	عبد الله بن عبد الواحد المجاصي
216 - 204 - 177 - 171 - 100	عبد الله بن محمّد الشريف
209	عبد الله بن يوسف النجّاري
210	عبد المهيمن الحضرمي
74 - 61 - 21	عبد الواحد أبو مالك
101 - 92 - 88 - 87	عبد الواحد بن أحمد الونشريسي
82	عبد الواحد بن أحمد بن قاسم العقباني
94 - 93	عثمان أبو سعيد بن عامر
84 - 83 - 82 - 81	عثمان الثاني أبو سعيد الزياتي
- 42 - 19	عثمان بن عبد العزيز أبو عمرو
117 - 113 - 73 - 62 - 60 - 58 - 56 - 44 - 34	عثمان بن يعقوب أبو سعيد
- 97 - 83 - 82 - 61 - 59 - 55 - 49 - 46 - 19 98	عثمان بن يغمراسن أبو سعيد
212	علي البلوي أبو الحسن
195 - 175 - 121 - 112 - 106 - 91 - 67 - 61 212 - 210	علي التنسي أبو الحسن
- 184 - 180 - 174 - 172 - 169 - 137 - 37 - 212 - 205 - 204 - 202 - 201 - 190 - 187 228 - 227 - 214 - 213	علي القلصادي أبو الحسن
176 - 83	علي المقرّي أبو الحسن
105	علي بن أبي طالب
214 - 178	علي بن أحمد التالوتي أبو الحسن
203 - 177 - 174	علي بن الأشهب الخزاعي أبو الحسن
232 - 209 - 198 - 186 - 149 - 101 - 90	علي بن الفحام أبو الحسن
- 62 - 56 - 46 - 44 - 38 - 35 - 30 - 29 - 23 - 86 - 85 - 84 - 79 - 78 - 67 - 65 - 64 - 63 - 108 - 106 - 100 - 96 - 91 - 90 - 89 - 88 - 144 - 142 - 123 - 117 - 115 - 114 - 111 198 - 164	علي بن عثمان أبو الحسن

82	علي بن محمد بن مروان
184 - 182 - 177	علي بن مسعود الخزاعي
198 - 176 - 171 - 95	علي بن هدية أبو الحسن
139 - 110 - 67	عمر بن عبد الله الوزير
218	عمران بن موسى المشذالي
229	عياض بن موسى اليحصبي
140 - 139	عيسى المديوني
- 114 - 111 - 98 - 91 - 86 - 63 - 62 - 55 - 218 - 209 - 201 - 198 - 196 - 176 - 115 233 - 231	عيسى بن الإمام أبي موسى
190	عيسى بن عمران أبو موسى
- ف -	
- 66 - 65 - 64 - 48 - 46 - 38 - 37 - 24 - 23 - 86 - 85 - 84 - 78 - 75 - 73 - 72 - 68 - 67 - 149 - 135 - 134 - 123 - 101 - 89 - 88 - 199 - 198 - 196 - 186 - 169 - 155 - 153 232	فارس أبو عنان
- ق -	
- 172 ت 170 - 163 - 159 - 122 - 82 - 59 - 195 - 192 - 189 - 187 - 184 - 177 - 174 - 232 - 228 - 221 - 220 - 219 - 213 - 201 233	قاسم بن سعيد العقباني
- ل -	
- 183 - 138 - 137 - 130 - 117 - 75 - 65 233 - 230 - 229 - 211 - 208 - 199 - 193	لسان الدين بن الخطيب
- م -	
218 - 175	مالك بن أنس
110	محمد أبو زيان المريني
176	محمد برجس بن باري
38	محمد بن أبي حمو أبو زيان
- 164 - 134 - 114 - 76 - 75 - 63 - 60 - 55 - 198 - 191 - 189 - 186 - 179 - 176 - 173 - 225 - 217 - 210 - 209 - 205 - 203 - 200 231	محمد بن إبراهيم الأبلي
94 - 93	محمد بن أبي العيش
214 - 192 - 187 - 170	محمد بن الإمام أبو الفضل

192	محمد بن الإمام أبو عبد الله
209 - 176 - 149 - 100 - 86 - 81	محمد بن أبي عمرو التميمي
16	محمد بن أبي عبيدة
- 172 - 170 - 168 - 163 - 105 - 103 - 57 - 204 - 203 - 199 - 195 - 189 - 182 - 178 - 222 - 221 - 216 - 215 - 214 - 213 - 212 229 - 224	محمد بن عبد الجليل التنسي
187 - 184 - 124	محمد بن تومرت التلمساني
232 - 218	محمد بن عبد السلام التونسي
227	محمد بن أحمد التريكي التونسي
202 - 186 - 184 - 107	محمد بن يوسف الثغري
213 - 192 - 178 - 172 - 82	محمد بن أحمد الجلاب التلمساني
96	محمد بن عبد الرحمان بن جلال
214 - 208 - 187	محمد بن أحمد الحباك
178 - 175	محمد بن أبي العيش الخزرجي
185 - 179 - 178 - 175	محمد بن عبد الله الحضرمي
156	محمد بن رشد
- 202 - 197 - 196 - 194 - 190 - 78 - 69 231 - 228 - 227 - 213 - 211	محمد بن قاسم الرصاع
92	محمد بن زكرياء
208	محمد بن زمرك
219	محمد بن سراج الغرناطي
- 128 - 126 - 124 - 76 - 75 - 74 - 73 - 57 - 142 - 135 - 133 - 132 - 131 - 130 - 129 - 158 - 157 - 150 - 149 - 146 - 144 - 143 - 179 - 178 - 174 - 172 - 170 - 168 - 163 - 191 - 190 - 189 - 187 - 185 - 184 - 180 - 217 - 215 - 214 - 213 - 212 - 204 - 195 - 230 - 229 - 228 - 226 - 224 - 222 - 219 234	محمد بن يوسف السنوسي
35	محمد بن أحمد الغزالي
177	محمد الشريف
214 - 93 - 84	محمد الشريف أبو حمو

57 - 64 - 67 - 73 - 76 - 98 - 109 - 117 - 121 - 122 - 123 - 124 - 127 - 128 - 129 - 130 - 131 - 134 - 137 - 140 - 154 - 168 - 171 - 174 - 175 - 177 - 179 - 182 - 186 - 189 - 195 - 196 - 198 - 199 - 201 - 209 - 210 - 211 - 218 - 221 - 223 - 224 - 226 - 227 - 228 - 230 - 233	محمد الشريف أبو عبد الله التلمساني
79	محمد بن الشماع
125 - 126 - 141 - 150 - 158 - 178 - 179 - 181 - 214 - 215 - 229 - 231 - 234	محمد بن سعد أبو الفضل
209	محمد الصباغ المكناسي
95 - 136 - 140 - 146 - 157 - 171 - 172 ت 178 - 185 - 204 - 213 - 214 - 215 - 216 - 224	محمد بن العباس أبو عبد الله
83	محمد بن عبد الحق بن ياسين
63 - 84 - 86 - 89 - 90 - 91 - 115 - 176 - 183 - 158 - 209	محمد بن عبد الله بن عبد النور
82	محمد بن عبد العزيز أبو عبد الله
210	محمد بن محمد العبدي أبو عبد الله
20 - 82 - 110	محمد بن عثمان أبو زيان
192	محمد بن أبي الفضل العباني
82 - 88 - 90 - 122 - 138 - 151 - 152 - 157 - 177 - 180 - 213 - 220	محمد بن أحمد بن قاسم العباني
209 - 218 - 226 - 228	محمد بن عرفة
110	محمد بن عريف
203 - 220 - 223	محمد بن عقاب أبو عبد الله
75 - 112 - 124 - 130 - 183 - 193 - 210	محمد بن عمر بن خميس
203 - 215 - 231 - 233	محمد بن أحمد بن غازي
216	محمد بن عبد الجبار الفجيجي
100 - 123 - 146 - 177 - 196 - 197 - 212 - 231	محمد بن عمر الفتوح التلمساني
176	محمد القرموني أبو عبد الله
218	محمد بن لب الأندلسي أبو عبد الله
232	محمد المازري أبو عبد الله
126 - 128 - 136 - 140 - 174 - 186 - 197 - 203 - 211 - 212	محمد أبو عبد الله المجاري
21 - 57 - 103 - 105	محمد المتوكل أبو عبد الله

219 - 215	محمد بن أبي القاسم المشذالي
222	محمد بن القاسم المشذالي أبو عبد الله
176 - 93	محمد المشوش أبو عبد الله
- 170 - 164 - 163 - 162 - 161 - 160 - 157 224 - 221 - 215 - 185 - 173	محمد بن عبد الكريم المغيلي
74	محمد الملاي أبو عبد الله
128 - 125 - 122 - 58	محمد بن مرزوق أبو عبد الله الجدّ
- 69 - 68 - 67 - 66 - 65 - 64 - 62 - 60 - 56 - 101 - 99 - 96 - 95 - 93 - 90 - 79 - 76 - 73 - 114 - 111 - 110 - 108 - 104 - 103 - 102 - 129 - 128 - 125 - 122 - 121 - 118 - 117 - 139 - 137 - 136 - 135 - 134 - 132 - 130 - 155 - 151 - 146 - 144 - 143 - 142 - 141 - 177 - 174 - 171 - 169 - 164 - 159 - 157 - 195 - 194 - 189 - 184 - 183 - 181 - 178 - 209 - 208 - 203 - 199 - 198 - 197 - 196 233 - 229 - 224 - 223 - 221 - 220 - 210	محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب
210 - 146 - 70 - 62	محمد بن محمد بن مرزوق
- 135 - 134 - 132 - 130 - 125 - 95 - 59 - 177 - 172 - 169 - 168 - 157 - 143 - 139 - 227 - 224 - 199 - 189 - 186 - 185 - 182 233 - 230 - 228	محمد بن مرزوق الحفيد
- 213 - 212 - 203 - 201 - 179 - 178 - 173 215 - 214	محمد بن مرزوق أبو عبد الله الكفيف
- 89 - 88 - 86 - 78 - 77 - 72 - 70 ، 67 ، 64 - 153 - 138 - 134 - 133 - 130 - 127 - 110 - 179 - 178 - 176 - 174 - 168 - 155 - 154 - 196 - 189 - 186 - 183 - 182 - 181 - 180 - 218 - 210 - 209 - 208 - 201 - 198 - 197 - 229 - 228 - 227 - 226 - 224 - 223 - 221 234 - 233 - 230	محمد المقرئ أبو عبد الله
82	محمد بن مروان أبو عبد الله
29	محمد المنتصر بالله
171 - 146 - 123 - 115 - 100 - 88 - 79 - 63 213 - 209 - 187 - 185 - 174 -	محمد أبو عبد الله النجار
189 - 183 - 176 - 56	محمد بن يحيى بن النجار أبو عبد الله
210 - 183 - 175 - 101 - 95 - 92 - 84 - 81	محمد بن هدية أبو عبد الله

96 - 94	محمدّ الونشريسي
169	مجاهد بن جبر
86	مروان بن جبّارة
176 - 86 - 84	مروان بن محمدّ بن علي
192	منصور بن هدية أبو العبّاس
96 - 83	منصور بن هدية أبو علي
- 79 - 75 - 63 - 60 - 75 - 56 - 44 - 29 - 21 - 196 - 126 - 116 - 98 - 92 - 84 - 82 - 81 231	موسى بن أبي يعقوب أبوحمو الثاني
- 79 - 75 - 63 - 60 - 57 - 56 - 55 - 43 - 20 - 196 - 126 - 116 - 98 - 92 - 84 - 82 - 81 231	موسى بن عثمان أبوحمو الأوّل
- ن -	
215 - 214	نصر الزواوي
- ه -	
93	هارون بن موسى التنسي
- و -	
59	الوائق
214 - 212	الورياجلي بن عبد الواحد
- ي -	
97 - 49 - 74	يحي أبو زكرياء الحفصي
95	يحي أبو زكرياء بن أبي العيش
214 - 213	يحي أبو زكرياء المازوني
210 - 196 - 176 - 171 - 90 - 81 - 58	يحي أبو زكرياء بن عصفور
83	يحي أبو زكرياء بن رحمون
186 - 171 - 85 - 33	يحي بن خلدون
184	يحي بن محمدّ التلمساني
34 - 19	يعقوب أبو يوسف
105 - 96 - 58 - 55 - 54	يغمراسن بن زيان
- 113 - 112 - 66 - 62 - 61 - 57 - 47 - 44 147 - 121	يوسف أبو يعقوب
44	يوسف بن أبي تاشفين أبو ثابت
187	يوسف بن إسماعيل الزيدوري
34 - 19	يوسف بن يعقوب

ثانياً : فهرس الأماكن والقبائل

- أ -	
- 153 - 134 - 115 - 87 - 78 - 70 - 47 - 36 - 27 - 15 219 - 192 - 161	إفريقية
96	أغادير
- 114 - 112 - 72 - 68 - 67 - 66 - 65 - 60 - 28 - 23 137 - 116 - 115	الأندلس
- ب -	
200 - 155 - 117 - 86	بجاية
117	بُرشك
115	بسكرة
194 - 145	بني ورنيد
- ت -	
- 42 - 41 - 39 - 36 - 34 - 33 - 31 - 29 - 26 - 23 - 19 - 64 - 63 - 62 - 61 - 58 - 56 - 54 - 53 - 48 - 44 - 43 - 81 - 80 - 79 - 78 - 75 - 73 - 72 - 71 - 70 - 66 - 65 - 97 - 96 - 94 - 93 - 92 - 91 - 89 - 88 - 85 - 84 - 82 - 121 - 116 - 113 - 112 - 111 - 106 - 100 - 99 - 98 - 146 - 145 - 143 - 142 - 141 - 140 - 139 - 136 - 190 - 181 - 164 - 161 - 154 - 149 - 148 - 147 - 213 - 200 - 199 - 197 - 196 - 195 - 193 - 191 226	تلمسان
163 - 160	تمنطيط
221 - 163 - 161 - 159	توات
139	توزر
- 47 - 41 - 40 - 39 - 36 - 33 - 29 - 28 - 24 - 23 - 16 - 106 - 102 - 95 - 94 - 90 - 89 - 86 - 70 - 68 - 53 - 196 - 191 - 155 - 139 - 137 - 116 - 115 - 111 227 - 221 - 218 - 217 - 200 - 199 - 197	تونس
117 - 110	التيطري
- ج -	
163	الجريد
- د -	
195	درب الأندلس
140	درب شاکر

194 - 39	درب مسوفة
- ز -	
27	زغبة
27 - 26	زناتة
- س -	
87 - 86 - 48 - 24	سبنة
197 - 86 - 65 - 42 - 30	سلا
141	السودان
93	سوق الخرّاطين
194 - 39	سوق القبايين
194 - 136	سويقة إسماعيل
- ش -	
155	الشلف
- ط -	
116 - 114 - 23	طريف
24	طنجة
- ع -	
149 - 71 - 62	العبّاد
42	عين الزميت
- غ -	
137 - 76 - 28	غرناطة
- ف -	
- 48 - 46 - 44 - 39 - 38 - 36 - 31 - 30 - 28 - 24 - 22 - 72 - 70 - 67 - 66 - 65 - 64 - 63 - 61 - 60 - 57 - 53 - 138 - 130 - 127 - 121 - 99 - 92 - 88 - 86 - 75 - 222 - 212 - 197 - 164 - 155 - 153 - 149 - 139 232 - 231 - 229 - 226	فاس
196 - 95	فاس الجديدة
- ق -	
233	قرطبة
115 - 23	القيروان
- م -	
117	المدينة
134 - 97 - 86 - 28 - 22	مراكش
116	المسيلة

93	المشور
27	مصمودة
155 - 117 - 27	مغراوة
227 - 196 - 99 - 49 - 46 - 16	المغرب الأدنى
231 - 226 - 200 - 197 - 195 - 68 - 36 - 19216	المغرب الأقصى
164 - 36 - 16	المغرب الأوسط
116	مقرة
212 - 196 - 146 - 27	مكناسة
87	مليانة
- ن -	
142	ندرومة
- ه -	
134	هسكورة
87 - 86	هنين
- و -	
86	وجدة
87 - 86	وهران

ثالثاً : فهرس المؤلفات

- أ -	
206	أربعينات النووي
222 - 155	إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم
207	إعراب القرآن
207	إيضاح الفارسي
110 - 66	الإحاطة في أخبار غرناطة
36	الإرشاد
207	الإشارات
225 - 207	الألفية
- ب -	
186 - 111 - 86	الباستان
84	بغية الرواد
208	بغية الطلاب في علم الإسطرلاب
- ت -	
104	تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان
90	تحفة الناظر وغنية الذاكر
182	تخريج الدلالات السمعية
206	التذكرة
206	الترغيب والترهيب
207	التسهيل
207	تلخيص كتاب أرسطو
225 - 208	التلخيص للمراكشي
225	التلمسانية في الفرائض
- ج -	
171 - 96	جذوة الإقتباس
225 - 207	جُمَل الخونجي
207	جُمَل الزجّاجي
107	جنى الجنّتين في شرف الليلتين
- ح -	
228 - 227	الحقائق والرقائق
208	الحوفي في الفرائض
- ر -	
103	راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح
207	رسالة القشيري

207	رسالة الهروي
182	روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار
- ز -	
229	الزهر الباسم
104	زهر البستان في تاريخ بني زيان
- ش -	
232	شامل بهرام
178 - 169	شجرة النور الزكية
227	شرح ابن البناء
227 - 226	شرح جمل الخونجي
229 - 227	شرح الحوفي
227	شرح الخزرجية
229	شرح الشفا
206	الشفا في التعريف بحقوق المصطفى
207	الشفا لابن سينا
206	الشمائل المحمدية
- ص -	
205 - 196 - 171	صحيح البخاري
205 - 201	صحيح مسلم
- ط -	
184	طبقات اللغويين والنحاة
169	طبقات المفسرين
229 - 168	الطراز في شرح الخراز
228	الطرف والتحف
- ع -	
227 - 226	العقيدة الصغرى
226	العقيدة الكبرى
228 - 226	عمل من طب لمن حب
- ف -	
173	فتح الباري شرح صحيح البخاري
- ق -	
225	قصيدة ابن الياسمين
228	القواعد

230	القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف
- ك -	
205	الكافية
- ل -	
220	لُباب اللباب في مناظرة القَبَاب
- م -	
226 - 225 - 206	مختصر ابن الحاجب الفرعي
225 - 206	مختصر ابن الحاجب في الأصول
228 - 226	مختصر ابن عرفة
225 - 206	مختصر أبو زيد القيرواني
231 - 228 - 206	مختصر خليل
206	المدونة
207	مستصفى الغزالي
181 - 102	المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن
221	مصباح الأرواح في أصول الفلاح
228 - 206	مفتاح الأصول إلى بناء الفروع على الأصول
182	مناقب الشيخ المصمودي
207	منهاج الغزالي
230	المواهب القدسية في المناقب السنوسية
206	موطأ الإمام مالك
- ن -	
182 - 103	نظم الدرّ والعُقَيان في بيان شرف بني زيان
182 - 72	نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
230	النور البدري في التعريف بالفقيه المقرّي
170	نيل الإبتهاج بتطريز الديباج
- ي -	
208	الياسمينية في الجبر والمقابلة

رابعاً : فهرس الجداول والخرائط والأشكال البيانية

الصفحة	العنوان
17	— خريطة بلاد المغرب خلال القرن الثامن الهجري (14م)
25	— خريطة بلاد المغرب خلال القرن التاسع الهجري (15م)
45	— خريطة لأهم المرافق الاجتماعية بمدينة تلمسان
188	— أعمدة بيانية لتصنيف علماء تلمسان حسب العلوم
208	— جدول لمكانة علماء تلمسان في التدريس
224	— دائرة نسبية لمؤلفات علماء تلمسان

خامساً : فهرس الملاحق

الصفحة	العنوان	الرقم
242	— جداول لأسماء السلاطين وفترات حكمهم	01
245	— الحوار بين أحمد بن مرزوق والسلطان أبي تاشفين الأول	02
246	— شفاعة السلطان أبي الحجاج يوسف لابن مرزوق الخطيب عند السلطان المريني أبي عنان	03
249	— جدول لعلماء تلمسان الذين تولوا الخطابة بتلمسان	04
251	— وثيقة تحببب كتبها ابن مرزوق الحفيد لأحد سكان منطقة توزر .	05
252	— مختلف الرسائل وأجوبة فقهاء تلمسان حول قضية يهود توات .	06
261	— جدول شامل لعلماء تلمسان وتصنيفهم حسب العلوم التي برعوا فيها .	07
262	— جدول للرحلات العلمية لعلماء تلمسان .	08
263	— جدول لمؤلفات علماء تلمسان العلمية	09

ساحساً : فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر وتقدير

02 المقدّمة

الفصل الأوّل

الأوضاع العامّة في بلاد المغرب الإسلامي خلال

القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م)

15 أوّلاً : الأوضاع السياسية في بلاد المغرب الإسلامي

16 01 – الأوضاع السياسية في المغرب الأدنى

19 02 – الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط

22 03 – الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى

26 ثانياً : الأوضاع الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي

26 01 – مكونات المجتمع في بلاد المغرب الإسلامي

29 02 – مميّزات الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي

29 أ – الأوقاف في بلاد المغرب الإسلامي

31 ب – مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي

33 03 – الأوبئة والمجاعات في بلاد المغرب الإسلامي

35 ثالثاً : الأوضاع العلمية في بلاد المغرب الإسلامي

35 01 – الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي

37 02 – مميّزات الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي

39 03 – المؤسّسات العلمية والتعليمية في بلاد المغرب الإسلامي

- أ - الكتاب 39
- ب - المساجد والزوايا 40
- ج - المدارس 43
- د - المكتبات والخزانات 48

الفصل الثاني

دورُ علماء تلمسان في الحياة السياسية ببلاد المغرب الإسلامي

خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م)

- أولاً : علاقة علماء تلمسان بالسياسيين في بلاد المغرب 53
- 01 - علاقة علماء تلمسان بالسلطة الحاكمة 54
- 1 - 1 - علاقة علماء تلمسان بالسياسيين الزيانيين 54
- 1 - 2 - علاقة علماء تلمسان بالسياسيين المرينيين 61
- 1 - 3 - علاقة علماء تلمسان بالسياسيين الحفصيين 68
- 02 - نظرة علماء تلمسان إلى العلاقة بينهم وبين السياسيين 72
- ثانياً : خدمات علماء تلمسان للسلطة السياسية في بلاد المغرب 77
- 01 - أداء علماء تلمسان للبيعة 77
- 02 - تولي العلماء للمناصب السياسية 80
- 2 - 1 - القضاء 80
- أ - قضاء تلمسان 80
- ب - قضاء العمالات والمدن المغربية 85
- 2 - 2 - الإفتاء 91
- 2 - 3 - الإمامة والخطابة 93

- أ – تولي علماء تلمسان الإمامة 93
- ب – تولي علماء تلمسان الخطابة 94
- 2 – 4 – التدريس 97
- 03 – دعم علماء تلمسان للسلطات القائمة بأعمال أخرى 101
- 3 – 1 – المؤلفات السياسية لعلماء تلمسان 102
- 3 – 2 – مشاركة علماء تلمسان في الاحتفالات الرسمية 106
- ثالثا : دور علماء تلمسان في العلاقات والصراعات السياسية والعسكرية 109
- 01 – دور علماء تلمسان في الصراعات السياسية ببلاد المغرب 109
- 02 – مشاركة علماء تلمسان في الحياة العسكرية 114
- 03 – دور علماء تلمسان في المراسلات والسفارات 116

الفصل الثالث

دور علماء تلمسان في الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب الإسلامي

خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م)

- أولا : الحياة الاجتماعية لعلماء تلمسان 120
- 01 – الحياة الخاصة لعلماء تلمسان 120
- 1 – 1 – علاقات علماء تلمسان الأسرية 120
- 1 – 2 – مصادر معيشة علماء تلمسان 123
- 1 – 3 – الوضع المادي لعلماء تلمسان 125
- 02 – علاقة علماء تلمسان بالمجتمع المغربي 127
- 1 – 2 – معاملتهم للناس 127
- 2 – 2 – المميزات السلوكية والخلقية 129

- أ – التواضع مع النَّاس 129
- ب – زهدهم وورعهم 131
- 2 – 3 – مكانة علماء تلمسان ومنزلتهم الاجتماعية 133
- ثانياً : خدمات علماء تلمسان الاجتماعية** 135
- 01 – خدمات علماء تلمسان من خلال مناصبهم ووظائفهم 136
- 02 – مُساعدة أفراد المُجتمع 140
- 2 – 1 – مساعدة الفقراء 140
- 2 – 2 – قضاء حوائج النَّاس 142
- 2 – 1 – سعي العلماء لمواجهة الضرائب والمكوس 144
- 03 – أعمال علماء تلمسان أثناء الكوارث والشدائد 145
- 04 – إقامة المرافق الاجتماعية 148
- 05 – جهود علماء تلمسان لإصلاح المُجتمع 150
- ثالثاً : مواقف علماء تلمسان من قضايا مُجتمعهم** 153
- 01 – موقف علماء تلمسان من قضية الشرف 153
- 02 – موقف علماء تلمسان من سلوك المتصوّفة 156
- 03 – موقف علماء تلمسان من قضية يهود توات 160

الفصل الرابع

دور علماء تلمسان في الحياة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي

خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م)

- أولاً : التكوين العلمي لعلماء تلمسان** 167
- 01 – العلوم التي نبغ فيها علماء تلمسان 167

168	1 – علوم القرآن
170	2 – علوم الحديث
173	3 – أصول الفقه
175	4 – الفقه
179	5 – أصول الدين
180	6 – التصوّف
181	7 – التاريخ
183	8 – علوم اللغة العربية
185	9 – العلوم العقلية
189	02 – عوامل التنشئة العلمية لعلماء تلمسان
193	ثانيا : دورُ علماء تلمسان التعليمي في بلاد المغرب الإسلامي
193	01 – أماكن تدريس علماء تلمسان
193	أ – الكتاب
194	ب – المساجد
196	ج – المدارس
198	د – المجالس السلطانية
199	هـ – بيوت العلماء
200	02 – النشاط التعليمي لعلماء تلمسان
200	2 – 1 – طريقة التدريس
204	2 – 2 – المواد المدرّسة
208	2 – 2 – مكانة علماء تلمسان في التدريس

217	ثالثاً : مشاركة علماء تلمسان في الحياة العلمية
217	01 – المناظرات والمناقشات العلمية
223	02 – المؤلفات العلمية لعلماء تلمسان
230	03 – الإنجازات العلمية لعلماء تلمسان
232	04 – دعوة بعض علماء تلمسان للاجتهد ورفض التقليد
236	خاتمة
241	الملاحق
271	قائمة المصادر والمراجع

الفهارس

296	أولاً : فهرس الأعلام
306	ثانياً : فهرس الأماكن والقبائل
309	ثالثاً : فهرس المؤلفات
312	رابعاً : فهرس الجداول والخرائط والأشكال البيانية
313	خامساً : فهرس الملاحق
314	سادساً : فهرس الموضوعات